THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

عقود الأديب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

تأليف

المؤرخ الكبير العلامة

الشيخ محمد النيفر

الجزء الاول

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

بالمطبعة التونسية — نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

١٣٥١

عنوان الأريب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

تأليف

المؤرخ الكبير العلامة

الشيخ محمد النيفر

الجزء الاول

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
بالمطبعة التونسية — نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس
١٣٥١

893.782
N234

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

تصدير الكتاب

مذيلا بترجمة المؤلف والتعريف بسلفه

V.1

لناسج برودة . ورافع بنوده . المؤرخ الكبير . والناقد البصير . المتصرف في ضروب الانشاء . كيف يشاء . الذي ان نظم استهوى الالباب . وولج الى البلاغة من كل باب . او نثر اتى بالعجب العجاب . من الحكمة وفصل الخطاب . رب الابداع والبراعة . ورئيس الحذاق في هاتيك الصناعة . العلامة النحرير . والكاتب القدير . صاحب التآليف التي شنف بها سمع الدهر . وصاغها تاجا وهاجا لهامة هذا القطر . علم الفضل الخفاق . الذي ملا ذكره الآفاق . عماد البيت الذي لو تجسد للناس لكان مثابة محجوجة . امير الامراء ابي عبد الله سيدي محمد ابن الخوجة عامل مدينة بنزرت ونواحيها . والكوكب المضيء بسنا سياسته الحكيمة لدياجيها . ادام الله سعادته . وحرس بمنه تعلى مجادته . قال لا فض فوه . ولا برح قبلة افادة تتجه لها الوجوه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم قوله ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا ولا يخفى ما لهاتين الكلمتين الحكيمتين من التعلق بعلم الادب وقد ساعد القدر على التمكن من النظر في زبدة ما حواه هذا التاليف الجليل الواقع بين دفتي هذا الكتاب وهو تاليف جاء نسيج وحده في بابه لذلك لم تتمالك عن اجابة مرغوب من نظرني بعين كماله من ابناء مؤلفه لتصديره بترجمة صاحبه الذي كانت تجمعني واياه روابط الصداقة الوثيقة والود الراسخ والسعي المشترك في سبيل احياء ما اندرس من مجد السلف خدمة للعلم والادب وسعيا لفائدة الخلف كيف لا وخيال صورته التي كان ثوبها العلم ومكارم الخلق ما زال حاضرا بالاذهان وجميل ذكره تردده السن اهل الفضل بكل البقاع وما على الصبح غطاء ولا على الشمس قناع وتاليفه هذا جاء عنوانا ناطقا بما لصاحبنا المذكور اضاء الله وجهه يوم العرض والنشور من حب بلاده واظهار مفاخر ابناء وطنه في الحاضر والغابر لذلك رايت من تعميم الفائدة ان نبحث في موضوع التاليف نفسه على معنى تصديره بنبذة جامعة لشيء من ادوار علم الادب ومنزلته بين الشعوب ثم نتخلص من ذلك لترجمة المؤلف التي هي بيت القصيد

اصطلح العلماء على ان الادب يشمل عدة علوم لا سيما اللغة والنحو والشعر والتاريخ والانساب وقالوا ان الاديب هو الذي ياخذ من كل شيء احسنه يعني الاجادة في النظم والنثر وعلى هذه القاعدة كان تعليم هارون الرشيد لابنه المامون وناهيك به مفخرة بين ملوك الاسلام على توالي الدهور والاعوام اما العالم فهو الذي يتصدى لقراءة علم مخصوص فيتعلمه وينبغ فيه وقد قدمنا لك ان من اقسام الادب علم التاريخ الذي من فروعه طبقات الرجال وهو علم جليل نبغ فيه المسلمون ايما نبوغ حتى قيل انهم اكثر امم الارض تصنيفا في تراجم اهل كل فن فقد دونوا في ذلك كتبا لا تدخل تحت حصر منها طبقات للمفسرين والقراء والمحدثين والحفاظ والنحاة والفقهاء والشعراء والكتاب والاطباء والحكماء والعلماء والاولياء والصوفية والنسابين والمعبرين والفرضيين حتى الوضاعين والمخنثين والمغنين ومن حذا حذوهم من اهل الخلاعة

5/323 M 10-29-64 MR

والانهماك في الشهوات واول ما كتب في هذا الفن طبقات الشعراء وطبقات الصحابة والتابعين كان ذلك اواخر المائة الثانية للهجرة ومن ذلك العهد تسلسل تدوين التراجم حول العصور

ومعلوم ان اللغة العربية جاءت في آدابها اوسع مادة من بقية لغات العالم لانها استفادت من المدنيات السابقة ومن ثقافة الامم الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية كالهند والصين والفرس ومصر والعراق والترك والصقالبة والروم وغيرهم من الاقوام الذين جمعهم الاسلام تحت راية القرآن الحاملة في طياتها بلاغة الكلام وفصاحة اللسان لذلك جاءت كتبهم جامعة واعية من كل الوجوه لاشتمالها على احسن ما ابتكرته القرائح واستنبطته الافهام وخطته الاقلام التي هي محاريث العقول وينبغي في هذا المقام ان لا نغفل ايضا عن الاشارة لما ازداد من السعة في ذلك المجال بفضل ما انضم الى تلك الآداب من ترجمة الكتب اليونانية وغيرها فيما سلف من العصور لا سيما في عهد الخليفة المامون وجده المنصور

وزيادة على ما تقدم فان العرب اهل شاعرية فطرية كان لموقع بلادهم الحظ الاوفر فيها لصفاوة جوها واعتدال مزاجها لذلك كانوا وما زالوا اهل خيال وتاثر نفساني لما يعرض لهم من الحوادث في سبيل الحياة وقد وصف لنا القرآن حالة الشعراء في الشعراء لما سبق في علمه تعلى من تاثير الشعر في النفوس واسترسال الشاعر في طريق المبالغة بل والكذب الصراح لذلك كان شعر السيد حسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ارقى في الجاهلية منه في الاسلام لان الاسلام نهاه عن التغالي وعن اقول ولا ابالي واول ما تكاثر الشعر بين المسلمين في ايام الوليد الخليفة الخليع السكير من بني امية وهو القائل في الخمر

كانها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقب

وكان اتساع نطاق الشعر وانتشار فنونه في الدولة العباسية حتى كاد ان لا يخلو بيت من بيوت بغداد عن ديوان شعر مخطوط او عن حافظ على ظهر قلب لمقدار ما بديوان ناهيك ان الشعر في ايامهم كان فكاهة المجلس وزاد الانيس ولم يكن ذلك قاصرا على الرجال بل حتى النساء ايضا فقد كان فيهن الشاعرات والحافظات

اللاتي ينزلن الامثال الشعرية في منازلها كما جاء فيما نقله صاحب حلبة الكميت عما يقال عن تلك المراة التي قصدها في طريقها احد المارين بقوله « رحم الله ابن الجهم » فاجابته على البديهة بقولها « ورحم الله المعري » واتفق ان كان ثالث بالقرب منهما فاقتفى اثر المراة وقال لها والله ان لم تقولي لي ما اراد وما اردت لافضحنك فقالت له قد اراد بابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

واردت بالمعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

وسواء كانت هذه القصة بنت وقتها او دبرتها قريحة بعض الادباء فهي في الجملة تدل على نفاق سوق الادب والشعر خلال العصور العباسية كما هو معروف

واضف لذلك ان اللغة العربية جاءت معينة على نظم الشعر لانها في نفسها شعرية لتوسعها في المرادفات والاستعارات والكنايات وما اشبه ذلك مما يسهل على الناظم معالجة اوزانه وقوافيه لا سيما وان لابنائها شعورا فطريا وانفسا حساسة تجيش لاول حركة فعالة لذلك تراهم من ابلغ من نظم في المدح والذم

وعلى قياس براعتهم في الشعر جاءت بلاغتهم في النثر والقرآن الكريم كلام الله القديم نزل بلغتهم وناهيك به من شهادة على رفعة اللسان العربي المبين ولنا في جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الآية الكبرى في البلاغة والاجادة والافادة والايجاز البالغ لحد الاعجاز وكتاب سيدنا الخليفة الثاني القائل لعامله « اما بعد فقد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » عنوان على ما تؤديه العربية من كثير المعاني في قليل من الكلام وهذا حالها حتى الآن لذلك كانت في سعة لمجاراة المدنيات السابقة واللاحقة ومنها المستجدات العصرية التي بهرت العقول ولزيادة البيان نقول ان الانشاء كالشعر اخذ في الازدهاء من عهد الدولة الاموية واول من ضبط صناعته عبد الحميد كاتب مروان الحمار آخر ملوك بني امية ومنه انتشرت في الاسلام اساليب التحرير والرسائل الى ان بلغت الدرجة العالية الموجودة الان بالبلاد المصرية التي هي المورد العذب الذي يكرع منه في عهدنا الحاضر بقية بلاد الناطقين بالضاد ومعلوم

ان الانشاء العصري صار اميل للارسال منه للسجع وهذا الاسلوب المنتشر الان بكثرة بين اغلب كتاب العربية هو الاسلوب الذي انتهجه ولي الدين ابن خلدون في المقدمة وغيرها من مصنفاته الجليلة والفضل في احياء هذه الطريقة بين حملة الاقلام في الاعصر الاخيرة يرجع باكمله لشيخ الجماعة احمد فارس صاحب جريدة الجوائب التي اسسها خلال سنة ١٢٧٧ فقد كانت هذه الجريدة منارا لهداية الكاتبين بين العالمين وما كتاب كنز الرغائب الجليل المقدار الا وليدها كما هو معروف بين اهل الامصار والاقطار

ثم اعلم ان من اقسام الادب الموسوعات المعروفة في الاصطلاح العصري بدوائر المعارف وهذا النوع من التصنيف الذي الف فيه المسلمون كثيرا قد اعان ايضا على ازدهار آداب اللغة العربية وليس كتاب سمط اللآل للعلامة الشيخ محمد بن علي قويسم التونسي المتوفى سنة ١١١٤ غير موسوعة جليلة استغرقت اثني عشر جزءا في القالب الكبير نسجت عليها لسوء الحظ عناكب النسيان ولو اخرجتها الاقدار يوما من مكامنها ومثلتها للطبع لاختطفتها الايدي قبل الابصار ولدينا كتاب للعلامة المصلح المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في تقريض الاجزاء الاولى من الرزنامة التونسية قال فيه انها دائرة معارف تونسية ناطقة بتمكن بلادنا في الحضارة والعلم والادب واعظم الموسوعات الادبية فخرا كتاب الفهرست لابن النديم المتوفي سنة ٣٨٥ ولولاه لهدمت صوامع وبيع وصلوات يعني لضاع عنا تاريخ اللغة العربية وآدابها لانه اول ما كتب في هذا الفن

وهذه بلادنا تونس المحبوبة وتربتنا المرغوبة قد امتاز بنوها قديما وحديثا برقة الحاشية والذوق السليم بما منحتهم الاقدار من المواهب وحسن الاستعداد لتدبر معاني الكلام وسبر غوره والغوص لاستخراج اصدافه من مناجمها وسبكها نظما ونثرا في عقود كل تالد وطريف

وبالرغم عن كون التونسيين كتبوا كثيرا في فنون الادب ولاسيما ما كان منه متعلقا بالانشاء والشعر فان تآليفهم وان كانت واسعة المدى قد ذهبت بشدة الترك سدى بحيث انه لم يظهر مما دونوه في ذلك الى عالم الطبع سوى النزر اليسير على ان لهم

في باب التراجم لاهل العلم والادب القدح المعلى والذكر الجميل ناهيك بسمعة الكتاب المفقود الذي وضعه ابن رشيق القيرواني تحت عنوان الانموذج وهو كتاب جاء ذكره في غير ما تصنيف يقال انه توجد منه نسخة مخطوطة باليد بمكتبة الشيخ عبد العزيز الميمني بعليكرة الهند وبالنسبة للعصور المتاخرة لم يعرف بيننا من كتب التراجم سوى ما كتبه الوزير السراج بالحلل السندسية والمؤرخ حسين خوجه بذيل تاريخ بشائر اهل الايمان بفتوحات آل عثمان وهو ذيل جليل المقدار ترجم فيه صاحبه لطائفة عظيمة من علماء وفضلاء وادباء تونس وقد ساعدتنا الاقدار على طبعه سعيا لاظهار مفاخر المادح والممدوح وقس عليه ما كتبه الوزير ابو محمد حمودة بن عبد العزيز من التراجم الكثيرة التي تضمنها التاريخ الباشي وكذلك ما كتبه العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع من تراجم بعض الاعيان الذين منهم عالم الامراء واميرالعلماء الباي محمد الرشيد ابن مؤسس بيت الملك الحسيني خلد الله دوامه وعلى قياسه ترجم جدنا العلامة الشيخ محمد بن الخوجه لطائفة من علماء وفقهاء الحنفية بالكناش الصغير واحوط من ذلك كله ما احتواه الجزء الرابع من تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف ولا يوجد منه بخزائن الكتب التونسية سوى بضعة نسخ جعلته اعز من بيض الانوق عدا مقدمته التي طبعت في سنة ١٣١٩ وعلى قدمه جاءت خاتمة كتاب مسامرات الظريف لفقيد النوادي العلمية المرحوم الشيخ محمد السنوسي صاحب كتاب مجمع الدواوين التونسية الذي امسى لسوء الطالع في جملة الاثار الوطنية الجليلة التي طوى خبرها الزمان وترجم الشيخ الوالد طاب ثراه لطائفة من كتاب عصره بالذيل الطويل الذي جعله تكملة لاتحاف ابناء الزمان وقد ادركه الموت قبل جمع شتاته فالتحق به في مماته كما في حياته

وتوفق هذا العبد للترجمة والتعريف بجماعة كثيرين من العلماء والاعيان مما نشرته جريدة الحاضرة ام الجرائد التونسية في الربع الاول من هذا القرن وآخر ما ظهر في باب التراجم التونسية منتخبات النابغة المؤرخ السيد حسن حسني عبد الوهاب على ان تلك التآليف كلها ليست من قبيل ما ابرزته قريحة صاحب الترجمة بكتاب عنوان الاريب الذي نحن بصدده لانه خصه بالترجمة للعلماء الادباء وقد افتتحه بمقدمة

حافلة في التعريف باقسام علم الادب من كل نوع ثم تخلص منها للمقصود من التاليف مبتدئا بترجمة سيدنا الفاتح عبد الله بن الزبير تبركا به ولانه اول من تكلم بالشعر بافريقيا وختم سلسلة تراجمه بترجمة شيخ الدولة ويمينها وامينها الوزير المرحوم الشيخ محمد العزيز بوعتور المتوفي في مستهل المحرم ١٣٢٥ وفيما بين ذلك ترجم لاكثر من مائة وسبعين عالما اديبا وسع فيها المجال للعصر الحسيني اكثر مما قبله كما ستراه بمحله فجاء كتابه هذا وحيدا في بابه لانه لم يسبقه لمثله غيره من التونسيين

بيد انه لا مندوحة لنا عن الاشارة للنهضة الادبية الاخيرة التي بدأت آثارها تظهر بتونس فان انتباه ابناء الجيل الحاضر الذين توفقوا لتدبر معاني « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » بعث فيهم روحا جديدة دفعتهم نحو الادب وفنونه وجريا على نواميس الخليقة كانت النتيجة ظهور طبقة من الكتاب والشعراء بلغت درجة النبوغ او كادت وهذه النهضة المباركة التي ابتدات حركتها في اوائل هذا القرن الرابع عشر ذكرتنا كلمة كان قالها احد كبار الشيوخ في المرحوم الشيخ حسن المزوغي وانه بات في جملة الادباء المنعوتين حيث قال ضمن قصيدة في امتداح المقدس المولى علي باي

وتابى القوافي غير باب مديحكم وفي مدحكم قد ساعد النظم والنثر

وكم للاديب المزوغي من اشباه ونظائر بين خريجي جامع الزيتونة كالشاعر المطبوع المرحوم الشيخ محمد الحشايشي نابغة الادب والقريض

وقس على ذلك حال بعض ادباء الاقاق التونسية وتراميهم على ابواب الشعر فقد نبغ منهم فيه الكثيرون كذلك الفقيه من قضاة البر الذي وصف قلم كاتب الدولة العام بقوله من قصيدة طويلة

قلم فصيح بالمحاسن قد روى واذا دوى اوهى المفاصل والقوى

ولا يخفى على اللبيب ان هذه القافية جاءت على وزن اسم الممدوح المعروف لدى عامة التونسيين الذين ساس امورهم مدة ثلث قرن ومن باب الاقرار بالفضل لذويه نقول ان هذا الممدوح كان في مقدمة الساعين لاصلاح التعليم بجامع الزيتونة ومنه المشروع الجليل المتعلق بوضع برنامج علمي لما بالجامع من الكتب قياسا على ما

هو موجود بخزائن العلم باروبا وكم كان له اي للكاتب العام المذكور من الاعجاب بتحريرات صاحب الترجمة والتقدير لفضله ومزاياه هذا ومن نظر في نسيج الجرائد المحلية وما تنشره على التوالي من منظوم ومنثور في الزمن الحاضر يجد بلا خلاف بونا بعيدا بين الشعر والانشاء في عهدنا هذا وبين ماكانا عليه في اوائل هذا القرن وبعبارة افصح نرى ان كتاب وشعراء الجيل الحاضر اقوى حياة معنوية ممن تقدمهم في ذلك السبيل وهذه الغاية لها اسباب ربما كان للسياسة فيها دخل عظيم فلا سبيل لقرع بابها هنا لانها تبعدنا عن الموضوع الذي نحن بصدده

وقد ذكرنا فيما سبق وان آداب اللغة العربية اوسع نظائرها في بقية اللغات لكن لا ينبغي ان نبخس الالسن الاخرى قيمتها الحقة لان لكل لغة عبقرية خاصة بها فكما امتازت لغة العرب بالفصاحة والبلاغة والبيان كذلك اختصت لغات اخرى بسلامة الذوق وجزالة الكلام وغير ذلك من الصفات الموافقة لاخلاق وطقوس بلادها فهذه لغة الفرس وناهيك بما وصفها به التاريخ احتوت على آداب يعز وجودها في غيرها وما رباعيات عمر الخيام غير قطرة من بحرها الزاخر وكذلك الاداب الهندية والصينية وآداب الامم السامية التي منها السريانية والعبرية قريبة لغتنا السمحة من حيث الرقة والتاثير يدلك عليه ما في اخلاق اليهود من الاستغراق في الخيالات والاحلام بزيادة التشكي والتبكي لما قاسوه من الاضطهاد من عهد تيطوس فما دون واعتبر ذلك في الامة الفرنساوية وما للغتها من الفصاحة والبيان ناهيك ان يولبوس قيصر شهد لبنيها بسلامة الذوق وبلاغة القول كاعترافه لهم بالشجاعة في الحروب وقد نبغ منهم غير واحد في الادب بل وقد امتلات بآداب لغتهم دواوين بقية الامم الاروباوية وهذا شاعرهم المفلق فيكطور هوكو هو الذي عناه شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله

إعجمي كاد يعلو نجمه ... في سماء الشعر نجم العربي
صافح العلياء منها والتقى ... بالمعري فوق هام الشهب

وكم لهم غيره ممن خاض بحار المعاني ونبغ حتى في علوم الاديان غير المسيحية كنبوغ الفيلسوف رينان في علم الالاهيات الاسلامية ونبوغ المستشرق ده ساسي الذي ضرب بسهم مصيب في الادب العربي ولدينا كتاب له سماه الانيس المفيد

طبع بباريس لاكثر من مائة عام فارطة (١٢٤١ هـ) صدره بعبارة لجار الله الزمخشري وهي قوله « فرقك بين الرطب والعجم هو الفرق بين العرب والعجم » مما يدلك على اعترافه بفضل العربي ولا يعرف الفضل الّا ذووه وعلى قياس اللغة الفرنساوية جاءت لغات غيرها من الامم فاللغة الانكليزية امتازت بالادب الصلب الذي لا يتخلله الخيال كما نسمع ونرى من اخلاقهم في ميدان السياسة بحيث انهم لا يركنون في نظمهم ونثرهم الّا للامور المحسوسة والحقيقة التي تمس باليد وهذا شاعرهم شكسبير الذي ملا ذكره الافاق لممن يفتخر به الادب ليس بانكلتيرة فقط بل بالعالم المتمدن اجمع واما الالمان فقد امتازوا بالتوغل في بحث كل شيء ومن نظر فيما توفقوا لنشره من المعجمات والفهارس المتعلقة بالمصنفات العربية يرى عيانا كيف بلغوا الغاية القصوى في البحث والتنقيب ومن اشهر ادبائهم بل ومن اشهر ادباء العالم كله شاعرهم غوط الذي جمع في نبوغه بين النظم والنثر وقلما يتفقان وامتاز الادب الطلياني بحب كل جميل منذ العهود الرومانية لذلك نرى في اعقابهم النبوغ التام في الفنون المستظرفة وما يتبعها من تصوير وموسيقى ولحون وعلى هذا القياس كان حالهم في المنظوم والمنثور وشيخ الجماعة في الادب الاروباوي هو الجنس اليوناني وناهيك بإلياذة هوميروس حجة في الموضوع وهوميروس هذا هو ابو الشعراء باروبا في العصور الاولى وقد ترجمت الياذته البالغة لنحو ١٢٠٠٠ بيت من الشعر لسائر اللغات وتولى حمل عبئها الثقيل اي ترجمتها شعرا للغة القرآن فقيد بيروت الشيخ سليمان البستاني وقد قضى في ذلك عشرين سنة الامر الذي سيخلد له جميل الذكر جيلا بعد جيل ثم اعلم رعاك الله ان البلاد التونسية اكتسبت شهرة واسعة بين البلاد الاسلامية لاحرازها على قصب السبق بين اخواتها الواقعة بافريقيا الشمالية فكانت ولا زالت بفضل الله بلاد علم وادب بالرغم عن الانقلابات السياسية التي تناولتها حول العصور فسواء كانت تحكم نفسها او محكومة لغيرها لم تبرح منقطعة لجانب العلم وهذه خزائن جامع الزيتونة وكم عبث بها الزمان مرارا لا زالت عامرة بعيون آلاف التآليف مما يشهد بصحة ما قدمنا وقد اشتهرت بعض البيوت التونسية بانتسابها للعلم وما زالت تلك الشهرة ولله الحمد متواصلة ومتزائدة في اعقابهم كبيت المترجم له الذي هو جدير

بان يرسم اسمه ورسمه في مقدمة العلماء الادباء من ابناء وطنه الذين خصهم بالتأليف واليك ترجمته

هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الشيخ محمد الطيب بن شيخ الشيوخ وطود الرسوخ ابي عبد الله محمد بن احمد بن قاسم بن محمد (بالفتح) بن محمد بن ابي النور بن محمد بن احمد النيفر اصلهم من صفاقس ويروى ان جدهم الاعلى جاء فارا بدينه من البلاد الاندلسية في جملة المسلمين الذين هاجروا من بلادهم عند استيلاء الاسبانيول عليها فيكون وفودهم على الديار التونسية خلال تلك الايام المظلمة الموافقة لاوائل القرن الحادي عشر وكان استقرارهم اولا بصفاقس حيث انتصبوا للتجارة واكتسبوا هنالك سمعة حسنة وشهرة تجارية بين الناس ولا خلاف في صحة انتسابهم لبيت النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك عرفناهم كما عرفهم سلفنا من قبلنا يؤيده التاريخ والجرايات الرسمية التي كانوا وما زال بعضهم يتقاضاها بذلك العنوان من الميزانية الدولية وكان انتقالهم لتونس في اوائل القرن الثاني عشر وان شئت قلت في اواخر الدولة المرادية ولدينا وثيقة تاريخية ناطقة بوجودهم في جملة سكان الحاضرة اثناء سنة ١١٣٠ وكانوا يتعاطون بها التجارة بسوق القوافي ثم بسوق العطارين وما زال بها من اعقابهم من يباشر ذلك وخير الصنائع بعد العلم التجارة لكنهم لم يلبثوا ان ادركوا فضيلة العلم فكانوا ياخذون منه ما لا بد منه كالعينيات والعقائد ولا سيما حفظ القرآن الكريم ويشتغلون مع ذلك بالتجارة الرابحة التي استقر قدمهم فيها سواء ذلك بتونس او بغيرها من البلاد الشرقية كالقاهرة والاسكندرية فكان القرمسود الهندي والعمامة المطروزة وانواع الطيب من عنبر خام ومسك اذفر لا يوجد الرفيع منها الا في مغازاتهم ومعلوم ما كان لتلك الاكسية والبضائع الرفيعة من الرواج بين اهل الحاضرة التونسية واقبالهم على التجارة سهل عليهم الاسفار والسفر مستكمل للرجل وقس عليه رغبتهم او اكثرهم في حج البيت الحرام ولو نظرنا في سلسلة افراد العائلات الكبيرة بتونس لوجدنا لهم الاسبقية على غيرهم في اداء فريضة الحج وناهيك بها من شهادة في بروزهم بجدهم صلى الله عليه وسلم ومما يؤثر عنهم حفظ القرآن الحكيم يقال ان احد اجدادهم وهو الشيخ الحاج احمد بن الحاج قاسم

النيفر التاجر بالعطارين كان يختم كلام الله القديم مرة في كل يوم بين صلاتي الصبح والعشاء وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بجامع الزيتونة وكان مع ذلك محافظا على نصيبه من الدنيا ومعتنيا بتربية اولاده ومن حسن نظره ان من بلغ منهم سن التزوج زوجه باحدى بنات الاعيان وعمر له دكانا للتجارة واشترى له دارا واسكنه بها على حد قول الشاعر

ابقى لاسباب المود ة ان تزور ولا تجاور

وقد روي هذا المعنى عن الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب وهذه الطريقة هي اساس النظام العائلي بالبلاد المتمدنة في عهدنا الحاضر ولا شك انها طريقة حكيمة لان من اقل محاسنها توفير الراحة والهناء والتوادد بين افراد العائلة وفي الحديث الشريف زر غبا تزدد حبا

وكان المؤسس لدعامة بيتهم العلمي هو الشيخ الحاج محمد النيفر الاكبر جد صاحب الترجمة وكانت ولادته بتونس سنة ١٢٢٢ ووفاته بالمدينة المنورة في المحرم سنة ١٢٧٧ ودفن بالبقيع جوار قبة الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان وهذا الشيخ كان من اهل الصلاح الشرعي ودرجته في العلم مشهورة ومداركه فيه بين اهله مشكورة مذكورة قال الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف ان هذا الفاضل انقطع الى العلم انقطاعا كليا ونبذ ما سواه ظهريا فلم يلبث ان سبق الاقران وفاق من تقدمه بازمان الى ان قال وحصل من كنوز انقطاعه ما لا يخاف عليه من النفاد بفكر وقاد يوميء به الى الشوارد فتنقاد ملقية المقاد ثم قال وكان شيخنا ابو عبد الله محمد ابن الخوجه اذا رآه على تلك الحالة يقول لنا هذا معنى راحة العلم لان مسائل الدرس صارت في نظره كالضرورية اه وكان الباي احمد باشا الاول قدمه لخطة قضاء المحلة على كره منه وفارقها بعد حين وعلى ذكر هذه الخطة نقول ان آخر من تولاها بالمملكة التونسية العلامة الشيخ الشاذلي بن صالح المفتي فالباش مفتي المالكي فيما بعد وتوفي سنة ١٣٠٨ ومن الخطط الشرعية التي عفت رسومها ايضا بتونس خطة قاضي باردو وآخر من تولاها العلامة الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي بتونس والعضو بالمجلس المختلط العقاري وهو اول من تولى الفتوى بالعنوان الشرفي بعد اعفائه من

الفتوى بدار الشريعة وتوفي سنة ١٣٢٩ وعلى قياس تينك الخطتين كان مآل خطة قاضي الاهلة وقاضي الفريضة والله يحكم لا معقب لحكمه ثم ان الباي احمد المذكور لم يلبث ان قدم الشيخ محمد النيفر المذكور لخطة قاضي الجماعة بالحاضرة فباشرها بدين متين وشدة مكسوة بلين ومنها ارتقى لخطة الفتوى فزانها بالعلم والتقوى ولم يزل سالكا سبل المهتدين متجملا بحلا العلم والدين كما لم يزل متعلق القلب بجده النبي الشفيع الى ان ادركه اجله ودفن كما قدمنا جوار صاحبه بالبقيع

فهذا الشيخ رحمه الله هو واسطة السلك في عقد البيت وفخرحيهم والميت وعلى منواله نسج آله كاخويه ابي الفلاح الشيخ صالح النيفر امام جامع الزيتونة الاكبر والقاضي فالمفتي فالرئيس لمجلس الجنايات فالباش مفتي المالكية بتونس وتوفي سنة ١٢٩٠ وكان آية في الذكاء والفهم والتحصيل والشيخ محمد (بالفتح) النيفر كاهية مجلس التحقيق ثم القاضي والمفتي بتونس وكان من خيرة العلماء العاملين وتوفي سنة ١٣١٢ وكابنيه قاضي الجماعة الشيخ الحاج الطاهر النيفر وسمعته بديوان دار الشريعة ما زالت بين الناس منشورة وآيات حزمه وعزمه مسطرة مذكورة وتوفي سنة ١٣١١ واخيه الشيخ الحاج الطيب النيفر والد صاحب الترجمة وقاضي تونس ومفتيها ورئيس مفاتيها وهو من اركان العلم بجامع الزيتونة لانه قرأ واقرا به ما يناهز السبعين سنة فهو مفخرة العلم والتعليم بالفرض والرد لانه درس وختم بالجامع كتبا عالية بُعد العهد بختمها فيه كشرح الشيخ عبد الباقي على المختصر وشرح القسطلاني على صحيح الامام البخاري والزرقاني على الموطا لامام دار الهجرة والسيرة الكلاعية والحكم لابن عطاء الله وغير ذلك مما يطول ذكره ومما ينبغي الاشارة اليه خدمة للتاريخ ان هذا الشيخ الذي كان تولى خطة العضوية بمجلس الجنايات الذي عفت رسومه حوالي سنة ١٢٨٠ اثر ثورة علي بن غذاهم هو آخر من التحق بالدار الاخرة من اعضاء المجلس المذكور وكانت وفاته في سنة ١٣٤٥ والله يرث الارض ومن عليها

وباعتبار ما سنقص عليك من ادوار حياة ابنه المترجم له نستخلص من مجموع ذلك ان آل البيت النيفري زينوا بعلمهم وادبهم وفضلهم صحف تاريخ المذهب المالكي

بتونس كما تزين تاريخ المذهب الحنفي برجاله من اهل العلم والادب والفضل منذ ظهوره بهذه البلاد يعني من اواخر المائة العاشرة الى عهدنا الحاضر ولا تفهم من ذلك ان المذهب الحنفي كان غير موجود قبل ذلك بتونس فقد افاد التاريخ انه كان اظهر المذاهب بافريقيا اثناء القرون الاولى للهجرة وفي اواخر المائة الرابعة كثرت الخلافات المذهبية بظهور مذهب الشيعة فحمل المعز بن باديس الناس على ترك جميع المذاهب والاقتصار على مذهب واحد وهو المذهب المالكي ومن اراد زيادة البسط في هذا الباب فعليه بمراجعة امهات التاريخ ككتاب العلامة ابن خلكان وغيره

فبيت آل النيفر تولوا اسنى الخطط من شرعية وعلمية وادارية واهم الوظائف التي زينوها بعلمهم وفضلهم هي ما ياتي :

الخطة الشرعية من قضاء وفتوى بحاضرة تونس

قضاء المحلة في الدور القديم

التدريس بالمذهب المالكي بجامع الزيتونة وغيره من المعاهد الدينية

التدريس بالمدارس الدولية

الرئاسة والعضوية بالمجالس العمومية قبل الحماية

الامامة الكبرى بجامع الزيتونة والامامة والخطابة بالوعظ في غيره من بيوت العبادة

النيابة عن الدولة بالنظارة العلمية

النيابة عن شيخ الجامع وفروعه

العضوية بالمجلس المختلط العقاري

الرئاسة والكتابة باقسام الوزارة الكبرى وبالوزارة العدلية

الاعمال

العدالة العامة والعدالة الخاصة بالاوقاف

امانة سوق الذهب والفضة

هذا وبالنسبة لمشاركتهم في الوظائف الشرعية والعلمية نجد ان اثنين منهم ارتقيا لمسند رئاسة المذهب المالكي واربعة تولوا خطة الفتوى وستة تربعوا على منصة القضاء

بدار الشريعة وواحد تولى قضاء المحلة التي عفت رسومها منذ زمن بعيد وخمسة عشر تولوا خطة التدريس بجامع الزيتونة

اما صاحب الترجمة الذي هو بيت القصيد فقد ولد في شعبان سنة ١٢٧٦ ونشأ في بيت دعامتاه جده السالف الذكر ابو عبد الله الشيخ محمد النيفر الاكبر والد ابيه وابو اسحق الشيخ ابراهيم الرياحي جده لامه وناهيك بهما من دعامتي علم وتقوى وصلاح كان ركنهما الاقوى وبعد ان اتقن حفظ القرآن الكريم ادخله والده لجامع الزيتونة في سنة ١٢٩٠ فتفرغ للقراءة بجد لا يعتريه ملل ومواظبة لا يتخللها الخلل ومن حرصه على التعلم ان والده استصدر له امرا عليا في شهادة اوقاف المدارس سنة ١٢٩١ فلم يحفل بتلك الخطة على حداثة سنه بل ولم يباشرها خوفا من ان تعوقه عن تمام التحصيل واسترسل في القراءة بكد وجد الى ان اخذ من كل شيء احسنه فحصل على شهادة التطويع في سنة ١٢٩٩ فالتدريس من الرتبة الثانية سنة ١٣١٢ فالتدريس من الرتبة الاولى سنة ١٣١٦ ولم يكتف بتلك الرتب الرسمية في العلم دون اجازة الشيوخ الاكابر له جريا على عادة علماء السلف فقد اجاز له عم ابيه الشيخ محمد النيفر ومفتي مكة المكرمة الشيخ زيني دحلان ومفتي تونس الشيخ حسين بن حسين القمار وعالم فاس الشيخ المهدي الوزاني وغيرهم من العلماء الفحول وفي سنة ١٣٢٣ انتخبته الدولة للعضوية بلجنة اصلاح فهارس الكتب بجامع الزيتونة وهذه اللجنة التي جمعتنا واياه مع نخبة من شيوخ العلم منهم صاحبنا الاستاذ العلامة الامام فضيلة شيخ الجامع بارك الله في انفاسه واستاذنا المرحوم قاضي الجماعة الشيخ اسماعيل الصفايحي وحفيدنا العلامة الشيخ محمد بن الخوجة المفتي الحنفي والعلامة المرحوم الشيخ محمد النخلي والاديب المرحوم الشيخ محمد الحشايشي كانت كما قدمنا هي الاساس الاول لبرنامج الاصلاحات الزيتونية التي قامت لها البلاد وقعدت في السنين الاخيرة وفي عام ١٣٢٥ تقدم صاحب الترجمة لخطة عضو حاكم معاون فحاكم رسمي في العام بعده بالمجلس المختلط العقاري وكانت مشاركته ثمينة ومفيدة لابناء جنسه اثناء مباشرته هاته الخطة العالية التي تعتجرها ذيول السلطة العدلية الفرنساوية ناهيك انه لما ارتقى من هذه الخطة في سنة ١٣٢٩ للنيابة عن الوزارة الكبرى لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة لم يتمالك رئيس المجلس المختلط

عن التصريح باسفه العميق من اجل مفارقته لذلك الفقيه النزيه وفي حال مباشرته للنيابة العلمية كانت فكرته في الاصلاح واساليب التعليم راجحة وتجارته في العلم رابحة وكان في جميع الوظائف التي تقلب فيها مثال النزاهة والمواظبة والاستقامة مع عزيمة ماضية وسيرة محمودة راضية فكانت عوامل السياسة واحرى الاستبداد لا تاثير لهما على حريته الشخصية التي دونها في نظره كل غال وثمين ولو اداه ذلك لطلب التخلي عن وظيفه كما حصل له ذلك فعلا اثناء مباشرته للنيابة لدى النظارة العلمية وهي الخطة التي كانت تمشي به نحو دار الشريعة المطهرة الا ان اجله المحتوم عاجله وقطع به خط السير اثناء ذلك فكان مصابه مصابا عموميا لان موته كان باتفاق الجميع خسارة على العلم واهله

هذا وكان لصاحبنا رحمه الله الاقبال التام على صناعة التاليف منذ عهد الشباب ولحسن ظنه بي قد اطلعني على اغلب ما دونه لا سيما في الادب والتاريخ فكانت نفسي تنشرح لقراءة ما يحرره قلمه الفصيح من الادبيات والحوادث والاخبار التونسية التي كان يتحرى في نقلها ولا ياخذها من غير مصادرها الصحيحة وهكذا شان المؤرخين الثقات فمن مؤلفاته المشار اليها كتاب واسطة التاج فيما اليه من عيون الحكم والوصايا يحتاج واختصره في كتاب سماه مرصع الزاج من سلسلة واسطة التاج وكتاب اللئالي النضيدة بتاج الياقوتة الفريدة وهو شرح جليل على صلاة الفاتح تعرض فيه لكشف اللثام عن كثير من المسائل المشكلة في الفقه والتصوف والكلام ومعلوم انه رحمه الله كان منتسبا لصاحب الطريقة التجانية اعاد الله علينا من بركاته. ومن مؤلفاته ايضا كتاب تقويم المنطق الحضري بكف اللسان المضري وجلاء العين بذكر اخبار الوزير خير الدين وهو رجز بديع يبلغ لنحو ثلاثمائة وخمسين بيتا شرحه شرحا مختصرا ساجل به كتاب رقم الحلل للسان الدين بن الخطيب قال فيه

به لقد ساجلت رقم الحلل لابن الخطيب في نظام الدول

وعنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم اديب وهو التاليف النفيس الواقع بين دفتي هذا السفر وبرهان البقية من ادب اهل افريقية وهو كتاب نصفه نظم ونصفه نثر تضمن ما جادت به قريحة الادباء من هناء ورثاء بمناسبة وفاة عمه الشيخ الطاهر وولاية والده القضاء خلفا عنه وما هنىء به والده في ختم بعض الكتب العالية وكتاب التحفة

السنية في الاخلاق والسيرة المدنية العقلية وموضوعها يستفاد من اسمها وحسن البيان عما بلغته افريقية في الاسلام من السطوة والعمران وقد ادركه اجله المحتوم قبل اتمامه وكان نشر بعضه بالجرائد المحلية وجمع ديوان ذي الوزارتين ابن زمرك الاندلسي في جزءين اشتملا على نحو ثمانية الف بيت وكان رحمه الله اطلعني على قطعة منه معتبرة بخط المؤلف ونخبة مؤلفاته ديوان شعره المحتوي على آلاف من الابيات التي جمعت غرر القصائد في سلوك اللآلي الفرائد وله عدة رسائل في مواضيع عصرية كتب اكثرها اثناء مباشرته للحكم بالمجلس المختلط منها رسالة في احكام العقلة واخرى في اراضي العروش ذيلها بالتعريف بطائفة عظيمة من العلماء الذين ورد ذكرهم بها وغير خفي ما لمسالة العروش والاراضي المشتركة من الاهمية في عالم الانظمة العقارية بالمملكة التونسية وقد غاص معه غور هذه المسالة العويصة الاستاذ دوماس رئيس المجلس العقاري وكتب فيها كتابا مفيدا جدا مدت عليه السياسة جناحها فلم يظهر بعد ونعرف له اي لصاحب الترجمة تحريرا جامعا في تاريخ نشأة مقبرة الجلاز كتبه اثر حادثة ذي القعدة ١٣٢٩ (نوفمبر ١٩١١) وكم له غير ذلك من الرسائل الكثيرة كرسالته التي وضعها في الرد على من ادعى تحريف القرآن قال الله تعلى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » اما اخلاقه برد الله ثراه فقد كانت مثال الهمة العالية وعزة النفس التي بلغت به لحد الشمم مع تجمل بالكمال وحسن خلال في الاقوال والاعمال وله في هذا المقام مواقف مشهورة لم تزل اخبارها بين اترابه من اهل العلم مذكورة وكان ثاقب الفكر صادق اللهجة فصيح اللسان بليغ البيان ثابت الجنان حافظا لعرضه ذا وقار وسكينة وتواضع على رفعة مكينة ما شئت من محاضرة عزيزة الاسلوب تاخذ بمجامع القلوب ومجالسه بالادب زاخرة وبلاده به فاخرة يبث العلم في الصدور بين خاصة وجمهور بارا بوالديه واقاربه واصحابه ومن انتمى اليه بالغا من مقاصده الامنية والاجلال يرد عليه من كل ثنية الى ان وافاه رائد المنية وكانت وفاته فجأة بمرض القلب ضحوة نهار الاحد السادس من شهر رمضان سنة ١٣٣٠ ودفن بمقبرة آله بالجلاز في يوم مشهود وكنت يومئذ حليف فراش بمرض اشتد لمنتهاه وكاد ان يبلغ منى مناه لولا تاخر الاجل وقوة الامل الذي لولاه لانقطع العمل

فحاولت ان ارثيه وعيني تبكيه ونظمت في ذلك ابياتا بقي بعضها بمحفوظي مطلعها

الله يحكم في البلاد وفي الورى يا مسلمين خذوا القضاء كما جرى

ومنها

ركن من الايمان امسى فانتبه بعد الثريا جاثما تحت الثرى
فالعلم باك من عظيم مصابه والقلب يدمع والعيون بلا امترا
كانت لنا صلة به موروثة خلفا لسالف من مضى او عمرا
العلم والتاليف كانا الفه والنفع والتنفيع اجلى ما ترى

ومنها

ما مات من كانت صفاته هذه رحماك رب لقبركم وانيفرا

ولم يتيسر لي يومئذ ختم ابياتها لان عبارة التاريخ بعدت عني بعد المريخ واتفق ان سافرت للتداوي باروبا وابت بحمد الله متزودا بنعمة العافية ولم نعرج بعد على تلك المرثية لانها من باب العزاء ولا عزاء بعد ثلاث

وقد رثاه باحسن من ذلك جماعة من اهل العلم منهم صديقه الحميم العالم النحرير الشيخ الصادق بن ضيف رحمه الله حيث قال في مطلع مرثيته

الدهر يمنح والمنايا تمنع والنفس في فسح الاماني ترتع

الى ان قال

خطب له شقت جيوب الصبر راي مصيبة من ذي المصيبة افجع
فقدت معارف جمة ومناهل طلاب علم الدين منها تكرع

ثم قال

قدم له في كل علم راسخ وتثبت في نقله وتضلع
وديانة وامانة ورصانة ومكانة عظمت وصوت يسمع
ووجاهة ونباهة وفكاهة بنزاهة عن كل ما يستبشع
خلق له ناهيك من خلق غدا كرضاب مسك في الورى يتضوع

وعبارة التاريخ قوله

ارخ بصوم اي بشهر الصوم ما ت محمد النيفري الاورع

١٠٨	٤٤١	٩٢	٣٨١	٣٠٨

ورثاه الشاعر النابغ المرحوم الشيخ محمد الحشايشي بقصيدة مطلعها

يبكي الورى طرا بدمع هام ... لفقيد بيت شريعة الاسلام

الى ان قال

يا جامع الزيتونة السامي الذرى ... كم بث فيك جواهر الاسلام
كم قد انار رحاب بيتك مرشدا ... لبيان ما يحفى على الافهام
لاقيت ربك خاشعا متبتلا ... ضيفا تجاوره بدار كرام
وتركت طلاب الهدى من بعدكم ... صرعى تهيم كمعشر الايتام

وبيت التاريخ قوله

ومن الدليل على السعادة قد اتى ... تاريخه بدأ بشهر صيام

ونقش على قبره من نظم حفيده للاخت العلامة المدرس ابو السرور الشيخ محمد البشير النيفر بورك فيه

قفا واعتبر واسال رضا الله والرحمى ... لقبر يضم المجد والفضل والعلما
قفا مرسلا نحو المنية نظرة اعد ... تبار تجلي عن بصيرتك الوهما
ارى الحي مفتونا بدنيا يصيبها ... فيعمى عن الاخرى بما ملك اليوما
افق ايها المغرور ان نعيمها ... لاضعف من ان تستفز به الحلما
الى الله رجعى كل نفس فتلتقي ... بما عملت لا ظلم ثم ولا هضما
فافلح من زكى بما جاء صالحا ... وخاب الذي دسى بما اجترح الاثما
هو الحي بينا انت تطرق بابه ... وتقصده في درء كارثة عظمى
اذ الموت يدعوه فلبى نداءه ... وغادر مما جمع الطم والرما
فاما فقيد للسخاء وللندى ... يصارع دون البائس الفقر والعدما
واما فقيد للمعارف والعلى ... باجمعها كلا اصاب به سهما
كصاحب ذا القبر الامام محمد ... شريف السجايا العالم العلم الاسمى
سري سما من آل نيفر الاولى ... حمى بهم الله الشريعة والعلما
فاكرم بفرع من اصول كريمة ... واشرف بروض انبت الاب والاما
على مثله تبكي العلوم فانه ... اصح بنيها في مشاكلها حكما

على مثله فليبك مذهب مالك ... دما قانيا فالخطب جل ولا لوما
على مثله تبكي الدروس فانه ... لقد كان بين القوم اثبتهم فهما
على مثله تبكي الفصاحة فهو في ... مواقعها ارقى وافصحهم كلما
على مثله يبكي القريض وصنوه الـ ... ـكلام وخط راق منظره رسما
على مثله التاليف يبكي فانه ... مجدد ما قد كان من امره قدما
على مثله ابكي وتبكي قرابتي ... فقد خصني ما خصهم بعد ما عما
فقدنا به عرضا من الشين طاهرا ... ونفسا ابت ان تحمل القهر والضيما
وكل كمال في النفوس وخلة ... الى مثلها اهل العلى ثنوا الهما
ولكننا لا نفقد الدهر قاصدا ... الى شعث فينا فيتبعه لما
وانت ابا عبد الاله لك الرضا ... من الله منهلا سحائبه دوما
وها كلنا يشدو بقول مؤرخ ... مقامك في الاخرى بهاء فطب نوما

٢٠١ ٩٠ ٨٣٢ ٩ ٩١ ٩٧

سنة ١٣٣٠

هذا وفي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الّا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له والرجاء بالله ان هذه الخصال الثلاث متوفرة في صاحب الترجمة فقد قدمنا لك نبذة من خدمته للعلم وبثه في الصدور ومن كان في سعة وخيرية وعقيدة بدرجته لا يبخل بمديد الاسعاف للمعوزين من بني جلدته لكن على قاعدة لا تعلم شماله ما تعطي يمينه اما الولد الصالح فان الله ضاعفه له باربعة من البنين البررة ممن تفتخر البلاد بمثلهم في ميادين العلم والادب واكبرهم هو النائب الاول لفضيلة شيخ الجامع في الزمن الحاضر واربعتهم جاءوا على قدم ابيهم في الاقبال على المعارف التي جمعوا منها كل تليد وطارف فهم عمارة الدار لمحافظتهم على الآثار التي جعلتهم في مقدمة الفضلاء الاخيار كيف لا وهم من آل البيت الاطهار بيت النبي والنسب الزكي رحم الله السلف وبارك في الخلف والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم وشرف وكرم

تحريرا في عاشر شوال ١٣٥١

مُحمد بن الخوجه ، اخذ الله بيده في يومه وغده

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نحمدك يا من شرفت الانسان بالمنطق والبيان ، وافضت عليه سجال الاحسان، بما منحته من ذلاقة اللسان ، فاعرب عن حياة الاعيان ، فيما سلف من الزمان ، بما نشر مواتهم، واحيى رفاتهم ، فتمثلوا بصفاتهم لذي الفكر الثاقب ، رجال مجد متحلين بحلى الكمال وغرر المناقب ، ليسلك في طريقهم وينحاز اهل الهمم ، الى فريقهم حتى يخلدوا ذكرا كما خلدوا ، ويقلدوا اعلاق الثناء كما قلدوا :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

ونصلي على نبيك سيدنا محمد الحقيق بكل كمال الاحرى ، المنوه بفضيلة البيان قوله ان من البيان لسحرا ، وعلى آله واصحابه القادة الاكابر ابطال الوغى وخطباء المنابر وسلم تسليما يلي هذا ان بعض الاحباء التمس مني كتابة نبذة في الادب التونسي ورجاله فتهيبت اقتراحه لا طلبا للراحة ولكن لقلة المواد خشية ان يكبو بي الجواد فان هذا الغرض وان كتب فيه السلف وسبقوا فيه الخلف حسبما ستسمع في عداد مؤلفاتهم لكن لم تبق منها الّا الاسما قد عفى الزمان منها اثرا ورسما ولعلمي ان الكتابة في ذلك وان قلت اهميتها خير لما تحمل عليه من تأسي الاول بالاخير وذلك من خير الله المساق المرجو جزاؤه يوم المساق نضوت عزمي لاستحصال ذلك الارب وتيقنت ان طلب خير الله خير طلب ودونك ما فيه للنفس مسرة وللعيون قرة واي قرة وسميته « بعنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم اديب » وصدرته بمقدمة في الادب ومنزلته على تعاقب الحقب وما يناسب ذلك من الفوائد الفرائد فنقول يطلق الادب على ادب القلب وهو تربيض النفس في الكمالات الى ان يصير القلب منقادا اليها منفعلا لما يرد عليه منها وهذا النوع تكفلت به كتب الاخلاق ويطلق على ادب الايمان وهو التخلق

بالاخلاق المطلوبة شرعا وهذا تكفل به علم الكلام والتفسير والحديث والفقه فانها بينت المعتقدات والحلال والحرام من الاحكام حتى يفعل المرء المطلوبات ويحذر المنهيات ويطلق الادب على العلوم الادبية الاثني عشر التي هي مادة الشعر والنثر ويعبر عنها بالعلوم العربية المشهورة فاذا انضاف الى العالم بها القدرة على النظم والنثر فقد حصل على كمال الادب وحاز معالي الرتب ويعرفونه بهذا المعنى بانه حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف فالاديب العالم بما ذكر والعامة تخصص الادب بالشعر والنثر فالاديب عندهم الشاعر الناثر لانهما اعلى مراتب الادب وقد وسم الشعر بذلك الخليفة سيدنا معاوية بن ابي سفيان في محادثته مع الحارث بن نوفل حيث قال له :

على الرجل ان يؤدب ولده والشعر اعلا مراتب الادب ووجه ما جرى عليه اصطلاح العامة في تخصيص الادب بما ذكر ظاهر لان الشاعر لا يستحق هذا الوصف الا اذا كان آخذا من كل علم بطرف لاحتياجه لجميع العلوم العربية لسانية اوشرعية اي من حيث المتون اشد الحاجة حتى اذا كان خلوا من بعضها اثر نقصا في شعره وبعد ان كلف متاخرو الشعراء بصناعة البديع وذهبوا الى التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية احتاجوا الى معرفة اصطلاحات العلوم كلها حتى يكون قائما على فهمها عند التورية بشيء منها

وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء فن الادب لما انه تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية ياخذون انفسهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة وعلى ذلك استمر اهل الاندلس الى انحلال الملك العربي بها وقد ألف القاضي ابو الفرج الاصبهاني وهو من هو كتابه الاغاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه قاله ابن خلدون

ولو لم يكن هذا العالم الجليل والقاضي الفاضل متقنا لهذا العلم لما امكن له ان يحقق فيه المائة صوت المختارة ولو كان مما يخل بمروءته او يقدح في عدالته ما الف

فيه والحكم فيه فقها مسطر في مظانه والادب بهذا المعنى ينقسم الى قسمين شعر ونثر والنثر دون الشعر في الرتبة اذا تجاولا وتطاولا بدليل جواز ارتكاب الضرورات في الشعر ومنع ارتكابه في النثر

وكل من القسمين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فالشعر قريض ورجز فاما القريض فاربعة اقسام رمل ومخمس ومسمط وتقريض فالرمل كل شعر مجزو(١) وليس بمؤتلف البناء

والمخمس ما اختلفت قوافيه واستعملت شطرين شطرين او اربعة اربعة ولا يكون الّا مزدوجا ويجوز ان يستعمل في كل بحر وروي عن العرب في بحر الوافر واكثره في الرجز والسريع والمسمط هو ان يستعمل الشاعر قصيدة مبدوء فيها ببيت او ببيتين الى خمسة ابيات ثم ياتي بعد ذلك باشطار اربعة وياتي بخامس على روي ما ابتدأ به من البيت ثم ياتي باشطار اخر على الروي المذكور وهكذا وهذا النوع يسميه المولدون ملعبة

والتقريض مختص بما عدا الرمل والمسمط

واما الرجز فهو ما كان على جزءين او ثلاثة اجزاء من اوزان العرب

واما النثر فقسمان سجع وترسيل

فالسجع هو الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة

والترسيل هو اطلاق الكلام اطلاقا من غير ان يقطع اجزاء بل يرسل من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم

اما القرآن العظيم فهو وان كان من المنثور الّا انه خارج عن الوصفين اي ليس بسجع ولا ترسيل بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله تعلى

« مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

---

(١) الجزء هو اسقاط جزءين من البيت من جملة الاجزاء التي يتركب منها بحر ذلك البيت

وقوله تعلى « قد فصلنا الآيات »

ويسمى آخر الآيات منها فواصل اذ ليست اسجاعا ولا التزم فيها ما التـزم في السجع ولا هي ايضا قواف

ولكل واحد من هذه الفنون اساليب تختص بها عند اهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعـاء المختص بالخطـب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك

ابتداء الشعر عند العرب

النثر اقدم من الشعر قال ابو الحسن علي بن رشيق القيرواني في العمـدة كان الكلام منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكـرها ايامها الصالحة واوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحائها الاجـواد لتهـيء انفسهـا للكرم وتدل ابناءها على حسن الشيم فتوهموا اعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به اي علموا وفطنـوا لان الشعر في اللغة العلم والفطنة

وما قاله ابو الحسن بن رشيق في سبقية النثر على الشعر جريا على ما سنه الله في اطوار البشر من التدرج في العلوم والمدنية وان امكن ان يقال ان النثر والشعر من آثار القوة النطقية التي جعلها الله تعلى فصلا منطقيا في حقيقة الانسان غير انهـا تظهر في بعض النوع الانساني وتخفى في بعض آخر بحسب كمال القوة وتمام الاستعداد

وما ينقله بعض الاخباريين من الشعر المنسوب لاب البشر آدم عليه السلام يؤيد ذلك

وعلى كل حال فالشعر والنثر قديمان ظهورا عند العرب وقد نقل العلامة ابن خلدون ان في حمير شعراء ومعلوم انهم من قدماء امة العرب وزمان ملكهم وبلوغهم اوج مجدهم الحربي والادبي بعيد جدا

وقد ذكر بعض من شرح قول الاضبط بن قريع

لا تهن الفقير علـك ان ... تركع يوما والدهر قد رفعه

ان تاريخ وفاة هذا الشاعر قبل الهجرة بنحو الخمسمائة عام ويدل على قـدم

الشعر عند العرب احاطتهم باصول المعاني التي يمكن التعبير عنها في عصورهم المقتضي كثرتهم اللازم له تباعد طبقاتهم في الخليقة واشار اليه عنترة بن شداد من شعراء الجاهلية في معلقته بقوله

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

اي هل ترك الشعراء معنى لم يسبقوا اليه ويهيموا في وادية وما ينقله الادباء من ان اول من جود الشعر وقصد القصائد امرؤ القيس بن حجر اخذه عن خاله مهلهل يعنون بذلك الطريقة البديعة من رقة التشبيه وغرابة الاستعارة التي اختارها في شعره وتبعه من بعده من الشعراء عليها ولذلك كان هو اول اصحاب المعلقات السبع التي نالت استحسان نقاد شعراء العرب في عكاظ فكتبوها بالذهب (١) وعلقوها بالكعبة المشرفة تنويها ثم نال بعده هذا الفوز الشعري بقية اصحاب المعلقات قبل الاسلام

ولهذا قالوا ابتدأ الشعر بملك وختم بملك يعنون امرء القيس وابا فراس الحمداني او المراد تطويلها وكانت قبل قطعا

الغاية من الشعر عند العرب

كانت علوم العرب قبل الاسلام هي التاريخ والانساب والنجوم وتعبير الرؤيا والبلاغة والفروسية والحرب ومكارم الاخلاق وكانوا من قوة العارضة وصفاء النفوس بالمكان الذي لم يوته الله غيرهم يقص لك الرجل منهم تاريخ قبائل العرب قبيلة قبيلة بايامها وتفاصيل حروبها وياتيك على ما قيل من الشعر والنثر في الاغراض العارضة بينها ويرجع بنسب كل واحد الى اصل العرب ويعرف مطالع النجوم وانوائها الى غير ذلك كل ذلك حفظا فلم يكونوا بحاجة الى تدوينها وكتابتها في الدفاتر ثم نظروا فاذا الشعر اعلق بالخواطر واسلس حفظا على النفس من النثر حتى قال بعض العلماء قالت العرب من النثر اكثر مما قالوا من الشعر فلم يبق من نثرهم الا عشره ولم يضع من شعرهم الا عشره

---

(١) نقل ذلك ابن عبد ربه في العقد الفريد وغيره من حفاظ العلماء المؤرخين

فجعلوا الشعر مستودع علومهم وخزانة آدابهم وفخرهم والمنبيء بتواريخهم ومكارم اخلاقهم والدال لانبائهم على ذلك

فكانت الشعراء ذوي الوجاهة فيهم لما قاموا به من تخليد آثارهم العلمية والعملية حتى لقد كانت القبيلة من العرب اذا ظهر فيهم شاعر اهتزوا فرحا وهنأتهم القبائل واحتمى جانبهم به فالشعراء في القبيلة هم حاملو علومها والمدافعون عن شرفها والجالبون لمصالحها والدارءون لمفاسدها بمنزلة العلماء والسياسيين والكتاب عند غيرهم من الامم

فلا غرابة ان خصوا الشعراء بجلائل الجوائز واحترمتهم ملوكهم واعيانهم ولقوا منهم كل مبرة وتبجيل فهم وان مدحوهم ومجدوهم احيانا فانما يصفونهم بما فيهم من الكمال الذي بتخليده في شعرهم يؤدبون به ابناءهم ويحملون المقصر على اللحاق بالكامل والتخلق بما امكنه من حسن الخلال وقد قال الشاعر

الشعر يحفظ ما اودى الزمان به ... والشعر افضل ما يجنى من الكرم

لولا مقال زهير في قصائده ... ما كان يعرف جود كان في هرم

ولم يكن التملق من طباعهم ولا الفرية من خلقهم وقول المغرقين اكذب الشعر اعذبه لا اصل له عند العرب كيف وهو من الاغراق المذموم

بل كلام العرب في اشعارهم لا يزيد عن اعطاء كل ذي حق حقه بلا مجازفة بصورة تقبلها النفوس المعتدلة وتلتذ بها الاسماع وتنجذب لها الخواطر فكان البيت الواحد الكثير منهم ينفعل لما تضمنه بما لا ينفعل غيرهم عن التآليف الضخام لو افردت لذلك الغرض

ولنات لك بشواهد من ذلك لتقيس عليها غيرها من الاغراض الكلامية

حدث الزبير بن بكار ان الحارث بن نوفل وكان من اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب وشهد معه صفين دخل على الخليفة معاوية بن ابي سفيان بعد افضاء الخلافة اليه واجتماع الناس ومع الحارث ابنه محمد فقال له معاوية ما سميته قال سميته محمدا قال حسن فما علمته قال القرآن قال حسن فما بعد قال الفرائض قال حسن فما بعد قال ولا بعد فقال له رؤوس الشعر فانه يطلق اللسان ويفتح العقل

ويحض على المروءة فلقد رأيتني ليلة بصفين وقد اجمعت الانصراف عن صاحبكم يريد عليا فما صرفني عن ذلك الّا قول عمرو بن الاطنابة

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

فانظر الى هذا البيت ومقدار تاثيره الخطير فقد كان هو الحامل لهذا الرجل العظيم على ان لزم موقفه في حربه فدالت الدولة له واورث ملكا ضخما لابنائه وآل بيته كان هو غرة الدول الاسلامية مجدا وضخامة

ولو انه لم يطع النصيحة التي تضمنها البيت بعد ان ازمع على الانصراف وانهزم لم تكتب على صفحات الوجود هذه الخلافة الاموية

وقد يكون جميع افراد جيشه واقتالهم من جيوش امير المؤمنين علي يحبسون نفوسهم لانقضاء وقعات صفين تاثرا لهذا البيت وامثاله من الوصايا الشعرية بقطع النظر عن اهل البصيرة منهم الذين هم على بينة من امرهم في امر هذه الحرب وما اقتضاه النص الشرعي والمسالة اجتهادية فاعجب لبيت واحد يؤثر في النفوس ما لا تؤثره التآليف المطولة في الثبات في الحرب وحبس النفس على ضيمها

وكان عبد العزيز بن حتتم الكلابي من الجاهلية ويدعى بالمحلق سمي بذلك لحلقة كانت بوجهه من عضة بعير رجلا خامل الذكر وكان الاعشى ما مدح احدا الّا رفعه ولا هجاه الّا وضعه فمر بقوم المحلق قاصدا عكاظ فقالت ام المحلق له وكانت عاقلة ان الاعشى رجل مجدود الشعر ما مدح احدا الا ورفعه ولا هجا احدا الّا وضعه وانت رجل خامل الذكر ولك بنات فلو انزلته ونحرت له ناقة واشتريت له شرابا لرجوت حسن عاقبة ذلك فسبق المحلق اليه وانزله ونحر له ناقة واكرمه هو واصحابه وكانوا عصابة من قيس واكثر عليهم الشراب فلما اخذت الكاس من الاعشى سأل المحلق عن حاله وعياله فاخبره عن حاله وشأن نباته فقال له الاعشى كفيت امرهن فلما اصبح توجه الى عكاظ وتوجه المحلق خلفه ليرى ما يصنع فلما وقف الاعشى بعكاظ موقف الانشاد واجتمع الناس اليه وقف المحلق وراء الناس منصتا فانشد الاعشى قصيدته التي مطلعها

« ارقت وما هذا السهاد المورق »

واستمر في الانشاد لا يدري المحلق مقصوده حتى اذا شرع في مدحه فقال

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... وبات على النار الندى والمحلق
تشب لمقرورين يصطليانها ... الى ضوء نار في يفاع تحرق
رضيعي لبان ثدي ام تحالفا ... باسحم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجري سائلا فوق وجهه ... كما زان متن الهندواني رونق

استبشر المحلق وانصرف الى رحله فما رجع الى اهله حتى غشيه الخطاب في بناته من كل حي فما باتت له بنت بلا زوج في تلك الليلة رغبة في حسبه ونسبه الذي اشاد به الاعشى في شعره كل ذلك تاثرا لعوامل الشعر لعلمهم ان ما وسم به الاعشى المحلق حقائق ثابتة موجبة للمجد

وكان بنو نمير يفتخرون بنسبهم فكان الرجل منهم اذا سئل ممن انت فخم لفظه ومد صوته وقال من بني نمير ادلالا بعزهم ومنعتهم اذ كانوا لا يحالفون احدا استغناء بكثرتهم الى ان هجاهم جرير بن الخطفا في هجائه لعبيد الله بن حصن الراعي منهم بقوله

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت شيوخ بني نمير ... على الميزان ما عدلت ذبابا

فاتضعوا ولم يرفعوا بعدها راسا وصاروا يفرون من الانتساب الى نمير فاذا قيل للرجل منهم ممن انت قال عامري وتجاوز اباه الى جده عامر بن صعصعة وهذا افراط منهم في التاثر من القضايا الشعرية

واذا كان تاثر العرب لهذا الحد في التخيلات الشعرية فكيف تاثرهم للحقائق الثابتة والوصايا الصحيحة التي يتضمنها الشعر والنثر

ولقد خاضوا في كل واد منه وطرقوا كل معنى ولذا وصفهم الله جل جلاله بقوله « الم تر انهم في كل واد يهيمون »

ولم يكن شعرهم مقصورا على المديح والهجاء والنسيب والرثاء والحماسة فانواعه كثيرة بتكثر المقاصد الكلامية فمنها النصح كقوله

ومن صحب الدنيا كثيرا تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ومنها في الاقتصاد كقوله

ويختلف الرزقان والفعل واحد الى ان يرى احسان هذا لذا ذنبا

ومنها في التحريض كقوله

تخفي العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما اسر يبوح

ومنها الاعتذار كقوله :

ماكل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ومنها في الرفق كقوله

ترفق ايها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

فهذه مثلها وهناك انواع كثيرة يطول سردها وظني ان سبب اقتصار الادباء على الانواع الخمسة لانها اصول الاغراض والبقية فروع تندرج تحتها بالنظر لمثارها النفساني فآثروا تقليل الاقسام لتنضبط وقد كانت اشعار الجاهلية اكثرها في غير المديح لما كان فيهم من الانفة والحرية البالغين . واذا مدحوا قالوا الحق فيما يسمون به الممدوح غالبا

مع انك اذا وجدت شعرا لهم في مدح ملك او رئيس تجده في الاكثر لقضاء حاجة عامة المصلحة لا خاصة بالشاعر من دفع ضر او جلب نفع

وباقيها في الاغراض الصحيحة من التربية او ذكر فخر حربي او التحدث بمجد تالد او طارف الى غير ذلك من المقاصد العالية الى ان اتى الله بالاسلام ونزل القرآن العظيم الذي قد تدلهت فيه احلامهم وخرست به شقاشق بلاغتهم فالجموا له زمنا واستصغروا ما ياتون به في جنب بلاغته وما اودعه الله من العلوم والحكم التي لم تحم عقولهم حولها . وماذا يقول الشاعر منهم عند ارادة القول في التربية او السياسة باقسامها او الدلالة على الخير والتحذير من الشر بعد سماعه قوله عز وجل مثلا

« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون »

هي كلمات ست لو اخذت الشعراء في تفصيل ما احتوت عليه لاعجزهم ذلك وهي آية واحدة فكيف باخواتها الكثيرة هذا زيادة على طبقة البلاغة التي لا تصل الى قرب حدها بلاغتهم

فالقوا حينئذ مقاليد التربية والامر والنهي وسياسة الدنيا والدين لتعاليم القرآن وقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه والمسلم ينبغي له ذلك اقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم وعليه درج السلف . واقتصر الشعراء في اشعارهم على انواع الشعر في غيرها من مقاصد الكلام وربما الموا بشيء من التربية والحكم على تقاصر بين عما جاء به القرآن العظيم . وعلى ذلك سارت شعراء الاسلام من المخضرمين والمولدين وبسماع بلاغة القرآن المجيد اكتسبوا نصوع بلاغة وعذوبة سبك في شعرهم ونثرهم فاقوا به الجاهلية واصبحوا في اعين الامة بمنزلة لا تنحط عن منزلتهم عند الجاهلية ان لم نقل انها تفوق

فقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر واثاب عليه واستنشده الشعراء والرواة وامر به في مفاخرة الوفود ومجاوبة شعراء قريش والعرب ومدحه بقوله « ان من الشعر لحكمة » وكان حسان بن ثابت الانصاري يوضع له منبر في المسجد النبوي فينشد عليه شعره

ولما انكر عليه ذلك الخليفة الثاني وقال في مسجد رسول الله ينشد الشعر قال له حسان قد كنت انشد وفيه من هو خير منك يعني الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يعرض له بعدها وعلى ذلك درج الخلفاء الراشدون وكانوا شعراء

وربما افاض الخليفة الثاني في حديثه وفضل بعض الشعراء على بعض . فقد نقل ان جلساءه ذكروا الشعر وتفاوضوا في اشعرهم فقال الخليفة الثاني اشعرهم من يقول ومن ومن يعني زهير بن ابي سلمى وامر المسلمين بحفظ اشعار العرب

ثم كانت الخلافة الاموية فاجازوا الشعراء بالاموال الجزيلة والصلات الطائلة بل ان الخليفة عبد الملك لما بلغه ان الحجاج بن يوسف اميره على العراق لا يراعي الشعراء نقم عليه ذلك وكتب اليه : من عبد الملك الى الحجاج بن يوسف اما بعد فقد بلغني عنك امر كذب فراستي فيك واخلف ظني بك من اعراضك عن الشعراء ومواقع سهامهم او ما علمت يا اخا ثقيف ان بقاء الذكر بالشعر وان الشعراء طراز الملك وحلة الدولة وعنوان النعم وتمام المجد ودلائل الكرم وانهم يحضون على الافعال الحميدة وينهون عن الاخلاق الذميمة وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها ودلوا السعاة

على ابوابها وان الاحسان اليهم كرم والاعراض عنهم لؤم وندم فاستدرك تفريطك وامح بصوابك اغاليطك والسلام

ثم جاءت الخلافة العباسية وبلغت الامة اوج مجدها في العلوم والمعارف فكان للشعراء اسمى منزلة واشمل اعتبار مما قصه التاريخ علينا

فلم يكن اسناد الجوائز لهم ورفع منازلهم عند الخلفاء ورؤساء الامة مجرد شهوة لا صالح للامة فيها . كلا ان في ذلك لاعظم مصلحة لما اشتمل عليه الشعر من المنافع في اصلاح الاخلاق حتى المدح الخاص بالخاصة فان الاشادة بما هم عليه من المكارم وصفات الفضل والتحقق بالرئاسة تربية لغيرهم ممن هو مقصر عن درجتهم وللولدان كي يتسنموا تلك الذروة ويتمسكوا بوثقى تلك العروة ولعمري ان ذلك الزمان لم يكن اتصاف ممدوحي شعرائه الا بما هم متسمون به فانه زمان العلم والفضل كادت ان تستوي افراده علما وفضلا والتاريخ يشهد بذلك . ولئن ندر صرف الشعراء شعرهم لمن لا يتصف بما وسموه به فلا ريب ان فيه اعظم اصلاح للممدوح فان ضميره يوبخه على تجرده عن ذلك ويكون معنى كلام الشاعر مدحا في معنى التوبيخ اي ينبغي لك ان تكون بهاته السمات فيكون له الزم زاجر وانفع محرض على الاتصاف بالكمال ولو لم يكن معناه ذلك كان استهزاء بممدوحه وسخرية به يا باه القائل والمقول فيه

وليقس عليه الهجاء والرثاء فان فيهما اصلاحا للاخلاق لما تحمل عليه من تجنب الرذائل الموجبة للهجو والاتصاف بالمحامد التي يذكر بها بعد موته الموجبة للرثاء

اما الحماسة فامرها في النفع واضح

واما النسيب ففيه من نفع ترقيق النفس وكسوها بثياب الآداب ما لا يخفى

فينبغي ان تنظر انواع الشعر التي في راي السامع عدل بها عن مصرفها بهذا الاعتبار ليقع الانتفاع بها

ولما انقرضت الخلافة العربية وتغلبت العجمة على الافاق الاسلامية قلت العناية فيها بالشعراء وجهلت منافعه او تجاهلوها فسقطت منزلة الشعراء لجهل الرؤساء باللسان او تقاصرهم فيه . والناس على دين ملوكهم

ومع ذلك فان الشعراء ذوي الهمم لم يهملوه بل صرفوه الى استحفاظ العلوم والمعارف . ونحوا منحى العرب الجاهلية في جعله خزانة العلم والمجد خصوصا وقد اتسعت معارف العرب عن علومها الجاهلية فنظموا الشعر في سائر العلوم والمعارف . كما اودعه الجاهلية علومهم . ففي العلوم التفسيرية منظومات وفي المصطلح وفي السيرة النبويـة وفي التاريخ العام وفي العلـوم العربية باسرها وفي الرياضية كالمنطق والنجوم والطب والفلاحة والاخلاق والفلسفة حتى في صفات الخيل وبيطرتها والفروسية والقنص وفضائل التغرب الى غير ذلك مما يطول تتبعه . ولا معنى لتخصيصه باسم النظم دون الشعر والعجـب من الفاضل ابن بسام في الذخيرة فانه بعد ان ساق قصيدة ابن وهبون المرسي وبلغ قوله في النفس

ما النفس الا شعلة سقطت الى ... حيث استقل بها الثرى والمـاء
حتى اذا خلصت تعود كما بدت ... ومن الخلاص مشقة وعنـاء

قال ما نصه وذهب هنا من صفة النفس الى مذهب كلامي كقول بعض اهـل بلدنا وهو ابو عامر ابن نوار الشنتريني من جملة ابيات

يا لقومي دفنوني ومضـوا ... وبنوا في الطين فوقي ما بنوا
ليت شعري اذ راوني ميتا ... وبكوني اي جزءي قد بكوا
انعوا جسمي فقد صار الى ... مركز التعفين ام نفسي نعوا
كيف ينعون نفوسا لم تزل ... قائمـات بحضيض و بجو
ما اراهم ندبوا فيَّ سوى ... فرقة التأليف ان كانوا دروا

وهذا معنى فلسفي قلما عرج عليه عربي وانما فزع اليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنهم منهج الصواب وعدموا رونق كلام الاعراب فاستراحوا الى هـذا الهذيان استراحة الجبان الى تنقص اخدانه واستجادة سيفه وسنانه . وقد قال بعض اهل النقد انه عيب في الشعر والنثر ان ياتي الشاعر او الكاتب بكلمة من كلام الاطباء او بالفاظ الفلاسفة القدماء . واني لاعجب من ابي الطيب على سعة نفسه وذكاء قبسه فانه اطال قرع هذا الباب والتمرس بهذه الاسباب وكذلك المعري كثر انتزاعه وطال اليه ايضاعه حتى قال فيه اعداؤه واشياعه وحسبك من شر سماعه والى الله مئاله وعليه سؤاله اه

المراد. فان الذي يظهر ان ما ارتكبه ابن وهبون وابن نوار وسبقهما المتنبي والمعري وغيرهما ممن لا يحصون كثرة الى تلك المناحي هو من سعة العطن لا من ضيقه اما براءة شعر الجاهلي عنه ومن في الصدر من قدماء المولدين فلغرابة تلك العلوم عندهم وبعد ان اصبحت من معارفهم فلينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وهناك طائفة اخرى من الشعراء حملتهم الضرورات لاقتفاء اثر اسلافهم في زمن رواج سوق الادب مع علمهم بانها تجارة كاسدة لا تدرى قيمتها لكن يحملهم اصلاح صناعتهم الشريفة على قول الشعر وسلوك طرقه حتى لا تضيع ملكتهم فيه فانه كغيره من الملكات يتفلت بالترك ويربو ويحسن على الانفاق

اما الجهات التي بقي فيها العربي قوي العنصر كالاندلس فاستمرت عناية الناس فيه بالادب الى انقراض غرناطة. واما المملكة التونسية فالادب فيها كان قرين العرب في دخولها فقد نبغ منها شعراء وكتاب مشاهير في كل عصر من عصورها وفصاحة السن سكانها سهل لهم سرعة التفوق فيه

وان كانت الفتن التي انتابتها اضاعت اكثر التاليف التونسية في الادب واودت بدواوين شعرائها وكثير من محررات علمائها ولو سالت عنها سنابك الخيل الاسبنيولية في حملتهم على تونس سنة ٩٨٨ لاجابتك اين هي

لكن مع ذلك فقد حفظت الافاق شيئا منها ولا تزال اخبارهم وبقية من آثارهم تتلالا من خلال الدواوين. وسنقص عليك من نبإ بعضهم وتتحفك بدرر من اشعارهم وليعلم ان الاشعار ليست في طبقة واحدة من الحسن لتفاوت الشعراء وهي قضية مسلمة .

بل ان الشاعر نفسه لا يكون شعره طبقة واحدة غير اني لا اذكر من شعرائنا الا من قبل شعره بالاستحسان وحاز سمة شاعر. ونقتصر على بعض ما فاق من شعره عنوانا على ادبه

وسبب التفاوت في الشعر مع ان الوسائل اصبحت الان مدونة يمكن ان يستووا فيها فحق اشعارهم مع التساوي في الوسائل ان لا تتفاوت هو اهمال الشاعر بعض الشروط التي ينبغي له مراعاتها ليكون شعره في الطبقة العليا بعد مواتاة الطبع

فاذا اهمل منها تقاصر شعره فانحطت درجته

وهذه الشروط قد ذكرها الامام ابو الحسن علي بن رشيق القيرواني الشاعر المشهور المتوفي سنة ٤٥٦ في كتابه المسمى بالعمدة وهو كتاب قال ولي الدين ابن خلدون في المقدمة : انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها قال ولم يكتب فيه احد قبله ولا بعده مثله . ولنلخص لك شيئا منها يتعلق بشروط الشعر ومن كلام الشيخ ابن خلدون فمنها الحفظ من شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الشعر الحر النقي الكثير الاساليب واقل ما يكفي فيه شعر شاعر من فحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة المتوفي سنة ٩٣ وكُثَيِّر المتوفي سنة ١٠٥ وذي الرمة المتوفي سنة ١١٧ وجرير المتوفي سنة ١١٠ وابي نواس المتوفي سنة ٣٩٣ وحبيب ابن اوس المتوفي سنة ٢٣١ والبحتري المتوفي سنة ٢٩٩ وابي فراس الحمداني المتوفي سنة ٣٢٣ والشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٦ واكثره شعر كتاب الاغاني . ومن كان خاليا من المحفوظ قصر نظمه وكان رديا ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ

ثم يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ قال ولي الدين ابن خلدون وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية وتبقى النفس متكيفة بها وقد انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال ياخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات اخرى ولا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار والمسموع لاستثارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ومع هذا كله فشرطه ان يكون على جمام ونشاط وخير اوقاته عند البُكر(١) بعد الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر فاذا استصعب عليه تركه لوقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها ويبني الكلام عليها الى آخره لانه ان اغفل ذلك صعب عليه وضع البيت في محلها (٢) فربما تجيء

---

(١) جمع بكرة وهي اول النهار — (٢) انث البيت لعله لتاويلها بالقطعة . مصححه .

نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق الا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن (١) به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو بنات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية وليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظر (٢) ائمة اللسان عن المولد (٣) ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى ويجتنب المعقد من التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم ويجتنب كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار ما كانت الفاظه طبقا على معانيه او اوفى فان كانت المعاني كثيرة كانت حشوا لمنعه الذوق من استيفاء مدركه من البلاغة بالغوص على تلك المعاني المتكاثرة ولذلك كان الشيوخ يعيبون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الاساليب العربية فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعراء والحاكم بذلك هو الذوق وليتجنب الحوشيّ (٤) من الالفاظ والمقصر (٥) والسوقي (٦) المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة فيصير مبتذلا يقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقرب من صفة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات (٧) قليل الاجادة في الغالب ولا يحذق فيه الّا الفحول لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر بعد ذلك فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء (٨)

---

(١) اي لا يبخل به - (٢) اي منع - (٣) هو الناشيء بعد فساد اللسان - (٤) هو الغريب الذي لم يؤلف - (٥) هو الذي لا يوفي بالمعنى - (٦) هو الذي تستعمله السوقة من الناس - (٧) اي مسائل التوحيد المتعلقة بالرب والنبي - (٨) اي بالحلب

ويجف بالترك والاهمال اه وبعد هذا كله فلا بد له من ملازمة اهل النقد وصاغة الشعر والنثر ليتبهوه على مكامن الخلل التي لا يتنبه لها الَّا امثالهم ليتحرز عنها وذلك يكون بابداء عيوب الشعر الذي نقدته العلماء وحذا حذوهم خلفهم في انتقاد ما ينتقد. هذا وبعد هذا كله فلا بد من طبع مُوات والَّا فلينبذه نبذ النواة ولنذكر جملة من شعراء افريقية وهو قُلَّ من كل فقد كان بحر الادب بها متلاطما وفي كل بلد منها شعراء مجيدون ولنذكر لك شاهدين على هاته الدعوى ففي معالم الايمان لابن ناجي ان الامام محمد بن سحنون لما توفي رثاه اكثر من ثلاثمائة شاعر قال وبه تعرف مقدار عمران القيروان وفي كفاية المحتاج (١) ان ابا العباس احمد التجاني التونسي جمع سفرا من مراثي شيخه (٢) وهو دليل على ما كان بتونس من شيوع الادب وكثرة الشعراء. ونقتصر على ترجمة من نذكر منهم باختصار وجلب شيء من شعرهم عنوانا اذ استيعابهم يقتضي تفرغا واستغراق زمان طويل . ونبتدي بالاقدم فالاقدم منهم ونزين عقدهم الثمين بواسطة ثمينة هي ذكر سيدنا عبد الله بن الزبير فيهم وان لم يكن ممن نشأ بافريقية الَّا انه لما كان له شعر يتعلق بها وهو اول شعر عربي قيل فيها فكان لذكره وتحلية هذا الجمع به اعلق مناسبة فنقول

عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي

رضي الله تعلى عنه

بسط ترجمته تستدعي تطويلا ولنقتصر منها على جمل تبركا . هو اول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة. نشأ بالمدينة المنورة مستمدا من انوار مشكاة النبوة فكان عالما جليلا وشجاعا نبيلا دخل افريقية وحضر فتوحها مع الامير عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان قتل جرجير ملكها بسيفه ونفله عبد الله بن سعد ابنة جرجير وفاء بوعده لمن يقتله مثل ما وعد جرجير به قومه ان من قتل منهم عبد الله بن سعد زوجه بها واشركه في ملكه وغزا عبد الله ابن الزبير افريقية مرة اخرى مع الامير معاوية بن حديج ووجه عبد الله لدفع الروم عن سوسة لما بلغه نزول اسطولهم بها

---

(١) للشيخ احمد التنبكتي في تراجم المالكية ذيل به على الديباج لابن فرحون في ذلك — (٢) القاضي بتونس احمد ابن الغماز

ونزلوا الى البر في ثلاثين الفا فقاتلهم وهزمهم فابتدروا مراكبهم وانقلبوا الى بلدهم منهزمين . بويع بالخلافة في الحجاز وانتشرت دعوته الى العراق ومصر ثم نازعه الامر عبد الملك بن مروان الى ان قتل بمكة المشرفة سنة ٧٣ وهو اول من ضرب السكة الاسلامية كتب على وجه بركة الله وعلى الآخر اسم الله وذلك سنة ٧٠ وكان شاعرا ومن شعره ما قاله في ابنة الملك جرجير وقد بلغه انها كانت اشرفت (١) على معسكر (٢) العرب قبل الحرب فاستقلتهم واستضعفتهم فطلبت من ابيها جرجير ان يمنحها اياهم عبيدا ولا يسرع في قتلهم فمنحها اياهم ثم اسفر الامر على ما اسفر من قتله والاستيلاء على مدينته سبيطلة يذكرها ذلك وهو

يا ابنة جرجير تلقي منحتك لقيت بالمنحة ثكلى ابتك
لتاخذن في الطريق عقبتك (٣) وتحملن من قباء قربتك
ان عليك بالحجاز ربتك (٤)

ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي امير الاندلس

كان شريفا في قومه من سادات بني كلب المتوطنين بافريقية نشأ في عز ومجادة فصيحا بارعا رئيسا شجاعا ولي بافريقية ولايات كبيرة في ايام بشر بن صفوان اميرها فلما ولي عبيدة السلمي افريقية نكل به وحبسه فيمن حبس من رجال بشر بن صفوان على خراج البلاد وكان عبيدة قيسيا (٥) وابو الخطار يمانيا وهم شيعة بني امية وانصارهم في حرب عبد الله بن الزبير وجنده يوم راهط (٦) وقيس انصار ابن الزبير فيه فقال ابو الخطار شعرا يحرك به حمية الخليفة هشام بن عبد الملك فلما بلغ الشعر الخليفة عزل عبيدة السلمي عن افريقية واولى عبيد الله ابن الحبحاب - رجلا من الموالي - (٧) ارضاء للطائفتين فافرج عن ابي الخطار ثم تقلب الحال به الى ان ولي

---

(١) اي اطلعت عليهم — (٢) اي محل اقامة العسكر — (٣) هي النوبة في المشي — (٤) اي سيدتك — (٥) اي من بني قيس — (٦) اسم موضع قرب الشام — (٧) اي عتقاء العرب

افريقية حنظلة بن صفوان فبعث ابا الخطار اميرا على الاندلس من قبله (١) وكانت امارة تابعة لافريقية فساسها وكانت له حروب وغزوات شهيرة ثم تعصب على قيسية الاندلس فثار عليه الجند وخلع وافضى الامر الى حروب داخلية بسبب ذلك آلت الى قتله اخيرا سنة ١٣١ والشعر الذي قاله وكاتب به الخليفة من محبسه (٢) بالقيروان هو

افأتم بني مروان قيسا دماءنا ... ولله ان لم تنصفوا حكم عدل
كانكم لم تشهدوا يوم راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
تغافلتم عنا كان لم نكن لكم ... صديقا وانا ما رغبتم لنا فعل

الحسن بن حرب الكندي

كان من قواد الجند بافريقية وكان مقره تونس وكان شجاعا مقداما عالما بقيادة الجنود فصيحا شاعرا ثار على الامير الاغلب ابن سالم امير افريقية حين خرج لقتال ابي قرة الصفري الخارجي فهرب ابو قرة الى المغرب فاراد الامير الاغلب ان يسير اليه الى المغرب لمناجزته وخالفه القواد فكاتب الحسن قواد الجند في الثورة به وثار هو فيمن على رايه وقصد القيروان فاستولى عليها وبلغ الاغلب ذلك فرجع يجد السير لمداركة الامر وكاتب الحسن يعرفه بحسن الطاعة ووبال شق عصا الطاعة فاعاد اليه الجواب يتهدده وكتب في آخره من شعره

الا قولا لاغلب غير سر ... مغلغلة(٣)عن الحسن بن حرب
بان الموت بينكم وبيني ... وكاس الموت اكره كل شرب
وان البغي مرتعه وخيم ... عليك وقربه لك شر قرب
فان لم تدعني لتنال سلمي ... وعفوي فادن من طعن وضرب
رويدكم فيومكم ويومي ... وان بعدا مصيرهما لحرب

فلما وصل جند الامير الاغلب انهزم الحسن الى تونس بعد قتال ثم عاد الى القيروان بجموع كثيرة ووقع المصاف (٤) بينه وبين الاغلب فاصاب الاغلب سهم فمات وحمل بعض قواد الاغلب على الحسن فانهزم الى تونس فوجهت خيل خلفه من القيروان

(١) اي جهته — (٢) اي محل حبسه — (٣) محموله من بلد الى بلد (٤) هو تقابل الجيشين (مصححه)

فهرب من تونس واستقبح الناس فعلته ثم بعد اربعة اشهر رجع الى تونس ونزل بقربها فخرج اليه رؤساء جندها فقبضوا عليه وقتل سنة ١٥٠

الامير الاغلب بن سالم بن عقال التميمي

نشأ بافريقية واخذ العلم عن علمائها ورحل الى المشرق وسمع من الليث بن سعد ثم رجع الى افريقية فعلا امره وولي على الزاب وهو الجريد ولما ثار الجند على محمد العَكّي امير افريقية واخرجوه من القيروان اقبل بجنوده من الزاب وهزم الثوار واعاد محمد العكي الى امارته ثم اولاه الخليفة الرشيد افريقية بعد العكي(١) استقلالا وكان فقيها اديبا شاعرا خطيبا ذا نجدة وراي وحزم وباس وعلم بالحروب ومكائدها جريء الجنان لم يل افريقية احسن منه سيرة ولا سياسة ولا رافة بالرعية ولا اوفى بعهد ولا ارعى لحرمة منه فطاعت له قبائل البربر وتمهدت افريقية في ايامه توفي في مقاتلته للحسن بن حرب الثائر عليه سنة ١٥٠ ودفن بالقيروان ومن شعره يتشوق لام ولده حلاحل وقد خلفها بمصر

ما سرت ميلا ولا جاوزت مرحلة ... الّا وذكرك يثني دائما عنقي
ولا ذكرتك الا بت مرتقبا ... ارعى النجوم كأن الموت معتنقي

ابو البقا عبد الرحمان بن زياد بن انعم المعافري

اول مولود ولد للعرب بافريقية سنة ٩٤ وهم داخلون لفتحها مع الامير حسان بن النعمان بعد مقتل عقبة بن نافع واستيلاء كسيلة (٢) بن لزم عليها فنشا عبد الرحمان في طلب العلم ورواية الحديث النبوي حتى صار من المحدثين والعلماء المتقدمين ذا ورع وزهد وله الباع في العلوم العربية شاعرا رحل الى المشرق فاخذ عن عبد الله بن المبارك تلميذ الامام مالك واضرابه وروى عنه جماعة من اهل القيروان

---

(١) منسوب لعك قبيلة — (٢) ملك بربري اسلم ثم ارتد وقتل عقبة بن نافع وملك افريقية

مثل البهلول بن راشد وانتفعوا بعلمه وفد الى المشرق على الخلفاء مرارا في مهام افريقية منها على الخليفة هشام ومنها على الخليفة المنصور فقال له المنصور كيف رايت ما وراء بابنا قال رايت ظلما فاشيا وامرا قبيحا قال له ابو جعفر المنصور لعله فيما بعد عن بابي قال بل كلما قربت استفحل الامر وغلظ قال ما يمنعك ان ترفع ذلك الينا وقولك عندنا مقبول قال رايت السلطان سوقا وانما يرفع(١) الى كل سوق ما ينفق فيها فبكى لها ابو جعفر ثم قال كانك كرهت صحبتنا فقال ما يدرك المال والشرف الّا من صحبتكم لكني تركت عجوزا واني احب مطالعتها يعني امه ولي قضاء القيروان مرتين احداهما للخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية والثانية لابي جعفر المنصور ولم يزل قاضيا الى ايام يزيد بن حاتم ثم سلم وسكن تونس مستوطنا الى ان توفي في رمضان سنة ١٦١ ومن شعره كاتب به ولده وخاصة بلده وهو راجع من عند الخليفة المنصور يتشوق للقيروان

ذكرت القيروان فهاج شوقي ... واين القيروان من العراق
مسيرة اشهر للعيس(٢) نصا(٣) ... وللخيل المضمرة العتاق
فابلغ انعما وابني ابيه ... ومن يرجو لنا وله التلاق
فان الله قد خلى سبيلي ... وجد بنا المسير الى مزاق

ومزاق اسم لفحص القيروان سماه العرب بذلك لتمزق الاسحبة فيه

الامير يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي

كان رئيسا شريفا جوادا كبير الهمة شجاعا بعيد الصيت نافذ الراي من رجال الدولة العباسية لما ثار البربر على عمر بن حفص امير افريقية وحاصروه بالقيروان ستة اشهر وجهه الخليفة المنصور لفك حصاره في ستين الفا واولاه امارة افريقية فبلغها سنة ١٥٥ وبعد وقائع مع البربر انهزموا وقتل اميرهم ابا حاتم يعقوب الخارجي وقطع الفتنة من افريقية ولما ولي افريقية وكان اخوه روح واليا على السند قال بعض الوزراء للخليفة المنصور لقد باعدت بين قبريهما يا امير المؤمنين فاقام واليا على افريقية باحسن سيرة الى ان توفي في ١٢ رمضان سنة ١٧٠ ودفن بمقبرة باب سلم من

---

(١) يريد انه لا يقبل النصح (٢) هي الابل (٣) نوع من سير الابل

ابواب القيروان ثم ولي اخوه روح بعده ومات ودفن معه في قبر واحد فعجب الناس من ذلك وكان يزيد جوادا قصدته الشعراء من المشرق منهم مروان بن ابي حفصة الشاعر المشهور ومدحه بقوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا ... ميسرة شهر ثم شهر نواصله
فلا نحن نخشى ان يخيب رجاؤنا ... لديك ولكن اهنأ البر عاجله

فاجازه بخمسين الف درهم واعطى للجند اعطياتهم (١) وقال لهم من احبني يعطي هذا الشاعر درهما فاجتمع له خمسون الف درهم من الجند فرجع الى بلده بمائة الف درهم وقصده ربيعة بن ثابت الشاعر المشهور ومدحه بقصيدته التي منها

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ... يمين امرء آلى وليس بآثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والاغر ابن حاتم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

ومن اخبار يزيد بالقيروان ان بعض وكلائه زرع فولا كثيرا في بعض رياض الامير يزيد فلما علم بذلك قال له اتريد ان اعير بالبصرة فيقال يزيد بن حاتم باقلاني (٢) ثم امر بان يباح للناس وخرج الامير يزيد يوما من القيروان فمر في طريقه بغنم كثيرة فسأل عنها فاخبر انها لابنه وكان في صحبته فزجره عنها وامره بذبحها وان تباح للناس فانتهبها الناس واكلوها وجعلوا جلودها في كدية هناك فهي الى الان تعرف بكدية الجلود واظن ان ذلك منه حسن نظر بالعامة حتى لا تزاحمهم ارباب الدولة والشوكة في فلاحتهم وتجارتهم ومثله من يقصد ذلك ومن شعر الامير يزيد يتمدح بالكرم

لا يالف الدرهم المضروب صرتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق
يمر مرا عليها وهي تلفظه ... اني امرء لم يحالف صرتي الورق (٣)

عبيد الله بن يزيد بن ابي حسان اليحصبي القروي

ولد سنة ١٤٠ وكان ابوه من اشراف افريقية فنشأ في عزابيه وكرم بيته وكان يسكن بحارة يحصب بمدينة القيروان وطلب العلم فتفقه وتادب فكان عالما شجاعا

(١) اي مرتباتهم — (٢) اي الذي يبيع البقل — (٣) هو الفضة

له اليد البيضاء والبلاء الحسن في حروب خوارج البربر وولي مدينة الاربس مدينة قرب الكاف دثرت الان وله رحلة الى امام دار الهجرة مالك رضي الله تعلى عنه فاخذ عنه ثم رجع الى القيروان وكان ثقة مامونا فاخذ الناس عنه منهم سحنون بن سعيد وكان لايهاب الملوك دخل يوما على الامير الاغلبي فاذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن فقال الجعفري وكان سنيا هذا شيخنا ابا محمد يعني ابن ابي حسان يعينني عليكم فقال ابن ابي حسان للعنبري ما انت وذا هذا بحر عميق عليك فقال العنبري وكان عراقيا (١) ان كان ابو محمد معك فالامير معي فقال ابن ابي حسان ما للملوك والكلام في الدين فاحفظ (٢) ذلك الاغلب ولما ثار الجند على زيادة الله ابن الاغلب اغاروا على منازل ابن ابي حسان ونهبوها وطلبوه فاختفى وكان سيء (٣) الراي فيهم فقال في ذلك شعرا وكان شاعرا

اباح لعمري الجند جهلا حريمنا ... وشقوا عصا الاسلام من كل جانب
وخانوا وثاروا في البلاد سفاهة ... وظنوا بان الله غير معاقب
وما عجب بعض الاعاجم يظلموا ... نزارا وقحطان الكرام المناسب
ولكن من قوم الينا اعتزاؤهم ... فنوذى وهم فينا لاحدى العجائب

فلما سمع بذلك بنو يحصب اجاروه لنسبه فيهم فلما ظفر زيادة الله بالقيروان جمع العلماء وسألهم عن حال الجند الثائرين عليه فعرفوه ما في العفو ورغبوه فيه فقال ابن ابي حسان العفو مفسدة ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٤) وانشد زيادة الله من شعره يحرضه عليهم

من لم يؤدبه الجميل ... ففي عقوبته صلاح

فقال ابو محرز القاضي العفو اقرب للتقوى وقال لابن ابي حسان من اجل شويهاتك ورميكاتك (٥) تستحل دماء المسلمين ووجد العراقيون سبيلا للتشنيع به عند العامة بما اشار به فسقطت منزلته عند العامة والجند وعمد كل من كتب عنه علما الى تقطيع بطائقه والقائها على باب دار ابن ابي حسان فاصبح على داره منها شيء كثير

---

(١) اي يقول بخلق القرآن — (٢) اي اغضبه — (٣) اي لا يبرر فعلهم — (٤) هو لفظ حديث شريف (٥) اي افراسك مصححه

وقال العلماء ان مراده اهل الافساد وسفك الدماء وفي زجر امثالهم اقامة للحدود ولم يرد عامة الجند توفي بالقيروان سنة ١٨٧

ابو جعفر احمد بن سليمان الربعي القيرواني

ولد بالقيروان سنة ٢٠٤ ونشأ في طلب العلوم العربية والشعر ثم اقبل على طلب الفقه فلازم سحنون بن سعيد عشرين سنة وقرأ على غيره من علماء القيروان فاصبح من العلماء العاملين وكان ثقة صالحا عاقلا كريما حسن الاخلاق اكثر كلامه حكمة وكان نقش خاتمه احمد تفكر تعتبر . وكان يقول ازهد الناس في الدنيا من لم يرض منها الّا باخذ الحلال وان رآه الناس منكبا عليها . وكان المحتسب يوجه الصيارفة ليقرأوا عليه كتاب الصرف ليأذن لهم في مباشرة المصارفة بالاسواق ومن كلامه ينبغي لطالب العلم ان يتخذ له قبل طلبه ادبا يستعين به على طلبه وادبا بعد طلبه يستعين به على حمله . ومن آداب العلم الحلم وان يغلب حلمك على هواك اذا ما دعاك هواك الى ما يشينك وعليك بالوقار والتعفف والدراية والصمت والصيانة والسمة الحسنة والتودد الي الناس ومجانبة من لا خير فيه والجلوس مع الفقهاء ومحبة الاخيار ومباينة الاشرار والقول الحسن في اخوانك والكف عمن ظلمك ولا تهمز احدا ولا تلمزه ولا تقل فيه ولو كان عدوك فاذا فعلت ذلك شرفت عند العقلاء وعرف حقك الحكماء ولحقت بالعلماء وهابك السفهاء وحللت مع الاخيار وبرئت من الاشرار فافهم وتفهم واستعن بالله يعنك . وكان يودع الحكمة في شعره توفي يوم الاثنين في ٢٦ رمضان سنة ٢٩١ عن سبع وثمانين سنة ومن شعره الحكيم قوله

يا لذة قصرت وطال بلاؤها ... عند التذكر في الزمان الاول
لما تذكرها وقال ندامة ... من بعدها يا ليتني لم افعل

ومنه في الزهد

ولما فجا عمري ثمانين حجة ... وايقنت اني قد قربت من المدا
تركت تكاليف الحياة لاهلها ... وجانبتها طوعا فجانبني الردى (١)

---

(١) اي الهلاك (مصححه)

رايت جليم القوم فيهم مقدما ... ومن نال علما نال جاها وسؤددا
اراني بحمد الله في المال زاهدا ... وفي شرف الدنيا وفي العز ازهدا
تخليت من دنياي الا ثلاثة ... دفاتر علم ثم بيتا ومسجدا
غنيت بها عن كل شيء حويته ... وكنت بها اغنى واقنى واسعدا
وقد ذم قوم ما فعلت جهالة ... فعدوا مع الجهال بالجهل احمدا (١)
ولو فهموا رايي وامري لابصروا ... وقالوا رأى رايا سديدا مسددا
الم تر ان الدهر يقري اهيله ... هموما وان العيش صار منكدا
فما حل قوم فيه الا بفجعة ... وانت لاخرى فيه منتظر غدا
وكم قد راينا من عزيز مشرف ... يبيت مقرا في القباب ممهدا
اتته المنايا وهو في حين غفلة ... فاضحى ذليلا في التراب موسدا

عيسى بن مسكين بن منصور الافريقي

ولد بالساحل سنة ١١٤ ونشا في طلب العلم فاخذ عن سحنون وابنه محمد بن سحنون جميع كتبهما وعن غيرهما من علماء القيروان ورحل الى المشرق فاخذ عن الاعلام ورجع الى افريقية كان عالما بالعلوم الشرعية والادبية فصيحا شاعرا جيد الشعر كثير الكتب في الفقه والاثار يشبه سحنون في هيبته وسمته وكان ورعا زاهدا ولي قضاء القيروان بعد تهديد الامير ابراهيم بن احمد بن الاغلب فكان عادلا. من قوله الحكيم: من حصن شهوته صان قدره؛ ومن اطلق طرفه كثر اسفه؛ في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال؛ بحسن الثناء تسهل المطالب؛ كفاك ادبا لنفسك ما كرهته لغيرك؛ قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم؛ خلوا لهم دنياهم يخلوا بينكم وبين آخرتكم توفي سنة ٢٩٥ عن ثمانين سنة واحد عشر شهرا ومن شعره يتضجر من كبر السن

لما كبرت اتتني كل داهية ... وكل ما كان مني زائدا نقصا
اصافح الارض ان رمت القيام وان ... مشيت تصحبني ذات اليمين عصا

---

(١) يعني نفسه

ومنه قوله يتحسر على الشباب

لعمري يا شبابي لو وجدتك ... بما ملكت يميني لارتجعتك
ولو جعلت لي الدنيا ثوابا ... وما فيها عليك لما وهبتك
فقدتك فافتقدت لذيذ نومي ... وطيب معيشتي لما فقدتك
ونحتك وانتحبت عليك دهرا ... فلم تغن النياحة حين نحتك

ابو عقال غلبون بن الحسن بن غلبون الزاهد

ولد برقادة (١) ونشا بها وبالقيروان في رفاهية عظيمة لانه كان من بني الاغلب ملوك افريقية وكان متهتكا كثير المجون في فتوته طلب العلم وسمع من سحنون ابن سعيد وبرع فكان من الحفاظ النبلاء والفصحاء الادباء شاعرا مجيدا زهد في الدنيا وجد واجتهد في العبادة حتى اشتهر امره والتمست بركته هجر القيروان وسار سائحا الى ان وصل الى المشرق وكانت له رياضات هناك وسياحات ثم استقر بالحرمين الشريفين وكان يسقي الماء بالحرم النبوي وسبب توبته ما حكاه عن نفسه قال كان في فتوته مفتونا بالنساء فكان يحضر الاعراس والمئاتم بزي النساء لينظر اليهن فحضر يوما عرسا لبعض ملوك الاغالبة مع جملة من جواريه بزي النساء فبينما هو جالس بينهن اذ ضاعت ياقوتة نفيسة في دار العرس لبعض النساء فاغلقوا الابواب ووقع التفتيش في النساء واحدة بعد واحدة فكل امراة لا يجدون عندها شيئا اخرجوها حتى لم يبق الّا هو وامراة فلما خشي الفضيحة التجأ الى الله تعلى بصدق واضطرار فقال إلهي لئن سترتني هذه المرة ولم تفضحني لاتوبن ثم لا اعود وكان تاب قبلها سبعة عشرة مرة ثم ينكث قال وكانت المراة تريد ان تكون وراءي وانا ادفعها اليهم الى ان اخذوها فوجدوا الياقوتة معها فقالوا لي انصرفي يا هذه المراة فخرج فلما وصل داره ازال الخف والمعجر والرداء التي كانت عليه من زي النساء وتمادى على التوبة ورفض الاهل والولد والدنيا وخرج الى محرس صفاقس مرابطا ثم ساح حتى استقر بمكة المشرفة وكانت

---

(١) مدينة قرب القيروان اسسها بنو الاغلب

له اخت فاضلة شاعرة كاتبته بعدة كتب تسأله ان يرجع الى القيروان قبل ان يفرق الموت بينهما فكان لا يقرأ كتبها خوف ان تحمله الرقة على الرجوع عما هو عليه من المجاورة فلما طال على اخته ذلك ارسلت اليه رسولا تقول له بحق الثدي الذي رضعناه ان تريني وجهك قبل الموت فقال لرسولها قل لها ما كنت ادع بلدا عرفت الله فيه وامضي الى بلد عصيت الله فيه فلم تتمالك اخته ان قدمت مكة حاجة واقامت معه الى ان توفي وهو ساجد سنة ٢٩١ ودفن بمكة فكتبت اخته على قبره من شعرها

ليت شعري ما الذي عاينته ... بعد طول الصوم مع نفي الوسن
واغتراب النفس عن اوطانها ... والتخلي عن حبيب وسكن (١)
يا شقيقا ليس في وجدي به ... علة تمنعني من ان احن
وكما تبلى وجوه في الثري ... فكذا يبلى عليهن الحزن

ولم تزل مقيمة بمكة ترجو اللحاق به مجتهدة في العبادة والتبتل الى ان توفيت ودفنت هناك ومن شعر ابي عقال في الزهد قوله مخبرا عن نفسه

ابصر بالقلب سبل الرشد ... فباين الاهل معا والولد
وجد في السير الى ربه ... مشمرا يطلب ملك الابد
قد صارت الدنيا باقطارها ... عليه كالسجن فمنها شرد

ومنه قصيدة طويلة في ذلك

رضيت بدون الكفاية قوتا ... وبالله من كل خلق عمادا
فاضحى الملوك واهل النعيم ... اقل البرية عندي عدادا
واسقطت لومي عن العالمين ... فمن شاء ود ومن شاء عادى
فمن دام دمت له في الوفاء ... وناديته ابدا مستزادا
ومن تاه تهت لمن لا يذل ... به من اعز ولا من اسادا
ولم ار عيشا كعيش القنوع ... ولم ار مثل التقى لي زادا

ومنه في التوكل

عقدت عليك مكمنات خواطري ... عقد الرجاء فالزمتك حقوقا

---

(١) ما يسكن اليه — مصححه —

ان الزمان عدى علي فزادني علما بانك خالقي تحقيقا
ما نالني يوما بوجه مساءة الّا عبرت به اليك طريقا
حسبي بانك عالم بمصالحي اذ كنت مأمونا علي شفيقا

ابو عبد الرحمن بكر بن حماد بن اسماعيل الزناتي

اصله من تاهرت مدينة بالمغرب الاوسط نشا بالقيروان طالبا للعلم فسمع من سحنون بن سعيد واضرابه حتى برع فكان بها فقيها فاضلا عالما بالحديث وتمييز رجاله ثقة مامونا حافظا وكان شاعرا مفلقا رحل للبصرة فلقي مسددا وغيره من علماء المشرق فاخذ عنهم ولقي دعبلا وحبيب بن اوس وابن الجهم من الشعراء ثم رجع الى القيروان مستوطنا الى ان وشي به الى الامير ابراهيم بن احمد بن الاغلب فخرج هاربا من القيروان سنة ٢٩٥ قاصدا بلده تاهرت فلما بلغ سباطة خرج عليه قطاع الطريق من البربر فقتل ابنه عبد الرحمان وجرح هو بجوفه ولم يزل مريضا به الى ان توفى سنة ٢٩٦ عن ستة وتسعين سنة دخل عليه ابو العرب بن تميم وهو في حالة الموت فانشده

احبو الى الموت كما يحبو الحجل قد جاءني ما ليس لي فيه حيل

فانظر الى قوة جاشه وثبات ذهنه ومن شعره الجيد في الزهد وذكر المقابر والموعظة

زوروا منازل قوم لا يزورونا انا لفي غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم جدوا الرحيل فما يرجو الملاقونا
الموت اصبح بالدنيا يخربها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا
فالان فابكوا فقد حان البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا
ماذا عسى تنفع الدنيا لجامعها لو كان جمع فيها مال قارونا

ومنه قوله

قف بالقبور فناد الهامدين بها من اعظم بليت فيها واجساد
قوم تقطعت الاسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت اطواد
راحوا جميعا على الاقدام وابتكروا فلن يروحوا ولن يغدو لهم غاد

والله والله لو ردوا ولو نطقوا ... اذا لقالوا التقى من افضل الزاد
قد برز القوم وامتدت عساكرهم ... كيما يوافوا لميقات وميعاد
ما بالقلوب حياة بعد غفلتنا ... والله سبحانه منها بمرصاد
اين البقاء وهذا الموت يطلبنا ... هيهات هيهات يابكر بن حماد
بينا ترى المرء في لهو وفي لعب ... حتى تراه على نعش واعواد
هذي ايا بكر دنيانا منغصة ... فيها حزازات احشاء واكباد
فكلنا واقف منها على سفر ... وكلنا ظاعن يحدو به الحاد
في كل يوم نرى نعشا نشيعه ... فرائح فارق الاحباب او غاد
الموت يهدم ما نبنيه من فرح ... فما انتظارك يا بكر بن حماد

ابو العرب محمد بن احمد بن تميم من ابناء امراء افريقية

اخذ العلم عن علماء القيروان من اصحاب سحنون وجال بلاد افريقية لطلب العلم فكان من اخذ عنهم نيفا وعشرين ومائة شيخ وكتب بيده كثيرا وكان حافظا لمذهب الامام مالك غلب عليه الحديث ومعرفة الرجال وصنف كثيرا من التآليف المفيدة منها طبقات علماء افريقية وكتاب عباد افريقية ومسند حديث مالك وتاريخ كبير في اجزاء كثيرة وكتاب اللحن وفضائل مالك بن انس وفضائل سحنون الى نحو عشرة تآليف غير ما ذكر ولما دخل الشيعة القيروان امتحن وحبس وكان شاعرا مجيدا توفي يوم الاحد لثمان بقين من ذي الحجة سنة ٣٣٣ ومن شعره قوله في انحراف الصديق بغير عذر

اذا ولى الصديق بغير عذر ... فزاد الله خلته انقطاعا
الى يوم التناد بلا رجوع ... فان رام الرجوع فلا استطاعا
اذا ولى اخوك قفاه عنك ... فول قفاك عنه وزده باعا
وناد وراءه يا رب تمم ... ولا تجعل لفرقته اجتماعا

ومنه قوله في شيخوخته

ضعفت حيلتي وقل اصطباري ... والى الله اشتكي كل ما بي
وهن العظم بعد ان كان صلبا ... وفقدت الشباب اي شباب

ابو عبد الله حسن بن محمد بن حسن الخولاني

كان عالما بالعلوم العربية راويا للشعر ومع ذلك فقد كان فقيها صالحا مجتهدا في العبادة رقيق القلب سمحا كثير المعروف والصدقات باع ضياعه كلها وتصدق بها على الفقراء سكن المنستير وكان يقول في مناجاته (١) وعزتك وجلالك ما عصيتك استخفافا بحقك ولا جحودا لربوبيتك لكن حضرني جهلي وغاب عني علمي واني عليها يا إلهي لنادم. وكان يقول ابت الحكمة ان تظهر على لسان من يا كل حتى يشبع ومن يحب الدراهم وكان يقول ارني من قصده فخيبه . ارني من توكل عليه فاضاعه . ارني من اطاعه فاضاعه : اذاً لا تراه ابدا . توفي بالمنستير سنة ٣٤٧ عن مائة وثمان سنين ومن جيد شعره قوله

يا رب كن لي وليا ... بالصنع حتى اطيعك
لئن ذممت صنيعي ... لقد حمدت صنيعك
ان كنت اعصيك اني ... احب فيك مطيعك

ابو القاسم محمد بن هاني الازدي

الافريقي الاصل من ولد يزيد ابن حاتم المهلبي امير افريقية

كان ابوه هاني من قرية من قرى المهدية وكان شاعرا اديبا انتقل الى الاندلس فولد له محمد المترجم له بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل بالعلم والادب فبرع وفاق وقال الشعر فمهر فيه وكان كثير الانهماك في الملاذ اتهم بمذهب الفلاسفة وجر ذلك التهمة للمعتمد بن عباد لتقريبه اياه وفشت القالة (٢) في العامة حتى خشي منها المعتمد فاشار عليه ان يتغيب عن اشبيلية مدة حتى ينسى فيها خبره فخرج عنها وعمره سبعة وعشرون سنة فتقلب في المغرب ومدح امراءه واستقر بالمسيلة قاعدة الزاب عند واليها لاكرامه له ونمى خبره الى سلطان افريقية والمغرب المعز ابي تميم العبيدي فطلبه منه فوجهه اليه فبالغ في اكرامه والانعام عليه واراد تزيين ملكه به ولما توجه المعز الى مصر بعد فتحها ليجعلها مقر ملكه شيعه محمد بن هاني ورجع الى المغرب لياخذ اهله ويلحق

---

(١) اي دعائه — (٢) اي القول

به الى الديار المصرية فتجهز وتبعه فلما وصل الى برقة اضافه شخص من اهلها فاقام عنده اياما في مجلس انس فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه بكرة يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ عن ست وثلاثين سنة فانظر لمفسدة الخمر الخبيثة ولما بلغت وفاته للمعز العبيدي بمصر تاسف عليه وقال كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك وله ديوان شعر كبير قال العلماء بالادب ان شعره عالي الدرجة مستحسن الطريقة لولا ما فيه من الغلو في المدح المفضي الى الكفر لكان من احسن الدواوين وهو معدود من اشعر شعراء المغرب كالمتنبي بالمشرق وكان معاصرا له وكان يستنشد المغاربة شعره استحسانا له ومن شعره القصيدة الفائية المشهورة التي يشبه فيها النجوم ومطلعها

ليلتنا اذا رسلت واردا(١) وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفا
وبات لنا ساق يصول على الدجى ... بشمعة كاس لا تقط ولا تطفا

منها

بعينيك نبه كاسه وجفونه ... فقد نبه الابريق من بعد ما اغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها ... وقد قام جيش الليل للصبح واصطفا
وولت نجوم للثريا كانها ... خواتم تبدو في بنان يد تخفى
ومر على اثارها دبرانها ... كصاحب ردء(٢) اكمنت خيله خلفا
واقبلت الشعرى العبور ملبة ... لمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا (٣)
كأن سهيلا في مطالع افقه ... مفارق الف لم يجد بعده الفا
كأن بني نعش ونعشا مطافل (٤) ... بوجرة قد اضللن في مهمه خشفا(٥)
كأن سهاها عاشق بين عود ... فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن معلى قطبها فارس له ... لواءان منصوبان قد كره الزحفا
كأن قدامى النسر والنسر واقع ... قصصن فلم تسم الخوافي به ضعفا
كأن اخاه حين دوم طائرا ... اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا

---

(١) اي شعرا شديد السواد – (٢) اي مدد – (٣) الشعري كوكب ، وملبة آخذه بلبيها ، واليعبوب السريع الطويل ، وتجنبه ، تقوده الى جنبها – (٤) ذوات اولاد – (٥) ولد الضبي حين يولد (مصححه)

كان عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
كأن محيا الشمس غرة جعفر راى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومن شعره مادحا وقد انشدها في حالة سير ممدوحه

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر

الى ان قال متجاهلا

من فيكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبع في حمير

قالوا لما تجاهل ابن هاني هذا التجاهل عن معرفة الملك ترجل جميع الجيش تعظيما للممدوح ومثل هذا التجاهل حسن ومنها في صفة الجيش

وكانما سلب القشاعم (١) ريشها مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار في جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
في فتية نسج الدروع لبوسهم وعبيرهم خلق النجيع (٢) الاحمر
لا يأكل السرحان شلو عقيرهم مما عليه من القنى المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر

الحسن بن محمد القلانسي القيرواني

نشا بالقيروان وطلب العلم والادب فبرع وكان فقيها عالما شاعرا توفي سنة ٣٢٧ ودفن بها ومن شعره

اعمل وانت من الدنيا على خطر واعلم بانك بعد الموت مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من عمل يحصى عليك وما خلفت موروث

ابو عبد الله محمد بن سهل الصوفي القيرواني

كان عالما شاعرا تنسك في كبره واتخذ نوالا في المقبرة يتعبد فيه ثم لزم بيته الى ان توفي سنة ٣٣٣ من شعره

---

(١) ضخام النسور — (٢) دم يضرب الى السواد (مصححه)

يا من اذاب فؤادي في محبته ... واضرم النار في قلبي واحشاءي
ما ان ذكرتك الّا كنت في كبدي ... بموضع الماء من قلبي واعضاءي
ولا ذكرتك في قوم اسر بهم ... الّا وجدت لهيبا بين امعاءي
ولا هممت بشرب الماء من عطش ... الّا وجدت خيالا منك في الماء

ابو بكر محمد بن سعدون التميمي امام جامع القيروان

نشأ في طلب العلم واخذ عن ائمة منهم جبلة بن حمود ورحل الى المشرق فسمع من البزار وغيره ثم رجع الى القيروان فاخذ عنه الناس وانتفعوا به وكان فقيها عالما بالادب صالحا عابدا له سياحات ورباط وكان كريم الاخلاق ذا مروءة وتواضع اماما في الحديث والقراءات يرابط بقصر لمطة ثلاثة اشهر ويرجع الى اهله بالقيروان فيقيم عندهم مثلها وكان شاعرا توفي سنة ٣٤٤ عن ست وسبعين سنة ومن شعره

سجن اللسان هو السلامة للفتى ... من كل نازلة لها استيصال
ان اللسان اذا حللت عقاله ... القاك في شنعاء ليس تقال

ومنه قوله

الخير اجمع في السكوت ... وفي ملازمة البيوت
فاذا تهيأ ذا وذا ... فاقنع اذا باقل قوت

ومنه

اذا القوت تأتى ... لك والصحة والامن
وقد اصبحت ذا حزن ... فلا فارقك الحزن

ابو العباس الفضل بن نصر الباهلي

كان عالما جليلا فقيها وكان يعرف مذهب الامام الشافعي سكن سوسة ثم انتقل الى القيروان وكان عابدا يقوم بثلث القرآن في كل ليلة وكان ذا همة وله رئاسة بالقيروان شاعرا رقيق المعاني توفي سنة ٣٤٤ ومن شعره يعاتب ابا العباس الابياني

او ما يريبك حادث الازمان ... وحروبها وطوارق الحدثان
والجاريات السبع في الفلك الذي ... يجري بتقدير العظيم الشان
من خفض اعلام ورفع معاشر ... وزوال سلطان الى سلطان

واشد ما القى وانضج للحشى عدم الوفاء وجفوة الاخوان
اما الزمان فواعظ لك صرفه لو كنت متعظا بصرف زمان
هذا ابو العباس واحد عصره وفقيههم والفايق الاقران
فنبت به اخلاقه عن وصلنا وسلامه في السر والاعلان
اني اتيتك شاكيا ومخبرا اشكو اليك حوادث الازمان

ومنه قوله

بلغ الوشاة علي حيث ارادوا والله يسالهم وما قد كادوا
والله يعلم انني ما قلت ما قال الوشاة تأفكا واعادوا

ابو القاسم زياد بن يونس اليحصبي

نشا بالقيروان واخذ العلم عن علمائها ورحل الى المشرق فسمع بمصر من علمائها واخذ الناس عنه بافريقية واحتاج الناس الى علمه فسمع منه طلبة طرابلس وافريقية والاندلس وعنه اخذ ابو الحسن القابسي كان عالما فقيها عاقلا ثقة كثير الكتب عارفا بالرجال طلب للقضاء فامتنع وهو اول من ادخل كتاب محمد بن المواز الى افريقية وكان شاعرا توفي سنة ٣٦١ من شعره

لم يبق مما فاتني كسبه إلّا اخ يسلم لي قلبه
ينأى فلا يفسده نايه عني ولا يصلحه قربه
يكون حسبي من جميع الورى في كل حال وانا حسبه

ابو عبد الله محمد بن احمد الخياط الواعظ

نشا في طلب العلم فبرع واشتهر فضله ثم تزهد وكان متقشفا ذا عبادة رقيق القلب شفيقا حج فلقي بمكة المشرفة الاعلام ولقي الدينوري ثم رجع الى القيروان رد كثيرا من الخلق الى الله بعذوبة الفاظه ورقة طبعه يضع دواءه على ادواء القلوب فيبريها ومرهم وعظه على جراح الذنوب فتندمل حتى كثر الخير بمجالسته والنسك في اهل عصره برقة حكاياته وكان شاعرا مجيدا توفي يوم السبت السابع عشر من شعبان سنة ٣٨٦ ومن شعره

ماذا تقول وليس عندك حجة ... لو قد اتاك منغص اللذات
ماذا تقول اذا دعيت فلم تجب ... واذا سئلت وانت في غمرات
ماذا تقول وليس حقك جائزا ... فيما تخلفه من التركات
ماذا تقول اذا حللت محلة ... ليس البغاة باهلها بثقات

ابو محمد عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمان النفزي القيرواني

ولد بالقيروان وبها نشا وطلب العلم عن علمائها الاعلام فبرع في علوم الشريعة وفاق الاقران فاشتهر علمه وانتفع الناس بعلومه وضربت اليه اكباد الابل من الاقاصي للأخذ عنه. الف الرسالة المشهورة للصبيان وسنه سبع عشرة سنة فكتب نسختين منها وجه احداهما لابي بكر الابهري ببغداد وهو امام المالكية بها فاظهر الفرح بها واشاع خبرها بين الناس واثنى عليها وعلى مؤلفها وامر ببيعها ليحسن بثمنها الى الواصل بها فبيعت بوزنها دنانير كان عددها ثلاثمائة دينار ونيفا وبعث بالاخرى الى ابي بكر بن زرب بقرطبة كان ابن ابي زيد امام مذهب المالكية في وقته وشارح اقواله واسع العلم جيد الفهم كثير الرواية فصيحا غزير الحفظ بصيرا بالرد على اهل الاهواء شاعرا مجيدا ويجمع الى ذلك صلاحا تاما ووعا وعفة حاز رئاسة الدين والدنيا كان ينفق على غرباء تلامذته ويقوم بجميع شئونهم من مسكن وماكل وملبس حتى كان ليزوج بعضهم حريصا على هداية البربر فاسلم على يديه وتاب من ضلالته خلق منهم . له التآليف المفيدة كالنوادر وغيرها. افردت ترجمته بالتاليف توفي بالقيروان سنة ٣٨٦ في شعبان من شعره يرثي شيخه ابا بكر محمد بن اللباد بقصيدة منها

يطول شوقي الى من غاب منظره ... وذكره في جوى الاحشاء قد سكنا
لهفي على ميت ماتت به سبل ... فد كان احي رسوم الدين والسننا
كم محنة طرقته في الالاه فلم ... يحزن لذلك اذ في ربه امتحنا

منها

فتى استنار به الاسلام في بلد ... لولاه مات به الاسلام واندفنا
الفقه حليته والعلم حلته ... والدين زينته والله شاهدنا
اب لاصغرنا كهف لاكبرنا ... وفي النوازل ملجانا ومفزعنا

ابو عبد الله محمد يعرف بصاحب الاوشاني

عالم اديب غلب عليه الزهد والعبادة له سياحات ورياضات ورباط وعزلة عن الناس ، حج فوق العشرين حجة وصام حتى نحل جسمه وغارت عيناه ، توفي سنة ٣٨٧ ودفن بباب نافع احد ابواب القيروان ، من شعره

ارض بقوت تعش عزيزا ... سقيا لحر كفاه قوت
كم يرغب الراغب المعنى ... حسبك فالرزق لا يفوت
احسنت ظني فطاب عيشي ... علما باني غدا اموت

ابو محمد عبد الله بن محمد اللمائي

نشأ بالقيروان وطلب العلم وبرع ، رحل للمشرق فلقي الجلة وكان من العلماء الراسخين ذا خلق حسن وشارة جميلة وسمت وسكينة بليغ المنطق شاعرا ، من شعره

المال للمرء في معيشته ... خير من الوالدين والولد
ومن يطل سقمه عليه يجد ... خيرا من المال صحة الجسد
وما لمن نال فضل عافية ... وقوت يوم فقر الى احد

توفي اواخر المائة الرابعة

ابو محفوظ محرز بن خلف التونسي الصديقي

نشأ بتونس وعن علمائها اخذ العلم والادب ، كان عالما فقيها غلب عليه الزهد والعبادة اشتهرت فضائله وكان ملجأ لاهل تونس وغيرهم في قضاء حوائجهم معظما عند السلطان يرجون بركته ويخشون دعوته ، الف له ابن ابي زيد الرسالة التي ببركة اشارته نفعت شرقا وغربا افردت ترجمته وكراماته بالتاليف وكان مربيا انتفع الناس بوعظه وتعاليمه يكثر التردد على الاماكن الخربة للاتعاظ بها وباهلها الذين انقرضوا وتركوها بعدهم دالة على ان الملك لله وهو وارث الارض ومن عليها وان المغرور من اغتر بزخرفها واعتمد على قوة قومه وسعادة يومه وكان شاعرا مفلقا توفي سنة

٤١٣ من كلامه الحكمي المؤمن يأكل ما حضر ويلبس ما ستر . ويأخذ ما صفى ويترك ما كدر . ومن شعره وقد مر على قرطاجنة فرأى من خرابها وخلوها من احبابها فقال واعظا نفسه من مخمس مطلعه

مررت بربع بالسراب تلفعا وطود جلال بالخطوب تصدعا
فقلت وقد اجرت جفوني ادمعا خليلي مرا بالمدينة واسمعا
مدينة قرطاجنة ثم ودعا

رمتها صروف الحادثات بنبلها ورامت يد الاقدار تشتيت شملها
قفا وانظرا ان جزتما بين سبلها طلولا بها تبكي لفقدان اهلها
كما ندب الاطلال كسرى وتبعا

فان لم تصيبا في الرسوم موانسا ولم تجدا بين القباب مجالسا
ولن تريا منها مجيبا ممارسا فقولا لها ما بال رسمك دارسا
وما بال وفد قد بناك وودعا

ترى قبضته الموت من بعد بسطة وحطته من بعد ارتفاع وخطة
وقولا فما اخلاك من بعد غبطة وخلاك من بعد اجتماع وخلطة
ومن بعد تشييد خلاء وبلقعا

الا هل على ما قلته من مجاوب وهل منك يا مغنى لنا من مخاطب
امن بعد تلحين وصوت رواهب تصفق فيك الريح من كل جانب
وفرق منك الدهر ما قد تجمعا

وهي طويلة ومن شعره في ذلك الغرض

انظر الى الاطلال كيف تغيرت من بعد ساكنها وكيف تنكرت
سحب البلا اذياله برسومها فتساقطت احجارها وتكسرت
ومضت مجامع اهلها لسبيلهم فتغيرت اخبارهم وتسكرت
تركوا ديارهم خلاء منهم من بعد ما كانت بهم قد عمرت
اكل التراب لحومهم وعظامهم فتمزقت اوصالهم وتفطرت
قد اسكنوا في ضيقات حفائر تحت التراب منازلا قد قدرت

قد اسسوها بالبناء وجصصت ... بالمعجزات من الامور وخيرت
هيهات لم ينفعهم تجصيصها ... اذ كان اسفلها الوجوه تغيرت
فاذا نظرت مفكرا لقبورهم ... سحت جفوني ماءها فتحدرت
لو كنت اعقل ما غفلت عن البكا ... حسبي هنالك مقلتي ما ابصرت
ابدت لنا الدنيا زخارف حسنها ... مكرا بنا وخديعة ما فترت
وهي التي لم تحل قط لذائق ... الّا تكدر طعمها فتمررت
خداعة بجمالها ان اقبلت ... فجاعة بزوالها ان ادبرت
رهابة سلابة لهباتها ... طلابة لخراب ما قد عمرت
فاذا بنت امرا وتم بناؤها ... نصبت مجانقها عليه فدمرت
ماذا من الامم السوالف اهلكت ... لو انها نطقت بذاك لاخبرت
طلابها في غفلة من حبها ... علقت بها البابهم فتحيرت

ابو الحسن علي بن ابي حنيفة النعمان القيرواني

من بيت علم ورئاسة ولد سنة ٣٢٩ في ربيع الاول ونشأ في طلب العلم فاخذ عن علماء بلده فبرع وكان شيعيا ولما سافر المعز ابي تميم الى الديار المصرية بعد فتحها على يد القائد الشهير جوهر اصحب صاحب الترجمة معه واولاه قضاء مصر مشرّكا ثم اولاه العزيز بن المعز قضاءها استقلالا فقرىء سجل ولايته بجامع مصر العتيق وكان في سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز مع الخطابة والامامة والعيار في الذهب والفضة والموازين والمكاييل وكان متفننا في فنون كثيرة منها القضاء والفقه والعربية والادب وكان شاعرا مجيدا في الطبقة العليا توفي سنة ٣٧٤ لست خلون من رجب ودفن بالقرافة ومن شعره في وصف صديق

ولي صديق ما مسني عدم ... مذ وقعت عينه على عدم
اغنى واقنى وما يكلفني ... تقبيل كف له ولا قدم
قام بامري لما قعدت به ... ونمت عن حاجتي ولم ينم

ومنه وقد ابدع

رب خود عرفت في عرفات ... سلبتني بحسنها حسناتي

حرمت حين احرمت نوم عيني ... واستباحت حماي باللحظات
وافاضت مع الحجيج ففاضت ... من جفوني سوابق العبرات
ولقد اضربت على القلب جمرا ... محرقا اذ مشت الى الجمرات
لم انل من منى مُنى النفس حتى ... خفت بالخيف ان تكون وفاتي

ابو عبد الله محمد بن ابي حنيفة النعمان القيرواني اخوه

ولد بالقيروان لثلاث خلون من صفر سنة ٣٤٠ ونشأ في طلب العلم فاخذ عن جهابذة قطره فبرع في العلوم وكان متفننا في علوم كثيرة جيد المعرفة بالاحكام اصحبه معه المعز ابو تميم الى الديار المصرية وناب عن اخيه ابي الحسن في قضاء دمياط وغيرها ولما خرج ابو الحسن مع العزيز العبيدي الى الشام استنابه في قضاء الديار المصرية ثم بعد وفاة اخيه ابي الحسن اولاه العزيز القضاء على ماكان لاخيه وعظمت منزلته عنده . لم يشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرئاسة ما شوهد لمحمد ابن النعمان بل ولا بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والتحفظ واقامة الحق والهيبة وكان مع ذلك شاعرا مجيدا نقل عنه قال كان المعز تحدثه نفسه ابدا بملك مصر فكان وهو بالمهدية اذا رآني وانا صبي يقول لولده العزيز وهو صبي هذا قاضيك فكان كذلك وساعده القدر . توفي بالقاهرة ليلة الثلاثاء رابع صفر سنة ٣٨٩ وركب الحاكم العبيدي الى داره وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ودفن مع اخيه ومن شعره

ايا مشبه البدر بدر السماء ... لسبع وخمس مضت واثنتين
ويا كامل الحسن في نعته ... شغلت فؤادي واسهرت عيني
فهل لي من مطمع ارتجيه ... والا انصرفت بخفي حنين
ويشمت بي شامت في هواك ... ويفصح لي ظلمت صفر اليدين
فاما منيت واما قتلت ... فانت القدير على الحالتين

ومنه قوله جوابا

قرانا من قريضك ما يروق ... بدائع حاكها طبع رقيق

كان سطورها روض انيق تضوع بينها مسك فتيق
اذا ما انشدت ارجت وطابت منازلها بها حتى الطريق
وانا تائقون اليك فاعلم وانت الى زيارتنا تتوق
فواصلنا بها في كل يوم فانت بكل مكرمة حقيق

عثمان بن علي بن ابي بكر الصدفي الصفاقسي

نشأ في طلب العلم فاخذه عن علماء قطره فبرع وبرز فيه ورحل الى المشرق فاخذ عن محدثيه وكتب عن ابي نعيم وحده مائة الف حديث بخطه فكان حافظا للحديث متفننا في العلوم عارفا باللغة والادب مشهورا بالفضل والديانة شاعرا مجيدا دخل الاندلس واسمع الناس بها وتقلب في البلاد ثم عاد الى افريقية فاقام بالقيروان ثم ارسله امير افريقية المعز بن باديس الصنهاجي سفيرا الى ملك الروم بالقسطنطينية فمات في الطريق راجعا سنة ٤٠٤ ومن شعره الحكيم

اذا ما عدوك يوما سمى الى حالة لم تطق نقضها
فقبل ولا تانفن كفه اذا انت لم تستطع عضها

ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي

المعروف بالقزاز القيرواني

كان عالما بالعلوم العربية يغلب عليه النحو واللغة وكان له افتنان بالتواليف . الف كتاب الجامع في اللغة وهو من الكتب الكبار المختارة المشهورة وكان في خدمة العزيز العبيدي صاحب مصر وصنف له كتبا منها كتاب التعريض ذكر فيه ما دار بين الناس من المعاريض في كلامهم وطلب منه العزيز ان يؤلف له كتابا يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون انها جاءت لمعنى وان يجري ما الفه من ذلك على حروف المعجم قال ابن الجزار وما علمت ان احدا من النجاة الف شيئا من النحو على هذا التاليف فسارع القزاز فالف الكتاب على اقصد سبيل واقرب مأخذ واوضح طريق فكان فيه الف ورقة اثنى ابن رشيق على تآليفه لحسنها واتقانها وكان مهيبا عند الملوك والعلماء

وخاصة الناس محبوبا عند العامة قليل الخوض الّا في علم دين او دنيا يملك لسانه ملكا شديدا . وكان شاعرا مطبوع الشعر له قدرة على توليد المعاني الشعرية . توفي بالقيروان سنة ٤١٢ عن نحو سبعين سنة ومن شعره فيمن يحبها

أما ومحل حبك في فؤادي ... وقدر مكانه فيه المكين
لو انبسطت لي الامال حتى ... تصير لي عنانك في يميني
لصنتك في مكان سواد عيني ... وخطت عليك من حذر جفوني
فابلغ منك غايات الاماني ... وآمن فيك آفات الظنون
فلي نفس تجرع كل يوم ... عليك بهن كاسات المنون
اذا امنت قلوب الناس خفت ... عليك خفي الحاظ العيون
فكيف وانت دنيايا ولولا ... عقاب الله فيك لقلت ديني

ومنه وهو منزع غريب

اضمروا لي ودا ولا تظهروه ... يهده منكم الي الضمير
ما ابالي اذا بلغت رضاكم ... في هواكم لاي حال اصير

ومنه وهو معنى لطيف

احين علمت انك نور عيني ... واني لا ارى حتى اراك
جعلت مغيب شخصك عن عياني ... يغيب كل مخلوق سواك

ابو حفص عمر القمودي الصفاقسي

كان فقيها اديبا من حفاظ المدونة وحفاظ الشعر وكان شاعرا من المجيدين من شعره :

هيجوا للبين برقا فلمع ... واثاروا دمع عيني فاندفع
ودعوا قلبي فلما جاءهم ... اوقفوه بين يأس وطمع

ابو محمد مكي ابن ابي طالب القيسي القيرواني

ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة ٣٥٥ ونشأ بها في طلب العلم ثم سافر

الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ثم رجع الى القيروان فاستكمل وبرع ثم عاد الى مصر فاقام بها سنة ثم رجع الى القيروان سنة ٣٨٣ فانتفع به الناس وكان بارعا في علوم القراءات والادب ثم ارتحل للاندلس سنة ٣٩٣ فجلس للاقراء بجامع قرطبة فاخذ عنه خلق وعظم اسمه . ولي خطابة المسجد الجامع بها فكان خطيبا مصقعا وله تآليف كلها نفيسة منها الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القرآن العظيم وتفسيره وانواع علومه ذو اسفار كثيرة ومنتخب الحجة والتبصرة في القراءات والمأثور عن مالك في احكام القرءان وتفسيره في عشرة اجزاء والايضاح في الناسخ والمنسوخ وكتاب دخول حروف الجر بعضها على بعض وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح في جزء والمنتقى في الاخبار اربعة اجزاء وغير ذلك وكان شاعرا مفلقا توفي بقرطبة ودفن بالربض يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة ٤٣٧ ومن شعره

عليك باقلال الزيارة انها ... اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
الم تر ان الغيث يسأم دائما ... ويطلب بالايدي اذا هو امسكا

ابو زكريا يحي بن علي الشقراطسي (١) القرشي

نشا بتوزر وطلب العلم في بلده ورحل الى القيروان فاخذ عن ابي محمد بن ابي زيد القيرواني واضرابه فبرع ورحل للمشرق فلقي الاكابر واخذ عنهم وكان متبحرا في العلوم الف كتابا فيمن روى عنهم ورووا عنه من اهل المغرب والمشرق وله ارجوزة في مناسك الحج وكان اماما في الادب شاعرا مجيدا توفي سنة ٤٢٩ ومن شعره يرثي شيخه ابا محمد بن ابي زيد بقصيدة مطلعها

خطب الم فعم السهل والجبلا ... وحادث جل ينسي الحادث الجللا
ناع نعى ابن ابي زيد فقلت له ... اشمسنا كسفت ام بدرنا افلا
ام مادت الارض ام رجت بساكنها ... ام الحمام بعبد الله قد نزلا

منها

رزية عظمت اتراحها افلا ... ابكي وهل سلوة والبدر قد افلا

---

(١) نسبة لشقراطس قصر من قصور قفصة

كل البسيطة بسطا الحزن قد بسطت وقبره بسنا انواره ابتهلا
وكيف لا وولي الله حل به قطب المشائخ نور للورى (١) اكتملا
يا عين سحي دما فالدمع فاض لما اصابني وهمى سحا ومنهملا منها
لا تعجبوا من شجي في تولهه بل اعجبوا لخلي البال كيف خلا

ابنه ابو محمد عبد الله بن ابي زكرياء يحي الشقراطسي التوزري

ولد بتوزر وبها نشأ واخذ العلم عن علمائها وغيرهم وبرع في العلوم فكان اماما في العلوم العربية والحديث والفقه تبنى الاحكام في بلده على فتاويه عالما بالادب الف كتاب الاعلام في معجزات خير الانام وختمه بقصيدته اللامية الشهيرة والف فضائل الصحابة وله تعليق على مسائل من المدونة وكان شاعرا مفلقا توفي بتوزر لثمانية ايام خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٦ ومن شعره قصيدة سلك فيها التجنيس مطلعها

ظبا البيد ترنو ام ضبا البيض ترهف ام السحر من اطراف طرف يطرف (٢)
واطراف نبل قد تطرفن (٣) من دمي تراءت لطرفي ام بنان مطرف
الا في ضمان الله اشتات مهجة تناهبها اشتات حسن مؤلف
واحور وسنان وجثل مرجل واشنب هياف واهيف مخطف

ومنها يتألم من بعض اهل زمانه

لئن كنت في ارض طوتني على شجى له في حيازيمي (٤) جوى يتضفف (٥)
بلى في محل النجم اذيال همتي لها بين اثناء الخطوب تعجرف (٦)
ولي عزمة ارمي بها دار غربة لبزل المهاري دونها متعسف
فبين بلاد الله للحر مشرع وفي كل ارض للفتى متصرف

ومن شعره في رثاء شيخه الفقيه ابي الطيب عبد المنعم بن محمد الكندي القيرواني المتوفي سنة ٤٣٥ وكان اماما في العلوم الشرعية وفي الرياضيات يقال انه فك اقليدس بذهنه ما نص طالعها

---

(١) ورويت للهدى — (٢) يقاتل — (٣) تخضبن — (٤) جمع حيزوم وهو ما اكتنف الحلقوم — (٥) يكثر — (٦) اقدام

باي سلاح والحمام محارب　　اطاعن في نحر الردى واضارب
سلوني عن الارزاء اني شقيقها　　وعندي من اخبارهن غرائب
اطافت بي الارزاء من كل جانب　　كاني في القربى اخوها المناسب
وفوقت الدنيا الي خطوبها　　ففي كبدي منها سهام صوائب
كذلك جدي [1] ماصفى لي مشرب　　ولا لذ لي عيش ولا دام صاحب

ومنها

وقلت بعبد المنعم بن محمد　　تنال جسيمات وتقضى مآرب
ليبك مصاب الاشعري ويومه　　وتندب بعد الابهري النوادب
ويبك بشجو سيبويه وتنبري　　لعلم ابقراط [2] الدموع السواكب
فمن للموطا والبخاري بعده　　اذا بهرت منها الرجال الغرائب
ومن لاصول الفقه ينظم سلكها　　اذا اشكلت اعجازها والغوارب (٣)
ومن للعبارات الغوامض بعده　　اذا شيب منها ما تجن الغياهب
اذا اشكلت اشكال اقليدس انبرى　　لها منه حبر بارع الفهم ثاقب

ومنه قصيدته اللامية المشهورة في المديح النبوي ضمنها سيرته تلميحا وتصريحا

مطلعها

الحمد لله منا باعث الرسل　　هدى باحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر　　واكرم الخلق من حاف ومنتعل
تورات موسى اتت عنه فصدقها　　انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت　　عما راوا او رووا في الاعصر الاول

وهي التي خمسها الشيخ محمد بن علي بن الشباط التوزري وشرحها بشروح ثلاثة كبير ومتوسط وصغير

ابو اسحق ابراهيم بن علي بن تميم القيرواني المعروف بالحصري

ولد بالقيروان وبها نشأ واخذ عن علمائها فبرع وقال الشعر الفائق والف المؤلفات النفيسة منها كتاب زهر الآداب وثمر الالباب جمع فيه كل غريبة من النثر

---

(١) اي حظي (٢) حكيم يوناني (٣) الكواهل — مصححه —

والنظم في ثلاثة اجزاء لو اقتصر المتأدب عليه لكفاه في حفظ الجيد من النثر والنظم لاكتساب ملكة الادب واغناه عن جميع التآليف في ذلك الغرض وله كتاب المصون في سر الهوى المكنون في مجلد فيه ملح وءاداب وله ديوان شعر قال ابو الحسن بن رشيق في الانموذج كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه العلم والادب ورأس في القيروان وشرف وسارت تآليفه وانثالت عليه صلات الملوك والاعيان من الجهات ومن شعره قوله

اني احبك حبا ليس يبلغه ... فهم ولا ينتهي وصفي الى صفته
اقصى نهاية علمي فيه معرفتي ... بالعجز مني عن ادراك معرفته

وقوله

اورد قلبي الردى ... لام عذار بدا
اسود كالكفر في ... ابيض مثل الهدى

توفي بالقيروان سنة ٤٥٣ والحصري نسبة لعمل الحصر او بيعها

مضر بن تميم الفزاري الصفاقسي

قال ابو الحسن بن رشيق فيه ما نصه موطنه صفاقس وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر له حر الكلام ونفيسه . من شعره قوله

يا من عذيري على وجدي وتسهيدي ... ومن معيني على نوحي وتعديدي
تطاول الليل وامتدت غوارب ... فالصبح ورد لعيني غير مورود

منها

حتى استقرت سهام من نوى قذف(١) ... شطت بهم عن كئيب القلب معمود
استودع الله من ولى واودعني ... شوقا اليه جديدا غير مجدود

لم اقف على وفاته

عبد الله بن ابي الطاهر بن ابي اسحاق الجبنياني الصفاقسي

قال ابو الحسن ابن رشيق فيه كان اديبا شاعرا ظريفا نشا بصفاقس وقرا العلم فبرع وفاق في الاداب وكان نزيه النفس نبيها بعيد الهمة اصابته ديون ثقيلة ففارق بلده

(١) بعيد

ودخل القيروان ثم ارتحل الى الاندلس فاتصل بالحاجب مجاهد بن عبد الله فاكرمه وادناه وعظمت منزلته عنده وكشف عنه فوجد فضلا وجلالة فاستمسك به فحسد على مكانه منه فوجد في منزله مذبوحا وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه فعل بنفسه ذلك وبقيت الروح فيه فسالوه من به فاشار الى فقيه الموضع (١) وكان الفقيه المشار اليه كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما اشار الي بالوصية فاخذ وقيد وسجن الى ان جاء ولي الدم فطلبه فلم يتوجه عليه حق بالحكم فاطلقه وكانت وفاته سنة ٤١٥ ومن شعره

ساضرب في بلاد الناس برا ... وبحرا بالسفائن والركاب
الى ان تنكر الاحباب مني ... ثواءي في المغارب واغترابي
لاكسب ثروة وافيد مالا ... وابلي عذر نفسي في الطلاب
فان نلت المراد فذاك حسبي ... وان احرم فاني ذو احتساب
وما فارقت إخواني واهلي ... ومن احببت الا عن غلاب

علي بن حبيب التنوخي الصفاقسي

قال ابو الحسن ابن رشيق فيه ولد بصفاقس وبها نشا وبرع في الادب والعلم وهو شاعر عذب الالفاظ لطيف المعاني سهل الطريقة قليل التكلف رحل الى المشرق ولقي جماعة من رؤساء العرب فحظي عندهم واقام بمدينة لك الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجى بشعره من شر عظيم توفي سنة ومن شعره قوله من قصيدة

يا لياليَّ في ذرى ابن حسين ... هل معاد قبل الممات اليا
قد نشرنا صحائف الحزن نشرا ... وطوينا السرور بعدك طيا
واطلنا البكا عليك واني ... لعليم ان ليس يرجع شيا
فالى الله من فراق رمتني ... عنه بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن ... كان امرا مقدرا مقضيا

(١) امام المحلة الذي يصلي باهلها

ومنه في الوعظ والزهد

للمرء في ايامه واعظ ... لو فكر المغرور في امسه
كم من قرير العين في غبطة ... اعداه صرف الدهر عن لبسه
ففارق الاحباب عن كرهه ... واستبدل الوحشة من انسه
يارب غفرانك يرجو الذي ... اصرف في الدنيا على نفسه

ومنه قوله

يا معطشي من عذب مورده ... برد غليل جوانحي العطشا
اترى الذي ارجو افوز به ... منكم فقد كان الذي اخشى
ولقد شخصت اليك من بلد ... قد اظلمت احشاؤه وحشا
وتنكرت للعين بهجته ... منذ ارتحلت كانني اعشى
والله ما من ساعة قد مضت ... الّا علي ليذكركم يغشى

محمد بن الحسين بن ابي الفتح بن ميكائيل القرشي السوسي

ولد بسوسة وبها نشا وطلب العلم وبرع وكان شاعرا مطبوعا اشتهر شعره وشهد له بالاصابة في الغرض سكن القيروان ترجمه ابن رشيق في الانموذج واثنى عليه ومن شعره المجوني

صور عبد الله من مسكة ... وصور الناس من الطين
ابدعه الخالق سبحانه ... كمثل حور الجنة العين
في مثله يوصل حبل الصبا ... وتؤثر الدنيا على الدين

ابو الحسن علي بن احمد الصفار السوسي

قال ابن رشيق فيه شاعر متسع القافية سالم الطبع عالم باللغة وله في الشيب من قصيدة

ارى البيض لا يمنحن ذا البيض منحة ... سوى منحة تهدي له الهم والثكلا
كأن لايام الشباب بسالة ... طلبن لايام المشيب بها ذحلا (١)

---

(١) ثارا

ولم تر عيني كالشباب واهله ... اقر الى حسن العيون ولا احلى
ولا كبياض الشيب في اعين الدمى ... قذى مؤلما يغشى القذى الاعين النجلا
فلا غرو ان ارعى الشباب وعصره ... ولا لوم ان انعى المشيب ولا عذلا

ابو الفتوح بن محمد السوسي

قال ابو الحسن ابن رشيق نشا بسوسة وبها مقامه وشعره سهل وطي لا يتكلف ومن شعره السهل الممتنع يمدح حسن ابن بلبل والي سوسة وقد رفع عنه مالا وقيلت فيه اقوال فلم ياخذ بها ولم تضره

دم هكذا دم على رغم العدى ابدا ... علاك في اليوم تعلوها علاك غدا
قد قدر الله ان تعطى مناك وما ... يعطى حسودك الا الموت والكمدا

ابو موسى عيسى بن ابراهيم المعروف بالقطان

قال ابو الحسن شاعر مشهور مليح المقطعات كنت اسمع بذكره وهو بسوسة الى ان اجتمعت به فانشدني بعض شعره ثم قال لي كيف رضاك عما سمعت فقلت احسن رضى. من شعره قوله

اهدى الى الغصن الرطيب قواما ... والى فؤادي لوعة وغراما
ظبي اعار الظبي منه محاجرا ... واعارني من سقمهن سقاما
ما ضره لو كان مع كلفي به ... يهدي الي مع الرياح سلاما

عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي ويعرف بابن الغطاس

قال ابو الحسن ابن رشيق هو من ابناء سوسة ومستوطنيها وهو شاعر متدرب قد جمع الى رقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد ومن شعره

وكم ليلة قد جاذبت راحتي بها ... نهود العذارى في قميص الدجى الوحف
وبت يعاطيني العقار مهمهف ... هظيم الحشا محصوفه وافر الردف
واظما فاستسقي ثناياه ظاميا ... تنوب ثناياه عن القهوة (١) الصرف

(١) الخمر — مصححه —

واجفان دهري مغضيات على القذى وايامه يقطعن باللهو والقصف

ابو عبد الله محمد بن عبدون السوسي

قال ابو الحسن ابن رشيق فيه اصله من بيت من القيروان من اكابرها وابوه هو المنتقل الى سوسة وهو شاعر وطي الكلام كلف بعذوبة اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وكانت له رحلة الى ثقة الدولة يوسف بن عبد الله امير صقلية فامتدحه فقبله واضافه الى ولده جعفر فادناه وقربه ومكث زمانا في كنفه ثم سأله الاذن له في الرجوع الى وطنه ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معاهده. منها

بالله يا جبل المعسكر دع ريح الجنوب ترق او تسري
كيما اسائلها فتخبرني ما يفعل الجيران بالقصر
يا قصر طارق الذي طرقت احشاي فيه بلابل الصدر
والله ما قصرت عنك ولا كني قد قصرت بالقسر
فسقاك منهل الحيا وسقى عصرا تقضى فيه من عصر
ربع فكم لي فيه من غصن يهفو صباه به وكم بدر
ومناسب الاوصاف اثقله حقف (١) يكاد ينوء بالخصر
قد طال ما عقدت قلائده مني مكان قلائد النحر
ولثمت صدرا فاح عنبره من غير ما طيب ولا عطر
وضممت انفاسي عليه وقد اشفقت من نفسي الذي يسري
وكأن صدري لا ضلوع له وكان قلبي بان عن صدري
اعطى عهود الله صفقة من اعطى العهود بجانب الحجر
لو استطيع سبحت من طرب شوقا اليه سواد ذا البحر
حتى اقبل جانبيك كما قبلت فيك مراشف البدر
وافيض اجفاني لديك كما فاضت عليك وما بها تدري

فلما سمعها جعفر زاد به اعجابا ومنعه من السفر وله في ملعب سوسة

(١) الرمل الكثير المستدير (مصححه)

اين من شاد ذا ومن رفع السمـ ـك واعلاه فوق ما يحتاج
اين ذاك الملك الشديد الذي كـ ـان وذاك الرواح والادلاج
اين تلك الخدور اين بدو ر حجبتها الجيوش والاعلاج
اين اربابهم ومن رفع التـ ـاج على راسه واين التاج
ضمت الارض والبلاد عليهم فطوتهم وطيها ادلاج
طحنتم طحن الرحى فاذا الانســـان والدهر صخرة وزجاج

عبد الحميد بن عبد الواحد الكاتب السوسي

قال ابو الصلت في الحديقة شاعر جيد الشعر رقيق الحواشي من شعره في الشيب

ترى الشعرات البيض والسود حولها كمثل اسارى الزنج في عسكر الروم

ومنه قوله

نـذرت لله اذا مـا تلتـقي شفاهنا بعد النوى للقبـل
صومي عن الراح سوى ماقد حوى مبسمها العذب وراح المقل

التراب السوسي

ذكره عباد الاصبهاني في الخريدة وكان شاعرا مفاقا طائر الصيت من شعره يمدح جبارة بن كامل . نذكر جملة منها لسلاستها واستيفائها لوصف الديار والاحباب ، وزمان الوصل والشباب ، وهي :

سلم على ذي سلم ❁ مغنى الهوى المستغنم وقف به مسائلا ❁ عن اهله والخيم
واستمطر العين به ❁ صوب دموع ودم فهذه اطلالهم ❁ مندرسات الارسم
وهذه عراصهم ❁ مستوحشات العلم كانهن اسطر ❁ في كتب لم تفهم
لم تبق منهن الصبا ❁ وواكفات الديم سوى ثلاث مائسا ❁ ت قائمات جثم
واشعث مطرح ❁ بربعها المهـــدم اضحت خلاء بلقعا ❁ بواليا كالرمم
لاتسمع الاذن بها ❁ الا نعيب الاسحم (١) الى صرير جندب ❁ (٢) الى عواء ديسم (٣)
الى ضباء ثعلب ❁ الى زءير ضيغم ولا ترى العين سوى ❁ خدرنق مخيم

(١) الاسود والمراد هنا الغراب — (٢) الجراد — (٣) الذئب . مصححه

وعقعق وثقنق (١) ❁ ولقلق (٢) وشيهم (٣) ❁ بعد السرور والمنى ❁ والامل المتمم
والغانيات كالدمى ❁ يسحبن كل معلم ❁ من ابيض محبر (٤) ❁ واخضر منمنم
واحمر معتق ❁ واصفر مسهم (٥) ❁ من كل خود كحلت ❁ مقلتها بالسهم
جبينها من قمر ❁ وفرعها من ظلم ❁ وقدها من غصن ❁ وخدها من عندم (٦)
تفتر عن مفلج ❁ عذب الثنايا شبم ❁ مفضض مذهب ❁ موشّي موشم
حلو اللمى وانما ❁ لحظي جناه لافمي ❁ من كل ريم مائس ❁ كالغصن المنعم
وصاله من سكر ❁ وصده من علقم ❁ مبتسم عن جوهر ❁ في عسجد منظم
اذا نضى برقعه ❁ كالمشرفي المخذم (٧) ❁ قامت له مدامعي ❁ مقام مهراق الدم
سقيا لـ ذاتي بهـا ❁ وعيشي المنصرم ❁ ايام كانت لمتي ❁ مسودة كالحمم
وقامتي قويمة ❁ شبابها لم يهـــرم ❁ والدهر لم يخط الى ❁ مساءتي بقدم
ولا نهاني عذلي ❁ ولا لحاني لومي ❁ ثم انقضت بسرعة ❁ ايام ذاك الموسم
كانني كنت ارى ❁ عيشي بها كالحلم ❁ يا ربع احبابي ناوا ❁ من مدنف متيم
انعم صباحا واسلم ❁ سقيت نوا المرزم ❁ ان لم امت من اسف ❁ وحسرة عليهم
كذبت في دعوى الهوى ❁ لست بهم بمغرم ❁ كانني بالوصل من ❁ احبتي لم انعم
ولم ابت ريان من ❁ رشف عقار المبسم ❁ في ليلتين ليلة ❁ وليل شعر اسحم
ما بين تفاح الخدو ❁ د العاطر الموشم ❁ وبين رمان النهو ❁ د الارج المكدم (٨)
في فرش وثيرة ❁ لم تفترش لمحرم ❁ حتى تولى اليل في ❁ خميسه المنهزم
واقبل الصباح في ❁ جحفله العرمرم ❁ كانه لما بدى ❁ يشرق تحت الظلم

ثم تخلص لمدح الامير جباره من رجال المائة السادسة ولم اقف على وفاته

ابو المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف

المعروف بابن النحوي التوزري

ولد بتوزر سنة ٤٣٤ ونشأ طالبا للعلم فاخذ عن علماء بلده كابي زكرياء الشقراطسي وغيره وبرع واشتهر فكان عالما جليلا متبحرا في جميع العلوم، سافر الى ابي الحسن

---

(١) ذكر النعام — (٢) طائر — (٣) القنفذ — (٤) موشى — (٥) مخطط — (٦) دم الاخوين — (٧) القاطع — (٨) المعضض ، مصححه

اللخمي بصفاقس ليروي عنه صحيح البخاري وينسخ تبصرته التي الفها في فقه الامام مالك فاجله وقضى مأربه. وكان زاهدا في الدنيا متقشفا قال علماء عصره هو بالغرب كالغزالي بالمشرق علما وعملا. اخذ عنه خلق وتخرج عليه ائمة اعلام انتقل الى قلعة بني حماد(١) فاستوطنها الى ان توفي بها سنة ٥١٣ عن ثمانين سنة وكان شاعرا مفلقا من شعره المنفرجة التي اشتهرت شرقا وغربا واعتنى العلماء في كل عصر بشرحها ومحاكاتها ومطلعها :

اشتدي ازمة تنفرج ... قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج ... حتى يغشاه ابو السرج
وسحاب الخير له مطر ... فاذا جاء الابان تجي
وفوائد مولانا جمل ... لسروح الانفس والمهج
ولها ارج محيي ابدا ... فاقصد محيى ذاك الارج
فلربتما فاض المحيا ... ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعا في يده ... فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم ... فعلى درك وعلى درج
ومعائشهم وعواقبهم ... ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت ... ثم انتسجت بالمنتسج
فاذا اقتصدت ثم انعرجت ... فبمقتصد وبمنعرج
شهدت لعجائبها حجج ... قامت بالامر على الحجج
ورضى بقضاء الله حجا ... فعلى مركوزته فعج
واذا انفتحت ابواب هدى ... فاعجل لخزائنها ولج

وهي طويلة وكان يقرأ قبلها قوله من نظمه

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت اشكو الى مولاي ما اجد
وقلت يا سيدي يا منتهى املي ... يا من عليه بكشف الضر اعتمد
اشكو اليك امورا انت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلد

---

(١) مدينة من قطر الجزائر

وقد مددت يدي بالضر مشتكيا اليك يا خير من مدت اليه يد

ومن شعره يتشكى من اهل زمانه

أصبحت فيمن له دين بلا ادب ومن له ادب عار من الدين

اصبحت فيهم غريب الشكل منفردا كبيت حسان في ديوان سحنون

يشير لبيت ذكره الامام سحنون في الجهاد من مدونته من شعر سيدنا حسان ابن ثابت الانصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله

وهان على سراة بني لويّ حريق بالبويرة مستطير

ابو الحسن علي بن رشيق القيرواني الكاتب بالدولة الصنهاجية

كان احد افاضل البلغاء له التصانيف الفائقة والشعر البليغ واليد البيضاء في العلوم الادبية وغيرها ولد بالمحمدية قرية قرب تونس ونشأ بها فعلمه ابوه صناعة الصياغة وكانت حرفته التي يشتغل بها في المحمدية وطلب العلم والادب فاخذه عن علماء قريته حتى ظهرت براعته وقال الشعر بالمحمدية وانظر لانتشار العلم في تلك القرون حتى في القرى بحيث تخرج نحو ابن رشيق ثم تاقت نفسه الى التزيد من العلم والادب فرحل عن بلده الى القيروان دار العلوم فاستكمل واشتهر ومدح ملوكها واتصل بخدمتهم الى ان استكتبوه وانخرط في سلك اعيان الدولة ولم يزل بالقيروان الى ان هجم الاعراب القادمون من مصر لتخريب افريقية على مدينة القيروان وقتلوا وخربوا فانتقل صاحب الترجمة الى جزيرة صقلية فاستوطن بمازر منها الى ان توفي في سنة ٤٦٣ وله تآليف جليلة منها العمدة في الصناعة الشعرية. قال ولي الدين ابن خلدون لم يؤلف قبله ولا بعده مثله وكتاب الانموذج ترجم فيه لجملة من شعراء افريقية وقراضة الذهب لطيف الحجم كبير الفائدة وكتاب الشذوذ في اللغة ذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وله الرسائل الفايقة والشعر الجيد منه قوله في الاخوة

احب اخي وان اعرضت عنه وقل على مسامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المدام

ورب تقطب من غير بغض وبغض كان من تحت ابتسام

ومن معانيه المبتكرة وقد كبر

اذا ما خففت كعهد الصبا ... ابت ذلك الخمس والاربعونا
وما ثقلت كبرا وطأتي ... ولكن اجر وراءي السنينا

ومنه

وقائلة ماذا الشحوب وذا الضنا ... فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك اتاني وهو ضيف اعزه ... فاطعمته لحمي واسقيته دمي

ومنه في البرق

ارى بارقا بالابرق الفرد يومض ... يذهب ما بين الدجى ويفضض
كأن سليمى من اعاليه اشرفت ... تمد لنا كفا خضيبا وتقبض
اذا ما توالى ومضه نفض الدجى ... له صبغة المسود او كاد ينفض
ارقت له والقلب يهفو هفوة ... على انه منه احر واومض
وبت اداري الشوق والشوق مقبل ... علي وادعو الصبر والصبر معرض
واستنجد الدمع الابي على الاسى ... فتنجدني منه جداول فيض
واعذر قلبا لا يزال يروعه ... سنا النار مهما لاح والبرق يومض
يظنهما ثغر الحبيب وخده ... فذا ضاحك منه وذا متعرض
اذا بلغت منه الخيالات ما ارى ... فانت لماذا بالشخوص معرض
الى ان تفرت عن سنا الصبح سدفة ... كما انشق عن فصح من الماء عرمض (١)
وندت الى الغرب النجوم مروعة ... كما نفرت عيس من الليل ركض
وادركها من فجأة الصبح بهتة ... فتحسبها فيه عيون تمرض
كأن الثريا والرقيب يحثها ... لجام على راس الدجى وهو يركض
وما تمتري في الهقعة (٢) العين انها ... على عاتق الجوزاء قرط مفضض

ومنه

رمى حر قلبي باجفانه ... رشا ما درى قدر ما قدرمى
وقد كان قدم احسانه ... ولكنه قدّ ما قدما

---

(١) الطحلب — (٢) ثلاثة نجوم فوق الجوزاء . مصححه

وهدم بنيان صبري به فما احد هدّ ما هدما
لئن كان حرم من انسه حلالا فيا حر ما حرما
وان كان اضرم نار الجوى فلا اشتكي ضر ما اضرما
فتسليم امري به للقضا ذخرت به اجر ما اجرما

ومنه

ان كنت تنكر ما منك ابتليت به وان برء سقامي عز مطلبه
اشر بعود(١) من الكبريت نحو فمي وانظر الى زفراتي كيف تلهبه

وله اشعار يرثي بها مدينة القيروان

ابو يحي تميم بن المعز بن باديس امير افريقية

كان اميرا فاضلا عالما اديبا حسن السيرة حميد الآثار محبا للعلماء معظما لارباب الفضائل حتى قصدته الشعراء من الافاق وكان يجيزهم الجوائز السنية ولد يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة ٤٢٢ بمدينة صبرة وتسمى المنصورية وفوض له ابوه ولاية المهدية في صفر سنة ٤٤٥ ولم يزل بها الى ان توفي والده المعز سنة ٤٥٤ رابع شعبان فاستبد بالملك ولم يزل الى ان توفي ليلة السبت منتصف رجب سنة ٥٠١ ودفن بقصره ثم نقل الى قصر السيدة بالمنستير . وخلف من الاولاد الذكور اكثر من مائة ومن البنات ستين . ذكر ذلك حافده عبد العزيز في تاريخه اخبار القيروان . وكان شاعرا مجيدا وله ديوان كبير ومنه

سلي مطر العام الذي عم ارضكم اجاء بمقدار الذي فاض من دمعي
اذا كنت مطبوعا على الصد والجفا فمن اين لي صبر فاجعله طبعي

ومنه

ان نظرت مقلتي لمقلتها تعلم مما اريد نجواه
كأنها في الفؤاد ناظرة تكشف اسراره وفحواه

---

(١) ان عود الكبريت وهو المعروف عندنا بالوقيد معروف عند العرب قديما

ومنـه

وخمر قد شربت على وجوه ... اذا وصفت تجل عن القياس
خدود مثل ورد في ثغور ... كدر في شعور مثل آس

ومنه قوله

فاما الملك في شرف وعز ... عليَّ التاج في اعلى السرير
واما الموت بين ظبي العوالي ... فلست بخالد ابد الدهور

ومنه قوله

فكرت في نار الجحيم وحرها ... يا ويلتاه ولات حين مناص
فدعوت ربي ان خير وسيلتي ... يوم المعاد شهادة الاخلاص

ابو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضرير الحصري القيرواني

كان عالما اديبا وشاعرا مفلقا ولد بالقيروان وبها نشا فطلب العلوم فكان بحرا في البراعة ورأسا في الصناعة وزعيما في علمي العربية والقراءات امتد باعه وطار صيته وسار شعره . وهو ابن خالة ابي اسحاق الحصري ولما خربت القيروان سنة ٤٤٩ في رمضان انتقل الى الاندلس سنة ٤٥٠ فتهادته ملوك الطوائف بها وتنافسوا في اكرامه وكان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بعث اليه بخمسمائة دينار وهو اذ ذاك بالقيروان ليتجهز بها اليه ويأتيه الى اشبيلية فكتب اليه ابو الحسن

امرتني بركوب البحر اقطعه ... غيري لك الخير فاخصصه بذا الداء
ما انت نوح فتنجيني سفينته ... ولا المسيح انا امشي على الماء

ثم دخل الاندلس وامتدح ابن عباد وغيره توفي بطنجة سنة ٤٨٨ . له قصيدة نظم فيها قراءة نافع وهي قراءة اهل افريقية بها مائتان وتسعة ابيات وله ديوان شعر ومن قصائده السائرة القصيدة التي اولها

يا ليل الصب متى غده ... اقيام الساعة موعده
رقد السمار فارقه ... اسف للبين يردده

ومن شعره قوله

اقول له وقد حي بكاس لها من مسك ريقته ختام
امن خديك يعصر قال كلا متى عصرت من الورد المدام

ابو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن شرف الاجدابي

القيرواني الاديب الفاضل

من اشهر علماء القيروان وفحول شعرائها فرع العلوم وتلاعب بالمنثور والمنظوم وكان فقيها فاضلا اخذ عن ابي الحسن القابسي وابي عمران الفاسي مقدمي علماء عصرهما وذكره ابو الوليد الباجي فاثنى عليه ووصفه بالعلم والذكاء وان علم الادب من بعض علومه. له تآليف نفيسة منها ابكار الافكار والاعلام والمقامة المعروفة بمسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد صنفها في صورة محادثة مع ابي الريان الصلت بن السكن في نقد بعض اشعار للجاهلية كامرء القيس وزهير والمولدين كالمتنبي . الفها لما دخل الاندلس وحيدة في بابها والنظر مجال في بعض انتقاداتها ولما اشتدت فتنة الاعراب على القيروان خرج منها سنة ٤٤٧ الى الاندلس فسكن المرية وتردد على ملوك الطوائف بها مادحا فاجلوه واسنوا جوائزه وعرفوا فضله فرفعوا منزلته وكان من اعقل الناس واحزمهم استنهض ابا الحسن ابن رشيق على ما كانت بينهما من المنافرة على الاجتماع في الطريق والاجتياز معا الى الاندلس فانشده ابن رشيق

مما يزهدني في ارض اندلس القاب معتمد فيها ومعتضد
القاب سلطنة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

فاجابه ابن شرف بقوله

ان ترد الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

ومنه قوله من قصيدة طويلة وقد وفد على الاندلس في زي تظهر عليه البداوة

مطل الليل بوعد الفلق وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيب العبق

والاح الفجر خداً خجلا ... جال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل الى انجمه ... فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة ... ايقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك ... وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بابي بعد الكرى طيف سرى ... طارقا عن سكن لم يطرق
زارني والليل ناع سدفه ... وهو مطلوب بباقي الرمق
ودموع الطل تذريها الصبا ... وجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى في ازار ثابت ... وتثنى في وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعر ... فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته ... فحبى الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدي سيفه ... وتحلى خده بالرونق

منها في المدح

لو سقى حسان احسانكم ... ما بكى ندمانه في جلّق (١)
او دنى الطاءي من حيكم ... ما حدا البرق لربع الابرق
ابدعوا في الفضل حتى كلفوا ... كاهل الايام ما لم يطق

وله قصائد يندب بها مدينة القيروان ويبكي زمانه بها ؛ منها

يا قيروان وددت اني طائر ... فاراك رؤية باحث متامل
يا لو شهدت اذا رايتك في الكرى ... كيف ارتجاع صباي بعد تكهل
لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي ... هيهات تذهب علتي بتعلل
لو كنت اعلم ان آخر عهدهم ... يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

الوزير الكاتب ابو الحسن علي بن ابي الرجال

عالم بالادب شاعر مفلق بلغ الرئاسة في دولة صنهاجة فوزر لهم وكان ذا همة ونزاهة ومكارم . له الف ابو الحسن بن رشيق العمدة في الصناعة الشعرية ووشحها

---

(١) دمشق

باسمه ولم يزل مقدم الدولة نافذ الراي مسموع الكلمة الى ان انقضت ايامه وانصرمت اعوامه توفي في سنة ومن شعره البليغ يتشوق لاهله

ولي كبد مكلومة من فراقكم اطامنها صبرا على ما اجنّت
تمنتكم شوقا اليكم وصبوة عسى الله ان يدني لها ما تمنت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا اذا عنّ ذكر القيروان استهلت

ومنه قوله

الا ليت اياما مضى لي جديدها تكر علينا بالوصال فتنعم
وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر يتوق اليها كل من يتكرم
اذا مزجت في الكاس خلت لآليا تنشر في حافاتها وتنظم
جمعنا بها الاشتات في كل بلدة على انه لم يغش في ذاك محرم

ومنه في صفة كاتب بليغ

فضل الانام بفضل علم واسع وعلا مقالهم بفضل المنطق
وحكى لنا وشي الرياض وقد وشت اقلامه بالنقس بطن المهرق

ومنه قوله

اذا مشقت يمناك في الطرس اسطرا حكيت بها وشي الملاء المعضد
يروق مجيد الخط حسن حروفها ويعجب منها بالمقال المسدد

عبد العزيز بن ابي الصلت امية بن عبد العزيز

الداني الاصل المهدوي المنشا والولادة

قدم ابوه امية الى المهدية من بلده فقبله اميرها علي بن يحي بن تميم الصنهاجي وانزله منزلة رفيعة وولد له بها عبد العزيز صاحب الترجمة فنشا في طلب العلم والادب واعتنى به ابوه حتى برع وقال الشعر الفائق . كانت له يد بيضاء في الشطرنج ثم انتقل لمدينة بجاية وبها توفي سنة ٥٤٦ ومن شعره وان نسبه بعضهم لابيه

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي
ولا بد لي ان اسال العيش حاجة تشق على شم الذرى والغوارب

ومنه كذلك

وقائلة ما بال مثلك خاملا ... أأنت ضعيف الراي ام انت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم انني ... لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده ... واما المعالي فهي عندي غرائز

اما والده امية فقد كان فاضلا في علوم الادب صنف كتابا سماه الحديقة على سلوب يتيمة الدهر للثعالبي وكان عالما بفن الحكمة فكان يقال له الاديب الحكيم وكان ماهرا في علوم الاوائل ولد بدانية سنة ٤٦٠ وقدم الاسكندرية مع امه سنة ٤٨٩ وجرت عليه محنة فسجنه الافضل شاهنشاه ملك مصر فالف له وهو في الحبس رسالة العمل بالاسطرلاب وله تآليف مفيدة متقنة منها كتاب الوجيز في الهيئة وكتاب الادوية المفردة وكتاب في المنطق سماه تقويم الذهن وكتاب سماه الانتصار في الرد على علي بن رضوان في رده على حنين بن اسحاق في مسائله ولما اشتد به مرض موته وهو بالمهدية انشد مخاطبا ولده عبد العزيز

عبد العزيز خليفتي ... رب السماء عليك بعدي
انا قد عهدت اليك ما ... تدريه فاحفظ فيه عهدي
فلئن عملت به فانـ ... ـك لا تزال حليف رشد

ومن شعره

عجبت من طرفك في ضعفه ... كيف يصيد البطل الاصيدا
يفعل فينا وهو في غمده ... ما يفعل السيف اذا جردا

ومن شعره واوصى ان يكتب على قبره وهو آخر شعر قاله

سكنتك يا دار الفناء مصدقا ... باني الى دار البقاء اصير
واعظم ما في الامر اني صائر ... الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف القاه عندها ... وزادي قليل والذنوب كثير
فان اك مجزيا بذنبي فانني ... بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو منه عني ورحمة ... فثم نعيم دائم وسرور

توفي بالمهدية متسهل سنة ٥٢٩ ودفن بالمنستير

سلام بن فرحان وزير آل جامع امراء قابس

كان اديبا شاعرا شجاعا عالي الهمة قوي النفس مدبرا وزر للامير مدافع بن رشيد بن مدافع صاحب قابس ولم يزل مدبرا دولته الى ان داهمهم ما لا قبل لهم به من عساكر الموحدين فدافعوهم دفاع الابطال وقاتل صاحب الترجمة باذلا نفسه دون اميره مدافع يوم خروجه منهزما من قابس الى ان قتل سنة ٥٥٥ ومن شعره وقاله يوم موته

اكذا اموت وما بلغت مرادي ... بين الصوارم والقنا المعتاد
حيث العيون لوامح وطوامح ... ما بين احباب وبين اعادي

ومن شعره يمدح الامير مدافع بن رشيد

ما زلت افري اديم الارض منفردا ... اطوي المفاوز غيطانا وآكاما
حتى حططت رحالي في ذرى ملك ... غمر المواهب للقصاد بساما
هنا مدافع ان الله خوله ... سعدا ينال به كل الذي راما
قم فافتح الارض فالاملاك كلهم ... سواك اضحوا عن العلياء نياما

الامير ابو ساكن عامر بن مكي بن كامل

من آل جامع امراء قابس

ولد بقابس وبها نشا واخذ العلم وبرع في الادب خلص يوم خروج آل بيته من الموحدين واتصل به الفرار الى دمشق فاستوطنها وكان شاعرا من شعره يذكر ايامهم بقابس

يا جار طرفي غير هاجع ... والدمع من عيني هامع
ولقد ارقت مسامرا ... نجما بدا في الشرق طالع
متذكرا بصروف دهر ... اصبحت فينا قواطع
اني من الشم الاولى ... شادوا العلى ابناء جامع
اهل المراتب والكتا ... ئب والمواهب والصنائع
يتسابقون الى المعا ... لي كلهم فيها مسارع

ولقد ملكنا قابسا بالمشرفيات القواطع
تسعين عاما لم يكن فيها لنا احد منازع
وجنابنـــا للمعتفين بزهرة المعروف يانع
واذا شهدنا مجمعا يومى الينا بالاصابع
عبثت بنا ايدي الزما ن واحدثت فينا البدائع

ساكن بن عامر بن مكي من ءال جامع

نشأ بقابس في عز بيته وطلب العلم والادب فبرع فكان جامعا لاشتات الفضائل شاعرا . ورد دمشق مع والده عامر واستوطنها وتوفي بها سنة ٥٩١ ومن شعره

اذا عنّ من اهواه اغضي له طرفي واخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
واكتم عن سري هواه صيانة ولو كان في كتمانه ابدا حتفي
مخافة ان يشكو فؤادي صبابة الى مقلتي يوما فتبدي الذي اخفي

ابو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي

ولد بسوسة سنة ٥٣٧ ونشا بها في طلب العلم والادب فحصل على الغاية وانتفع به الناس وطال عمره حتى الحق الاحفاد بالاجداد وانتقل الى تونس فاستوطنها الى ان توفي بها سنة ٦٢٢ ومن شعره يمدح ابا محمد بن عبد الله جد الملوك الحفصيين سلاطين تونس من قصيدة مطلعها

جردت عزمك صارما مسلولا ماء ولكن لا يبل غليلا

ومن شعره يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم له فرسا اشهبا ليركبه :

اركب باقبال السعادة اشهبا مثل الصباح اذا يشوب الغيهبا
ما شاب من امد السنين وانما لاقى سناك فلاح يحكي الاشهبا
قد الجمـوه بالثريا فانبرى ينقض في ليل العجاجة كوكبا

عبد الله بن عبد الرحمان بن علي الفرياني

ولد بمالقة وانتقل ابوه به صغيرا الى صفاقس فاستوطنها فنشا بها صاحب الترجمة

بارعا في الادب والعلوم العربية وقال نفيس الشعر وله رحلة للشرق والغرب ابعد فيها وكان هجاء من مشاهير شعراء افريقية توفي سنة ٦٠٩ . من شعره في هجو السعيد سلطان المغرب لما ولي وكان السعيد اسود اللون

كان الخلائف قبل في مراكش ... صورا من الكافور تعجب خالصه
فاتى علي بعدهم ختما لهم ... كالمسك لونا ليس فيه خصائصه

ومنه قوله

اسفا على مراكش وولاتها ... لم يبق للايام فيها رونق
كانوا حماما فالليالي لم تدع ... في دارهم الّا غرابا ينعق

امير المؤمنين ابو زكرياء يحيي بن عبد الواحد ابن ابي حفص

سلطان تونس

ولد بمراكش سنة ٥٩٩ ه في عز بيته وشرف قبيله ولما ولي الامير ابو محمد عبد الواحد والده امارة افريقية نقله صغيرا الى تونس فاخذ عن علمائها العلم والادب وتعلم ادب الملك والفروسية فنشا مستجمعا لخلال الرئاسة حازما ذا دهاء . له مشاركة حسنة في علم الطب راجح العقل اصيل الراي حسن السياسة موفقا في تدبيره اصطنع الرجال واستكثر من الجنود وافتتح البلاد فاضاف الى تونس عمل قسنطينة وفي سنة ٦٣٢ اضاف الجزائر وعملها ثم تلمسان وعملها وارسل اليه اهل بلنسية ومرسية وشرق الاندلس ببيعتهم كما ارسل ببيعتهم اهل اشبيلية وشريش وطريف والمرية وابن الاحمر صاحب غرب الاندلس واهل سبتة وطنجة وسجلماسة ومكناسة وبنو مرين وعظمت الامنة بينه وبين الخليفة في مراكش من بني عبد المؤمن وهو الملقب بالسعيد حتى عزم كل منهما على ملاقاة صاحبه وانعقاد الاتحاد بينهما لمصلحة المملكتين لولا ما حال دون ذلك من العوارض . ولي صاحب الترجمة سلطنة افريقية باستدعاء من الموحدين وانعقد له الامر بمدينة قابس بعد ان كانوا يريدون ان يامّروا اخاه عبد الله في قصة مبسوطة في التاريخ واولى ولده ابا يحي مدينة بجاية واعمالها وقلده ولاية عهده سنة ٦٢٥ وكان من اهل العلم وكتب له وصيته المشهورة التي لا غنى لارباب الملك والامارة عن حفظها

والعمل بما اشتملت عليه وهي الفريدة في تربية ابناء الملوك ونصها : اعلم سددك الله تعلى وارشدك ، وهداك لما يرضيه واسعدك ، وجعلك محمود السيرة ، مامون السريرة ، ان اول ما يجب على من استرعاه الله تعلى في خلقه ، وجعله مسؤلا عن رعيته في جليل امرهم ودقيقة ، ان يقدم رضى الله عز وجل وعلا : في كل امر يحاوله وان يكل امره وحوله وقوته لله تعلى ، وان يجعل عمله وسعيه وذبه عن المسلمين وحربه وجهاده للمؤمنين بعد التوكل عليه ، والبراءة من الحول والقوة اليه ، ومتى فجاك امر مغلق ، اوورد عليك نبأ مرهق فريض لبك وسكن جاشك ، وارع عواقب امر تاتيه ، وحاوله قبل ان ترد عليه ، ولا تقدم اقدام الجاهل ، ولا تحجم احجام الاخرق المتكاسل ، واعلم ان الامر اذا ضاق مجاله وقصر عن مقاومته رجاله ، فمفتاحه الصبر والحزامة والاخذ مع عقلاء الجيش ورؤسائهم وذوي التجارب من نبهائهم ، ثم الاقدام عليه ، والتوكل على الله فيما لديه ، والاحسان لكبير جيشك ولصغيره ، الكبير على قدره والصغير على قدره ولا تلحق الحقير بالكبير فتجري الحقير على نفسك وتغلطه في نفسه وتفسد نية الكبير وتوغره عليك فيكون احسانك اليه مفسدة في كلا الوجهين وتضيع احسانك وتشتت نفوس من معك ، واتخذ كبيرهم ابا وصغيرهم ابنا ، واخفض لهم جناح الذل من الرحمة ، وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ، واتخذ نفسك صغيرة ، وذاتك حقيرة ، وحقر امورك ولا تسمع اقوال المغلطين بانك اعظم الناس قدرا ، واكثرهم بذلا واحسنهم سيرة واجلهم صبرا ، فذلك غرور ، وبهتان وزور ، واعلم ان من تواضع لله رفعه الله وعليك بتفقد احوال رعيتك والبحث عن عمالهم والسؤال عن سير قضاتهم فيهم ، ولا تنم عن مصالحهم ولا تسامح احدا فيهم ، ومهما دعيت الى كشف ملمة فاكشفها عنهم ، ولا تراع فيهم كبيرا ولا صغيرا اذا عدل عن الحق ، ولا تراع في فاجر ولا متصرف الاَّ ولا ذمة ، ولا تقتصر على شخص واحد في جميع مسائل الرعية ، ولا تقف عند مراده في احوالهم ، واتخذ لنفسك ثقاة صادقين مصدقين لهم في جانب الله اوفر نصيب ، وفي رفع مسائل خلقه اليك اسرع مجيب ، وليكن سؤالك لهم افذاذا فانك مهما اقتصرت على شخص واحد في نقله ونصحه حمله الهوى على الميل ودعته الحمية الى تجنب الحق وترك قول الصدق ، واذا رفع اليك احد مظلمة وانت على طريق فادعه اليك وسله

حتى يوضح قصته لك وجاوبه جواب مشفق مصغ الى قوله . مصيخ الى نازلته ونقله ففي اصاختك له اكبر تانيس . وللسياسة والرئاسة في نفوس الخاصة والعامة والجمهور اعظم تاسيس . واعلم ان دماء المسلمين واموالهم حرام على كل مؤمن بالله واليوم الآخر الَّا في حق اوجبه الكتاب والسنة وعضدته الاقاويل الشرعية والحجة او مسلم عائث في طريق المسلمين واموالهم جار على غيه في فساد صلاحهم واحوالهم فليس الَّا السيف فان غبار وقعه لداء الادمغة الفاسدة دواء . ولا تقل عثرة حسود على النعمة عاجز عن السعي فان اقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل ووبال عمله عائد عليك فاحسم داءه قبل انتشارة وتدارك امره قبل اظهاره . واجعل الموت نصب عينيك . ولا تغتر بالدنيا وان كانت في يديك . فانك لا تنقلب الى ربك الا بما قدمته من عمل صالح اومتجر في مرضاته رابح . واعلم ان الايثار اربح المكاسب . وانجح المطالب . والقناعة مال لا ينفد . وقد قال بعض المفسرين في قوله عز من قائل (وتركنا عليه في الآخرين) انه الثناء الحسن في الدنيا على ما خلد فيها من الاعمال المشكورة . والفعلات الصالحة المذكورة . فيكفيك من دنياك ثوب تلبسه وفرس تذب به عن عباده . وارجو لك مهما جعلت وصيتي هذه نصب عينيك . لم تعدم من ربك فتحا ييسره الله على يديك . وتاييدا ملازما لا يبرح عنك الا اليك . بمن الله وحوله وطوله والله يجعلك ممن سمع فوعى . واجاب لداعي الرشد اذا دعى . انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الَّا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل اه ثم توفي ولي عهده وبلغه ذلك فجزع عليه وحزن حزنا شديدا وشخص الى بجاية فمات بطريقه بعنابة لاربعة ايام خلت من ربيع الاول سنة ٦٤٦ وكان شاعرا ومما اشتهر من شعره يرثي ولي عهده المذكور

الاجازع يبكي لفقد حبيبه ... فاني لعمري قد اضر بي الثكل
لقد كان لي مال واهل عدمتهم ... فها انا لا مال لدي ولا اهل
سابكي وارثى حسرة لفراقهم ... بكاء قريح لا يمل ولا يسلو
فلهفي ليوم فرق الدهر بيننا ... الا فرج يرجى فينتظم الشمل
واني لأرضى بالقضاء وحكمه ... واعلم ربي انه حاكم عدل

وعرض عليه شعراء دولته قصائدهم يمدحونه فشرفهم بشهادته لهم بقوله

الا ان مضمار القريض لممتد ... به شعراء الغرب اربعة لد
فاما المجلي فهو شاعر جمة ... اتى اولا والناس كلهم بعد
واما المصلي فهو حبر قضاعة ... بآدابه تزهى الخلافة والمجد
واما المسلي فالمعاوي انه ... اتى ثالثا لكن يلين ويشتد
وبعدهم الكومي اقبل تاليا ... وكم جاء سباقا مسومه النهد (١)
هم علماء الناس ما عنهم غنى ... وهم شعراء الملك مامنهم بد

ولنذكر مراتب الخيل في الحلبة عند العرب بمناسبة ذكر السلطان ابي زكرياء لها في شعره مع بيان وجه التسمية تتميما للفايدة فنقول : ان مراتب الخيل في الحلبة عشرة. المجلي وهو السابق سمي بذلك لانه جلى عن وجه صاحبه الكرب . والمصلي بعده لانه وضع جحفلته على صلا المجلي والصلا عجب الذنب ويسمى قطاة. والمسلي ثالث سمى بذلك لانه يسلي عن صاحبه بعض همه. ثم التالي سمي بذلك لانه تلا المسلي ثم المرتاح وهو الخامس اخذا من الراحة وهي الكف وفيها خمسة اصابع. ثم الحَظي لانه ينال حظا وان قل. ثم العاطف وهو السابع. ثم المؤمل لدخوله حجرة الرهان لانها لا يدخلها الّا ثمانية ويذاد عنها التاسع والعاشر ولذلك يقال للتاسع اللطيم لانه لو اراد دخول الحجرة لطم عنها. ويقال للعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه الخشوع والذلة والسكوت. وكانوا يجعلون في عنق العاشر حبلا ويُركبون عليه قردا يركضه يعيّرون بذلك صاحبه

محمد بن علي بن محمد بن شباط التوزري

ترجم لنفسه في شرحه لتخميس قصيدة الشقراطسي اللامية فقال ان اصله من روم توزر الذين اسلموا ومن الله عليهم بهذا الدين القويم ورحل ابوه علي من توزر فاقام بمدينة قسنطينة وولد صاحب الترجمة بها ثم رجع به ابوه الى توزر وهو ابن اربع سنوات فنشأ كسلفه في طريق اكتساب العلوم والادب فاخذ عن علماء توزر

(١) الفرس الجميل — مصححه

ولم ياخذ عن غيرهم فبرع في العلوم واصبح اماما فيها انتفع به الناس واقتبسوا من معارفه وكان شاعرا مفلقا من شعره تخميس القصيدة الشقراطسية ويقال انه شرحها بثلاثة شروح كبير ووسط وصغير كلها جليلة الفايدة خصوصا الكبير والوسط دل على تبحره في العلوم، فانه يتكلم على البيت من جهة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والآثار والتاريخ ومن كل علم يمس شرحها، فكان نزهة الناظر وعنوانا على ما كان في تلك الاعصر من بحور العلم الزاخرة بافريقية، ابتدا في الشرح سنة ٦٦٣ في اواخر جمادى الاولى وتوفي ليلة السبت في ١١ ربيع الثاني سنة ٦٨١ وطالع التخميس

إبدأ بحمد الذي اعطى ولم تسل ... وذد بريب رين (١) الأين (٢) والكسل
فالحمد احلى جنى من طيب العسل ... الحمد لله منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل

خلاصة النضر من نضر ومن مضر ... واول الخلق تشفيعا بلا نظر
من لا نظير له في رأي ذي نظر ... خير البرية من بدو ومن حضر
واكرم الخلق من حاف ومنتعل

انباؤه صادق الانباء حقهما ... سلمان اسلم لما ان تنشقها
وقُس مسكتها قُس ففتقها ... توراة موسى اتت عنه فصدقها
انجيل عيسى بحق غير مفتعل

كم ام شرعتها من امة وردت ... خصت باسرار ذي الاسراء وانفردت
وسرها ما روت منها وما سردت ... اخبار احبار اهل الكتب قد وردت
عما رأوا او رووا في الاعصر الاول

ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الاصولي

عالم جايل وشاعر نبيل انتفع الناس بعلمه اقراء وتاليفا، ومن تآليفه نكت الناقد في الادب، ومن شعره الجيد يمدح السلطان ابا زكريا يحيى الحفصي ويصف واقعة يعقوب الهرغي الثاير بطرابلس عليه بدعوى المهدوية فعوجل امره واخذ مع فئته

---

(١) غشاوة — (٢) الاعياء — مصححه

وقتلوا سنة ٦٩٣ وصلب على باب هوارة من ابواب طرابلس وأُتي برأسه فنصب على صور قصبة تونس مع رؤس اثنايرين معه

لقد عجلت للفاطمي فطامه ... وما سوغته درها البيض والسمر
رجا رفعة فاعتاض منها بمنصب ... نماه به للجذع منصبك الحر
يرى شرفات السور قد قمن نحوه ... يصخن لامر منه اكذبه الامر
ضحا فلحر الشمس لفح إهابه ... وللريح لا للرّوح في جسمه كر
اتى رهبة لما دعوت اجابة ... فجرده من ثوب نعمتك الكفر
وجاءك منه بعضه متنصلا ... وخلف بعضا حيث لا جادة قطر
يناجي اخاه لا بقول يبثه ... وهيهات عزّ السر فحواه والجهر
فدونك يا يعقوب عقبى منافق ... الى النار عقباها اذا ضمّك الحشر

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الابار التونسي

نشا بتونس وطلب العلم والادب فبرع واشتهر فضلا وتحققا بالمعارف وكان محدثا فقيها جيد الشعر له تآليف نفيسة منها الحلة السيراء . لم اقف على تاريخ وفاته. من شعره يذكر يعقوب الهرغي المتقدم الذكر مع عصابته

وعصابة قطفت رؤسهم الضبا ... قطف البنان ازاهر البستان
غدروا وما شعروا بان راءهم ... للحق انصار على البهتان
فانظر الى هاماتهم مسودة ... كالليل غير بوارق الاسنان
تبدو من السور المنيف بصفحة ... بيضاء كالشامات والخيلان

قاضي الجماعة بتونس ابو العباس احمد بن محمد الازدي

المعروف بابن الغمار

ولد سنة ٦٠٩ ونشا في طلب العلم فاخذ عن علماء تونس حتى علا كعبه وبعد صيته وكان له اعتناء بلقاء العلماء فاجاز له خلايق من اهل المغرب والمشرق. وكان فقيها عالما بالقضاء حسن الاخلاق معروفا بالعدالة والنزاهة انتفع به الناس وتخرج عليه

جمع من اهل العلم والادب . ولي قضاء الجماعة بالحاضرة مرات حمدت في جميعها سيرته وكان شاعرا مجيدا فمن شعره قوله في التربية والوعظ

يا منفق العمر في حرص وفي طمع ... الى متى قد تولى وانقضى العمر
الى متى ذا التمادي في الضلال اما ... تنهاك موعظة لو تنفع الذكر
بادر متابا عسى ما كان من زلل ... وما اقترفت من الاثام يغتفر
وجنب الحرص واتركه فما احد ... ينال بالحرص ما لم يعطه القدر
ولا تؤمل ما ترجو وتحذره ... من ليس في كفه نفع ولا ضرر
واحذر هجوم المنايا واستعد لها ... ما دام يمكنك الاعداد والحذر

ومن شعره في حسن الظن بالله

وقالوا اما تخشى ذنوبا اتيتها ... ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم ... تجاوزت في قول واسرفت في فعل
اما في رضى مولى الموالي وصفحه ... رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

ومنه قوله في ابن له صغير رأى هلال الشهر بصومعة جامع الزيتونة فاراه لعدول الرؤية فلما اخبروه بذلك انشد ارتجالا

توارى هلال الافق عن اعين الورى ... وارخى حجاب الغيم دون محياه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه ... تبدى له دون الانام فحياه

توفي وهو في قضاء الجماعة سنة ٦٩٣ ورثي من شعراء تونس بقصايد فرايد تولى جمعها في سفر تلميذه ابو الحسن علي التجاني التونسي

ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد التونسي

عالم اديب شاعر مجيد متبحر في المعارف له تآليف . منها كتاب كنوز المطالب في الادب ومن شعره وقد حل في بعض سفراته بطرابلس فبكر يوما الى المدرسة التي انشأها بها السلطان المنتصر الحفصي سنة ٦٥٨ على يد ابي محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا على احسن وضع واظرف صنع فدخل صاحب الترجمة اليها . وقعد مسرحا طرفه في روضة حبق فيها . حبس حاستي الشم والبصر عليها . فانشد

يا حبذا نسمة هبت لناسمها ... غب الكرى سحرا من روضة الحبق
حبستها عند ما هبت وقد نعشت ... بلة من نداها روح منتشق
قرنفل الهند قد وافى التجار به ... محافظين على نشر له عبق
فعند ما فضه الداري ذكرني ... بطيبه طيب عيش مر لي انق
بتونس انّس الرحمان ساحتها ... وسقّيت ابدا بالعارض الغدق
ولا اموت الى ان التقي قمرا ... للحسن مطلعه من ذالك الافق

ابو محمد عبد الحميد بن ابي البركات بن عمر
ابن ابي الدنيا الطرابلسي

ولد بطرابلس سنة ٦٠٦ منتصف شعبان وطلب العلم والادب فبرع في العلوم وله رحلة الى المشرق للحج لقي فيها فضلاء واستوطن تونس في مدة الامير ابي زكرياء فاقام بها زمانا وعهد اليه بناء مدرسة طرابلس المعروفة بالمنتصرية فبناها على احسن شكل واظرفه ما بين سنة خمس وخمسين وثمان وخمسين وستماية كان في اثناء اقامته لذلك بطرابلس يقري العلوم وممن قرأ عليه وانتفع به الاستاذ الكبير الامام الحافظ ابو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم الطرابلسي قرأ عليه كتاب الارشاد لابي المعالي وبعض كتاب البرهان له وجملة من المستصفى للغزالي ثم استدعي الى تونس فولي بها الخطط الرفيعة من قضاء الانكحة والجماعة والخطابة بالجامع الاعظم جامع الزيتونة وغير ذلك من الخطط وله تصانيف منها عقيدته الدينية وشرحها ومنها كتاب حلا الالتباس في الرد على نفاة القياس وكتاب مزكي الفؤاد في الحظ على الجهاد توفي بتونس يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة ٦٨٤ وكان شاعرا من شعره

طرق السلامة والفلاح قناعة ... ولزوم بيت بالتوحش مونس
يكفيه انسا ان يكون انيسه ... اي القرآن ونوره في الحندس
واذا رات عيناه انسانا اتى ... فلينفرن نفور ظبي المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول ... من زلة او عثرة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل ... حتى يراها في مقام المفلس

واظهر له الخليفة المستنصر في بعض الاوقات تغيرا فكتب اليه يستعطفه

أمولاي ما زلتم تنيلون عبدكم ... ضروبا من النعماء جلت عن المثل
ولم يبق الّا العفو وهو أجل ما ... ينال فاكمل لي به منحة الفضل
فما العيش في الدنيا بغير رضاكم ... بصاف ولا طعم الحياة بمحلول
وقد كدر الاعراض صفو معيشتي ... فانكرت احوالي فانكرني اهلي
ولي امل يقضي بغفران زلتي ... وبالعفو عن جرمي وبالصفح عن فعلي
بقيت تزيد الملك عزا ورفعة ... وتحيي رسوم الفضل والدين والعدل

ابو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي

ولد بطرابلس سنة ٦٠٩ ونشا في طلب العلم والادب فقرأ بها يسيرا ثم توجه مع اخيه ابي موسى الى المهدية للقراءة بها على ابي زكرياء البرقي فلزماه مدة ثم عاد ابو موسى الى طرابلس واقام صاحب الترجمة ملازما للبرقي وتفقه عليه واختص به اختصاصا كثيرا ثم استوطن تونس وكان فقيها مفوها خطيبا لسنا غير انه كان في لسانه فضول كثر امتحانه به وترقى في دولة الخليفة المستنصر الحفصي فولي خطة القضاء في كثير من بلاد افريقية منها بجاية وباجه وغيرهما وولي خطة العلامة الكبرى وخطة الارباع والنظر في خزانة الكتب وتغير الخليفة عليه فنفاه الى المهدية سنة ٦٦٧ ثم وقع الرضى عنه بعد عام وتوجه الامر بتسريحه سنة ٦٦٨ ولما مات الخليفة المستنصر وولي ولده الواثق استدعى صاحب الترجمة سنة ٦٧٥ وامره بالنظر في خزانة الكتب وسئل عنها حين كانت لنظره اولا فذكر انها كانت ثلاثين الف سفر وانه أخذ عنها ثم اعيد لها فوجدها عشرين الف سفر وانه الان اختبرها فوجدها تقصر عن ستة آلاف سفر فسئل عن موجبه فقال المطر وايدي البشر واستمر على النظر فيها الى ان تغير عليه رئيس الدولة ابو الحسن ابن ابي مروان في بعض القضايا فامر بتثقيفه بدار الاشراف مدة ثم اخرج وتوفي بتونس في جمادى الثانية سنة ٦٨٢ وله شعر كثير . من شعره مجيبا لابي عبد الله محمد الفصيلي لما هنأه بسراحه من ثقافه بدار الاشراف وكان قد ثقف معه وانشده مرتجلا

لئن سرني فك الاسار من الحبس لقد ساءني فقدي لما فيه من انس
ولو انني خيرت فيما اريده لآثرت تقديمي سراحك عن نفسي

وانشد بعض الناس في مجلسه قول ابي الوليد الباجي

مضى زمن المكارم والكرام سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول فصار البر نطقا بالكلام

فانشد صاحب الترجمة متمما عليهما

وزال النطق حتى لست تلقى فتى يسخو بمرجوع السلام
وزاد الامر حتى ليس الا سخي بالاذى او بالملام

ومن شعره قوله

لولا احورار جفون اودعت سقما ما امطرت سحب اجفاني الدموع دما
ولا ثمرت عقيق الدمع في طلل منه اذاع الذي قد كان مكتتما
شمل السلو شتيت بعد بعدكم وطالما كان قبل اليوم ملتئما
البين يقطع منه كل متصل والشوق ينشر منه كل ما انتظما
والوجد شاد بجسمي ما يهدمه اه على ما بني فيه وما هدما
يا من يلوم على ما حل من اسفي هذا اليسير من الامر الذي كتما
ما خطط النوم في جفني رسم كرا الا محى السهد ما قد خط او رسما
انبيكم انني من يوم بينكم ما زلت للسهد والتذكار ملتزما
ارتاح ان هب ريح من جنابكم او لاح برق بذاك الافق وابتسما
اما ومن قدر الاشياء مقتدرا وحبكم وكفى بالحب لي قسما
ما رام قلبي اصطبارا بعد بعدكم ولا تاخر بي عن وجده قدما

ومن شعره وقد ابل الخليفة من مرض

الله انعم بعد اليأس بالفرج يا ازمة الدهر عند الشدة انفرجي
شكر الخلايق لا يكفي لا يسرها كفى وسكن من هرج ومن مرج

بقا الانام ببقاء الامام فكم بصونه صين من مال ومن مهج
اذا رعى الله للاسلام راعيه لم نأس من فقد ذي قدر ولا همج

ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البرا التنوخي المهدوي

ولد بالمهدية سنة ٥٨٠ ونشا في طلب العلم والادب فنال الحظ الاوفر فكان احد العلماء الاعلام الحفاظ المشاركين في انواع العلوم وكان في اول امره زاهدا في الدنيا وابنائها معرضا عن ملوكها ثم جرت له محن آلت به الى مراجعة ما كان معرضا عنه من الدنيا فحين اقبل عليها اقبلت عليه. فانتهت اليه بالحضرة التونسية رئاسة العلم ورئاسة القرب من السلطان. وله رحلة للمشرق للحج سنة ٦٢٢ سمع فيها من جماعة من افاضل العلماء بالمشرق في الحرمين والقاهرة والاسكندرية. توفي بتونس سنة ٦٧٧ ومن شعره وقد ضربت الدنانير العشارية والخماسية سنة ٦٧٣ يمدح المستنصر الحفصي

بدا الذهب الابريز من كف ماجد سمى بالمعالي والكبير كبير
اما قد ترى الاملاك يقصر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحتيه والحقير حقير

ولده القاسم بن محمد بن علي التنوخي

قال ابو محمد عبد الله التجاني في التنويه به ما نصه : سري النفس علي الهمة حسن الاخلاق وهو الآن يعني سنة ٧٠٨ مخطط بخطة العلامة الصغرى بالحضرة التونسية من اهل المائة الثامنة. وله شعر منه قوله متغزلا وهو شعر ضعيف

تبدت فقال القوم قد طلع البدر فتاة بقتل العاشقين لها خبر
سرت فاسرت في فؤاد محبها سرائر وجد يستبين بها السر
واحيته اذ حيت ومنت بامنها لنفس كئيب كاد يتلفه الهجر
لها الله من فتانة الحسن طرفها يقصر عنه النبل والبيض والسمر

اذا ما بدت طاشت عقول ذوي النهى فتقتحم البلوى وسيتعذب المر
فكم سلبت لبا وكم اولهت ضنى وكم فعلت بالعقل ما تفعل الخمر
وكم نقضت عهدا وكم عقدت جفا وكم وعدت لكن شيمتها الغدر
ومهما شكوت الحب قالت هو الهوى فاوله قرب وآخره قبر

الكاتب ابو العباس احمد بن ابراهيم القيسي اللّلياني(١)

نشا في طلب العلم والادب وكان ابوه مشتغلا باعمال المهدية السلطانية فسمت همة ابنه ابي العباس لطلب العلم فلازم الامام ابا زكرياء البرقي حتى برع في العلوم فكان فقيها عالما اديبا شاعرا ثم نهض للحاضرة التونسية فولي بها الاعمال الجليلة وساعده القدر فبلغ من الرئاسة في الدنيا الغاية القصوى غير انه كان يحدث نفسه بامور كثيرة واعمال كبيرة دل عليها قوله

في ام رأسي حديث لسامع ليس يبصر
فان تطاول عمري وساعد الجد يظهر
ارى جموعا صحاحا ومذهبي ان تكسر

فنمي عنه للخليفة المستنصر وصادف ان شاع في العامة ويل للامة من سبع جمة (٢) فلما كان شهر المحرم سنة ٦٥٩ دخل ابو العباس احمد بن ابراهيم الغساني على الخليفة المستنصر الحفصي وكان ذلك اليوم يوم مطر فقال الخليفة مستدعيا للاجازة : (اليوم يوم المطر) اجزنا احمد فقال (واليوم رفع الضرر) فتنبه الخليفة لما سمع وقال ايه فما بعد هذا فقال (والعام عام تسعة . كمثل عام الجوهري) وكان القبض على الجوهري وقتله سنة ٦٣٩ فكانت هذه الاجازة سببا في القبض على اللّلياني فطولب بدفع الاموال فصار يدفعها شيئا فشيئا فلما استخلص ما عنده عذب الى ان مات في شهر المحرم من العام المذكور وكان استصفاء ماله للدولة احد اسباب حرب ملك فرانسا لويز للخليفة المستنصر فان صاحب الترجمة لما توفي ادعى تجار الفرنسيس انه استدان منهم نحو الثلاثماية الف دينار وطالبوا المستنصر بقضائها ورأى الخليفة انه لا مستند لهم في دعواهم فاشتكوا لملكهم ورغبوه في حرب تونس فكان

(١) منسوب الى للّيانة قرية من قرى المهدية — (٢) اسم موضع المهدية

ذلك احد اسباب الحرب التي قصها علينا التاريخ فكان سفك دمه سبب في اراقة دماء غزار ورضي الله عن الخليفة الاول سيدنا ابي بكر الصديق فقد كان يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد ونعوذ بالله من بطانة السوء وعسف الامراء ومن شعر الليالي

هذا العذيب وهذه نجد ... اين الذي يقضي به الوجد
ما هكذا حال المحب اذا ... اعلام ربع حبيبه تبدو
سرح دموع العين مبتدرا ... وبذكر ماضي عهدهم فاشد
والثم على شغف مواطئهم ... ان عاق عن مقصودك البعد
لم انس يوم وداعهم سحرا ... والدمع ينثر درة العقد
هز الصبا اغصان بانهم ... فتعانقت وتواجد الرند
هذا العذيب بدت لنا عذب ... في ظلها قد خيم المجد
لا يخفق المسعى اذا خفقت ... اعلامها بل ينجح القصد
فعسى اللقاء يكون مقترنا ... ان انجدت كلفا بها نجد
ولعل ما نرجو يجود به ... كف الزمان ويسعد الجد

ومنه قوله

شادن في القلب مرتعه ... خصه في الحسن ابدعه
لا مني فيه اخو سفه ... بملام لست اسمعه
رُد لي قلبي لتعذ له ... فهو في كفيه اجمعه
هل يرى دهر يجود به ... بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يتحفني ... بحديث جل موقعه
لفظه در يساقطه ... وبناني السمع يجمعه

ابو عمر وعثمان بن عتيق بن عثمان القيسي

المعروف بابن عربية المهدوي

من اعلام العلماء كان حافظا للحديث مقدما في علوم الادب فحلا من فحول

الشعراء اشتهر صيته وانتشر علمه له التقدم في الفضائل ولد بالمهدية سنة ٦٠٠ ونشأ في طلب العلم وله التصانيف المفيدة منها كتاب جوامع الكلم النبوية على طريقة بديعة وكتاب الزهرة في مسند العشرة وكتاب آثار السحابة في اشعار الصحابة وكتاب سنن القوم في ادب الليلة واليوم والمستوفى في رفع احاديث المستصفى وديوان نظمه المسمى بقصائد المدح وقصائد المنح وغير ذلك من التآليف . خمس القصيدة الشقراطسية وهو سبب وصوله الى الامير ابي زكرياء الحفصي فاستدعاه واكرمه واجازه بجائزة سنية ثم استدعاه مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة في رياضه المسمى بابي فهر فنظموا في وصفه قصائد ورفعوها الى حضرته فاجابهم عنها بابياته المتقدم ذكرها في ترجمته التي مطلعها

الا ان مضمار القريض لممتد ... به شعراء السبق اربعة لد

واراد بشاعر جمة الذي حكم له بالسبق هو صاحب الترجمة واراد بحبر قضاعة ابا عبد الله محمد بن الابار واراد بالمعاوي الخطيب ابا القاسم بن محمد بن معاوية اليحصبي كنيته اسمه واراد بالكومي ابا زكرياء يحي بن محمد بن الغليظ . ولي صاحب الترجمة قضاء تبرسق وتوفي وهو قاض بها ثامن عشر المحرم سنة ٦٥٩ ودفن بجبل الرحمة هناك وشعره مدون ومن شعره يذكر المهدية ويتشوق اليها والى من خلفه بها من اهله وذلك بعد انتقاله منها الى حضرة تونس

اقول لركب قافل عن معرس(١) ... بجمة تردي بالحمول(٢) مساحجه(٣)

لك الله امتعنا عن البلد الذي ... اكابره اسلافنا وابالجه

وعن وطن لولا العلى وطلابها ... لعز على مثواه اني خارجه

وعن رسم إيوان تداعت عراصه ... ودكت حناياه وخرت معارجه

وما صنع القصر العبيدي والحمى ... وسور المصلي والكثيب وعالجه

وشاطئه انى تنوع حسنه ... وخضرمه انى تدفق مائجه

سلام على المهديتين ففيهما ... اب بنت عنه قاصر الخطو هاجزه(٤)

---

(١) موضع النزول ءاخر الليل — (٢) الهوادج — (٣) دوابه المسرعة — (٤) متقاربه — مصححه

وله في ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب منه ولاية قضاء بلده

ذكرت جمة والذكرى تهيجني ... واين جمة مني والمنستير
وما مناءي لياليها التي سلفت ... ولا مناي مجانيها المعاطير
لكن بها رحم محفوفة يئست ... من ان تقربني منها المقادير
فان رأى من ادام الله نعمته ... عليه لي خطة فيها فمأجور

وله

نسيم الصبا حدث عن البان والحمى ... وعن ساكني حزوى من الخرد الدمى
وعن معهد اقوى من العفر والمها ... وعن ركب جيران الغضا اين يمما
ايمم ذات البان ام بطن رامة ... ام الجزع ام بالاجرع الفرد خيما
الا فرعى الله الحمى ونسيمه ... وان حل ما القاه من جانب الحمى

منها

هو الظبي لكن لا اسميه باغما ... اذا رشأ ناغاه بل متكلما
تبدى لنا والبدر ليلة تمه ... فلم ادر من بدر الدجنة منهما
هل النهج الاضوى الذي استكمل السنا ... ام الغنج الاحوى الذي راق مبسما
ولما استطار البرق قلت لصاحبي ... اقلبي هفا ام ثغره قد تبسما
اعار وميض البرق حسن ابتسامه ... وما ذا عليه لو اعار له اللما
تعلم منه خلب البرق خلبه ... فمن ايما برق تراه تعلما
تجنى فجئنا خضعا لجماله ... عسى عطفة نحظى بها ولعلما
تهز الصبا والدل معطفه كما ... تهز الصبا الغصن الرطيب المنعما
فابنا وخلفنا طيور قلوبنا ... على ثغره العذب المقبل حوما

عتيق بن ابي عمرو عثمان بن عتيق القيسي ابن المتقدم

قال التجاني في الرحلة في تحليته ما نصه رغب في الطلب وتقدم في حفظ المسائل الفقهية وتوجه الى المشرق فتخطط هناك من رجال الثامنة وله شعر حسن منه قوله

ياواحدا الحسن انت السمع والبصر عطفاك ان فتكت عيناك لي وزر
ابعد ما كان ليلي كله سحرا صيرته بالتجني ماله سحر
قدرق لي في الهوى كل الانام سوى من حاز رقي وما لي عنه مصطبر
فان شكوت له يفتر مبتسما عن عشرة قدحوا هاثغره العطر
طلع اقاح صباح جوهر برد در حباب لجين بارق زهر

ولما قضى فريضة الحج واقام مجاورا بمكة كتب الى اهله بتونس

حججت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجود والفضل
ومرغت خدي في مواطىء نعله وقابلت ذاك العز مني بالذل
ومتعت الحاظي برؤية سيد سري كريم طاهر الذات والاصل
وبوأت نفسي من معادن مكة مكانا عن الدنيا باجمعها يسلي
اقام بها قوم يناجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بالف كما قد جاء عن سيد الرسل
وما زلت فيها داعيا متضرعا لنفسي والاخوان والصحب والاهل

ابو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك
ابن السماط البكري المهدوي

ولد بالمهدية سنة ٦١٣ فطلب العلم والادب وبرع في المعارف وتفوق في الادب وكان عالي الطبقة في الشعر قال التجاني قصر شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يوجد له في غير ذلك شعر الا التافه النزر مما قاله في صباه وشعره مدون مشهور توفي بالمهدية سنة ٦٩٠ في شعبان . من شعره في ذلك الغرض الرفيع

سريتم وطرفي من كرى العزم ماهبا وطرف انتهاضي في مدى الحزم ماخبا
وثرتم طلاب العزم من دون قاصد قصاراه ذيل الذل يسحبه سحبا
واخليتم هالاتكم من بدورها فما عوضت الا الغياهب والسحبا
وعاني هواكم لا معين له سوى صدى صوته في الربع ما ردد الندبا
ولي مهجة تفنى لتذكاركم اسى وجفن يراعي في مراكبها الشهبا
رحلتم وغادرتم غريبا غروبه تصب مصون الدمع مذ غبتم صبا

وخلفتم داء التواني محالفي ... وانى لبادي السقم ان يدرك الركبا
وهيجتم هيج الغرام فانتجت ... لكم من فحول الصدق في قصدكم نجبا
فسارت وحاديها احتدام زفيرها ... فما ميزت وعرا ولا فدفدا رحبا
وسيقت وما قاست كلالا ولا وجا(١) ... وقد سقتم مع كل راحلة قلبا
وما ادلجت تثني الى العشب ليتها ... ولكن في وادي العقيق لها شعبا

منها

فحسبي رجاءي ان يمنوا بعطفهم ... وان يعقبوا للبعد من وصلهم قربا
ولم لا ونيران القرى في ذراهم ... تنادي الى ناديهم العجم والعربا
ولا غرو ان يلقى الطفيلي ماجد ... بوجه به يلقى المعارف والصحبا
وان هم جفوني سوف اهدي اليهم ... سلامي لعلي بالرضى منهم احبى
ومن صد عنه الحب فليفش مدحه ... فان امتداح الحب يستنزل الحبا
وما القصد والمعني بالرمز والكنى ... سوى من على كل النيين قد اربى
ومن شاهدت عيناه من ملك ربه ... وآياته ما يعجز الكتب والكتبا

منها

احاشيك يا كل المنى ان تذودني ... عن الحوض يوم العرض او امنع الشربا
ورب كريم غض عن ود واغل ... حياء اذا وافاه اذ يبتغي الشربا (٢)
لئن قصرت خطوي اليك خطيئتي ... وذبتني الاوزار عن بابكم ذبا
فمن شيمة العبد الفرار لربه ... ومن شيم السادات ان يغفروا الذنبا

ومنه قوله

رعي الحقوق كما علمت حقيق ... والصبر عن واد العقيق عقوق
ولاهل ذياك الحمى بقلوبنا ... شغف يفوق نفوسنا ويشوق
ولذكركم برد على طي الحشا ... تشفى به مرضاهم وتفيق
قوم بهم طاب النسيم بطيبة ... حتى انثنى كالمسك وهو فتيق

---

(١) الحفا - (٢) بالكسر الماء - مصححه

وغدا ثراها للشفاه مراشفا وبقاعها كل البقاع تفوق
وقرارها اشهى الى عشاقها من شاطىء يأوي اليه غريق
وسمى باشرف مرسل واعز من شرفت به فئة وعز فريق
هو صفوة الله الشفيع ومن له خلق بكل المكرمات خليق
سند العصاة اذ الصحائف افصحت ونبا اب واخ وفر رفيق
هو احمد ومحمد والمصطفى والمجتبى والصادق المصدوق

ثم نبغ في المائة الثامنة اعلام انبتتهم رياض تونس الادبية، كانوا غرة، وفي اعين مجدها قرة . نسرد جملة منهم ونجلب شيئا من اشعارهم فمنهم التجانيون وكان بيتهم بحاضرة تونس مطلعا لبدور العلماء والكتاب الشعراء تناوبوا خطط الدولة الحفصية وتقدموا في كتابتها ودسوت رئاستها باستحقاق واضطلاع بالعلم والادب وكان الادب والشعر مستفيضا في كبيرهم وصغيرهم وذكورهم واناثهم فلقد نقل التاريخ ان صبيين من بيتهم خرجا يتفسحان فجلسا يستريحان عند حنايا ماء زغوان فقال احدهما وقد راى انهدام بعض الحنايا لكرور الايام وتعاقب الاعوام وقيام بعضها على اصوله :

تمتع من بقايا للحنايا . فقال الآخر : بابدع منظر تصبو اليه
فقال الاول : تامل صنع ارسمها البواقي . فقال الآخر : وقد مد الفناء لها يديه
فقال الاول : كسطر بعض احرفه تمحى . فقال الآخر : وبعض لاح مضروبا عليه

فمنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم التجاني

ولد بتونس وبها نشأ في عز بيته ومجادة سلفه في طلب العلم والادب فاخذه عن علماء بلده وفضلاء قطره فبرع في المعارف . واضاف ما اكتسب من المجد الى تليد فخره السالف . وشعره فائق الطبقة منه قوله مخاطبا بها السلطان الحفصي وهو ابو يحيى زكرياء ابن اللحياني ولم يكن اذ ذاك سلطانا انما كان رئيس الدولة الحفصية والسلطان حينئذ ابو عبد الله محمد المنتصر ثم صار اليه الملك بعد ذلك وهو بجزيرة

جربة سنة ٧٠٧ لغرض فتحها وكان مع السلطان ابن صاحب الترجمة عبد الله التجاني صاحب الرحلة المشهورة

على ذلك المجد الصميم سلام ... كما فض عن اذكى المسوك ختام
ومازجه نشر من الروض قد جرى ... عليه نسيم واستهل غمام
والا كما قص الرواة حديثهم ... وردد منه في الندي كلام
فكل يوافي عنكم بمحاسن ... اذا كل عنها النثر ناب نظام
فكم قائل قد شك اذ شم ريحه ... اداريز ام دار اكم ومقام
فليت الصبا تهديه عني اليكم ... وتشدو به فوق الغصون حمام
ولما توجهتم وجدت ركابكم ... وسرج للجرد العتاق لجام
اقمنا وللسلوان عنا ترحل ... وللشوق ما بين الضلوع مقام
فلو كانت الامال اجنحة لنا ... لطرنا ولكن لا جناح يرام
امولاي كل الناس يشكو بشوقكم ... ولكنني للمشتكين امام
يذكرينكم كل شيء رايته ... جميل به يعنى وفيه يهام
ولكنني القاه في الناس ناقصا ... وفيكم زيادات له وتمام
وبي للتلاقي شوق سرب ضوامىء ... واين قراح الماء وهو جمام (١)
وقد صدها عن ورده خوف صائد ... فهن حيام حوله وهيام
فيا ليتني ادري متى الدهر مسعفي ... بذاك فتشفى لوعة وغرام
اجاهد اشواقي جهادك للعدى ... فكل يلاقي الجيش وهو عرام
ولكن لك السيف المصمم في الوغى ... وسيفي في تلك الحروب كهام (٢)

وكان السلطان وجه اليه مكتوبا بخطه الشريف يعرفه فيه بحالة ابنه عبد الله معه ويصفه بما يليق بذاته الشريفة ومرتبته المنيفة من المجاملة والاغضاء فاجابه عن ذلك بمكتوب نصه

يا نسمة الفجر والازهار قد رويت ... مما ادار عليها الوابل الساقي
والروض قد امسك الامساك منه ندى ... نمت عليه به انفاس احباق

---

(١) بالكسر جمع جمة معظم الماء — (٢) كليل — مصححه

ولا قرارة الا قررت خبرا ... بان دارين منا رأي احداق
لو انه نشر طيب للتجارة قد ... سيقت لطائمه (١) منه باوساق
والنور تسري الينا من مجامره ... انفاس ند ولكن دون احراق
بالله هبي على ناد تبوأه ... من الندى في يديه سحب ارزاق
فان ظفرت بقرب منهم فصفي ... بألسن الورق في الاوراق اشواقي
ولتسألي لي وعدا باللقاء عسى ... وعد التلاقي يجلي ما انا لاقي
وقبلي يا نجوم الافق راحته ... عني فبين الدراري قدرها الراقي
يا راحلين وقلبي راحل معهم ... عني وان كان لي جسم هنا باقي
لولا رجاء التداني لم اعش زمنا ... فردا ولا وصفت بالصبر اخلاقي
عسى الليالي التي بالبعد قد حكمت ... يجلى دجاها من اللقيا باشراق
لله رقعة مولى قد علقت بما ... اولت من النعمة العظمى باعلاق
تضمنت ذكر مولود ووالده ... من مالك لهما بالفضل سباق
بالامن واليمن والاقبال ما بقيت ... دنياهما لهما من اجلها باق

يايها الملا اني القي الي كتاب كريم . ويا شكر الايادي اني لا ابرح عن شكر هذه اليد ولا اريم . ومن لي بان اقوم بواجب حقها . او استطيع السلوك في لاحب طرقها . وهي خطتها يد اعلى الله قدرها . فما يقدر احد ان يقدرها قدرها . تصول بالقلم والحسام . وتصوب على الانام كصوب الغمام بالنعم الجسام . ولما وصلت العبد احرف مولاه . واولاه واولى ولده من لا والد ولا ولد له من التشريف بذكرهما فيها ما اولاه لم يجد لها كفيا . ولا عملا مرضيا . الا تضرعا الى من تمد اليه ايدي الرغبات . وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات . فقلت يا ارحم الراحمين . اجعل السلام على تلك الغرة . واستلام تلك اليمين الكرة بعد الكرة . من المتزاحمين . ثم رفعت البراءة المباركة على راسي اكليلا . واوسعتها شوقا لليد التي خطتها لثما وتقبيلا . ولم ازل اتنعم بمطالعتها بكرة واصيلا . ثم وصلت الدعاء بان قلت اللهم ان يكن في علمك الخير التام له في بلوغ ما ام له واماله . فهون عليه فيه كل صعب . وروه من نمير لطفك بكل عذب . واسعد

(١) جمع لطيمة وعاء المسك

غيبته وسيره على اتم وجوه السلامة . واعم الكرامة . وانله خيرا وافرا جزيلا . والّا فائن عزمه عما امه ورده الى وطنه ردا جميلا . وانسأ له اجله . حتى تسني ذلك له . في الوقت الذي تؤمن فيه الغوائل . وتتساوى في تهوين صعوبته وتسهيل حزونته الاواخر والاوائل . والبكر والاصائل . فانت يا ربنا تعلم ما للاسلام ولامة سيدنا محمد نبيك عليه افضل الصلاة والسلام في نظره السديد المبارك السعيد من الخير التام والصلاح العام . وناهيك به من دعاء تنزه عن السمعة والرياء . ورفعت به الايدي الى رافع السماء

ابنه ابو محمد عبد الله بن محمد التجاني التونسي

ولد بتونس وبها نشأ وطلب العلم والادب فبرع في العلوم وبذ الاقران فكان فارس المعارف وبليغ زمانه ازدان به سلك كتاب الدولة الحفصية واختاره السلطان ابو يحيى زكرياء الحفصي لصحبته وكتابة سره في سفرته سنة ٧٠٦ لفتح جزيرة جربة وانقاذها من يد العدو ثم الحج بعد ذلك فقام باعباء ما انيط به فحمد سيرته وشكر اضطلاعه حتى كاتب والده يقرض اعماله ويحمد خصاله وبقي في هذه السفرة مدة عامين وثمانية اشهر وله تآليف في الادب والتاريخ وغير ذلك منها كتاب الدر النظيم ورحلته المشهورة وكان شاعرا بليغا اعترف له الاقران برياسة الشعر والنثر من شعره في شيخه ابي فارس عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي الامام الاوحد مودعا

سقى ربوعك يا مغنى طرابلس ... حيا يحييك منه كل منبجس
فكم يدلك في تانيس مغترب ... شطت به الدار عن انس وعن انس
اقمت فيك على حكم النوى زمنا ... كانني فيه للسلوان في عرس
لولم يكن لك عندي في الزمان يد ... اثني عليك بها ما امتد في نفسي
إلا ملاقاة من حزت الفخار به ... عبد العزيز الامام العالم الندس
محيي العلوم ومحصيها ومبرزها ... من حلي الفاظه في احسن اللبس
ومحرز الشيم الغر التي كرمت ... ففاه بالمدح فيها كل ذي خرس
يجلو اذا اشكلت في العلم مسالة ... ذهنا يجلي سناه كل ملتبس

نعمت من قربه لما اتصلت به ... بوقت انس من الايام مختلس
والله يحفظه غوثا لمستبق ... لكشف نازلة نورا لمقتبس

ومنه يمدح الجانب الرفيع النبوي عليه السلام

كم انت في الملقاة ذا استغراق ... ونذير شيبك مؤذن بفراق
ولقلما يجدي المتاب اذا اتى ... داعي الحمام وقيل هل من راق
يا صاح دعوة ناصح لك مشفق ... والنصح يقبل من ذوي الاشفاق
بادر الى التقوى بدار مسارع ... وانهض الى الطاعات نهض سباق
واغنم من الايام مهلة ساعة ... قبل التفاف الساق منك بساق
حدثت نفسك بالبقاء ولم يكن ... في هذه الدنيا ليبقى باق
كل بها فان ومنقرض ولا ... بقيا لغير الواحد الخلاق
واترك اناسا آثروا لذاتهم ... واستمتعوا من دهرهم بخلاق
علقت نفوسهم بنزر عاجل ... فاستبدلوه بانفس الاعلاق
عوض كلا عوض وبيع كله ... غبن وسعي ظاهر الاخفاق
يأيها الانسان انك كادح ... كدحا وانت لما كدحت ملاق
والمرء مجزي بما هو فاعل ... وجزاؤه جار على استحقاق
فنعيم ذي الطاعات غير مكيف ... وعذاب ذي العصيان غير مطاق
لله اقوام اطاعوا ربهم ... ووفوا بما اعطوه من ميثاق
عظمت لهم همم وعزت انفس ... فسمت بهم نحو المحل الواقي
قوم لو اطاع الملوك عليهم ... لسعوا لخدمتهم على الاحداق
من كل بدر افقه محرابه ... لا يختشي ابدا لحقاق محاق
يسمو اذا نام الانام لورده ... فيبوء منه الليل ذو اشراق
خطبوا النعيم ببذلهم لنفوسهم ... والخلد لا تعطى بغير صداق
لم تحصل الاخرى لهم الا وقد ... خرجوا عن الدنيا خروج طلاق
ان لم اكن بالفعل ملتحقا بهم ... فالحب فيهم مقتض للحاق
يا رب بالهادي الذي ارسلته ... نورا افضت سناه في الافاق

هاد اتى والجهل قد عم الورى ... والكفر قد غطاهم برواق
فجلالهم سبل الهدى واناالهم ... من عزة كانت بهم وشقاق
ولقد حباه الله كل فضيلة ... واناله العليا على الاطلاق
بنزول طست فيه طهر فؤاده ... وعروج جسم وامتطاء براق
وكفى له شرفا بان الله قد ... اثنى على ما حاز من اخلاق
يسر لنا فيما به كلفتنا ... عونا لنمتثل امتثال وفاق
وامنن علينا بالوصول لقبره ... فهو الشفاء لقلبي المشتاق
يا ليت شعري هل اراني ساعيا ... في شد اكوار وحدو نياق
فلكم تؤخر عزمي الاقدار من ... فرق تسير لقبره ورفاق
قسما بعزته ورفعة قدره ... اني لزورته لبالاشواق
لاهم انا لائذون بجاهه ... فهو الشفيع لنا وانت الواقي
صلى عليه الله ما هبت صبا ... وترنمت ورق على اوراق

شقيقه ابو العباس احمد بن محمد النجاني التونسي

ولد بتونس وبها ابدر هلاله، وظهر فضله وكماله، طلب العلم والادب فبرع، وملك ابكار المعاني وفرع، فكان نسيج وحده في الادب شعرا ونثرا فمن شعره وكتب بها الى اخيه عبد الله وهو في سفرته مع السلطان

لاهل الحمى اصبو وان جد لائم ... واني على ورد به الدهر حائم
وما القلب خال من هوى ساكن اللوى ... وان اقفرت منهم واقوت معالم
عليّ بهم جفن من الدمع مترع ... وقلبي على حكم الصبابة هائم
حمى الله قلبي كم يحن الى الحمى ... ويطربه عهد اللوى المتقادم
يحن اشتياقا او يجن صبابة ... اذا لاح ضحاك من البرق باسم
وان غردت ورقاء في غسق الدجى ... يميل بها غصن من الايك ناعم
يذكر عهدا قد تقضى نعيمه ... كأن ليالية المواضي مواسم
الا في ضمان الله قلبي فقد غدا ... يشب عليه من لظى الشوق جاحم

وبالنفس افدي جيرة قد تحملوا فلا القلب مرتاح ولا الجفن نائم
سروا يقطعون البيد والليل عاكف كانهم فيه نجوم عوائم
على كل متلاء(١) الذارعين جسوة(٢) سواء لديها سهلها والمخارم (٣)
جديلية(٤) الاباء موثوقة العرى سليمة ما نيطت اليه القوادم
ويا قاتل الله المطي فانما نأت باحباءي المطي الرواسم
لقد خلفوا من بعدهم ذا صبابة يروح ويغدو وهو بان وهادم
اذا ما جرى ذكر العقيق جرت له دموع حكت لون العقيق سواجم
فيا جيرة الوادي نداء متيم تعدى عليه الدهر والدهر حاكم
اعندكم اني على العهد ثابت اذا ضيع العهد القديم مصارم
واني على رعي الذمام محافظ واني على حفظ الوداد مداوم
ويا مزمع الترحال يحمل كوره(٥) على بعد ما ينوي قلاص سواهم
لك الله عون والنجاح موافق وبلغت في دنياك ما انت رائم
تحمل رعاك الله عني تحية كما انشق عن زهر الرياض كمائم
تضوع في وسط الندي كانما تنشق مسكا من شذاها العرائم
وان سرت مجتازا باربع دمر ولاحت به للعين منك المعالم
فخصص بها الاسمى شقيقي وانني بحكم النوى والبعد فيه لراغم
وصف ما الاقي بعده من تشوق ووجد غدت تنقد منه الحيازم
تمثله الاشواق لي فكأنه وان كان ناء بين عيني قائم
وما ظبيات ضرم القيظ لوحها فهن على ورد السراب حوائم
اذا لاح برق في عنان سحابة فهن لما يلتاح منه شوائم
رات نطفة زرقاء في قلب صخرة ممنعة قد غادرتها الحمائم
يفيء عليها الظل كل عشية وتسترها اغصان دوح نواعم
باعظم من شوقي لرؤيته التي بها املي يدنو وسعدي يلائم
أأحبابنا بالسخط مني لا الرضى عدتني نجود عنكم وتهائم

(١) متحركه (٢) شديدة (٣) الطرق الصعبة (٤) اي من خيار الابل (٥) الرحل ـ مصححه

لقد طال هذا البعد واشتطت النوى ... وجار علينا الدهر والدهر ظالم
اذا ما تذكرت الليالي التي مضت ... تخيلت اني في ادكاري حالم
احن لمسرى البرق من نحو ارضكم ... اذا ما سرى والليل اسود ساحم
وكم هيجت شوقي سواجع ايكة ... يجاوبها الف لها ويناغم
اطارحها رجع الحنين صبابة ... واعرب عن وجدي وهن اعاجم
فيا ليت شعري هل يعود بقربكم ... زمان نعمنا فيه والشمل ناظم
ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا ... كريم وايام تولت كرائم
بحيث قطعنا العيش وهو مهنأ ... ونلنا الاماني والزمان مسالم

منها

سقى الله صوب المزن اعلام دمر ... وروى رباها العارض المتراكم
ولازال ممطور الثرى مخصب الذرى ... تردد فيه اللحن ورق حمائم
اذا السحب اذرى فوقه الدمع اصبحت ... تضاحك للازهار فيه مباسم
وما طلبي سقياه الا رعاية ... لمن حله والدهر معط وحارم
ومن اجل من حل الحمى يذكر الحمى ... والا فما تجدي الربوع الطواسم
فيا نائيا عني ومثواه في الحشا ... ومن اعجب الاشياء ناء ملازم
الى م نوى لا يستطاع احتمالها ... وحتى م بُعد هوله متفاقم
الازورة تهدي الشفاء على النوى ... ويهدي لنا منها المسرة قادم
ومن لي باللقيا ودون منالها ... فيافي تحامى جوبهن المناسم

منها في مدح السلطان

يذكر يوم الجود والروع حاتما ... وعمرا ومن عمرو لديه وحاتم
حوى قصب العلياء والغاية التي ... يرى كل خلق دونها وهو فاحم
فمن كابي يحي ندى وشجاعة ... اذا امه عاف ودارت ملاحم

منها فيه

حياة ابي يحيى حياة بني الدنى ... وآراؤه في كل خطب عواصم
فلا زال في عز وسعد مجدد ... تقابله الايام وهي خوادم

ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني

ولد بتونس وبها نشأ رفيع البيت سامي المجد فطلب العلم والادب عن علمائها فظهرت براعته . واتسعت في العلم والادب بضاعته. فافاد وكرع في معين علومه طلاب العلم الصواد . وله رحلة الى المشرق للحج لفي فيها الاعلام وكان مع ذلك شاعرا مجيدا . من شعره وقد اقام بطرابلس على غير اختياره مدة ثم توجه الى الحج وذلك سنة ٦٨٤ يمدح اهل طرابلس بحسن المجاملة . ولقاء النزيل بالبر وخير معاملة

لاهل طرابلس عادة ... من البر تنسي الغريب الحميما
حللت بها مكرها ثم اذ ... اقمت بها ابدلوا الهاء ميما

ابنه ابو الفضل محمد بن ابي الحسن علي التجاني

ولد بتونس وربي في مهد العز وفرش المجادة وطلب العلم والادب فحصل على الحظ الاوفر واشتهر فضلا وبراعة وكان كاتبا شاعرا بليغا فقيها اقتعد دست الكتابة في الدولة فبان فضله فيها واتضح تفوقه على المتأدبين بالحضرة فعلت منزلته في الدولة وعرفت مرتبته العليا ومن شعره قوله يخاطب ابن عمه عبد الله وهو في صحبة السلطان ابي يحيى بطرابلس جوابا عن مكتوبه

اهدي سلام الود خير رفيق ... من هو اوحد اسرتي وفريقي
ومقام عبد الله نجل محمد ... في قومه سام على العيوق(١)
ندب تجلى من جلالة سندس ... واقام للعلياء انفق سوق
وازدان بالفضل الذي هو مرضع ... لبني الافاضل ليس بالمذوق
زانت فتاة السن منه فتوة ... قد ضمخت اخلاقه بخلوق
ومعارف تدرى لهن عوارف ... فيها حقيق مجده بحقوق
اما مواثيق العهود فانها ... ابدا لديه مميزة بوثوق
ومشارع الود التي اروى بها ... ما امطرتها خلبات بروق

---

(١) نجم — مصححه

هي ما علمت موالد ومراضع ... وزكاء فرع من زكاء عروق
ودليل تاكيد الوداد رسائل ... تقضي بعهد في الوداد وثيق
تدنو على شحط الربوع كانها ... شمس تعم ببهجة وشروق
او كالحيا الهتان تروي ممحلا ... فيعود بعد المحل خد انيق
ولرب قافية اتت قاقية(٢) ... تقفو لها الشعراء نهج طريق
فلئن تمكن من طريقته امرؤ ... فلها مكان ليس بالمطروق
انت الذي تجلو المعاني جلوة ... يصبو الحجا لجمالها المرموق
ولعل معنى زانه اللفظ الذي ... تكسو كغصن في الرياض وريق
وافت تهني لي باسعد رتبة ... رفعت بجر سوابغ التوفيق
ومقدم بالله شرط قضية ... قرنت بها الآمال بالتصديق
واجل ما آثرته حظ اتى ... عفوا بدون الظن والتعليق
هي نظرة من نحو خير خليفة ... غاضت ابا زيد بخير عتيق
ما كنت لولا ان عين رضاهم ... نظرت بايسر ما جرى بحقيق
فسررت اذ طوقت نعماه التي ... قد قام فيها شاهدا تصديق
وكفاية الآثار قد قابلتها ... بفصيح قول في الثناء طليق
هو نشوة انا منه صاحب نشوة ... ومواصل لصبوحه بغبوق
لا اشتكي الّا نواك فانني ... من اجل حادثها اغص بريقي
سحقا لدهر لو قضى بتآلف ... لغدا مكان الالف غير سحيق
اقصى ولولا ما دعوه ابا الورى ... لعققته ويقل فيه عقوقي
أعليه نذر لا يزال يفي به ... ان يعقب التجميع بالتفريق
لم انس سيل الدمع يوم فراقنا ... وغريقنا متمسك بغريق
ما ان ذكرت البين الّا بان من ... نفسي ومن نفسي دخان حريق
فالله اسال ان ينظم شملنا ... عقدا ويجمع نازحا بمشوق

وما ذاك على الله بعزيز . وقرب الامكان متعلق بخير مجيب ومجيز . فعما قريب

---

(١) طويلة ـ مصححه

نتلقى هذا الامكان . ويعود الشمل منتظما كما كان . بفضل الله تعلى وهذا الزمن الذي اوقع ريبا . واشتعل الراس به شيبا . سرعان ما تقهقر القواطع منه مقصره . وتمحو ليله آية النهار مبصره . وتلقي حبلاه من سقط الفرقة مضغه . ويرجع راجع الشباب صبغة الله ومن احسن من الله صبغة . واذ كان يعيده حامل كلام . ويرده واصل سلام . فما ظنك به حين تقبل الركائب . ويلتقي المقيم والائب . وترى القافل الذي شد ما اثقل رحله . يلقي الزاد فما زاد حتى نعله . فتراح الركائب من جذب البرى . ويراح الى جنة القرب ونار القرى . وحينئذ تتصل الافراح . وانشد من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح . والله المرجو ان يعود ذلك الزمان . وعليه سبحانه في تحقيق الرجاء التكلان . ثم نئوب الى واجب الشكر . وشكر الواجب الذكر . وغرس ثمرة الاحسان . اذا تعهد بعهد الانسان . كانت ثمرتها وهي الثناء ذائعة . ولم تكن ثمرة تلك الغروس ضائعة وكلما يلحق الغرس من نضرة ونعمة . تلبسها ملابس نعمة . فلغارسه ينسب . ومن جملة مكارمه يحسب . وذلك الجلال للمولى امن الله مهجته . ويمن الله وجهته . لا يشك اني غرس نعمته . واحد المعتزين بخدمته . وعنايته قديما هي التي اصارتني الى خدمة هذا المقام الكريم الذي طوقت نعمه فمدحت . وسقت ديمه فشكرت ومرحت . بآية منه سقت دوحي غمامها فبشكره اعزه الله يغرد على لساني حمامها . وعن ثغور منحه تفتر مباسمها . كما انه عن منثور مدحه لا تفتر نواسمها . فمادح ثناءي لا ينثني عن تغريد وتلحين . وثمر برطيبات ممادحه لا تزال تؤتي اكلها كل حين . فقرروا عند سيادته حفظها الله ما يجب تقريره . وكرروا من معاد ذلك ما تحسن اعادته وتكريره . والله سبحانه يبلغكم املكم . ويختم بالصالحات عملكم . ويسهل سبيلكم . ويجعل اليمن المصاحب دليلكم .

وكتب اليه ايضا وهو بزنزور في هذه السفرة جوابا عن كتاب ايضا

لمع البرق فشمته ... وبدا سر كتمته
وسرى نحوي سر ... وبعجب ما فهمته

منها

همل الدمع لبرق ... بلظى نار وسمته
واطار القلب مني ... وبودي لو زممته
فهو للوجد مضيف ... وعلى الشوق ضممته

افرد التركيب بالتحليـــــل لما ان قسمته
فلدي الجسم والقلب لدى خل عدمته
سار شرقا فمدحت الشر ق من عـدم دهمته
ثم حياني بروح وبريحان شممته
بكتاب صح في الود دليلا قد اقمتـه
كم اسمت الطرف مر تاحا اليه ولثمته

وهل اعزكم الله للقلب ارتياح . الّا اذا كان لشمس القرب التياح . فحينئذ تتجلى ظلمه . ويشهر بناره علمه . فنور القلب لا يبقي ظلاما . وينادي نور القرب يا نار كوني بردا وسلاما . والاسباب التي تدني السامع وتنفي القاطع شوق من خافق الجناح او كتب تتصل به اشعة شمسه . او سر لا ينسى دفينه من رمسه . واقواها سببا واقربها نسبا تعارف الروحين في مبدا اول وتوحد الاثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول وهذا هو النسب . الذي تحمد فيه النسب . ولكل حال مودتنا بحسب هذا الاتصـال نتصل . فهذا هو الفصل المميز الذي يمتاز عن جنسه ولا ينفصل . والمـرجو منكم ان تبلغوا نمولى المعظم سلمه الله سلامي . وتؤدوا له ما يجب من توقيري واعظامي . ولو كنت عنده اعزه الله سليم العقد . سالما من النقد . لاقدمت على مخاطبة جلاله . وجريت عادتي في ترسيل الكلام وارساله . وفي التاليف الذي رفعت الى مجده المرتفع محفوظه ومخفوضه . واديت الى مقامه المحمود معروضه ومرفوضه . وهو المصنف الذي خصصته بسيادة العلماء . وسميته الناسخ واستحيي ان اذكر الاحياء . دليل على العادة في تلك العبادة . زمان اسعاد السعـادة . ولا جرم ان الجرم للحظ التعس . وان الفراسة لا ترد بطش الـدهر المفترس . والامر لله وحـده وحتى الان ليس لي عيش الا في بركته . ولا دعاء الا في كلاءة الله له في سكونه وحركته . فهو مبدأ الحياة لي وتمامها . وكفه لي بوكفها طالما رواني غمامهـا . وقـد اتصلت من نحو برقه بروق . لا تنبض معها عروق . غير انكم وان اجريتم في مرعى خصيب . ومسعى للخير مصيب . قد احضركم السفر في مكان مكين . واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين . فمن اليقين انك لا تظمأ فيها ولا تضحى . وانك تقطع كل يوم بسيمـا فطر واضحى . كل ذلك

بمقاربة ذلك الجناب . واعمال السير والسرى في مصاحبة ذلك الركاب . والله تعلى يصحبكم الخير والخيرة . ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذخيرة . ويديم اليمن المصاحب لامركم مدبرا ومديرا . ويقيم لكم في ارض تحلونها روضة وغديرا .

ومن شعره يصف احدى عشياته بموضع بقابس يعرف بساحة عنبر

اذكر عشيتنا بساحة عنبر ... والجو يتحفنا بنكهة عنبر
حيث النخيل عرائس بسط الحيا ... بسطا لها من اخضر ومن اصفر
والشمس تستحيي فتستر وجهها ... عنا بستر للعروس محبر
والنَّور بين مفضض ومذهب ... والنُّور بين مدرهم ومدنر
والنهر والعذراء(١) رحن سوابغا ... اذ صفت الغابات صف معسكر
والبحر يرمقنا بمقلة ازرق ... والبر يرمقنا بمقلة اعفر
في جنة لو نلت من خلد بها ... قصدي بلغت الى النعيم الاكبر
ومحل انس نلت بين رياضه ... في روضة عادت كابهى منظر
ملنا بمنعرج المصلى نحوه ... حذر الرقيب وليته لم يحضر
تجري احاديث الصبابة والصّبا ... بارق من مسرى الصَّبا المتعطر
ويدير كاسات المحبة بيننا ... فنمل بها لجلالها لا المسكر
حتى اذا ولى العشاء وعان ان ... نمتار من نظر المراد الانظر
قمنا نجر من العفاف سوابغا ... لما نغيرها بصبغة منكر
يوم بقابس جنة الدنيا وفي ... قلبي لشوق البين حرقة معصر

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الهواري التونسي

نشأ بتونس وطلب العلم والادب فبرع فكان عالما اديبا فقيها صوفيا خيرا نزيها شاعرا وله شعر رائق منه مخاطبا ابا محمد عبد الله التجاني وهو بطرابلس بقصيدة منها

من لي بخل كان يؤنس وحشتي ... ويؤمني بالبشر اذ يلقاني
صاحبته في الله احسن صحبة ... فشكرت منه كل ما ولاني

(١) اسم موضع بها

ورايت منه تودداً ومحبة ... وفضائلا زادت على الحسبان
لا غرو ان حاز الكمال فانما ... وقف الكمال على بني التجاني

ومنه يجيبه عن كتاب وشعر

كتابكم اهدى من الجود ما اهدى ... فلا تحسبوا اني نقضتكم عهدا
سرى لي بسر منه عرف معرف ... افاد لمسراه الصبابة والوجدا
حباني بحب سيد فيه ماجد ... به شرف الله السيادة والمجدا
نسيم الصبا بالله سر بتحية ... فضضت بها من شكره المسك والندا
احيي بها عبد الاله على النوى ... وادرج اثناها له الشكر والحمدا
كاني به لما جرى البين بيننا ... ومد حجاب البعد ما بيننا مدا
يقول جفا او مل او مال او سلا ... وحال عن الاخلاص او نسي الودا
غرامي غرامي بالحبيب وان نأى ... وحبي له حبي دنى لي او صدا
واني لمشتاق اليك وصابر ... اذا لم اجد مما اكابده بدا
اذا خطرت ذكراك يوما بخاطري ... وجدت لحر الشوق في اثرها بردا
الا نفحة منكم تبرد باطني ... فان بقلبي من اليم النوى وقدا
الا موعد منكم يعلل مهجتي ... فارتاح للقيا واستنجز الوعدا
لئن جاءني يوما بشير بقربكم ... وهبت له نفسي واهون بها نقدا
واني لاستجدي ودادك انه ... اجل نفيس والافاضل تستجدى
واني لاستجدي سلامك جالبا ... لما جر انسي والاكارم تستهدى
واني لاستدعي جوابك راغبا ... ليفتح باب القرب من بعد ماسدا
لقد ضيع الاصحاب عهدي ولا نوى ... وانت بظهر الغيب تحفظ لي الودا
ساشكركم شكر الرياض لسحبها ... وانظم فيكم من حلى مجدكم عقدا
واجهد في شكري لمجدكم عسى ... بفضلكم ان تقبلوا مني الجهدا

ابو ابراهيم اسحاق بن حسينة التونسي

نشأ بتونس واخذ العلوم والادب عن علمائها حتى ظهر فضله وكان محصلا على الحظ الاوفر من العلوم اديبا بارعا في الكتابة والشعر انخرط في سلك كتاب الدولة

الحفصية وصاحب السلطان ابا يحيى زكرياء الحفصي في سفرته سنة ٧٠٦ لفتح جزيرة جربة ثم اذن له في الرجوع الى تونس سنة ٧٠٧ ومن شعره يودع السلطان ويعتذر عن فراقه :

سخا بنفسي عن ايثار صحبتكم ... يوم الوداع وما لي منكم خلف
الّا فريدا كطير حل في قفص ... ودمعه مثل منهل الحيا يكف
اكفها عن مجاريها فيبعثها ... حادمن الوجديحدوها فلاتقف
خلالها زفرة تشتد طالعة ... تكادمن حرها الاضلاع تنقصف
علم اليقين باني ان صحبتكم ... اردى وشيكا(١) ولم يمهلني التلف

ومنه يصف سبخة توزر السواخة المعروفة بتاكمرت وما لقيه مع السلطان في قطعها

قطعنا التاكمرت سرى وسرنا ... صبيحة يومنا حتى الزوال
فلا تسال لما قاسيت فيها ... من الاهوال والركب الثقال
عناء ليس يشبهه عناء ... يضيق لديه متسع المقال
وليل لا تسير به نجوم ... كأن نيطت الى بعض الجبال
وارياح تصم الاذن منها ... تهب عن اليمين او الشمال
تصدعن طريق القصد(٢) قصدي ... وتضرب حُر وجهي بالرمال
ولا اسطيع فتح العين فيها ... لبعض الامر الّا باحتيال
واجهد في دفاع النوم عني ... لخوفي من سقوط او ضلال
وما زلنا نكابد في سرانا ... مهالك لا تقابل بالخيال
الى ان لاحت الغابات ظهرا ... بظاهر توزر مثل الخيال
فهنأ بعضنا بعضا سرورا ... ونلنا راحة بعد الكلال

ومنه جوابا لابي محمد عبد الله التجاني عن ابيات غير قوافيها وصرفها الى مدحه

يا نسمة الروض الذي نظمت له ... زهرا تحلاه يد الامواه
سيري مبلغة على شحط النوى ... طيب السلام لمجد عبد الله
الفاضل الاسمى الرضى الاسنى الذي ... حاز العلى والفضل دون مضاهي

---

(١) قريبا — (٢) الاستقامة — مصححة

وتحملي مني اليه تحية كالمسك او ذكراه في الافواه
وصفي الذي قاسيت بعد فراقه فلقد دهتني من نواه دواه
الله عبد الله يعلم انني بوداد مثلك في الزمان اباهي
وبعثت هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود فيك ليس بواه
لا زلت في نعم تجل وعزة وعلو مقدار ورفعة جاه

الكاتب ابو عبد الله محمد بن يعيش التونسي

انبتته رياض الحاضرة التونسية وكان عالما بالعلوم العربية فقيها اديبا شاعرا ناثرا من شعره وكاتب به ابا محمد عبد الله التجاني في سفرته مع السلطان ابي زكرياء سنة ٧٠٧

شجاك الربع اذ ظعن الحبيب فانت وان نشأت به غريب
اذا بعد الاحبة عن محل فما عيش بساحته يطيب
وكيف يطيب عيش بعد خل نأى فجميعنا صب كئيب
بقرب ابي محمد المفدى واوبته السرور لنا يئوب
عليه تحية ما انهل غيث على روض فمال به قضيب

ومنه وكاتبه به ايضا في شعبان سنة ٧٠٧

بالقلب من الم الفراق كلوم فعذابه من اجل ذاك اليم
وللوعة الاشواق بين جوانحي نار لها بمدامعي تضريم
جربت كل عظيمة حكمت بها ايامنا ولصرفها تحكيم
فوجدته دون الذي حكمت به في المعلوات وفي المكارم خيم(١)

منها

وافى جوابك لي فقمت مبادرا للقائه ولمثل ذاك اقوم
حاز الفضائل والمكارم طرسه فعليه من حلل البهاء رسوم

---

(١) سجية — مصححه

اهدى لقلبي كلما احببته فكانما هو بالضمير عليم
بيني وبين اكابر لك ذمة رعيي ورعيهم لها معلوم
ومودة الابـاء يحفظ عهدها من كان ذا كرم وانت كريم
فالله يجمع شملنا بكم على خير ويحفظ عزكم ويديم
ومن اليعيشي السلام عليكم ما مال غصن حين هب نسيم

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر البلوي

المعروف بابن ابي سلام التونسي

نشأ بتونس فطلب العلم والادب ولازم علماءها فبرع وبان كماله وكان عالما فاضلا اديبا شاعرا من شعره وقد كاتب به ابا محمد عبد الله التجاني وهو في صحبة السلطان ابي زكرياء مجددا لعهد الوداد

سلام محب قد اتى طي طرسه وزارك عبد الله في ثوب نفسه
فخذه عن الزاكي المحب لكم فقد عدته العوادي عن اداه بنفسه
وبلغ الى المولى العماد تحية معطرة تحكي طهارة قدسه

ابو العباس احمد بن عبد الله الرصافي التونسي

من ابنائها الذين شادوا مجدها الاسمى . واشتهروا ادبا وعلما . بذ الاقران . وازدان به الزمان . اخذ عن اساتيذها العظام . فكان فارس الشعر والنظام فقيها اديبا بليغا مجيدا بذلك ترجمه التجاني في الرحلة من شعره مخاطبا له

سلام زكي يحسد المسك عرفه ودارين تهوى ان تمر بداره
يسير ويسري كي يوافي رضى ابي محمد الاسنى بحسن بداره

ابو القاسم بن محمد بن المجلوم التونسي

ترجمة التجاني بالفقيه الاديب ومن شعره مخاطبا له بهذه الابيات

اذكى السلام وازكاه واشذاه يعطر العنبر الشحري مسراه
يمر مر نسيمات الصباح على ذاك المحيا اعز الله محياه

من ذي ودادوذي شوق وذي كلف ... بحبك الدهر يا من لست انساه
بيني وبينك ود لم اخنه ابا ... محمد فارعه اني لارعاه
نفسي فداك لئن شط المزار لقد ... ادنتك من كبد المشتاق ذكراه
لئن اعلل آمالي فانشدها ... كم من امور صعاب فرج الله
فلا تزال تحياتي مرددة ... عليك ما رددت ذكراك افواه

ابو عبد الله محمد بن عمر بن رامس الحجلة التونسي

ترجمه التجاني في رحلته بقوله الفقيه المتصوف الاديب الفاضل ومن شعره يخاطبه

احبة قلبي ذبت في حبكم وجدا ... ولم استطع للدمع صرفا ولا ردا
وبين مكانينا من الرمل والربى ... متالف تنضي ما يقاد وما يحدى
فهل تاتينّا من جنابكم الصبا ... فانشق من ارواحها المسك والندا
فعهدي بريّاكم وطيب نسيمها ... يعيش بها في الترب من سكن اللحدا
سلام على ذاك الجلال فانني ... رايت سلام الله افضل ما يهدى

ابو عبد الله محمد الحزري التونسي

ترجمه التجاني بقوله صاحبنا الفقيه الافضل ومن شعره ما كتبه اليه من قوله

ايها الماجد الرضى ان نظمي ... لست ارضى بان يحل لديك
فعسى الفضل في القبول وفي الصفـ ... ـح اذ الصفح صار منك اليك

ابو زيد عبد الرحمان بن ابي القاسم بن نزار السهمي التونسي

ترجمه التجاني بقوله الشيخ الاديب الفاضل ومن شعره يخاطبه

وصلت تحية نازح بوساطة ... فكأنها نشر الرياض مع الصبا
وكأن ما يهدي النسيم من الشذى ... منها لناشقه ثناك الطيبا
وكأن عبد الله اذ حيى بها ... عيسى بغير نبوة لكن نبا
فعليه مني ردها لو انني ... جبت القفار بها لكان الاوجبا

ابو بكر بن فتح الغماري النفزاوي شاعر نفزاوة

نشأ ببلده وطلب العلوم والادب فبرع وكان فقيها عالما بالعربية اديبا شاعرا وكان له تقدم في حسن الخط انفرد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في انواع الخط المعدودة. وبرع فيها في وقته جماعة من اهل الجريد اخذوها عنه وكان ظريف المنزع حلو المحاورة لطيف الاشارة وكان مقيما بطرة من نفزاوة ومن شعره هذه الارجوزة خاطب بها ابا عبد الله محمد التجاني لما حل بنفزاوة مع مخدومه السلطان ابي زكرياء الحفصي يسليه عن غربته منها

اربا بنفس حرة عن ذكر ما ... يبلبل البال لسكان الحمى
وعد عن رقة طبع عذري ... فما لذي عقل به من عذر
وانما الانسان بالشهامة ... فدم بها حفت بك الكرامة
واحتمل القسوة والبداوة ... واهلها ما دمت في نفزاوة
طبع المياه والهواء والباد ... قل عائذا بقل هو الله احد
ان هي الّا سفرة ستسفر ... عن حسن عقبى مع وفر يفر
لو بعت في اثنائها دنياكا ... وانت ذو ملك وما ادراكا
بجلسة بين يدي عماد ... وقيت فيها اعين الحساد
ونظرة لوجهه مشتقه ... من نضرة النعيم فاعلم وافقه
كنت على ما بعت منه رابحا ... فاضمم على يقينك الجوانحا
زهر النجوم حاسدات موضعك ... إي والذي بفضله قد رفعك

ابو القاسم الرحوي التونسي

ولد بتونس وبها نشأ فطلب العلم عن علمائها فبرع في علوم العربية وغلب عليه الادب فكان شاعرا مفلقا سابق حلبة شعراء عصره انتشر صيته واعترف الادباء بفضله معدودا في فحول شعراء تونس مدح الملوك واخذ جوائزهم ولما استولى السلطان ابو الحسن علي المريني على تونس وافريقية واحتل القصبة

بتونس فسكن بالقصر واندفع شعراء الحضرة يهنئونه بالفتح كان صاحب الترجمة سابقهم في تلك النوبة ثم لما قصد القيروان بعساكره العظيمة وقاتلته الاعراب فتمت عليه الهزيمة الشنعاء على مدينة القيروان فالتجأ السلطان ابو الحسن للقيروان فحاصروه بها وكثر ارجاف الناس بتونس وكانوا فريقين مواليا له يشيع ما يؤذن برجوعه بالكرة ومعاديا يشيع خلاف ذلك ويتخرص الفريقان بنصوص الاجفار واحكام النجوم ونحو ذلك من التسور على ما عمي عنهم من الغيوب فانشد في ذلك صاحب الترجمة قصيدة همزية يتبرا من دعاوي الفريقين ويندد بمذهبهم السقيم ويذكر ما صار اليه الحال بتونس وكان حيا سنة ٧٧٩ ومن شعره يهني السلطان ابا الحسن المريني باستيلائه على افريقية. ولما كان الاسلام جنسية جميع المسلمين لا يهمهم تبدل الدول ما كانت اسلامية فلا عجب من مدح شعراء تونس لابي الحسن وقد استولى على بلدهم خصوصا وهو من هو علما وسياسة وقوة لم شعث الاسلام وضم جامعتهم بالمغرب

اجابك شرق اذ دعوت ومغرب	فمكة هشت للقاء ويثرب
وناداك مصر والعراق وشامه	بدارا فصدع الدين عندك يشعب
وحيتك اوكادت تحيي منابر	عليها دعاة الحق باسمك تخطب
فسارع منا كل دان وشاسع	الى طاعة من طاعة الله تحسب
وتاقت لك الارواح حبا ورغبة	وانت على الآمال تنأى وتقرب
ففي البلدة البيضاء لباك معشر	وانت بافق الناصرية ترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها	فلقاهم اهل لديك ومرحب
ولم تتلكّأ (١) عن اباء بجاية	ولكن يراض الصعب ثمّت يركب
تأبت فلما ان اطلت عساكر	ترى الشهب منها تستباح وتنهب
فبادر منهم مذعن مسلم	واذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس الا كمصر مروع	وفي حرم امست لديك تسرب
وما اهلها الا بغاث (٢) لصائد	وبالعز منها استنسروا وتعقّبوا

(١) تبطىء (٢) ضعاف الطيور – مصححه

وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم ... فها انت كهف للجميع ومهرب
فكان يرى ان الزمان اداله ... بكم فاجاب العيش والعيش مخصب
كذلك إبن طائع وان اعتلت ... به السنّ احوالا وانت له اب
وما ذاك الا ان عدلك ينتمي ... الى الخلفاء الراشدين وينسب
تساميت في ملك ونسك بخطة ... حذاءك محراب لديها ومركب
اذا لذ للاملاك خمر مدامة ... فلذّ لك القرآن يتلى ويكتب
وان ادأب القوم الصبوح فانما ... على ركعات بالضحى انت تداب
وان حمدوا الشرب الغبوق فانما ... شرابك بالامساء ذكر مرتب
وان خشنت اخلاقهم وتحجبوا ... فما انت فظ بل ولا متحجب
لقد كرمت منك السجايا فاصبحت ... اذا ما امر الدهر تحلو وتعذب
كما شيدت بيتا ذوابة(١) معشر ... يزيدهم قحطان فخرا ويعرب
هم التاركو غلب القساور خضعا ... وعن شاوهم كفت عبيد واغلب
هم الناس والاملاك تحت جوارهم ... هم العظم والارض العظيمة مغرب
هم المالكو الملك العظيم فبيتهم ... على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد اصبحت بغداد تحسد باسهم ... ودجلة ودت ان تكون مناسب
تجلت ببيت المجد منهم كواكب ... لقد جل منها شارق ومغرب
فلله منهم ثلة مغربية ... يروم بناها الاعجمي فيعرب
لقد قام عبد الحق للحق طالبا ... فما فاته منه الذي قام يطلب
واعقب يعقوبا يؤم سبيله ... فلم يخطه وهو السبيل المنجب(٢)
وخلف عثمانا فلله صارم ... به بان للاسلام شرع ومذهب
فكم في سبيل الله شن اغارة ... لما شاد اهل الكفر امست تخرب
ولما اراد الله اتمام منه ... تقلدها منا مطيع ومذنب
ابى لك(٣) للدين الحنيفة آية ... تعرى بها عن لامع الحق غيهب

---

(١) اعلا عزهم وشرفهم — (٢) الواضح — (٣) كذا بالاصل ولعله ابانك مصححة

فجئت بما يرضى به الله سالكا ... سبيلا الى رضوانه بك يذهب
وقمت بامر الله حق قيامه ... يناضل عنه منك نصل مدرب
واصبح اهل الله اهلا وشيعة ... لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل باهل الفتك ما حل عزمهم ... وقام لديهم واعظ متـرقب
وجاهدت في الرحمان حق جهاده ... فراهب اهل الكفر باسك يرهب
وانقذت من ايد الاغارة امة ... واولى جهاد كان بل هو اوجب
فاصبحت الدنيا عروسا يزفها ... لامرك من جاري المقادير مغرب
فلا مصر الَّا قد تمناك اهله ... ولا ارض الَّا بادكارك تخصب
وما الارض الَّا منزل انت ربه ... وما حلها الَّا الودود المرحب
تملكت شطر الارض كسباوشطرها ... وراثا فطاب الكل ارث ومكسب
بجيش على الالواح والماء يمتطي ... وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى ... وذاك لعمر الله اغلى واغلب
فلا مركب الَّا يزين راكبا ... ولا راكب الَّا به ازدان مركب
ولا رمح الَّا وهو اهيف خاطر ... ولا سيف الَّا وهو ابيض قاضب
فكم كاتب خطيه (١) ودواته ... ولم يقر خطا يغتدي وهو يكتب
يمر على الابطال وهو كانه ... هزبروابطال الفوارس ربرب (٢)
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه ... خبير بايام الاعارب معرب
له من عجيب السحر بالقول اضرب ... وفي هامة القوم المضارب مضرب
فها هو في الاقوال واش محبر ... وها هو في الامثال ثاو مجرب
ومن ساحب بردا من العلم والتقى ... عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة في العلم جاءت باصبغ ... وشهبان فهم لم يشمهن اشهب
فيا عسكرا قد ضم اعلام عالم ... به طاب في الدنيا لنا متقلب
هم الفيئة العلياء والمعشر الذي ... اذا حل شعب فهو للحق مشعب (٣)
لك الفضل في الدنيا على كل قاطن ... ومرتحل انّى يجيء ويذهب

---

(١) رمحه — (٢) قطيع من الظبا — (٣) جامع — مصححه

ويا مالكا عدلا رضى متورعا مناقبه العلياء تتلى وتكتب
شرعت من الاحسان فينا شريعة تساوى بها ناء ومن يتقرب
واسميت اهل النسك اذ كنت منهم فمنك اخو التقوى قريب مقرب
واعليت قدر العلم اذ كنت عالما ففيه وفي طلابه لك مأرب
فمدحك محتوم على كل قائل ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب
فلله كم تعطي وتمطي وتجتبي فللبحر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك في الارض مزنة يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولا زلت في علياء مجدك راقيا وشانئك المدحوض ينكى وينكب
توافي على اقصى امانيك آمنا فلا بر يستعصى ولا يتعصب

وقصيدته الهمزية هي قوله

استغفر الله كل حين قد ذهب العيش والهناء
اصبح في تونس وامسى والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا يحدثها الهرج والوباء
والناس في مريبة وحرب وما عسى ينفع المراء
فبعضهم قد راى عليا حل به الهلك والتواء
وآخر قال سوف ياتي به اليكم صبا رخاء
والله من بعد ذا وهذا يقضي لعبديه ما يشاء
يا راصد الخنس الجواري ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم انكم اليوم امليناء
مر خميس على خميس وجاء سبت واربعاء
ونصف شهر وعُشر ثان وثالث ضمه القضاء
ولا نرى غير زور قول اذاك جهل ام ازداراء
انا الى الله قد علمنا ان ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي إلاها حسبكم البدر او ذُكاء
ما هذه الانجم السواري الا عباديد او اماء

يقضى عليها وليس تقضي وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما ما شانه الجرم والفناء
وحكمت في الوجود طبعا يحدثه الماء والهواء
الله ربي ولست ادري ما الجوهر الفرد والخلاء
ولا الهيولى التي تنادي ما لي عن صورة عراء
ولا وجود ولا انعدام ولا ثبوت ولا انتفاء
وليس ادري ما الكسب الا ما جلب البيع والشراء
وانما مذهبي وديني ما كان والناس اولياء
اذ لا فصول ولا اصول ولا جدال ولا ارتياء
ما تبع الصدر واقتفينا يا حبذا كان الاقتفاء
كانوا كما يعلمون منهم ولم يكن ذلك الهذاء
يا اشعري الزمان اني اشعرني الصيف والشتاء
انا ساجزى بالشر شرا والخير عن مثله جزاء
وانني ان اكن مطيعا فربّ اعصي ولي رجاء
وانني تحت حكم بار اطاعه العرش والثراء
لو حدث الاشعري عمن له الى رأيه انتماء
لقال اخبرهم باني مما يقولونه براء

محمد بن محمد البدوي الاندلسي الاصل

قال في الاحاطة كان ذا قدم في الفقه عارفا بالاصلين شاعرا مجيدا فصيحا بليغا في الخطبة حسن الوعظ سريع الدمعة لقي جلة وقرا بتونس حتى برع ولازم القاضي ابن عبد السلام بها في الفقه ثم رجع الى الاندلس فتولى خطابة جامع بلش واقرأ به فانتفع الناس به توفي بها سنة ٧٥٠ ومن شعره في النسيب قوله

خال على خدك ام عنبر ولؤلؤ ثغرك ام جوهر

لو جدت لي منك برشف اللمى لقلت خمر عسل سكر
دعني في الحب اذب حسرة سفك دم العاشق لا ينكر

ابو عبد الله محمد الظريف التونسي

نشأ بتونس فطلب العلم والادب فبرع وكان وحيد عصره اشتهر بالفضل وظهرت على يده كرامات فكان معتقدا في عصره معروفا باستجابة الدعاء صوفيا متبعا للسنة ومع ذلك كان شاعرا مفلقا توفي يوم الخميس في ١١ جمادى الاخيرة سنة ٧٨٧ ودفن بالجبل المبارك جبل المنار من مرسى قرطاجنة ولا زال ضريحه مزارا ومن شعره قصيدته في مدح الجناب النبوي الرفيع ضمنها القاب الطبوع الموسيقية ويسميها بعض الادباء بناعورة الطبوع وهي تدل على شيوع علم الموسيقى بتونس قديما حتى كان لفضلاء ذلك العصر المام به والقصيدة نصها

من سفك دمعي ومن تحبير اجفاني صغت الهوى حلية من حر نيران
ومن نحولي ومن سقمي وشدة ما القاه من فرط اشواقي واشجاني
رثى العذول لحالي حين ابصرني من بعد ما كان بالتعنيف ينهاني
وصل الحبيب فلا ابغي به بدلا ليس التبدل والسلوان من شاني
من لامني في الهوى والحب قلت له اليك عني فان الحسن ادماني
فرب روضة انس قد مررت بها مخضرة ذات افنان واغصان
قطوفها تنعش الارواح دانية كجنة ذات روح ذات ريحان
تخلل الماء في انهارها فغدت تزهو بورد ونسرين ونعمان
في روضة قد شدت من كل ناحية بلابل لم تدع صبرا لانسان
فقام فيها خطيب فوق منبره يشكو الغرام بتغريد والحان
مزوق الصدر مخضوب البنان له من الزبرجد والياقوت لونان
سود مناكبه بيض جوانحه له من المسك والكافور ثوبان
مطوق الجيد في اطراف مقلته اشعة من بهاء خده القاني
فاطرب الطير في اوكارها فغدت شوقا تجاوبه من كل بستان

جس (الرهاوي) وجر (الذيل) من طرب ... وتاه في (الرمل) احيانا فاحياني
(واصبهان) غدا يحكي (بصيكته) ... (محير) الحال (مزموما) بهجران
فهاجني ما بكى اهل (العراق) على ... فقد (الحسين) ففاضت منه اجفاني
يشكو (النوى) ودموع العين تسبقه ... حتى رثيت له شوقا فابكاني
(والرصد) شعل في قلب العليل جوى ... (ومايه) احرقت قلبي واكناني
(والاصبعين) غدا يحكي بصولته ... حتى اذاب فؤاد المدنف العاني
فقلت ما بك صف لي ما ابتليت به ... ما بال جسمك مكلوم الحشى فان
هيجت لي لوعة في القلب ساكنة ... خفض قليلا فقد هيجت احزاني
فقال ابكي لالف كان يالفني ... وكنت اهواه في الدنيا ويهواني
قضى الزمان بضعفى حين فارقني ... كما تراني فريدا فوق اغصان
فلا تلمني على طول البكاء فقد ... يحق لي النوح في سري واعلاني
وهكذا لم ازل ابكي الدموع دما ... حتى الاقي الثرى في طي اكفاني
فقلت احسنت لا خانتك اجنحة ... ولا مررت ببازي وعقبان
ولا نعاك غراب يا حمام ولا ... حملت في فخ صياد وسجان
كن واثقا بجميل الصبر وارض بما ... يقضي الاله فحال الدهر ضدان
لا الحزن يبقى ولا الافراح دائمة ... فمشرب الدهر لا يصفو لانسان
ناشدتك الله يا طير الاراك اذا ... جاد الزمان بوصل بعد هجران
ونا-متك نسيمات الرياض ضحى ... ورنحتك غصون الاثل والبان
ورش ريشك ماء الورد وانبعث ... روائح الند من نجد لنعمان
وساعدتك الليالي في تصرفها ... وبات شملك مجموعا بخلان
وجئت طيبة والوادي وجزت على ... وادي العقيق فبلغ حاجة العاني
سلم على المصطفى المختار من مضر ... خير النبيين من سادات عدنان
الهاشمي الذي فاضت فضائله ... خير البرية من قاص ومن دان
وقل له يا رسول الله يا املي ... يا عمدتي يا رجائي عند ميزان
متى امرغ خدي عند تربتكم ... متى يساعدني دهري وازماني

جسمي بتونس موثوق بزلته ... والقلب في الشرق بين الرندوالبان
وكل عام ارجي ان ازوركم ... والذنب عن قرب تلك الدار اقصاني
والوقت ضاع وعمري ماشعرت به ... حتى مضى بين تفريط ونسيان
وليس لي قوة ارجو الوصال بها ... والكف صفر وحال الدهر اعياني
ولا معي عمل ارجو النجاة به ... الا غرامي واشواقي واشجاني
يا اشرف الخلق يا كهفي ومعتمدي ... يا انس قلبي ويا روحي وريحاني
مضى الزمان ولا قدمت صالحة ... وقد تماديت في غي وطغيان
ان زرت قبرك هذا العام يصلح ان ... ادعى اديبا ظريفا بين اخوان
وان طردت بذنب عن زيارتكم ... وصدني عنه اجرامي وعصياني
اموت والقلب مشتاق لزورتكم ... ما لي شفيع سوى حبي وايماني
وكن شفيعي في يوم الجزاء اذا ... عز الصديق وقلت حيلة الجاني
يا رب بالمصطفى المختار من مضر ... اقل عثاري وعاملني بغفران
واغفر لوالدتي وارحم مقام ابي ... من حيث احسن آدابي وربائي
واغفر لمشيختي ما اسلفوه كما ... بثوا علوما بتحقيق وتبيان
بجاه احمد خير الخلق كلهم ... محمد المصطفى من آل عدنان
عليه ازكى سلام الله ما طلعت ... شمس وما حن مشتاق لاوطان
كذلك الآل والاصحاب كلهم ... والتابعون لهم يوما باحسان

ومن شعره قوله

ليس الظريف بكامل في ظرفه ... حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن محارم ربه ... فهناك يدعوه الانام ظريفا

ابو عبد الله محمد بن عرفه الورغمي التونسي

ولد بتونس سابع عشر رجب ليلا سنة ٧١٦ ونشأ في طلب العلم فاخذ عن علماء تونس الاعلام وبرع في العلوم فصار اماما فيها شرعية وادبية ورياضية، فاقرأ بالجامع الاعظم وتخرج عليه العلماء حتى اصبح شيخ الشيوخ وكان العلم الفرد في

الفقه وحامل راية المذهب المالكي بالافاق فاليه الرحلة في الفتوى والاشتغال بالعلم فكانت الاسئلة ترد اليه من الاندلس والمغرب والمشرق في العلوم . والف التآليف الفائقة المفيدة انتفع بها شرقا وغربا منها المختصر الكبير في الفقه المسمى بالمبسوط في اربعة اجزاء ضخام جمع فيها المذهب بضبط وتحرير لم يسبق اليه حتى ان حدوده افردت بالشرح ولم يجسر احد من العلماء على شرحه ومنها مختصر في علم المنطق ومختصر آخر في الفرائض وآخر في اصول الدين عارض به الطوالع للقاضي البيضاوي ونظم قراءة يعقوب . جمع الناس التآليف من تقاريره في دروسه التفسير والحديث وغيرهما . لم يقبل الولاية الحكمية بل اقتصر على الامامة بجامع الزيتونة منقطعا للاشتغال بالعلم مدة حياته . اجمع الناس على محبته عامتهم وخاصتهم لا يغشى السلطان الّا اذا استدعاه في الامور . كان ملجأ للغرباء والعامة في قضاء حوائجهم عند السلطان لا يتولى احد في ولاية شرعية الا بعد اشارته واختياره مسموع الكلمة وكان ذا غنى اوقف ماله كله في وجوه البر من فكاك الاسارى وغيره . كان نظر خزانة الكتب بالجامع اليه ولما اراد السفر الى الحج حاسب عنها من استخلفه في النظر فيها فكانت ستين الف مجلد فقال انا لله تلاشت كتب الخزانة وكان سفره للحج سنة ٧٩٢ ولما وصل الى مصر تلقاه علماؤها وارباب المناصب بالاكرام واجتمع به سلطان مصر الملك الظاهر فاكرمه واوصى امير الركب بخدمته توفي بتونس يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى سنة ٨٠٣ (١) عن سبع وثمانين سنة الّا شهرين ودفن بمقبرة الجلاز وكان شاعرا ومن شعره قوله في حضور مجلس الدرس للمنتهين من التلامذة وما ينبغي لهم وللشيخ في درسه

اذا لم يكن في مجلس العلم نكتة ... وتقرير ايضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل او فتح مقفل ... او ابداء اشكال نتيجة فكرة
فدع سعيه واطلب لنفسك واجتهد ... واياك تركا فهو اقبح خلة

---

(١) اعتمدت في هذا التاريخ صاحب كفاية المحتاج وان اخبرني الثقة ان الموجود في كتابة ضريحه انه توفي عشرين جمادى الاخيرة سنة ٨٠٠ ولعله الاصح فليعتمد .

ومنه قوله قرب وفاته

بلغت الثمانين بل جزتها ... فهان على النفس صعب الحمام
وعاد احاد عصري مضوا جملة ... وعادوا خيالا كطيف المنام
وارجو به نيل صدر الحديث ... بحب اللقاء وكره المقام
وكانت حياتي بلطف جميل ... لسبق دعاء ابي في المقام

ابو زيد عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي

ولد بتونس وبها نشأ وكانت ولادته غرة رمضان سنة ٧٣٢ فطلب العلم والادب عن علمائها فبرع وفاق فكان فقيها عالما بجميع العلوم الشرعية والادبية والرياضية وكان حسن الخلق جم الفضائل رفيع القدر عالي الهمة قوي الجاش طامحا للرئاسة شاعرا مفلقا له التآليف البديعة منها تاريخه المشهور المسمى بكتاب العبر اخترع فيه اسلوبا عجيبا من التحدث عن العلوم وتنقيح الفهوم واعراض البشر دل على تبحر في العلوم. ومنها شرح البردة شرحا بديعا دل على تفننه وغزارة حفظه ولخص كثيرا من كتب (١) ابن رشد ومحصول الفخر والف في اصول الفقه والمنطق والحساب. ولي الكتابة بالدولة الحفصية ثم توجه الى فاس واصابته محنة فاعتقل بها ثم سرح وقدم الى غرناطة ثم الى بجاية وولي بها حجابة اميرها ابي عبد الله الحفصي مع خطابة جامع القصبة بها ثم رجع الى مسقط راسه تونس فاقام بها واكب على الاقراء بجامع الزيتونة ومدح سلطانها بقصائد وقدم اليه تاريخه كتاب العبر موشحه باسمه ثم رحل الى مصر فاولاه الملك الظاهر برقوق قضاء المالكية بها وتصدر بالازهر للاقراء فكان يسلك في اقرائه مسلك الاقدمين كالفخر والغزالي وينكر طريقة علماء العجم في الاختصار ويقول ان اختصار الكتب في الفنون والتعبد بالالفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتاخرين والعلم وراء ذلك وقد عرف بنفسه آخر تاريخه مات وهو قاض

(١) هذا يرد ما نقل من ان تلاخيص ابن رشد في الرياضات احرقت وانعدمت من ايدي الناس ولم يبق منها الا ما كتبه تلاميذه اليهود في اللغة العبرانية كيف وهذا صاحب الترجمة قد اختصر كثيرا منها وهو بعده بنحو المائتي سنة فاستفد ذلك

بمصر سنة ٨٠٨ لاربع بقين من رمضان عن ست وسبعين سنة الّا شهرا ودفن بمقبرة الصوفية. ومن شعره يخاطب السلطان ابا عنان وهو في اعتقاله

على اي حال لليالي اعاتب ... واي صروف للزمان اغالب
كفى حزنا اني على القرب نازح ... واني على دعوى شهودي غائب
واني على حكم الحوادث نازل ... تسالمني طورا وطورا تحارب

ومنها في التشوق

سلوتهم الا ادكار معاهد ... لها في الليالي الغابرات غرايب
وان نسيم الريح منهم يسوقني ... اليهم وتصبيني البروق الخوالب

ومنه يمدح السلطان ابا العباس احمد الحفصي يوم قدم له تاريخه

هل غير بابك للغريب مؤمل ... او عن جنابك للاماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى ... عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا ومنتجع المنى ... والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة ... تعنو لها زهر النجوم وتحفل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى ... قد فاح في ارجائهن المندل(١)
حيث الحمى للعز في ساحاته ... ظل افاءته الوشيج الذبل(٢)
حيث الرماح يكاد يورق عودها ... مما تعل من الدماء وتنهل
حيث الجياد املن شجعان الوغى ... مما اطالوا في المغار (٣) واوغلوا
حيث الوجوه الغر حجبها الحيا ... والبشر في صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الاولى ... عز الجوار لديهم والمنزل
من شيعة المهدي بل من شيعة التوحـ ... ـيد جاء به الكتاب مفصل
شادوا على التقوى مباني عزهم ... لله ما شادوا بذاك واثلوا
بل شيعة الرحمان القى حبهم ... في خلقه فسموا بذاك وفضلوا
قوم ابو حفص اب لهم وما ... ادراك والفاروق جدٌ اول
نسب كما اطردت انابيب القنا ... واتى على تقويمهن معدل

(١) نوع من الطيب - (٢) الرماح الرقيقة - (٣) موضع الاغارة - مصححه

سام على هام الزمان كانه ... للفجر تاج بالبدور مكلل
فضل الانام حديثهم وقديمهم ... ولانت ان نصبوا اعز وافضل
وبنوا على قلل النجوم ووطدوا ... وبناؤك العالي اشد واطول
ولقد اقول لخائض بحر العلى ... والليل مدثر الجوانب أليل
ماض على غول الدجى لا يتقي ... منها وذابله ذبال مشعل
متقلب فوق الرماح كانه ... طيف باطراف المهاد موكل
يبغي منال الفوز من طرق الغنى ... ويرود مخصبها الذي لا يمحل
ارح الركاب فقد ظفرت بواهب ... يعطي عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم في الندى ... كالروض حياه ندى مخضوضل
هذا امير المؤمنين امامنا ... في الدين والدنيا اليه الموئل
هذا ابو العباس خير خليفة ... شهدت له الشيم التي لا تجهل
مستنصر بالله في قهر العدى ... وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلى متمهلا ... لله منك السابق المتمهل
فلانت اعلا المالكين وان غدوا ... يتسابقون الى العلاء واكمل
قائس قديما منهم بقديمكم ... فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومكم باقوم طاعة ... هي عروة الدين التي لا تفصل
سائل تلمسانا بها وزناتة ... ومرين قبلهم كما قد ينقل
واسأل باندلس مدائن ملكها ... تخبرك حين استانسوا واستاهلوا
واسال بذا مراكشا وقصورها ... فلقد تجيب رسومها من يسال
يأيها الملك الوفي ياذا الذي ... ملأ القلوب وفوق ما يتمثل
لله منك مؤيد عزماته ... تمضي كما يمضي القضاء المرسل
حيث الزمان يحث اعظم حثه ... فافتر عنه وهو املح اعضل(١)
والشمل من ابنائه متصدع ... وعلى خلافتهم مضاع مهمل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم ... ورجوا صلاح الحال منك واملوا

---

(١) غليظ — مصححه

فعجلته لما انتدبت لامره ... بالباس والعزم الذي لا يمهل
ذللت منه جامحا لا ينثني ... سهلت وعرا كاد لا يتسهل
والنت من شوس(١) العتاة وذدتهم ... عن ذلك الحرم الذي قد حللوا
كانت لصولة صولة ولقومه ... يعدو ذويب بها ويسطو المعقل
ومهاهل تسدي وتلحم في التي ... ما احكموها فهي بعد مهلهل

والمراد بصولة هنا صولة ابن خالد بن حمزة اولاد ابي الليل وذويب هو ابن عمه احمد بن حمزة والمعقل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل بن قاسم انظارهم واقتالهم (٢) . ثم رجع الى وصف العرب

عجب الانام لشانهم بادون قد ... قذفت بحيهم المطي الذلل
رفعوا القباب على العماد وعندها ... الجرد السلاهب(٣) والرماح العسل(٤)
في كل طامي الرب(٥) منعقد الحصا ... تهدي للجته الظماء فتنهل
حي شرابهم السراب ورزقهم ... ريح يروح به الكمي ومنصل(٦)
حي حلول بالعراء ودونهم ... قذف النوى ان يضعنوا او يقبلوا
كانوا يروعون الملوك بما بدوا(٧) ... وغدت ترفه بالنعيم وتخضل
فبدوت لا تلوي على دعة ولا ... تأوي الى ظل القصور وتهزل
طورا يصافحك الهجير وتارة ... فيه بخفاق البنود تظلل
واذا تعاطى الضمر في يوم الوغى ... كاس النجيع فبالصهيل تعلل
مخشوشنا في العز معتملا له ... في مثل هذا يحسن المستعمل
تفري حشا البيداء لا يسري بها ... وكف(٨) ولا يهدى اليها جحفل
وتجر اذيال الكتائب فوقها ... تختال في السمر الطوال وترفل
ترميهم منها بكل مدجج ... شاكي السلاح اذا استعار الاعزل
وبكل اسمر غصنه متاود ... وبكل ابيض شطؤه متهدل

---

(١) متكبري — (٢) اعداءهم او مقاتلوهم — (٣) الخيل العظيمة الطويلة (٤) المهتزة — (٥) لعل اصله الربب وهو الماء الكثير — (٦) السيف — (٧) اي سكنوا البادية — (٨) سحاب — مصححه

حتى تفرق ذلك الجمع الاولى ... عصفت بهم ريح الجلاء فزلزلوا
ثم استملتهم بنعمتك التي ... خضعوا لعزك بعدها وتذللوا
ونزعت من اهل الجريد غواية ... وقطعت من اسبابها ما اوصلوا
ونظمت من امصاره وثغوره ... للملك عقدا بالفتوح يفصل
فسددت مطلع النفاق وانت لا ... تنبو ظباك ولا العزيمة تنكل
بشكيمة مرهوبة وسياسة ... تجري كما يجري فرات سلسل
عذب الزمان لها ولذ مذاقه ... من بعد ما قد مر منه الحنظل
فضوى الانام لعز اروع مالك ... سهل الخلائق ماجد متفضل
وتطابقت فيه القلوب على الرضى ... سيان منها الطفل والمتكهل
يا مالكا وسع الزمان واهله ... عدلا وامنا فوق ما قد املوا
فالارض لا يخشى بها غول ولا ... يعدو بساحتها الهزبر المشبل
والسرب يجتابون كل تنوفة(١) ... سرب القطا ما راعهن الاجدل
سبحان من بعلاك قد احيى المنى ... واعاد حلي الجيد وهو معطل
فكانما الدنيا عروس تجتلى ... فتميس في حلل الجمال وترفل
وكأن مطبقة البلاد بعدله ... عادت فسيحا ليس فيها مجهل
وكأن انوار الكواكب ضوعفت ... من نور غرته التي هي اجمل
وكانما رفع الحجاب لناظري ... فراى الحقيقة في الذي يتخيل

ومنها في العذر عن مدحه

مولاي غاضت فكرتي وتبلدت ... مني الطباع فكل شيء مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتي ... فاصد عن ادراكهن واعزل
واجد ليلي في امتراء قريحتي ... فتعود غورا بعد ما تسترسل
فابيت يختلج الكلام بخاطري ... والنظم يشرد والقوافي تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا ... عاب الجهابذ صنعه واسترذلوا

---

(١) مفازة

من بعد حول انتقيه ولم يكن ... في الشعر لي قول يعاب ويمهل
فاصونه عن اهله متواريا ... ان لا يضمهم وشعري محفل
وهي البضاعة في القبول نفاقها ... سيان فيه الفحل والمتطفل
وبنات فكري ان اتتك كليلة ... زهراء تخطر في القصور وتخطل(١)
فلها الفخار اذا منحت قبولها ... وانا على ذاك البليغ المقول

ومنها في ذكر الكتاب المؤلف لخزانته

واليك من سير الزمان واهله ... عبرا يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن احاديث الاولى ... درجوا فتجمل عنهم وتفصل
تبدي التتابع والعمالق سرها ... وثمود قبلهم وعاد الاول
والقائمون بملة الاسلام من ... مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الاولين بجمعها ... واتيت اولها بما قد اغفلوا
والنت حوشي الكلام كانما ... سرد اللغات بها لنطقي ذللوا
وجعلته لسوار ملكك مفخرا ... يبهى الندي به ويزهو المحفل
والله ما اسرفت فيما قلته ... شيئا ولا الاسراف مني يجمل
ولانت ارسخ في المعالي رتبة ... من ان يموه عنده متطفل
فملاك كل فضيلة وحقيقة ... الناس تعرف فضلها ان بدلوا
والحق عندك في الامور مقدم ... ابدا فماذا يدعيه المبطل
والله اعطاك التي لا فوقها ... فاحكم بما ترضى فانت الاعدل
ابقاك ربك للعباد تربهم ... فالله يخلقهم ورعيك يكفل

ومنه يهنيه بالبرء من انحراف الم به

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس ... وتخللتنا رحمة من بوس
وتوضحت غرر البشائر بعد ما انبهمت ... فاطلعها حداة العيس
صدعوا بها ليل الهموم كانما ... صدعوا الظلام بجذوة المقبوس
فكانهم جنات عدن في الورى ... نشرت لها الامال من مرموس

(١) تتبختر - مصححه

قرت عيون الخلق منها بالتي ... شربوا النعيم لها بغير كؤوس
يتمايلون من المسرة والرضى ... ويقابلون اهلة بشموس
من راكب وافى يحيي راكبا ... وجليس انس قاده لجليس
ومشفع لله يونس عنده ... اثر الهدى في المعهد المأنوس
يعتد منها رحمة قدسية ... فيبوء للرحمان بالتقديس
طب باخلاص الدعاء وانه ... يشفي من الداء العيا والبوس (١)
يا ابن الخلائف والذين بنورهم ... نهجت سبيل الحق بعد دروس
والناصر الدين القويم بعزمة ... طردت امامتها بغير عكوس
هجر المنى فيها ولذات المنى ... في لذة التهجير والتغليس
حاط الرياسة بالسياسة فانطوت ... منه لاكرم مالك وسيوس
اسد يحامي عن حمى اشباله ... حتى ضووا منه لامنع خيس
قسما بموشي البطاح وقد غدت ... تختال زهوا في ثياب عروس
والمائلات من الحنايا جثما ... باليد من طسم وفن جديس
وخز البلى منها الغوارب والذرى ... فلفتن خزرا بالعيون الشوس
لبقاك حرز للانام وعصمة ... وحياة ارواح لنا ونفوس
ولانت كافل ديننا بحماية ... لولاك ضيع عهدها وتنوسي
الله اعطاك التي لا فوقها ... وحباك حظا ليس بالمركوس
تعنو الوجوه اليك قبل وجوهنا ... سيان من راس ومن مرؤس (٢)
فاذا اقمت فان رعبك راحل ... يحمي على الاعداء كل وطيس
واذا رحلت فللسعادة آية ... تعتادها في موكب وخميس
واذا الادالة في الكمال تطابقت ... جاءت بمسموع لها ومقيس
فانعم بملكك دولة عادية ... تشقي الاعادي بالعذاب البيس

---

(١) والمعني به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس عمره الله

(٢) في هذه البيت من سوء الادب ما لا يخفى كيف والله تعلى يقول « وعنت الوجوه للحى القيوم » فنعوذ بالله من زلقات اللسان

واليكها مني على خجل بها ... عذراء قد حليت بكل نفيس
عذراك قد طمس الشباب ونوره ... واضاء صبح الشيب بعد طموس
لولا عنايتك التي اوليتني ... ما كنت اعنى بعدها بطروس

محمد بن خلفة بن عمر الوشتاتي التونسي عرف بالابي

نشأ في طلب العلم بتونس فاخذ عن علمائها الاعلام وكان ملازما للامام محمد ابن عرفة تلقى عنه علومه وكان ابن عرفة يحسب له حسابا في مجلس الدرس لذكائه فبرع في جميع العلوم وتصدر لبث العلوم فانتفع الناس به والف تفسير القرآن وشرح صحيح مسلم بن الحجاج جمعهما من دروس شيخه ابن عرفة فقد قال كنت اقيد زوائد القاء الامام يعني ابن عرفة وفوائده في دروس التفسير والحديث والتهذيب كل يوم نحو الورقتين مما ليس في الكتب ولذلك لما قال ابن عرفة (اذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة) ، الابيات الثلاث اجابه الابي صاحب الترجمة ارتجالا بما ياتي وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بقوله عالم المغرب بالمعقول وترجمه غيره بقوله الفقيه العالم المحقق الجامع بين المعقول والمنقول ذو التصانيف الفائقة وكان شاعرا فمن شعره يجيب شيخه ابن عرفة عن الابيات التائية الثلاث المتقدمة في ترجمته ارتجالا

يمينا بمن اولاك ارفع رتبة ... وزان بك الدنيا باكمل زينة
لمجلسك الاعلى كفيل بكلها ... على حين ما عنها المجالس ولت

ومنه قوله يقرض مختصر شيخه

ايا طالبين العلم يبغون حفظه ... تعالوا فان العلم هانت سبيله
فهذا هديتم للصواب ابن عرفة ... اتاكم بوضع لم يشاهد مثيله
فدونكم مغن عن الكتب كلها ... وان قل حجما والعيان دليله
وحل من التحقيق ارفع رتبة ... وهذب مبناه فصحت نقوله
واحكم من كل الحقائق رسمها ... فلا خلل يخشى لديه حلوله
ورد من التاريخ والنقل واهيا ... واورد تنبيها يحق قبوله

فان جاء فرضا من يريد اعتراضه فدع سعيه ان التعسف قيله

توفي بتونس سنة ٨٢٨

ابو زكرياء يحيى بن ابي يحيى زكرياء بن خلدون التونسي

ولد بتونس وبها نشا وطلب العلوم والادب فبرع فيها وازدان به بيته رفيع العماد في الفضل والعلم وكان شاعرا مجيدا ثم لما خرج اخوه ابو زيد عبد الرحمان من تونس مسقط راسه لطلب العلى خرج هو لذلك في عيال اخيه واول صهوة اقتعدها للمعالي صحبته للامير ابي عبد الله محمد بن ابي زكرياء الحفصي عند اجلابه على بجاية واستيلائه عليها من يد عمه وذلك في رمضان سنة ٧٦٥ وكان كتب بخطه عهد ولاية الحجابة عنه متى حصل على ولاية بجاية لابي زيد بن خلدون فلما تم ذلك له اناب اخاه يحيى وكان اصغر سنا منه واستدعاه من الاندلس لذلك ثم لما دالت الدولة لابن عمه ابي العباس احمد الحفصي على بجاية اكرم صاحب الترجمة واخاه ابا زيد ثم تنكر لهما بسبب وشايات ، وفطن ابو زيد ففاز بنفسه ثم بدا للامير ابي العباس في امرهما فقبض على ابي زكرياء يحيى بن خلدون فاعتقله بعنابة وكبس بيوتهما لظن ذخيرة بها فلم يجد ثم تخلص من السجن فقدم على اخيه ابي زيد ببسكرة وكان ابو حمو امير تلمسان استدعى ابا زيد بن خلدون لوزارته بمكتوب بخطه فتفادى عن تجشم اهوالها وبعث اخاه يحيى صاحب الترجمة كالنائب عنه فلما وصل الى تلمسان احله محل التكرمة والتبجيل واستكفى به في ادارة دولته واضطلع باعباء وزارته الى ان طلب ابو تاشفين بن ابي حمو ولاية وهران من ابيه وقد اولى عليها اخاه ابا زيان فاسعفه ابوه ظاهرا وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته في كتابها حتى يرى المخلص من ذلك فجعل يماطله حتى اغرى بعض الاوباش من بطانتهم ابا تاشفين به بدعوى ان يحيى بن خلدون انما ماطله بالكتاب خدمة لاخيه ابي زيان وايثارا له عليه فاستشاط ابو تاشفين غضبا وترصد له مع رهط من الاوغاد منصرفه من القصر الى بيته بعد صلاة التراويح في احدى ليالي رمضان سنة ٦٨٦ فطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا فلما بلغ الخبر ابا حمو صبيحة الليلة قام في ركائبه

وبث الطلب عن اولئك الرهط في جوانب المدينة ثم بلغه ان ابنه ابا تاشفين صاحب الفعلة فاغضى فضاع دم يحيى بن خلدون رحمة الله عليه في سبيل الوشايات بين قوم قد اهملوا حرمة الدماء واتخذوا قوله عز وجل « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » ظهريا ودفن بتلمسان شهيدا مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم واول ما يقضى في الدماء كما ورد ومن شعره يمدح ابا حمو رفعها اليه ليلة الميلاد النبوي الذي كان يحتفل به الامير المذكور احتفالا جليلا وذلك سنة ٧٧٨

ما على الصب في الهوى من جناح ... ان يرى حلف عبرة وافتضاح
واذا ما المحب عيل اصطبارا ... كيف يصغي الى نصيحة لاح
يا رعى الله بالمحصب ربعا ... آذنت عهده النوى بانتزاح

وهي طويلة ومن شعره الابيات التي على لسان جواري المنجانة وتسمى في عرفنا التونسي بالمنقالة امره بنظمها ابو حمو امير تلمسان فان صاحب الترجمة قال في تاريخه الذي سماه تحفة الوراد فى اخبار الملوك من بني عبد الواد امرني ايده الله ان انظم ابياتا على لسان الجواري المعرفات لساعات المنجانة الغريبة الشكل ففي كل ساعة تخرج جارية من المنجانة وفي يدها ابيات فيها اسم الساعة الزمانية فقلت في ذلك

الساعة الاولى

امولى الملوك واعلى الامم ... ومن جوده العالم الكل عم (١)
مضت ساعة ليت لو تنثني ... فان الحياة بكم تغتنم
ولله وجهك لما بدا ... وقد خلته البدر في الافق تم
عليه لاجل التقى هيبة ... وفيه من الفضل بشر الكرم
اقمت بمولد خير الورى ... سرورا لكم بالمعالي حكم
طويت الفؤاد على حبه ... وفعلك هذا على ذاك نم
قبلت السعادة دنيا واخرى ... وحزت المفاخر دون الامم

(١) غفر الله لهذا الشاعر فيما سلكه من الاغراق ووسم ممدوحه بما لا يصدق الّا على خير البرية صلى الله عليه وسلم واظن ان المقري انما ترك كثيرا من هذه الابيات ولم يذكره في ازهاره لما رآه فيها من العجرفة

فدم ما حييت لنا مالكـا يطيعك عرب الورى والعجم

الساعة الثانية

اخليفة الرحمان والملك الذي تعنو لعز علاه املاك البشر
لله مجلسك الذي يحكي علُى بك ما لكي افق السماء لمن نظر
او ما ترى فيه النجوم زواهرا وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تثني عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا الملك منصورا بكم وبلغت مما ترتجي اسنى الوطر

الساعة الثالثة

امولاي يا ابن الملوك الاولى لهم في المعالي سني الرتب
تولت ثلاث من الليل ابقت لك الفخر في عجمها والعرب
فدم حجة الله في ارضه تنال الذي شئته من ارب

الساعة الرابعة

يا مالكا في المعالي ومالك الفضل اجمع
مولاي دمت عليا مضت من الليل اربع
لا زلت تفني الاعادي والمفاخر تجمع

الساعة الخامسة

يا امير المسلمينا وجمال العالمينا
والذي حاز المعالي كلها دنيا ودينا
قد مضت لليل خمس حسنها راق العيونا
وانقضى النصف فآها هكذا تمضي السنونا
دمت في عز وسعد خالدا ملكا مكينا

الساعة السادسة

يا واحدا في علاه من باسه في عساكر
ست من الليل ولت ما ان لها من نظائر
دامت لياليك حتى الى المعاد نواضر

الساعة السابعة

يا من له الفضل طبع والفخر فيه سجيه
مرت من الليل سبع ما ان لها مثنويه
لا زلت والشمل جمع يعليك رب البريه

الساعة الثامنة

يا اكرم الخلق ذاتا واشرف الناس اسره
مرت ثمان وابقت في القلب مني حسره
فيهن كان شبابي اخا نعيم ونضره
ولى بها الدهر عني ترى لها بعد كره
فالله يبقيك مولى يطيل في السعد عمره

الساعة التاسعة

يا اوحد الناس في مجد وفي شرف وافضل الخلق في باس وفي كرم
مولاي تاسعة الساعات قد ذهبت والليل من بعدها قد عاد ذا هرم
كذا نمر ولا يدري الزمان بنا وينقضي العمر في اللذات والندم
من كان ذا عمل في البر مثلكم يا فوزه يوم تخشى زلة القدم
لازلت ذا عزة والملك ذا شرف بكم وانتم من الايام في نعم

الساعة العاشرة

يا مالك الخير والخيل التي حكمت له بعز على الايام مقتبل
هذا الصباح لقد لاحت بشائره والليل ودعنا توديع مرتحل
لله عشر من الساعات باهرة مضين لا عن قلى منا ولا ملل
كذا تمر ليالي العمر راحلة عنا ونحن من الآمال في شغل
نمسي ونصبح في لهو نسر به جهلا وذلك بدينا من الاجل
والعمر يمضي ولا ندري فوا اسفا عليه اذ مر في الاثام والزلل
ياليت شعري غدا كيف الخلاص به ولم نقدم له شيئا من العمل
يا رب عفوك عما قد جنته يدي فليس لي بجزاء الذنب من قبل
يا رب وانصر امير المؤمنين ابا حمو الرضي وانله غاية الامل

وابق في العز والتمكين مدته واعل دولته الغرا على الدول

وصورة هذه المنجانة على ما ذكره صاحب الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان انها خزانة ذات تماثيل من اللجين باعلاها اريكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه وفيها ارقم خارج من كوة بحذو الاريكة وبصدرها ابواب مجوفة عدد ساعات الليل الزمانية بجانب طرفيها بابان مجوفان ودون راس الخزانة قمر يسير على خط استواء بسير نظيره في الفلك ويسامت اول كل ساعة بابا مرتجا فينقض من البابين الكبيرين عقابان بفم كل صنجة صفرا يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضي الى داخل الخزانة فيريد الارقم نهش احد الفرخين فيصفر له ابوه فهنالك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محتزمة كاظرف ما انت راء بيمناها اضفارة (١) فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة للامير

ابو الفتح محمد بن عبد السلام التونسي نزيل دمشق

ولد بتونس وبها نشأ وطلب العلوم فبرع فيها واشتهر فضلا. رحل الى المشرق فحج ثم دخل الشام فاستقر بدمشق الشام. اخذ عنه علماء المشرق وتخرج به كثير من فضلائهم وله شهرة ذائعة في شيوخ علماء المائة العاشرة لاخذهم عنه العلوم وانتفاعهم به هم وشيوخهم وكان شاعرا مفلقا توفي اواخر المائة العاشرة ومن شعره يرثي تونس واهلها بعد واقعة الحسن الحفصي وجوان بن جاكمو قائد الجيش الاسبنيولي ويذكر عيث الاعداء الاسبنيول فيها بالقتل والسبي وما صارت اليه بعد ما كانت عليه من العمران والعلم والفخامة نذكرها بتمامها عبرة وتذكرة وهي قوله

سلوا البارق النجدي عن سحب اجفاني وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسالوا غير الصبا عن صبابتي وشدة اشواقي اليكم واشجاني
فما لي سواها من رسول اليكم سريع السرى في سيره ليس بالواني
فيا طالما الاسحار ما قد تكفلت بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم يحن الى اهل ويصبو لاوطان

(١) قطعة من الكاغد فيها اسم الساعة

فلله ما اذكى شذا نسمة الصبا ... صباحا اذا مرت على الرند والبان
وسارت مسير الشمس وهنا فاصبحت ... من الشرق نحو الغرب تجري بحسبان
وقد وقفت بالشام وقفة حامل ... نوافج مسك من ظباء خراسان
لترتاض في تلك الرياض هنيأة ... وتزداد من ازهارها طيب اردان
وما قربت حتى تضاعف نشرها ... بواسطتي روح هناك وريحان
فكم نحوكم حملتها من رسالة ... مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت ... بتبليغ احبابي السلام وجيراني
تحية مشتاق الى ذلك الحمى ... وسكانه والنازحين باضعان
سقى الله هاتيك الديار واهلها ... سحائب تحكي صوب مدمعي القاني
وحيى ربوع الحي من خير بلدة ... تخيرها قدما افاضل يونان
هي الحضرة العليا مدينة تونس ... انيسة انسان رآها بانسان
لها الفخر والفضل المبين بما حوت ... من الانس والحسن المنوط باحسان
لقد حل منها آل حفص ملوكها ... مراتب تسمو فوق هامة كيوان
وسادوا بها عظم الملوك وشيدوا ... بها من مباني العز افخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة ... وحسن نظام لا يعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة ... تصول باسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا ... وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلى ... وكان بها حصنا امان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها ... وحسن بنيها من ملوك واعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة ... لما في حماها من ائمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة ... وجاه وعز مجده ليس بالفاني
وكان بواديها المقدس فتية ... تقدس باريها بذكر وقرآن
ومن ادباء النظم والنثر معشر ... تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعداء في حومة الوغى ... تصول بابطال وتسطو بشجعان
وما برحت فيها محاسن جمة ... ومن كل نوع اهل حذق واتقان

الى ان رمتها الحادثات باسهم ... وسلت عليها سيف بغي وعدوان
فما لبثت تلك المحاسن ان عفت ... واقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الانس من بعد جمعه ... كما انتشرت يوما قلائد عقيان
فاعظم برزء خص خير مدينة ... وخير اناس بين عجم وعربان
لعمري لقد كادت عليها قلوبنا ... تضرم من خطب عليها بنيران
وقد عمنا غم بعظم مصابها ... وان خصني منه المضر بجثماني
وما بقيت فيما علمناه بلدة ... من الشرق الا البست ثوب احزان
فصبرا اخي صبرا على المحنة التي ... رمتك بها الاقدار ما بين اخوان
فما الدهر الا هكذا فاصطبر له ... رزية مال او تفرق خلان
أ أحبابنا ان فرق الدهر بيننا ... وطال مغيبي عنكم منذ ازمان
فاني على حفظ الوداد وحقكم ... مقيم وما هجر الاحبة من شاني
ووالله والله العظيم السيّة ... على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زاد وجدي واشتياقي اليكم ... وبرح بي طول البعاد واضناني
فلا تحسبوا اني تسليت بعدكم ... بشيء من الدنيا وزخرفها الفاني
ولا انني يوما تناسيت عهدكم ... بحال ولا ان التكاثر الهاني
ولا راقني روض ولاهش مسمعي ... لنغمة اطيار ورنة عيدان
ولا حل في فكري سواكم بخلوة ... ولا جلوة ما بين حور وولدان
ولا اختلجت يوما ضمائر مهجتي ... لغيركم في سر سري واعلاني
ولو لم اسل النفس بالقرب واللقا ... لادرج جسمي في مقاطع اكفاني
فما انا من عودي اليكم بآيس ... فما اليأس الّا من علامة كفران
عليكم سلام الله في كل ساعة ... تحية صب لا يدين بسلوان
مدى الدهر ما ناحت مطوقة وما ... تعاقب بين الخافقين الجديدان

لا ريب ان قصيدة ابي الفتح المتقدمة قد ابانت عن مجمل ما حصلت عليه مدينة تونس في تلك العصور من البهجة والعمران وما لملوكها من الفخر المتأثل والمجد وما اثروا بها من مباني العز وما كانت عليه من حسن النظام ووفور العساكر وما كان لاهلها

من المفاخر وكانت لطلاب العلوم والمعارف قبلة يولون وجوههم شطر ائمة عرفانها وكان بها من الادباء وفرسان الشعر والنثر من يفوق بالبيان بلاغة سحبان الى غير ذلك من جماع المحاسن ومستكملات الفخامة فرمتها الايام بسهام البغي وسلت عليها سيوف العدوان فما لبثت تلك المحاسن ان عفت وتشتت ذلك الشمل . واحر بان يقفر ربعها من العلماء والادباء وقد ضاع منها دفعة مائة وعشرون الفا او يزيدون بين اسير وقتيل فلا عجب ان انقطع منها فرسان الادب جملة باستلحام اهلها واستيصال شافتهم في هذه الفاجعة واضمحلال كتبهم ومحرارتهم في الادب وتراجم الرجال وغيرهما من العلوم حيث اعدمتها حيوش الاسبان القاء في الطرقات وتمزيقا تحت ارجل الخيل مما تبترأ منه الانسانية ومحبو العلوم والمعارف مما بقي وصمة في تاريخ اولئك المتوحشين ولقد طال بحثي عن تراجم ادباء تونس وشعرهم فيما بين الثامنة والحادية عشرة فلم نظفر من تراجمهم الّا بشيء نزر مع انا نتحقق ان ذلك الزمان قد بلغ به نفاق سوق الادب بتونس غايته القصوى نظرا لاستبحار عمرانها وفيضان المعارف في ربوعها وكثرة العلماء المتخرجين بمدارسها ورواج بضاعة الادب بين ملوكها وليس من سبب في خفاء انباء اولئك عنا غير الطامة الكبرى من تلك الحروب . وما انتجته من المصائب والكروب . فاتت على الاثر والعين . ووقعت اخبارهم في ظلمة ليل الغابرين . فكانت الحسرة عليهم ضعفين . فليت اذ طويت اعمارهم . نشرت لدينا بصحائف التاريخ اخبارهم . ولكن متى يكون ذلك وهم مصداق قول الوزير ابن الخطيب

وانفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت

ولكن لا يسع مع ذلك الا التصبر . والاتعاظ بما صار اليهم امرهم والتدبر . فرحمة الله على تلك الارواح الطاهرة . ونرجو ان يبوئها الله بما ابتلاها مقعد صدق في الاخرة . ثم لما تراجع عمران تونس وعاودها العلم والادب بعد انقطاعهما في المائة الحادية عشرة نشات ناشئة من الادباء ولم تتلقف ذلك من جالية الاندلس ومهاجري غرناطة اذ هم قوم قد وفدوا على تونس بعادات الاسبانيين ولسانهم وزيهم فهم كما قال ابو الطيب

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وما راجعوا اللسان العربي والزي والعادات الاسلامية الا من اهل تونس وما ذكرنا ذلك الا للتنبيه على ما يزعمه بعضهم من ان البضاعة الادبية بعد الالف من مستجدات مهاجري الاندلس وهو خطا مبناه جهل ما كان عليه الاندلسيون حين قدومهم على تونس من العجمة التي اكرهوا عليها بعد استيلاء عدوهم على بلادهم ومضى عليهم دهر حتى اصبح لسانهم وقلهم اسبنيوليا ونسوا لغتهم مما قصه التاريخ واثبته تفصيلا بعض ناشئة الاندلسيين بتونس في تاليف له في عمود النسب النبوي الكريم . ولما كانت صقلية من توابع المملكة التونسية وبعساكرها فتحت وقد استعمروها فنتج منها علماء فضلاء وادباء حكماء ومثلها جزيرة مالطة ففخرهما يرجع لامهم المملكة التونسية فلا مندوحة عن ذكر ما امكن من ادبائهما وبعض الاشعار المنسوبة اليهم تكميلا للفائدة . وقضاء الحق للحمة المتاكدة . وكان فتح صقلية سنة ٢١٢ في امارة زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب على يد القاضي اسد بن الفرات صاحب المدونة المعروفة بالاسدية التي رواها من علم مالك بن انس امام الائمة عن عبد الرحمان بن القاسم ومات وهو محاصر لسرقوسة في ١٣ رجب من سنته وكان فتح مالطة سنة ٢٥٥ في امارة ابي الغرانيق محمد ابن احمد بن محمد بن الاغلب

فمن شعراء صقلية

ابو العرب مصعب بن محمد بن ابي الفرات القرشي الزبيري الصقلي

كان امام الادب في عصره شاعرا مفلقا اشتهر وسار ذكره حتى رغب المعتمد ابن عباد ملك الاندلس من الطوائف في انتقاله اليه ووجه اليه بخمسمائة دينار وامره ان يتجهز بها الى حضرته فكتب اليه ابو العرب يعتذر عن القدوم عليه بخوفه من السير برا وبحرا وقد ظهر الفساد فيهما فالبحر بتحرش الروم وتلصصهم فوق لجه والبر باغارات الاعراب وفساد السبل بحرابتهم . قوله

لا تعجبن لراسي كيف شاب اسى ... واعجب لاسود عيني كيف لم يشب

البحر للروم لا يجري السفين به ... الا على غرر والبر للعرب

وكانت ولادته بصقلية سنة ٤٢٣ وبها نشا واخذ العلوم عن علمائها وقال الشعر

الفائق وخرج منها لما تغلب عليها العدو سنة ٤٦٤ قاصدا المعتمد بن عباد باشبيلية ولم يوقف على وفاته في اي سنة غير انه كان حيا بالاندلس سنة ٥٠٧

ابو القاسم علي بن جعفر الشنتيريني السعدي الصقلي

ولد في صفر سنة ٤٣٣ بصقلية وطلب العلم والادب على علمائها كابن البر اللغوي وامثاله واجاد في النحو غاية الاجادة وكان احد ائمة الادب في عصره خصوصا اللغة وصنف التصانيف النافعة منها كتاب الافعال احسن فيه كل الاحسان وله كتاب ابنية الاسماء وكتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة يعني صقلية بالاطلاع عليه يعلم مقدار ما بلغ الادب بها ولما اشرف رجار على تملك صقلية قوض صاحب الترجمة خيامه منها ورحل عنها متنقلا في البلاد الى ان وصل الى الديار المصرية فالقى عصا التسيار واستقرت به الدار سنة ٥٠٠ وبالغ اهل مصر في اكرامه وكان شاعرا مفلقا ابتدأ قول الشعر سنة ٤٤٦ في سن الحداثة توفي بمصر في صفر سنة ٥١٥ ومن شعره قوله وهو من الحكم النافعة

فلا تنفدن العمر في طلب الصبا ... ولا تشقين يوما بسعدى ولا نعم
ولا تندبن اطلال مية باللوى ... ولا تسفحن ماء الشئون على رسم (١)
فان قصارى المرء ادراك حاجة ... وتبقى مذمات الاحاديث والاثم

ومنه

يا من رمى النار في فؤادي ... وانبط (٢) العين بالبكاء
اسمك تصحيفه بقلبي ... وفي ثنايـاك برء دائي
اردد سلامي فان نفسي ... لم يبق منها سوى الذماء (٣)
وارفق بصب اتى ذليلا ... قد مزج الياس بالرجاء
انهكه في الهوى التجني ... فصار في رقة الهواء

---

(١) مجرى الدموع — (٢) انبع — (٣) بالفتح بقية النفس — مصححه

ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الازدى الصقلي

ولد بصقلية وبها نشا وبرع ولما تغلب عليها رجار رحل عنها الى الاندلس سنة ٤٧١ ومدح المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية فاحسن جائزته ولما قبض امير المؤمنين يوسف بن تاشفين على المعتمد وسجنه باغمات من ارض المغرب سمع ابياتا عملها المعتمد في شان اعتقاله فاجابه عنها بما ياتي وكان شاعرا مفلقا ثم تقاذفت به البلاد الى ان توفي سنة ٥٢٧ بجزيرة ميورقة وقيل ببجاية عن ثمانين سنة ومن شعره يجيب المعتمد بن عباد

اتيأس من يوم يناقض امسه ... وشهب الدراري في البروج تدور
ولما رحلتم بالندى في اكفكم ... وقلقل (١) رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد اتت ... فهذي الجبال الراسيات تسير

وله من قصيدة يتشوق بلده صقلية

ذكرت صقلية والاسى ... يجدد للنفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جنة ... فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء ... حسبت دموعي انهارها

ومنه

قم هاتها من كف ذات الوشاح ... فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر الى اللذات واركب لها ... سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل ان ترشف شمس الضحى ... ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ومنه في صفة نهر

ومطرد الاجزاء يصقل متنه ... صبا اعلنت للعين ما في ضميره
جريح باطراف الحصى كلما جرى ... عليها شكا اوجاعه بخريره
كأن جبانا ريع تحت حبابه ... فاقبل يلقي نفسه في غديره
كأن الدجى خط المجرة بيننا ... وقد كللت حافاته ببدوره
شربنا على حافاته دون سكرة ... نقبل شكرا منه عين مديره

(١) زلزل — مصححه

(ذكر جملة من شعراء صقلية)

وهم من اختارهم الحسن بن علي ابن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مما ليس في اختيار ابن الاغلب وان لم نعلم جلية امرهم وتواريخ وفياتهم لكن نذكرهم عنوانا على درجة الادب بصقلية قبل سقوطها بيد العدو فمنهم

ابو القاسم بن يخلف الكلبي

من شعره قوله من قصيدة يفخر فيها

عهدي ببؤس رباك وهو نعيم ... ايام انت على الحسان كريم
ايام فيك من الكواعب جنة ... معشوقة ومن الوشاة جحيم

منها

واهاجني برق يشوق الى الحمى ... قلب المشوق فلا يزال يهيم
حسنت به الدنيا فكل قرارة ... روض وكل صبا يهب نسيم
تلك الرياض المحييات نفوسنا ... انفاسها لا الشيح والقيصوم
سعيا لايام الربيع وحسنها ... لو ان ذاك الحسن كان يدوم
طابت حدائقها ورق كانها ... جودي النثير ولفظي المنظوم
وانا الذي حازت مناسبه العلى ... واناف منها محدث وقديم
شرفي سماء للسماء منيفة ... وخلائقي فوق النجوم نجوم
ما دمت فالفخر المؤثل دائم ... فاذا عدمت فانه معدوم

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن القطاع ينسب في بني الاغلب

من شعره قوله من قصيدة يفتخر فيها

نحن بنو الاغلب سدنا الورى ... طرا ببذل النائل (١) الغمر
والضرب بالبيض رؤس العدى ... والطعن في اللبات بالسمر
ان فخر الناس علوناهم ... بالبذل والاقدام والصبر

---

(١) العطاء - مصححه

والحسب السامي الذي تاجه في هامة الاكليل والغفر
والبيت من سعد ومن خندف(١) اكرم بذاك البيت والنجر(٢)

وله يصف الخمر

ساعفت القهوة بالانس فدع ركوب البازل العنس(٣)
ودع بكاء العين في مربع قد بليت اطلاله درس
وباكر الراح التي قد مضى جرس لها من بعد ما جرس
لا ادع اللذة في حينها قد يصبح المرء فلا يمسي
ان لم انل منها حياتي فهل انالها في ظلمة الرمس
تعلني بالراح وحشية لكنها من فتنة الانس
فبت احيي ضربا من جنى شفاهها الباردة اللعس
ثم ادارت بيننا قهوة اعذب في النفس من النفس
كانما الاقداح في كفها كواكب في دارة الشمس
كم عقلت من السن نطق واطلقت من السن خرس

ابو اسحاق ابراهيم بن محمود القسري

من شعره قوله من اول قصيدة

اي طيف من لامعات البروق بات يسري بين الحمى والعقيق
لا وبرق الثغور والشبم العذ ب من الريق والرضاب الرحيق
ما عققت العقيق لكن دموعي لفراق العقيق مثل العقيق
اناصب الى الحمى مستهام بمهاة النقى وريم الشقيق

ابو علي الحسين بن احمد بن زيادة الله السعدي

من شعره قوله من قصيدة يتغزل

لولا صعوبة ابواب وحراس ومفضحات قيود ذات وسواس

---

(١) قبيلة منسوبة لليلى بنت حلوان — (٢) الاصل — (٣) الصلب — مصححه

وخيفة من عيون غير غافلة ... للناس قد وكلت بالرعي للناس
لجئت نحوك زوارا على شغف ... اما على الوجه اسعى او على الراس
حتى نكون جميعا من تواصلنا ... كالخمر والماء ممزوجين في كاس

ابو عبد الله محمد بن سدوس النحوي

من شعره قوله

تطاول هذا الليل حتى كانما ... هو الدهر لا صبح ينير ولا فجر
وضن علي الطيف بالوصل في الكرى ... فيا عجبا حتى الخيال له هجر

وله

يقولون طال الليل جهلا ولم يطل ... ولكن اشواقي اليك تطول
ولي ادمع كالقطر تبكيك كثرة ... ونوم اذا نام الخلي قليل

الامير ابو الحسن المقداد بن الحسن الكلبي من امرائها

من شعره قوله

كن بديعا كما خلقت بديعا ... حسن الوجه يا قبيح الفعال
وامتثل من عزيز آل علي ... شيمة كي تكون فرد الكمال

الكاتب ابو الحسن احمد بن نصر

من شعره قوله من قصيدة يعتذر للمهدي العبيدي

يا من اليه عيون الناس ناظرة ... يرون تعظيمه تعظيم باريه
ان كان وجدك عن ذنب اتيت به ... فان عفوك يمحي ذنب جانيه
او كان ذلك عن واش وشى كذبا ... فانت عصمة من ببلى بواشيه
وان يكن عبدك المحسود منقطعا ... ولم يكن اهل ما قد كنت توليه
فما تقول لنعمى انت واهبها ... وما تقول لعبد انت هاديه

وما تقول لصبر انت معدنه ... وما تقول لوجد انت واديه
الله يعلم اني لم ادع سببا ... الا بلغت الذي ترضى به فيه
فانظر الي بعين منك راحمة ... فقد اذاب فؤادي ما اقاسيه

الكاتب ابو الحسن علي بن بشري

من شعره قوله

مالكتني المدامة الخندريس ... وغزال يرنو وغصن يميس
انما تملك النفوس فتعصي ... ناصحيها ما تشتهيه النفوس
قد الفت الصبا وان لحظتني ... فيه من عاذل لواحظ شوس
رب يوم لهوت فيه بابكا ... رحسان كانهن شموس
حضرتنا السعود فيه وغابت ... عن ذرانا فلم تضره النحوس

وله يصف البرق

بدا البرق من نحو الحجاز مذكرا ... بسلمى وسعدى والتذكر ينصب
يلوح على لون الدجى فكانه ... سيوف على زرق الثياب تقلب
فلله برق عذب القلب لمعه ... اكل محب بالبروق معذب

الكاتب ابو علي الحسين بن احمد

من شعره قوله

يا شرابا من رقة كالسراب ... راحتي في ارتشافه وعذابي
ناولتنى ما اسأرته بكأس ... كمشيبي ونشوة كالشباب
صان منها الزجاج مثل الذي صا ... ن من الوجنتين شف النقاب
فكأن الزجاج دمع التجني ... وكأن المدام خمر التصابي

وله

وكأس من الماء مخروطة ... تنير لها مثل نور النهار

تبدت وفي وسطها جمرة تكاد تصدعها بالشرار
فحسبك من عجب ما تراه بتاليف ما بين ماء ونار

ابو عبد الله الحسين بن ابي علي القائد

من شعره يصف عود الغنا

ومعاهد آنسني باوانس يدنو السرور بها وفيه شطون
خمص البطون صدورها افواهها جعلت لها بدل النهود عيون
وذوات ألسنة اسر حديثها الشـ ـاجي وافصح قولها الملحون
يصدرن عنها عن صدور ما بها لما تثير من الحديث دفين
مضمومة ضم الحبيب مخمش(١) منها صدور تارة وقرون(٢)
يضربن عند عناقهن فمن راى ان العقاب مع العناق يكون
فكما ضربن وما لهن جناية فكذا لهن وما المن انين
تدعو بألسنها السرور كما دعا حسن الثناء بجوده سرفين(٣)

وله يمدح الامير احمد بن ثقة الدولة بغزوه

على العادات فاجر مع الاعادي وناد يجبك منهم كل ناد
فما لحصونهم منك امتناع ولو ان البناء بناء عاد
فكم من معقل للعين سام سلكت اليه منهاج الرشاد
وقد حارت نفوس القوم فيه الى ان قام فيهم منك هاد
فاصعدت الخيول الى الروابي وانزلت الوعول الى الوهاد
وكم اخرجت منها من كمين ومن عضب ومن طرف جواد
يغل يديه خوفك عن شباه(٤) فيضحى كالموثق في صفاد
لقد اوردتهم بالسيف ماء بهارتوت الطلى(٥) وهم صوادي

---

(١) مضروب - (٢) اطراف العود - مصححه - (٣) لعله اسم ممدوحه
(٤) طرف سيفه - (٥) الاعناق - مصححه

كأن رؤسهم كانت نباتا ... ابادته سيوفك بالحصاد
وكم اهدى اليك من الدراري ... حسامك حين مر على الهوادي
واما رومة فالى قريب ... يصبحها بداهمة الحداد
عبيدك من تؤم من الاعادي ... وارضك ما تروم من البلاد
فدونك يا عميد الملك فاعمد ... تنل ان رمتها ذات العماد
صرفت عن الاغاني والغواني ... هواك الى العوادي والاعادي(١)
وقدمت الركاب على كعاب ... مخضبة الترائب بالجساد
وكم باتت جفونك ساهرات ... سهادا يقتضي طيب الرقاد
ومن يك في اللذاذة ذا اجتهاد ... فانك ذو اجتهاد في الجهاد
وبين يديك طاعن كل قرن ... وها انا طاعن بشبا الوداد
ومن شام الظبا منهم فاني ... اشيم ظبى ثنائي واعتقادي
يداك البحر تدفق بالمنايا ... واخرى تستهان بها الايادي
وما بدع تخالف حالتيه ... ففي اسرارها ما في الغوادي
لقد اضحكت احوال المعالي ... صلاحا لا يخاف من الفساد

الكاتب ابو القاسم عبد الرحمان بن الحسن

من شعره يصف البرق

ولما بدا للعين من جانب الحمى ... لوامع برق شاق نحوك شائق
كانك فيها مائل وكانما ... ديار الحمى بين البراق بوارق
فيا حبذا برق بارضك لائح ... ويا حبذا طيف لوصلك طارق

ابو يوسف يعقوب بن علي الزبيدي

من شعره قوله

متى تنقضي عن ناظريك المدامع ... وهذي ديار من سليمى بلاقع

(١) بهذا تسود الملوك ويحمد منها السلوك

ولم يبق من سلمى ولا من وصالها ... سوى زائر عند الهجود يطالع
الا بابي تلك البراقع بل به ... وجوه حسان غيبتها البراقع
ضعفت عن الشكوى غداة تحملوا ... فاظهرت البلوى الدموع الهوامع
الا ليت شعري والزمان مفرق ... أ أيامنا بالرقمتين رواجع

الفقيه ابو حفص عمر بن مازوز بن جليل

من شعره قوله

اذا سبني وغد تزيدت رفعة ... وما العار الا ان تراني اسابه
ولو لم تكن نفسي علي كريمة ... لامكنتها من كل وغد تجاوبه
كفى حزنا لي ان وغدا مخاطبي ... وبالوغد فخرا لو يراني نخاطبه

ابو الحسن علي بن محمد بن الخياط الربعي

شاعر فصيح اللسان، مشهور بالاحسان، وحدة الجنان، وجودة البيان، ماهر في اللغة والادب، حافظ لاشعار العرب، وكان في عصره يشبه بجرير بن الخطفا، مدح الملوك الكلبيين وكان عندهم علي القدر نابه الذكر، من شعره يمدح الامير ثقة الدولة يوسف بن عبد الله وولده تاج الدولة وسيف الملة جعفر من قصيدة وقد تخلص لمدحه،

طرق الخيال وساء ما طرقا ... اخذ الرقاد وخلف الارقا
عندي سرائر لو نفثت بها ... في صخرة لتقطعت قلقا(١)
حب صليت به واكتمه ... لو مس ابكم حره نطقا
ولقد صبرت له فاوسعني ... قلقا واثخن مهجتي حرقا
ولعلني ان قلت لي علق ... قعد الوشاة بقصتي حلقا
وانا الرهين بحب ساحرة ... ملأت يدي ببشرها ملقا(٢)

---

(١) انزعاجا — (٢) ودادا ولطفا — مصححه

نظمت لها ايدي ملاحتها خرز القلوب بجيدها نسقا

منها وتخلص

ملك تضم الارض قبضته حتى تكون جميعها طبقا(١)

يغزو بادهم في العجاج ترى لمع السيوف بجسمه بلقا(٢)

ومن شعره يهني بسلامة ولد ملكه من جدري اصابه

لا يطمعنك في السلو تكهلي انا من علمت على الغرام الاول

ان كان غرك ذا الوقار فانه كالطيب يعبق في القميص وقد بلي

نسك نصبت به حبالة مطعم متعود قنص الغزال الاكحل

ولرب مأربة لبست لها الدجى وقضت بها وطرا لطافة مدخلي

اسري كما تسري النجوم لحاجتي والناس بين مدثر ومزمل

ولقد تعبدني على حريتي رشأ تنعم في الرحيق السلسل

ممن يصون عن الاكف ثماره بخلا ويحجبه عن المتامل

داريت قسوته بحسن تلطفي والصعب تعطفه يد المتحيل

واذا بليت بهاجر فاصبر له فالماء ينبط من صفاء الجندل

لأسابقن غدا لتهنئة العلى ولآخذن بشارة المستعجل

منها وتخلص لممدوحه

ولاهدين الى الخلافة انها تعلى وتحمد بعد احمد في علي

سردت يد الجدري فوق اديمه حلق الدروع مقدرات المدخل

ولقبلها لبس الدروع مسوما في موكب كدر العجاجة جحفل

الله هناك السلامة في الذي سيء العدو به كما سر الولي

داويت بالصدقات معضل دائه والبر يدفع كل داء معضل

ومنه قوله

لا تعجبن لرتبة اشرارها يعلون والاخيار فيها تسفل

فالناقصون هم الذين علوا بها والراجحون هم الذين تنزلوا

---

(١) غطاء — (٢) سواد مع بياض — مصححه

او ما ترى الميزان يعلو خفة في كفة ويحط فيها الاثقل

ومنه قوله

ان سب الملوك من شعب المو ت فاياك ان تسب الملوكا
ان عفوا عنك بالذنوب اهانـ ـوك وان عاقبوا بها قتلوكا

الكاتب ابو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمان

كاتب مبرز وشاعر مفلق متصرف في فنون الشعر كان يشبه بابي العتاهية من شعره قوله متغزلا

بالله يا طاوسة انطلقي فاستعطفي اخلاقه الوحشه
قولي لها عبد العزيز بكى فسقى بادمعه العطشه
وتناول القرطاس يكتب ما يلقى فخانته اليد الرعشه

ومنه قوله

اخلو به واعف عنه كانني حذر الدنية لست من عشاقه
كالماء في يد صائم يلتذه حملا وبصدف عن لذيذ مذاقه

الكاتب ابو الحسن علي بن عبد الرحمان

من شعره يمدح اليازوري وزير العبيدي صاحب مصر

يمينك اندى العارضين سحابا وحزمك امضى الضاربين ذبابا
وانت اعم الناس طولا وسؤددا واطيبهم جرثومة ونصابا
واشرعهم يوم اللقاء اسنة وامرعهم يوم العطاء جنابا
شهادة بر لا يحابى بمثلها الا ربما كان السحاب محابا
حللت بدار الملك ثم قطنتها كما قطن الليث الغضنفر غابا
واشبتها بالسمهرية والظبا طعانا نفى عنها العدى وضرابا
وفجرت فيها للنضار جداولا وسطرت فيها للسماح كتابا
يقولون ان المزن يحكيك صوبه مجاملة ها قد شهدت وغابا

وكم ازمة عم البرية بؤسها فهل ناب فيها عن نداك منابا
همت ذهبا فيها نداك عليهم وضنت يداه ان ترش ذهابا
ولوكان للاسياف عزمك مانبت ولاناط بالحصر النجاد قرابا
تغار من المجد المعالي وتنتمي الى اسمك حبات القلوب طرابا
وما زلت ترضي الله في نصر دينه بمالكة تزجي الاسود غضابا
اذا طويت كانت وغى وقساطلا(١) وان نشرت كانت ظبى وحرابا
وما انت الا مطعم النصر اينما اغرت على نهب رزقت نهابا
وابلج ميمون النقيبة لو دعا الى نصره وحش الفلا لاجابا
اجل ملوك الارض من ظل لائما ترابا علته رجله وركابا
شفى حلبا من جود كفك ماطر اذا لم تصب فيها المواطر صابا(٢)
علوتهم بالمرهفات كانما قددت عليهم بالبروق سحابا
واطلعت سحبا من بنانك ثرة(٣) تفيض عليهم نائلا وعقابا

ابو محمد القاسم بن عبد الله التميمي

من شعره قصيدة يذكر فيها فتنة اهل صقلية وشدة حربهم فيما بينهم وفتنهم ودخول الافرنج اليهم

ابيت وجفني من جفائك نائم وقلت بما قالته فيك اللوائم
وعهدي بذاك الدر غير مثقب فكيف اجادته بفيك النواظم
وعندي حديث لو امنت اذعته الا حبذا غيب تعيه المناسم
واذ كان لا يهديك الا مدامعي فلا قر لي نهر من الدمع ساجم
رعى الله اياما لنا وليالیا بخيف منى والنائبات نوائم
زمان تصيد اللهو اشراك مهجتي ومرعاك في قلبي الذي بك هائم
لوانك في حل الشباب حللت لي ولكن ايام المشيب محارم
بمكة الفي والحصيب به اخي وفي مصر لي نجل سقته الغمائم

---

(١) جمع قسطل وهو الغبار — (٢) امطر — (٣) غزيرة الماء — مصححه

وماذا عسى قلبي وعندك قدره ... فتاخذه للبين هذي المقاسم
سقى الله هيم الغرب لا بعض هامه ... كما يمنع الغمض السليم المنادم
وماكنت اسقي الغرب لوكان لم تكن ... صقلية منه وان لام لائم
واني لمنهم واجد غير انه ... وشى بيننا واش من البين غاشم
رزينا(١) بذات البين حتى كاننا ... نرى ان من يبغي سوى البغي آثم
يغير الفتى منا على مال نفسه ... ويقتله عدوا اخوه الملائم
يجور دليل القوم عن سبل رشده ... ويمضي على المكروه من هو نادم
كما انت مسرور بما هو جازع ... كماسئم المحزون والقلب واجم
نجر فضول السابغات كاننا ... اراقم باضت فوقهن نعائم
كأن فويق البر امواج لجة ... وكالريح فيهن العتاق الصلادم
معارف الا ان تكون حواسرا ... اذا روحت يوما ظباها الملاحم
نروح ونغدو في امور لو انه ... راى بعضها ما عاود النوم حالم
كان بحارا بالوغى وكانما ... معاركنا طول الزمان مواسم
فطورا نذود الموت عنا وتارة ... نموت كما مات الحماة الاكارم
فلو كان سلما ذلك الحرب بيننا ... ثلاثين عاما ضامنا منه ضائم
ونعفر طوع المجد كل مدجج ... يراوغه بالطعن كعب وحاتم
وكانت بلاد الروم طوع سيوفنا ... اذا رامها منا على البعد رائم
فان نال منا الناس او قل كثرنا ... فقد تقتل الحمى وتردي السمائم
سليني عن الافرنج ان شئت واسمعي ... حديثا كنشر الروض والروض ناعم
اتونا ولكن بالدروع اساودا ... ولكن اتينا والسيوف عزائم

---

(١) هذا هو الداء العضال الذي تمرض به الامم الاسلامية عند تاذن الله بانقراضها وهو قوله تعلى « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وليس من دواء الّا التوبة والرجوع الى اوامر الشرع ونواهيه ونبذ الفسوق ودواعيه واذا تتبعت الممالك الاسلامية الساقطة لا تجد لها داء غير ما اصاب صقلية مما اشار اليه الشاعر في هذه القصيدة فانا لله وانا اليه راجعون

(١) (٢) (٣)

على كل مشكول الطريد كانما ... قوائمه عند الطراد قوادم
اذا ما علا منا على الظهر فارس ... فليس بعبدا ان تطير القوائم
سماء وارض من جناح وحافر ... وليل وصبح حجفل وصوارم
فلا دجن الا ان تثور عجاجة ... ولا مزن الا ان تخر جماجم
كانهم قد احجموا حين اقدموا ... وغير عجيب غابة وضراغم
كأن من الابار كانت وجوههم ... فعادت عليهم والانوف رواغم
كأن من الافعال كانت وجوههم ... ولكن عوالينا الحروف الجوازم
هو النصر حتى كل اعزل رامح ... وحتى قرون الغانيات عمائم
وقد تسعد الاقوام شقوة غيرهم ... الا رب اعراس دعتها مآتم
اذا كان لا ينجيك انك هارب ... فلم يبق حزم غير انك هاجم
فقد يقتل المرء ابتغاء حياته ... واكثر من يبغي المنية سالم
وطيب حياة المرء في عز موته ... وما الموت الا ان تهون الكرائم
وقد يجهل الانسان في بعض حلمه ... ويحمل عنك الظلم انك ظالم
وما السيف الا ما غراره حلية ... وان رث منه غمده المتقادم
كانك في دنياك ما زلت جاهلا ... اذا كنت لم ينفعك انك عالم
فلا تتزود غير ما انت واجد ... اذا رحت يقظانا كانك نائم

الكاتب ابو عبد الله محمد بن الحسن الطوبي

من شعره قوله

شمس الضحى من فوق ازراره ... والغصن في عقدة زناره
سراج اهل الدير من حسنه ... يجلو دجى الليل بانواره
كانما هاروت في طرفه ... يبث سحرا بين اشفاره
احرقني ظلما بنار الهوى ... نجاه رب العرش من ناره

---

(١) اي فرس - (٢) مقيد — (٣) المطارد والمعنى ان مطارده كالمقيد لشدة سيره — مصححه

ومنه قواله

ايها الناس لي حديث عجيب وهومستظرف لعمري غريب
زار في ليلة المحاق فعادت ليلة النصف حين زار الحبيب

وله في السقام يمدحه

ساشكر ما بقيت سقام جسمي فلولاه لاعوز ما طلبت
ازارني الحبيب على بعاد فاهلا بالسقام ولو هلكت

وله في النحول

يا من لجسم تقضى حراكه والسكون
فعاد شكلا بسيطا تزل عنه العيون
يخفى عن الموت لطفا فما يكاد يبين
فلو تجسم يوما تناولته المنون

وله

صبرت يا هند عنك اذ خنت من لم يخنك
يا هند ان كنت قربى فالهند اقرب منك

وله يشبه اربعة باربعة

فمه فيه لؤلؤ بشقيق فوقه خاتم له من عقيق
وله في جفونه حد سيف مرهف الشفرتين عضب رقيق
فاذا رمت ان اقبل فاه صد عما اريد خوف الطريق

ومنه قوله

الا يا لائمي مهلا فما لومك لي عدلا
كما لا تقبل العذر كما لا اقبل العذلا

ابو القاسم بن رمضان المالطي من ادباء مالطة

ذكره الشيخ زكرياء بن محمد القزويني في كتاب آثار البلاد واخبار العباد ناقلا عنه ان بعض المهندسين بمالطة اتخذ لملكها صورة تعرف بها اوقات ساعات النهار

وكانت ترمي بنادق على الصناج فقال لعبد الله بن السمنطي اجز هذا المصراع

جـارية ترمي الصنـج فقـال بهـا القلـوب تبتهج

الخ الابيات الاتية في حيز ذكره قال كانه يقرؤها من حفظه ما رايت غير ذلك من ترجمته

ابو محمد عبد الله بن السمنطي المالطي منهم ايضا

قال الشيخ زكرياء القزويني في كتابه آثار البلاد لما ذكر مالطة ما نصه ينسب اليها ابن السمنطي الشاعر المالطي كان آية في نظم الشعر على البديهة قال ابو القاسم بن رمضان المالطي اتخذ بعض المهندسين بمالطة لملكها صورة تعرف بها اوقات ساعات النهار وكانت ترمي بنادق على الصناج فقلت لعبد الله بن السمنطي اجز هذا المصراع

جارية ترمي الصنج فقال بها القلوب تبتهج

كأن من احكمها الى السماء قد عرج

وطالع الافلاك عن سر البروج والدرج

كانه يقرؤها من حفظه اه واذ قد ذكرنا جملة من شعراء الجزيرتين صقلية ومالطة اللتين هما من توابع البلاد التونسية نحو الثلاثمائة سنة فلنرجع الى ذكر شعراء علماء القطر التونسي فيما بعد الالف من الهجرة الشريفة فانه بعد ان انقطعت تلك الفتن . وتصرمت ليالي هاتيك المحن . واخذت البلاد تراجع عمرانها . وتجذب بما بسط فيها من الامن سكانها . بعد ان تفرق من اخطاته من اهلها الظبا في بلاد الله ايادي سبا . والتمسوا علومهم الغزيرة . ومدنيتهم المستنيرة . وعهدهم بها متدفقة الحياض . مخصبة المروج مزهرة الرياض . فالفوا نبتها قد صوح وماءها براض . حاشا حبات نبتت في حميل سيل خطوبها المفعم . ابقاها الله ليبعث منها ميت العلم وبها من على هذا القطر وانعم . كان منهم الشيخ قاسم عظوم . بحر المنقول والمعقول من العلوم . والشيخ الفقيه علي عبيد مفتيها . وامام الجامع الاعظم فيها . والمفتيان الشيخ قشور والنفاتي في عصابة قاموا باحياء مواته . والتهمم بنشر رفاته . الى ان اينع روضه . وتدفق للوارد حوضه . حتى وصل الى حد تدريجا تكاملت فيه كتيبته . وتراجعت اليه بهذا القطر شبيبته . هذا بالنظر

الى العلوم اما الادب فان اول من اشتهر به فيما علمت بعد الالف الاريب العالم ، والمجدد لتونس من علوم الادب المعالم ، الفقيه المتفنن ابو علي ابراهيم ابن العالم الفقيه عبد اللطيف الغرياني فاعتنى بالاداب وخصوصا علم البديع ، ونظم بديعيته المزرية بوشي الربيع ، اودع فيها انواع البديع والقابها ، فرغ منها ليلة الميلاد النبوي الكريم بتونس سنة ١٠٣٠ ثلاثين والف وسماها ترصيع البديع في مدح الشفيع عارض بها بديعية الشيخ الامام ابي سعيد شعبان الموصلي ، نذكر منها جملة

(حسن) البراعة في (استهلال) ذي كلم ... بمدح طه الرسول الطاهر الشيم
وبالنقا ومنى (التشبيب) يعذب لي ... والمتقى وأثيلات (بذي) سلم
سل عن حماهم وزر سلعا وكاظمة ... ترى اصطباري على تركيب هجرهم
(تتميم) وصلي بهم جبر لما (نقصوا) ... و (قلب) قلبي لحزني جبر فعلهم
فالقلب واللب في سقم وفي قسم ... (لطي) نشرهم تطريف وعدهم
فشوشوا الود حتى صرت محترقا ... (محرف) الحال في عدم وفي عدم
فالعين (تلحق) حين الصب في نظر ... وان (تضارع) منع الجمع حار فمي
سالت (رفو) اصطباري اذ تحرف عن ... عهد الاحبا فعن صبري بوعدهم
او (استعر) لي درعا استعين به ... لعدم صبري بمزج الدمع ضرمي
(تلفتوا) وانثنوا عني مجاهرة ... يا سعد كن منشدا نظمي بوصفهم
دلوا فؤادي لعشقي في محاسنهم ... و (جنحوا) القول واستعدوا بدلهم
فلا تلمني (فايجاب) الغرام بهم ... غصب ولمني اذا نرضى بسلبهم
فليس فيهم (دليل) يهتدون به ... لوصل حبلي (فاوجب) نفي عدلهم
(يرشحون) مقالاتي بنصحهم ... وشيا فيا ليتهم (جادوا) (لصدقهم)
لان وصلهم قطع وبذلهم ... منع وترتيب هجوي (لاختراعهم)
هجوتهم مظهرا (مدحي) لانهم ... ابطال حرب بلا كلم لملتطم
ويبسطون اياديهم لمستلم ... (مواربين) بلا عذر بدا بهم
يشار فيهم (بابهام) لما فعلوا ... من الدنو فهم حصن بلا شمم
ولم (انزه) عذولي في تعرضه ... عشقي مخافة تعذيبي ولم الم

يريد (تسليم) عذلي العاذلون فقل هيهات هيهات ان نصغي لقولهم
(تفننوا) في صفات الظبي واجتنبوا ذم الغزال فحسن الجيد كالعلم
(ولفقوا) العذل لا بالعدل فاتهم (وعنتوا)عدلهم (تصحيف)عدلهم
خذوا مثال الهوى (فالاكتفاء) به يكفي بدمع الحزين الصب غيرهم
(واستعطفوا) وانصفوا واستلطفوا وقفوا
(وفوفوا) وصفوا وارفوا بلا تهم

عشقي دهاني فقلت اترك مودتهم (هازلتني) و (تريد) (الجد) هم بهم
وقلت ضرك هذا الحب (تهكم) بي يا حب كن ساكنا في قلبه الوخم
عاتبت نفسي على العصيان في كبري وهمت لولا رجاءي ضرني وهمي
ندمي على ما مضى مني وضاق به (صدري) فصحت من التفريط واندمي
وضرني صمت عذالي و (غايرني) لو رددوا العذل احيوني بذكرهم
قد كنت في ترح ابكي مقابلة فصرت في فرح احكي لهم خدمي
وعلني البعد و (التذييل) مذهجروا والوصل يشفي سقام الحب خذ حكمي
(تهيأت) محني من طول فرقتهم ولم يطل فرحي من عرض صدهم
عتبي ونحبي وكربي حل مصطبري فيهم عليهم ومنهم طي نشرهم

وهي زهاء مائة وسبعين بيتا وله نظم في القاب البديع سماه حسن الترصيع في القاب البديع مطلعه

اسائل القاب البديع يسارع لنظمي لها سردا وانت المطالع
فخذها كعقد الدر في جيد خودة تزين اللآلي نورها فيه ساطع
وكن ناظرا فيها بعين الرضى وان بدا النقص كمل انت اذ ذاك دافع
فاني الى الحق المبين مذعن ومن لم ير الايضاح فهو المنازع
براعة الاستهلال بالقول جامع وحسن بيان الطي والنشر ناجع
فجنس ولفق قلبه بمطرف وحرف على التشويش يرفا المضارع
وركب وجنح بالمصحف لاحقا وعكسك طرد الازدواج تقاطع
ونقصك تمم موضحا ومؤديا وان تقطع الموصول فالحذف واسع

وهي نحو الاربعين بيتا ونظمها في بحر الرجز وسماه النظم الرفيع في القاب البديع واوله

ابدا باسم الله في النظام مصليا على النبي التهامي

يقول في تعداد الالقاب

ان تستهل وشح البراعه والنقص تمم تلحق ارتفاعه
وقلبك المطرف المشوش تحريفه بطي نشر ينعش
وارف بالاستعارة المضارعه تحسن في التفاتك المتابعه
ونفيك الشيء بايجاب لنا مخترع التسليم تلفيق دنا
وسلبك الايجاب والموارب يرشح الاعنات والمعاتبه

وهو نحو ستة واربعين بيتا اما خبره فاني لم اقف على جليته فلم يمكني الحديث على حياته ولعله احد الاربعة الذين وجههم يوسف داي للصلح مع الجزيريين بعد الحرب معهم سنة ١٠٣٧ في شان الحد الفاصل بين الايالتين فتم على يدهم والاربعة هم الشيخ ابراهيم الغرياني والشيخ رمضان افندي والشيخ تاج العارفين البكري امام الجامع الاعظم والشيخ البركة ابراهيم الجديدي . ونشأت ناشئة من الادباء في المائة الحادية عشرة لم نقف على ترجمتها الا نزر منهم سنذكره استفدنا ذلك مما وجدناه من التواريخ الشعرية المنقوشة بالواح الرخام على الترب التي بناها دايات الترك ومباني الخيرات وفيها اشعار بديعة الحوك . عجيبة الصياغة والسبك . مثل تاريخ تربة احمد داي سنة ١٠٥٥ الذي مطلعه

امولاي يا من ملكه ليس ينفد الى بابك الاعلى سعى الداي احمد
وخلف دارا للفناء مصيرها وسار الى دار البقا وهي احمد

ومثل الاشعار المنقوشة بميضاة سوق الترك التي بناها صاحب الخيرات الرئيس ابو الحسن علي ثابت التونسي المنشأ الطرابلسي الاصل ونقلت الآن الى البستان العمومي بباب الخضراء وغير ذلك الا ان اهلها جهلنا خبرهم اما لانهم لم يعتن بجمع اخبارهم لضعف العلم في تلك المدة او انهم ارخوا ولم اظفر بمن لحياتهم ذكر فاندرجوا مع جملة من غبر ثم جاءت الدولة المرادية وقد ايفع فن

الادب . ونبغ من الشعراء شرذمة لا تقصر فيه عن بلوغ الارب . واشهر من عرفنا منهم ابو عبد الله محمد بن ابي دينار ومنهم الشريف السوسي مؤرخ صومعة جامع الزيتونة الاعظم لما بناها الامير محمد باي المرادي زيادة واصلاحا ومنهم المفتي بالقيروان الشيخ ابو عبد الله محمد العروي فقد ذكر ابن دينار ان له اشعارا رائقة امتدح بها الامراء المراديين وما زال الادب بالقطر التونسي سوقه تنفق . وشمسه على آفاقه تشرق . الى ان جاءت الدولة الحسينية . ذات الآثار السنية . فبلغ اشده واسترجعت البلاد فخرها الادبي الذي كان لها منذ مدة فنشأت شعراء . القت اليها البلاغة مقاليدها بلا مراء . من كل عالم ندس . صح ان نفاخر به شعراء الاندلس . اذا نثر فنثاره الدر . واذا نظم فنظامه الانجم الزهر . ودونك ما سنشنف به سمعك . من اشعار بعض هؤلاء . الاعيان ونقص عليك من خبرهم ما تقر به العينان .

(انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني)

استدراك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥	٥	وادية	واديه
٨	١٣	كعا	كعبا
١١	٥	اسناد	اسناء
٢١	٤	ميسرة	مسيرة
٣٤	١	فد	قد
٣٦	١٠	تصيب	تصيبا
٣٨	٣	اضربت	اضرمت
٤٦	٥	اصرف	اسرف
٤٦	١١	ليذكركم	لذكركم
٤٧	٢١	مهمهف	مهفهف

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٨	١٩	اعطى	اعطي
٥٠	١٧	اليل	الليل
٥٠	١٨	بدى	بدا
٥٦	١١	كالمتنى	كالمتنبي
٥٨	٢٤	العيش	العيس
٥٩	٦	سلوب	إسلوب
٥٩	٢٥	متسهل	مستهل
٦٣	٤	دقيقة	دقيقه
٦٤	٨	انتشارة	انتشاره
٦٥	١٢	سمى	سمي
٦٧	١٣	فقهيا	فقيها
٦٧	١٦	راءهم	وراءهم
٧٢	١٢	سمى	سما
٧٣	١	وسيتعذب	ويستعذب
٧٨	١٢	النيين	النبيين
٨٠	١٥	ضواميء	ظواميء
٩١	١٦	الانظر	الانضر
٩٢	١١	دنى	دنا
٩٨	٢٢	مسلم	ومسلم
٩٩	٢٣	الحنيفة	الحنيفي
١٠١	٢٢	ازداراء	ازدراء
١٠٤	١٠	الرمان	الزمان
١٢٣	٨	لامهم	لامهما
١٢٣	١٠	وقضاء الحق للحمة	وقضاء لحق اللحمة يبلى
١٢٨	١٩	يبلى	

فهرست الكتاب

صحيفة		صحيفة		صحيفة	
١	تصدير الكتاب	٣٣	ابو القاسم اليحصبي	٥٦	ابن شرف
ذ	ترجمة المؤلف والتعريف بسلفه	٣٣	ابو عبد الله الخياط	٥٧	ابن ابي الرجال
	مقدمة الكتاب	٣٤	ابن ابي زيد	٥٨	ابن ابي الصلت
١	اقسام الادب	٣٥	صاحب الاوشاني	٦٠	سلام بن فرحان
٤	ابتداء الشعر عند العرب	٣٥	ابو محمد اللمائي	٦٠	الامير ابو ساكن
٥	الغاية من الشعر عند العرب	٣٥	محرز بن خلف	٦١	ساكن بن عامر
٨	انواع الشعر عند العرب	٣٧	علي بن ابي حنيفة	٦١	ابن عبد الجبار الرعيني
١٠	منزلة الشعر في الاسلام	٣٨	اخوه محمد	٦١	عبد الله الفرياني
١٣	الادب بالمملكة التونسية	٣٩	عثمان الصدفي	٦٢	الامير ابو زكرياء
١٤	شروط الشعر	٣٩	ابو عبد الله القزاز	٦٥	ابن الشباط
١٦	عبد الله بن الزبير	٤٠	ابو حفص القمودي	٦٦	عبد الرحمان الاصولي
١٧	الحسام بن ضرار	٤٠	ابو محمد القيسي	٦٧	محمد بن الابار
١٨	الحسن بن حرب	٤١	ابو زكرياء الشقراطسي	٦٧	احمد بن الغماز
١٩	الاغلب بن سالم	٤٢	ابنه عبد الله	٦٨	علي بن موسى
١٩	عبد الرحمان بن زياد	٤٣	ابراهيم الحصري	٦٩	ابن ابي الدنيا
٢٠	يزيد بن حاتم	٤٤	مضر بن تميم	٧٠	الحسن الهواري
٢١	عبد الله اليحصبي	٤٤	عبد الله الجبناني	٧٢	ابن البرا
٢٣	احمد الربعي	٤٥	علي التنوخي	٧٢	ابنه القاسم
٢٤	عيسى بن مسكين	٤٦	محمد بن ميكائيل	٧٣	احمد اللليانى
٢٥	غلبون بن الحسن	٤٦	ابو الحسن الصفار	٧٤	ابن عريبه
٢٧	بكر بن حماد	٤٧	ابو الفتوح السوسي	٧٦	ابنه عتيق
٢٨	ابو العرب بن تميم	٤٧	ابو موسى القطان	٧٧	ابن السماط البكري
٢٩	حسن الخولاني	٤٧	ابن الغطاس	٧٩	محمد التجاني
٢٩	محمد بن هاني	٤٨	محمد بن عبدون	٨٢	ابنه عبد الله
٣١	الحسن القلانسي	٤٩	عبد الحميد السوسي	٨٤	شقيقه احمد
٣١	ابو عبد الله الصوفي	٤٩	التراب	٨٧	علي التجاني
٣٢	ابو بكر بن سعدون	٥٠	ابن النحوي	٨٧	ابنه ابو الفضل
٣٢	ابو العباس الباهلي	٥٢	ابن رشيق	٩١	ابو عبد الله الهواري
		٥٤	تميم بن المعز	٩٢	ابن حسينه
		٥٥	علي الحصري	٩٤	ابن يعيش

صحيفة

٩٥ ابن ابي سلام
٩٥ احمد الرصافي
٩٥ ابن المجلوم
٩٦ ابن راس الحجله
٩٦ محمد الحزري
٩٦ ابن نزار
٩٧ ابو بكر الغماري
٩٧ ابو القاسم الرحوي
١٠٢ محمد البدوي
١٠٣ محمد الظريف
١٠٥ ابن عرفه
١٠٧ ابن خلدون
١١٤ الابي
١١٥ يحيى بن خلدون

صحيفة

١١٩ ابو الفتح بن عبد السلام
١٢٣ ابو العرب
١٢٤ ابو القاسم الشتتيريني
١٢٥ ابن حمديس
١٢٦ ابو القاسم بن يخلف
١٢٦ محمد بن القطاع
١٢٧ ابراهيم القسري
١٢٧ ابو علي السعدي
١٢٨ محمد بن سدوس
١٢٨ المقداد بن الحسن
١٢٨ احمد بن نصر
١٢٩ علي بن بشري
١٢٩ ابو علي بن احمد
١٣٠ الحسين القائد

صحيفة

١٣١ ابو القاسم بن الحسن
١٣١ يعقوب الزبيدي
١٣٢ عمر بن مازوز
١٣٢ علي بن الخياط
١٣٤ عبد العزيز بن عبد الرحمان
١٣٤ علي بن عبد الرحمان
١٣٥ القاسم بن عبد الله
١٣٧ محمد الطوبي
١٣٨ ابن رمضان المالطي
١٣٩ ابن السمنطي
١٤٠ عبد اللطيف الغرياني

عنوان الأريب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

تأليف

المؤرخ الكبير العلامة

الشيخ محمد النيفر

الجزء الثاني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

بالمطبعة التونسية — نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

١٣٥١

عنوان الأريب

عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

تأليف

المؤرخ الكبير العلامة

الشيخ محمد النيفر

الجزء الثاني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

بالمطبعة التونسية — نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

١٣٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني الاصل

التونسي القرار المعروف بابن ابي دينار

ولد بالقيروان وبها نشأ حوى علما وادبا جما بذ ادباء عصره واساطين بلغاء مصره حتى اشتهر شعره استوطن بحاضرة تونس وكان فقيها مشاركا في العلوم اديبا شاعرا مجيدا مدح الامير مراد باي وابناءه. اعتنى بالتاريخ فالف فيه تاريخه المسمى بالمونس في اخبار افريقية وتونس سنة ١٠٩٢ ارخ فيه المراديين عن مشاهدة لاكثرها الى ذلك التاريخ وذكر فيه بعض علماء ذلك العصر وكتابه في آخره . لم اقف على وفاته ومن شعره يمدح الامير علي باي بن مراد باي ويهنيه بختان اخيه وابن عمه

اتاك هناء بالختان مشاب ... وطالع سعد مقبل وشباب
اقامه فوق النيرين فمن يرم ... صعودا لمرقاه رماه شهاب
فلا تخش كيدا من عدو فانه ... وحقك من سهم القضاء مصاب
علوت على دست الرئاسة يا علي ... فطأها كما تبغي فانت مثاب
تباشرت الدنيا لبشرك في العلى ... فكم كبد للحاسدين تذاب
وجددت بالدار الجديدة موسما ... سما عن بني حفص حضرت وغابوا
وبالقبة الحمراء(١) عيشك يانع ... يروقك منها سائغ وشراب
منازل افراح لديك تجددت ... تشرف منها منزل وقباب

(١) القبة الحمراء تسمى بذلك من زمن المراديين بل فيما يظن من زمن الحفصيين لانها من قصورهم جددها المراديون

حللت بها كالبدر بين كواكب ... ونورك باد ما عليه ضباب
مفاخر عن جد بجد وعن اب ... وراثة مجد ليس ذاك عجاب
وبابك مفتوح لقصد مكارم ... وقد سد عن نيل المكارم باب
تهنا بهذا العز والدهر طائع ... لديك وهاتيك الحواسد خابوا
لك الله ما ابهى وابهر سؤددا ... لغيرك عندي لا تشد ركاب
وان كنت في سن الشبيبة فالعدى ... وحقك من صولات باسك شابوا
وانك بحر المكرمات لمن يرد ... وغيرك فيه بلقع وسراب
فمن يرتجي عفوا لديك يناله ... وللضد يا نجل الكرام عذاب
اذا ما بدا يوما جمالك طالعا ... تمد الى ذاك الجمال رقاب
ترفق فان الرفق منك سجية ... وانك ما تدعو اليه يجاب
تروع ابطالا وتؤمن خائفا ... وانك في ذي الحالتين مهاب
فباسك آساد العرين مروع ... اذا مد ظفر من سطاك(١) وناب
فكم من اعاد من لقاك تحيروا ... وضاقت عليهم بيدة ورحاب
وان غرقوا في بحر باسك فلتكن ... نشاة عليهم ما عليك عتاب
وان جنت الايام عنك فانها ... انابت وللجاني لديك متاب
فلا تبتئس من كيد ضد فانما ... عليك من المولى الكريم حجاب
ولازلت في دست الرئاسة والعلى ... ورأيك في كل الامور صواب
وعمرك في عز وربعك عامر ... وربع اعاديك البغاة خراب
وذكرك ما بين المحافل ذائع ... يغني به (٢) وربابه
فخذ من ثناءي ما استطعت فانه ... بجهد مقل قد جفاه صحاب
اقلد در المدح جيدك والثنا ... كما الدر في جيد الملاح سخاب
فانت محل المدح ان جاء مادح ... وكل الذي فوق التراب تراب

ومنه مجيبا ابا عبد الله محمد الشرفي الصفاقسي عن ابيات مدحه بها

لمثلك ما يقال ولا مثيل ... فهذا الفخر والعقل الجميل

---

(١) سطوتك — (٢) بياض بالاصل — مصححه

ايا قمرا تبدى في علاه ... لرائيه وليس له افول
ومن احيى وحير في نظام ... علاه الفخر والفضل الجليل
بعقل تحسد العقلاء فيه ... ونقل قد تحير له العقول
اذا الفصحا قد اشتهروا بقول ... فانت القصد تعلم ما تقول
اليك تشد اكوار المطايا ... ونحو حماك قد نزل الرعيل
وفي شرف المعالي انت شمس ... لناظرها تلوح ولا افول
بنو الشرفي ان فرضوا لمجد ... فريضتهم لمجدك قد تعول
سقى قبر الذي ابقاك فينا ... من الرحمات وابلها هطول
واسقى فرعه بالجود حتى ... يميل لنا وعنا لا يميل
متى نحظى بوصل واجتماع ... ونهنا فلا كتاب ولا رسول
وان امتت بنا حال وحالت ... علمنا الود منكم لا يزول
تعيش على الدوام بكل خير ... لك التوفيق والعمر الطويل
مودة من مضى في الناس ماتت ... واحياها لنا الحبر النبيل

الشيخ المفتي المالكي ابو عبد الله محمد بن ابراهيم فتاته

نشأ هذا الامام في طلب العلم فجد بفكر ثاقب، وهمة اقتعدت ذروة الكواكب، فانتظم عقدها بنحره، وازدان صدر عصره بدر فخره، وبدا على اقرانه فضله، ووضح في الجهابذة النقاد نبله، فتصدر للاقراء بجامع الزيتونة فتدفقت معارفه للوراد، وعمت سحب علمه الحاضر والباد، فجدد ربعا منه دارسا، وجلى من تحقيقه عرائسا، فنفقت سوقه، وتوشجت في الحضرة التونسية عروقه، فتخرج عليه جهابذة اعلام، نشرت على الاقطار الافريقية خير الاعلام، الحق الاصاغر بالاكابر وانتهت اليه رئاسة العلم، لما اخر الامير مراد باي الشيخ ابا الفضل المسراتي لاسباب سياسية اراد تولية صاحب الترجمة فتوى المالكية عوضه فامتنع من قبولها تباعدا عن الوقوع في الاخطار فاعفاه ثم اضطر لتوليته فالزمه بقبولها فقبلها مكرها ورأى اهل عصره انها تعينت عليه فقام باعبائها صادعا بالحق، فارضى الخالق والخلق، واحرز فيها قصبات السبق، وامتحن في

واقعة خلاف الاخوين الاميرين علي ومحمد ابني الامير مراد باي لما دخل محمد باي الى تونس سنة ١٠٨٩ وقبض على جماعة من اعيان اهلها منهم المفتيان صاحب الترجمة والشيخ يوسف درغوث المفتي الحنفي واعتقلهما واراد قتلهما ففر صاحب الترجمة ليلا وقتل الشيخ يوسف درغوث مظلوما رحمه الله ثم انفرجت الازمة وبقي في خطته معظما موقرا ملحوظا بعين الكمال ومع ما له من التفوق في العلوم كان شاعرا مجيدا توفي سنة ١١١٥ ومن شعره مقرضا سمط اللئال للشيخ قويسم ونصه : الحمدلله ان خير كلام يفتتح به المقال . وأيمن ذكر يصدر به كل امر ذي بال . حمدا لله الملك المتعال . وثناء ذي العزة والجلال . الذي ابدع الكائنات بقدرته الظاهرة . واخترع المصنوعات بحسب ارادته الباهرة . والصلاة والسلام على خاتمة الرسالة العامة . والنبوءة التامة . محمد المبعوث بالآيات القاطعة . المؤيد بالمعجزات الباهرة الساطعة . وعلى آله الاخيار . واصحابه الابرار . ما تعاقب الليل والنهار . وبعد فقد وقفت على ما تيسر من هذا المجموع الغريب . والانموذج المونق العجيب . جمع صاحبنا واخينا في الله الشيخ الفقيه الافضل العلامة الزكي الاشمل ابي عبد الله محمد ويعرف بقويسم ضاعف الله لي وله الحسنات وغفر لي وله الخطايا والسيئات . بمنه فالفيته روضا اينعت ثماره . وعبقت بأريج المسك ازهاره . فاشتمل على مباحث اثارت الادلة الواضحة من اماكنها . وقنصت الاوابد من غوامض مكامنها . فاحسن به مجموعا قد اشرقت معانيه . وعلت على الفلك الاعلى مغانيه . فلله در ناظم عقوده . وراقم برود . فلقد ضمنه من ملح المسائل وقواطع الدلائل ما تقر به عيون اولى الالباب . ومن نوادر الاخبار ورقائق الاشعار ما يستظرفه اولو الالباب . فلا زال في فلك الفضائل بدرا منيرا . وفي سماء العلا هلالا مستنيرا .

لله مجموع سما رتبة ... على السهى والانجم الزهر
حوى حلى اهل النهى والتقى ... والادب البارع والفخر
كانه في حسنه روضة ... حفت بانواع من الزهر
نظرت في آدابه نظرة ... ازاحت الاشجان عن صدري
وعاد لي انسي الذي كان لي ... مصاحبا في سالف الدهر
همت وما نلت له غاية ... وهل ينال الكوكب الدري
ما وقعت عيني على مثله ... قط وهذا غاية الامر

الشيخ ابو عبد الله محمد قويسم صاحب سمط اللئال

ولد بتونس وبها نشأ في طلب العلم فاخذ عن علمائها الجلة وقد ذكر منهم جملة في آخر سمط اللئال مترجما عن فضلهم . منهم ابو عبد الله محمد ابن ابي الفضل اللبني اخذ عنه اصول الفقه والمصطلح ومنهم ابو عبد الله محمد بن مصطفى الحنفي اخذ عنه النحو وعلم اصول الدين وذاكره في العلوم الرياضية وكان قد قرأها بمصر ومنهم ابو الحسن علي بن عبد الرحمان التاجوري النعاس اخذ عنه مختصر خليل ومنهم الشيخ عاشور ابن قاسم اخذ عنه علمي الحديث والعروض والقوافي والادب ومنهم ابو عبد الله محمد ابن احمد براو الربعي اخذ عنه كتاب الشفا للقاضي عياض وبرع صاحب الترجمة واشتهر في العلوم وانتشر صيته فتصدر للاقراء وتخرج به كثير من العلماء وكان يسكن بالربض فكان يقري العلم بجامع ابي محمد الحفصي ولما بنى الامير محمد باي المرادي جامعه امام زاوية سيدي محرز جعل فيه رواية صحيح البخاري واولى صاحب الترجمة مدرسا وكان ربما حضر درسه فاذا فرغ رفع محمد باي نعل صاحب الترجمة تيمنا بخدمته وهو لا يعرف انه الامير حتى قال لبعض تلاميذه يوما وقد رفع له الامير محمد باي نعله ما الطف هذا المملوك ظنا منه انه من المماليك فقال له التلميذ يا سيدي انه هو الامير محمد باي . وكان ورعا ياكل من عمل يده فكان يحترف ببيع الرياحين والزهور بدكان بباب السويقة في غير اوقات بث العلم . الف سمط اللئال في تراجم ما اشتمل عليه كتاب الشفا من الرجال . ليس له في بابه نظير في احد عشر جزءا ضخاما فرغ من تاليفه سنة ١١٠٠ وقد تركه في مسودته فالقته يد المقادير الى من كان يخفيه ويضن به على اهله كتما للعلم وحبا للاستيثار وكاد ان يتلاشى اسوة غيره من محررات التونسيين فقيض الله من نشر رفاته من ذوي الغيرة العلمية فتلطف في استخراجه من يد مانعه واستنسخه ورده اليه فظهر للعلماء ديوانا ممتعا وتاليفا بالفوائد مترعا فتسابقت علماء عصره في مدحه وتقريضه واشادوا بذكره فطلعت شمسه بعد ان كادت ان تكور بيد الاضمحلال ولا يزال الى الآن قليل المداولة لقلة نسخه بسبب تقاصر الهمم في استنساخه وقد اختصره تلميذ تلامذته ابو العباس احمد

ابن ابي راوي في جزءين وبالجملة فكتاب سمط اللئال من غرر تآليف التونسيين التي فاقوا بها. وكان اديبا شاعرا مجيدا توفي سنة ١١١٤ ودفن بداره بالحفير من ربض باب السويقة من تونس وقبره مزار معروف العين. ومن شعره ينبه على بعض فضائل كتاب الشفا لعياض وطرزها باسمه ويذكر تاليفه سمط اللئال وترتيبه ومسلكه فيه

م مآثر خير الخلق عند ذوي النقل مثبتة الاركان محكمة الاصل
ح حكاها اناس طبق الارض فضلهم ولم يدركوا شاو الامام ابي الفضل
م مداركه تنبي باكماله وقد غدا بالشفا يزهو عن الشكل والمثل
م مشارق انوار الحديث تمهدت قواعده منها فيالك من فحل
د درايتها فيها امان من الردى وتحقيقها حرز منيع من الجهل
ق قضى قاسم الارزاق في العلم والحجى له بوفور العلم والدين والعقل
و وان شئت تحقيقا لما قد ذكرته فلا تسالن عن فضله غير ذي فضل
ي ينبيك عن فحواه علما وقد غدا كمثل غمام في البطائح منهل
س سما لمراقي النجم مطلبه وفي طلاب المعالي كان مقصده الاصلي
م معان نفت ما فيه هضم وريبة لجانب رب الخلق او جانب الرسل
عليهم صلاة ليس يدرك حصرها بقطر ولا وبل غزير ولا رمل
وناظمها في صدر عشر بدا اسمه واحرفه حمر مبرقعة الشكل
يقول وحسبي خيرة الله في الذي اروم وان عز المرام على مثلي
تراجم اهل العلم والفضل في الشفا ومن هو فيه من ذوي العقد والحل
ومن هو في العليا بوصف نبوة ومن هو في السفلى كمثل ابي جهل
على حسب الترتيب في احرف الهجا بمصطلح يعزى الى الشرق في النقل
وما لم اجد فيه مقالا لقائل فلي اسوة من تركه بالاولى قبلي
ولو رام هذا القصد غيري تركته لوصفي بالتقصير عن رتب الفضل
ولكنه يرعى الهشيم من الكلا اذا صوح النبت المنعم في الاصل
ومن ينتظم في سلك اهل فضيلة وان كان من اهل التطفل يستعلي
على ان ذا التاليف ينصف نفسه واقواله في الجد مرمى وفي الهزل

وكل كلام فيه لين وشدة ... سوى قول معصوم فيا لك من قول
وحسبي ربي في اموري كلها ... واساله الامداد في الصعب والسهل

وله رحمه الله مؤرخا شيخه ابا عبد الله محمد براوا ومطرزا اسمه به

وبعد فهاك نظما في ضريح ... حوى علما وضم رفيع قدر
م مآثر من به زادت وضوحا ... وسارت في البلاد مسير بدر
ح حكت لما استنارت ضوء شمس ... برابعة فعمت كل قطر
م منوهة بوصف حلاه حتى ... ازالت عن سماه كل خدر
م محمد اسمه يدعى براوا ... براه الله من نظر وفكر
د دعا جل العلوم فطاوعته ... مذللة ولبته بقسر
ق قضى رب العباد له بفهم ... لفن النحو يحكي فهم عمرو (١)
و وفي فن الحديث له اياد ... فحدث عن امام مثل بحر
ي يريك من النكات اجل معنى ... بلفظ مونق كالسحر يجري
س سما في عصره ورعا وعلما ... فاصبح في البلاد فريد عصر
م محاسن علمه ذا النظم منها ... ونجل الصقر قد يدعى بصقر
وناظمها المبين من حروف ... مبرقعة بصدر العشر حمر
يقول سالت ربي بابتهال ... لشيخي ان ينعمه بقبر
ويجعل تربه مسكا ذكيا ... ينم عليه مثل عبير عطر
ويجمعنا واياه بروض ... اريض بالجنان بغير ذعر
وتاريخ الوفاة سهغ (٢) بسين ... من الاهمال نالت فضل وفر
وبالاعجام حرف الغين يحيى ... لك ورفيع الجاهي يثري (٣)
وصلى الله ربي كل حين ... على المختار من سود وحمر
صلاة لا يرام لها انقطاع ... ولا عد برمل او بقطر
وآل المصطفى والصحب طرا ... ومن والاه في عسر ويسر

---

(١) ١٠٦٥ — (٢) اسم سيبويه — (٣) كذا بالاصل

الشيخ ابو عبد الله محمد زيتونة

ولد بالمنستير سنة ١٠٨١ ثم انتقل الى تونس لطلب العلم فاخذه عن علماء عصره وتبحر في المعارف واستوى على صهوة التحصيل في علمي المعقول والمنقول وتصدر فبث العلم فارتوى من معينه الجم الغفير وانتهت اليه رئاسة العلم بتونس بل المغرب قاطبة لم ير في عصره احفظ منه ولا اقوى عارضة دخل المشرق فحج وجاور واقرأ العلوم به وابتدا حاشيته على تفسير ابي السعود هناك بعد ان كان شرح الدياجة بتونس ثم رجع الى مسقط راسه ومنبت غراسه ولي مشيخة المدرسة المرادية التي بسوق القماش بعد المناظرة مع علماء عصره المزاحمين له وقد شرط محبسها ان لا يتولى مشيختها الّا اعلم اهل العصر فعقد له مع منازعيه مجلس علمي حضره جلة علماء جامع الزيتونة فكان السبق فيه لصاحب الترجمة فوليها باستحقاق وله تآليف كثيرة منها حاشية على الوسطى في جزءين وشرح على السلم وشرح على البيقونية وشرح على الالفية لم يكمل وغير ذلك ومع هذا العلم الغزير والفضل الباهر الذي حصل عليه كان مكفوف البصر وسبب كف بصره انه خرج هاربا من تونس فركب مركبا موسوقا ملحا وكان في شدة الشتاء فاثر ذلك في بصره فكف . اتم الحاشية العظيمة على تفسير ابي السعود العمادي في اجزاء عدتها عشرون كان يمليها من حفظه على تلاميذه فيكتبون عنه كل يوم ما يعجزهم نسخا فضلا عن التاليف وكان شاعرا اديبا توفي سنة ١١٣٨ ودفن بمقبرة الجلاز وقبره معروف بها ومن شعره يمدح المرحوم الحاج مصطفى خوجه قاره باطاق الذي استنسخ نسخة من اصل سمط اللئال للشيخ محمد قويسم واخرجه من يد الذي كان باخلا به وهو المسودة بخط المؤلف فكتبها منه وردة لصاحبه ويتضمن الثناء على سمط اللئال

احييت آثارا غدون دوارسا ... وحميت اطلالا بقين طوامسا
وهزمت اجناد الهوى لحواسد ... لجمال بهجته خضعن نواكسا
ورفعت استارا فهلل حسنه ... في الخافقين مكبرا ومجالسا
ابرزته للافق بدرا نيرا ... فرمت لواحظه القلوب نواعسا

ونشرت في غرر الطروس محاسنا ... برزت لارباب العقول عرائسا
وسرين في جنح الظلام اهلة ... فتوقدت في الداجيات فوانسا
قد اصبحت بالافق فجرا طالعا ... تهدي الجهابذ رحلا وجوالسا
تشفي القلوب بسرها وشفائها ... تجلو العمى تغني الفقير البائسا
بتراجم لرجال فضل جاهدوا ... في الله حق جهاده المتنافسا
بذلوا نفوسهم ليوثا في الوغى ... دون الورى للنائبات عوابسا
ابرزته فبلغت اقصى مقصد ... في الدين بين العالمين منافسا
وزهدت في الفاني لتاخذ باقيا ... فغدوت فيه رابحا لا واكسا
وكشفت ساق الجد فيما تبتغي ... فجنيت من روض الجنان غوارسا
ورفعت اعلام الحديث بمنبر ... فكسيت اردية القبول ملابسا
واقمت افضلا باصدق عزمة ... لترى فراديس النعيم مجالسا
فاهنأ فانت مع الذين تحبهم ... من خير خلق الله ثمت جالسا
لا زلت ملحوظا بعين عناية ... ما دام ذكر الله قلبك حارسا
يا مصطفى لمحبة الهادي ومن ... نسخ الكتاب لمن يروم موانسا
نعمتنا بجماله ورحمتنا ... بمقاله وازلت منا هاجسا
هذا هو السعي الجميل وغيره ... يوم الحساب يعود ربحا دارسا
والحمد لله الذي من فضله ... ابهرت علما كان ليلا دامسا

ومن شعره يمدح الامام البخاري وكتابه الجامع الصحيح

هذا الكتاب بشرع احمد ينطق ... ولشمل ارباب الضلال يمزق
ولقده بين الغصون تمايل ... ولبدره بين النجوم تالق
ولثغره البسام نظم لآلىء الا ... ثار يهديها لمن يتشوق
وبخده ورد الصحاح ونحره الفتـــان ازهار الحسان تنمق
وبلحظه شهب الشريعة ارسلت ... للواهيات بجنح دجن تفلق
ولساعديه على الاعادي سطوة ... فصلوا بها نار السعير فاحرقوا
قد اصبح المقطوع مقصوعا(١) وبرق ضعيف كل خلب متفرق

---

(١) محقرا — مصححه

وضعوا على صفح التراب خدودهم ... وتيقنوا بجلاله وتحققوا
وبنانهم كتبت على وجناته ... ما اسندت حفاظه او علقوا
فروى لنا عنه مسلسل شعره ... عن جفنه عن باسم يتفتق
عن نظم در عن جنابذ(١) لؤلؤ ... عن عارض بسحيق مسك يعبق
شرح الغريب فجيده مع ساعد ... لمحبه متمنطق ومعلق
برزت بدور التم من مشهور ما ... يحوي فروض المستفيض مرونق
فعلا على شرف الظهور وضده ... بين الايمة نازل متزحلق
ومعنعنات جماله نقلت لنا ... ان الكريم لمن رواه موفق
وعيون اخبار النبي محمد ... من روضه بين الورى تتدفق
سمحت به نفس البخاري الذي ... خضعت له شم الانوف واطرقوا
ما مسلم في جنب ما صدعت به ... افجاره ما البيهقي الاصدق
ما الترمذي وما ابو داود في ... منوال ما ابدى وما هو ينسق
ما لابن ماجة حين يبدو حسنه ... يغضي الجفون ولاجموع تحدق
بكتابة في مجلس لمحدث ... ما للنساءي برقه لا يخفق
مع انهم فازوا بكل فضيلة ... في نقل اخبار الرسول ودققوا
ما ذاك الا ان شمس جماله ... بهرت عقول العارفين فاحدقوا
وغدت لدار المصطفى تسعى على ... راس باذيال الرضى تتعلق
وحوت شريعة احمد في احمد الترـ ... تيب والاخلاص منه يصدق
سبحان من جعل البخاري جامعا ... لنعوت ارباب الكمال يحقق
والحمد لله الذي نعماؤه ... جلت عن الاحصاء فيما يخلق

الشيخ ابو عبد الله محمد الخضراوي

هذا الاستاذ من مشاهير ناشئة العلم بتونس المشيدين صرحه اخذ عن علمائها فجلى . وحاز القدح المعلى . حتى اصبح فريد دهره . ووحيد عصره . علامة الاعلام .

---

(١) زهرات تشبه زهر الرمان — مصححه

والاوحد الامام. احيى ما دثر من المعارف بهذا القطر فازهرت رياضه. وتدفقت للوراد حياضه. اخذ عنه الجم الغفير. وتخرج به في العلوم المامور والامير. انتهت اليه الرئاسة العلمية في زمانه. فلا تحل المعضلات الا ببنان بيانه. وجه عنايته للامير علي باشا فحصل على الحظ الاوفر من العلوم العربية حتى جمع من تقاريره على التسهيل للامام ابن مالك شرحا جليل الفوائد. سني العوائد. قرضه صاحب الترجمة واثنى عليه ثناء عاطرا ولا زال صاحب الترجمة غيث العلم الصيب. والبلد العلمي الذي يخرج نباته الطيب. تضرب من الابل اليه الاكباد. وتؤمه طلاب العلوم من اقاصي البلاد. وبحره العجاج يتلاطم موجه. ونجم فضله متواصل عروجه. الى ان توفي بعد ان بث في صدور الرجال. من العلوم ما لا تنقطع معه الاعمال. وكان شاعرا مجيدا كانت وفاته سنة ١١٤٤ ومن شعره مقرضا شرح تلميذه الامير علي باشا على التسهيل

قسما بما ابداه من تحقيقه ... في حل مشكله ومن تدقيقه
وبوردة العذب الزلال ومن غدا ... متعللا بصبوحه وغبوقه
او من غدا مترشفا لصبابة ... من عذب منهله وكاس رحيقه
وبديع نسج ما له من مشبه ... في وشي مذهبه وفي تنميقه
ولطيف مزج فائق في لطفه ... نسم الصبا والماء في ترويقه
ان العيون لنحوه ترنو كما ... يرنو أخو مقة الى موموقه(١)
وكذا القلوب لمجده تعنو كما ... يعنو المحب الى لقاء عشيقه
مستهترين بحبه وجدا فما ... لهم محيد عن سلوك طريقه
روض حوى من كل زهر ما تشا ... من ورده وبهاره وشقيقه
ما شئت من غصن نضير مونق ... يهتز في غلوائه وسبوقه
ما شئت من انهار عذب سلسل ... يقضي التعجب من حلاوة ذوقه
جمع تجمع فيه علم النحو من ... بعد الشتات لشمله وفريقه
اعظم به جمعا احاط بما حوى ... مثل الحمام حمته ربقة(٢) طوقه
ما بين احكام وتعليلاتها ... تبدو كنجم ضاء بعد خفوقه
وشواهد وقواعد ضاعت شذى ... كالمسك في ضوعاته وعبوقه

---

(١) محبوبه — (٢) حبل

طلبوا له مثلا فاعياهم ولم ... يجدوا فاضحى عادما لشقيقه
يحوي مسائل اشكلت في النحو في ... مفهومه وكذاك في منطوقه
يبدي دقائق لا ترى في غيره ... من حادث في كتبه وعتيقه
لا زال من اهدى لنا ابحاثه ... تهدى الانام بلامعات بروقه
يبدي لنا في العلم احسن ما يرى ... في حل مشكله وفي تفتيقه
وحبا الجميع بفضله الفردوس مع ... جمع النبي المصطفى وفريقه
وكذاك رب النظم يرجو الله في ... اتباعه للمصطفى ولحوقه
صلى عليه الله ما ابدى لنا ... تحقيق دين الحق بعد زهوقه

ومن شعره يرثي الشيخ زيتونة رحمهما الله

قلب يذوب ومهجة تستقطع ... واسى يزيد ومقلة لا تهجع
ولهيب نيران تضرم وقدها ... يصلى بجمرتها الحشى والاضلع
وتلهف وبكا وفرط كئابة ... ومدامع مسفوحة لا تقلع
لهجوم خطب هائل مستعظم ... ما ريء اهول قط منه وافظع
انهدت الاركان بعد هجومه ... وغدت لطلعته الجبال تصدع
واغبرت الخضرا واظلم نورها ... بعد الضياء فشمسها لا تطلع
لم يلف قلب للانام اولي النهى ... الّا وللتاثير فيه موقع
او تلق منهم كابرا او صاغرا ... الّا تراه هائما يتوجع
فكأن كلا منهم ذو مأتم ... وكأنما الارواح منهم تنزع
لما نعى الناعي امام اولي النهى ... شيخ الانام ومن اليه المفزع
زيتونة الاسمى الرفيع مقامه ... بحر له في كل علم مشرع
احيى علوم الدين بعد دثورها ... وغدا به شمل المعارف يجمع
بجميل تدريس وفهم ثاقب ... وجليل تصنيف يفيد وينفع
وعلوم تفسير وحفظ واسع ... وتقى وموعظة وقلب يخشع
ما بين منقول ومعقول معا ... فالعلم فيه قد تجمع اجمع
من بعده للمشكلات وحلها ... يعنى اليه ومن اليه المفزع

كيف السلو وقد غدا من بعده ... ربع المعارف وهو قفر بلقع
فعليه فلتبك الانام جميعهم ... وعليه فليتوجع المتوجع
لا غرو ان فجع الزمان بفقده ... فالدهر قدما بالافاضل يفجع
فسقى الالاه ضريحه من رحمة ... ديما تسح على ثراه وتهمع
ما دام يرجى عفوه عن خلقه ... فهو الذي يرجى وفيه يطمع

الشيخ ابو العباس احمد الشريف

من بيت شرف مشهور، ذي فضل ماثور. ولد بتونس سنة ١٠٩١ في منبت عز ونزاهة، وعلا اثيل ووجاهة. فاخذ العلم عن علمائها الاعلام، مصابيح الظلام. فجلى في ميادين التحصيل، بفهم ثاقب وفكر اصيل. وكان بارعا في العلوم العربية وله قوة معرفة بالنحو والبيان وتفوق في الادب. اولاه الامير حسين بن علي تركي مؤسس العائلة الحسينية قضاء الجماعة بتونس فمكث فيها اياما ثم خلي عنها ورجع الى الاشتغال بالتوثيق وبث العلم ولم تزل تلك سيرته الى ان توفي وكان شاعرا بليغا وكانت وفاته سنة ومن شعره مضمنا

معنّى بكم نفسه سادتي ... ببحر المديح لكم غائصه
يهززها الشوق وجدا لكم ... فتضحي لتذكاركم راقصه
ونفس صديقكم لم تزل ... على المدح في مجدكم حارصه
اذا ما قبلتم قريض الذي ... اتاكم على نية خالصه
فقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء در على خالصه

ومنه قوله من تخميس على البردة

امير عمري قد ولت عساكره ... وجيش شيبي غار اليوم اكثره
لكن انا لست ارعاه واحذره ... لو كنت اعلم اني ما اوقره
كتمت سرا بدالي منه بالكتم

الشيخ ابو عبد الله محمد بن عمر سعادة

ولد بالمنستير سنة ١٠٨٨ وبها نشأ ثم قدم الى تونس فاخذ عن علمائها حتى تدفق حوضه. وازهر روضه. ثم سمت نفسه للاستكمال . بملاقات الرجال . فسافر الى المشرق ودخل مصر ومكث بالازهر ملازما به جلة من شيوخه كالشيخ محمد الزرقاني والشيخ منصور المنوفي والشيخ علي النشرتي ثم رجع الى مسقط راسه . ومربع ايناسه. فتصدر بجامع الزيتونة فافاد. وقلد عقود تحقيقه الاجياد. معروفا بحوز السبق فقيها اصوليا. ولي قضاء الحاضرة والفتوى على مذهب امام الائمة مالك بن انس فشفى الاوام. واعترف بفضله الاعلام. وصدع بالحق بين الانام. ومع ذلك كان لسان الادب. وعيبة علوم العرب. شاعرا ناثرا فما العقود الّا شعره. ولا نثار اللؤلؤ الا نثره. نظم مناسك الحج نظما بديعا وله حاشية على شرح الاشموني على الالفية اظهر فيه طول باعه . وقوة حفظه واطلاعه . توفي سنة ١١٧١ من نظمه ونثره ما قرض به شرح الامير علي باشا على التسهيل ونصه

الحمد لله الذي احيى موات رياض الادب بعد ان يبست ثماره اليانعة. واترع حياض عرفانه بسلسبيل عيون المعارف النافعة. وابدع بما اطلع من كمام نور ازهاره من الانوار الساطعة. احمده ان جعل اللسان العربي قانون اسرار المعاني الفارعة. ومفتاح علوم المعاني المنطوية فيها البارعة . وجمع جوامع تلخيص البيان واساس البلاغة الهامعة. ومعدن لآلي قاموسها المحيط بلغاتها الجامعة. وخصه من بين الالسن بتسهيل الفوائد الشاسعة . وتكميل المقاصد المستصعبة بايضاح الادلة القاطعة. واشكره ان انار الوجود بورثة الانبياء الاخيار . واطلعهم على مخبئات المعاني وغرائب الاسرار . فافترعوا بافكارهم ابكار معانيها . واقترحوا بافهامهم غرائس مغانيها. وطوقوا اجياد الافاضل بلئالي تلك الفضائل. وهذبوا نتائج التحصيل تهذيب الاماثل. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الناصب على وحدانيته الادلة القواطع. شهادة عبد يعدها لمحو اوزاره وفي النجاة بها طامع . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المخصوص بجوامع الكلم والكلم الجوامع. صلى الله وسلم عليه اكرم مرسل واجل شافع. صلاة

وسلاما دائمين ما سجعت السواجع . واتصل بهما الاعلان على رؤس المنابر والصوامع . وعلى ذوي الحسب الباذخ الناصع . واصحابه ذوي المناقب الشائقة والكرم الواسع . وبعد فان العلوم وان تباينت موضوعاتها . وانتشرت مفردات كلمها ومجموعاتها . فعلم العربية منها بمنزلة الراس من الجسد . والموضح لما انبهم من تراكيبها وشرد . لا يدخل الى غيره الَّا من بابه . ولا يعول على فهم معانيه الغامضة الَّا بتيار عبابه . ولا تقتنص شوارده الَّا بشرك اسبابه . ولا يماط لقاب عرائس مخدراته الا بتسهيله ولبابه . فالخالي منه بزوايا الاهمال طريح . وانى يلتفت الى من عدم التمييز بين المعتل والصحيح . وادغم افعل التفضيل في تصريف افعاله . واستوى عنده التعريف والتنكير في موصول احواله . ولا يرى الحال غالبا منتقلة . ولا العمدة في هذا الفن مرفوع المنزلة . وقد كنت اظن ان لا يقدم لحلبته الَّا السكيت واللطيم . والمجلي في ميادينها لاحراز الخصل عديم . وان ليل الجهل بقواعده مدلهم . وفرسان بلاغته عدا عليهم الدهر المصطلم . حتى ورد علي هذا الكتاب المعنون بدفع الملم . عن قراءة التسهيل بجلب المهم . فعلمت ان ذلك الظن لا يصدر الَّا ممن وهم . وان الاقدار تنبت الافاضل . ولا تقصر الفضائل على الاوائل . والقطر لا يعدم من الاماثل . وقد يعقب قطر الطل سح الوابل . فعقدت التوبة من ذلك لنفسي . وحكمت بتكذيب ظني وحدسي . والتفت الى هذا الكتاب الغريب متصفحا مطاويه . مستشرفا لما كمن من شريف المعاني فيه . فاذا هو كتاب بهرت اسراره . وظهر على غيره خناره . واشرقت من شموس معارفه انواره . وطما بحر معانيه يقذف بالآلي تياره . ورياض ادب صدح بلباله وهزاره . وبدا آسه وجلناره . وثمار معانيه قطوفها دانية . وبدور مبانيه عن درر النحو غانية . تجر بوجازة لفظها الجامع . على سائر شروح التسهيل مطارف الحسن الرائع . يقضي بتصفحها بانها نتيجة الدهر في العصر . وفريدة التجر في الفضائل الصدر . قلت

تخجل بدر التم في طلعته ... وتسلب الناسك في بردته
نتائج انتج عشقي بها ... للهو ميلا والى صبوته
ورد مني عنفوان الصبا ... بعد تناسيه الى جدته
طربت من حسن حديث لها ... ما طرب القانون في رنته

او بلبل يهتز عطفاه من ... زهو فيشدو في على دوحته
او الهزار المتصابي بما ... يدعوه للتغريد في نغمته
وملت للتشبيب في حسنها ... ميل جميل لحلى بثنته
واستهترت لبي اريحية ... فصرت كالمفتون في ميته
وقلت يا منية قلبي صلي ... صبا يرى التسويف في توبته
حلاك في الطرس امسك هذى ... ام عنبر قد ضاع في نفحته
ام هو في كافور طرس بدا ... تدبيج خيلان على صفحته
قالت وقد سدد لي لحظها ... سهما يحط النسر من قنته
لولا جنون وهوى غالب ... فيك فما تنفك عن هفوته
رماك مزبور لاقلامي الـ ... ـلدن(١) بما كالرمح في طعنته
هذي نكات بادلاتها ... تحمي حمى المنطق من سقطته
تزيح من ينظرها منصفا ... تريح من مال الى لحدته
يزينها التوضيح والجمع والتسـ ... ـهيل ما حادت على سنته
نمقها الباشا علي الذي ... كواكب العلياء من اسرته
فمن يحم حول حماها ومن ... ينازع الليث لدى ابوته
لحظتها حينئذ لحظ من ... ينقد ابريزا على حكته (٢)
فراقني من طي طرس لها ... مستعذب قد رق في صنعته
سكرت من راووق دن لها ... لا تلم الشيخ على سكرته
فانه معتقد حله ... مذ قد حلا معناه مع رقته
فغبت عن حسي ومدت يدي ... لقطف نور الزهر من وجنته
فانتهرتني من مطاولها ... شواهد دلت على صحته
وقلن لي مثلك من يخطب البا ... شا عروسا في على عزته
كللها بالدر من لفظه ... ودل معناه على فطنته
تسجد اهل الفضل مهما تلوا ... تلك البراعات الى كعبته

---

(١) جمع لدن وهو اللين — (٢) مرة من حك (مصححه)

فقلت اني باذل مهرها ... روحي ومالي لعلى عزته
فقلن ان اعطيت هذا فما ... نراه شيئا في على همته
وقلن ان حاولت ما تشتهي ... لا تلم الباشا على سطوته
فقلت كلا انه ماجد ... يهتز للاداب مع رفعته
فبت استعذب من لفظها ... تعذيب انساني في مقلته
اقسمت لو عاينه من غدا ... شرحا له لاختال في مشيته
عوذت من وشى حلى برده ... بسورة الاخلاص في حكمته
ودام في المجد لنا سالما ... من نفثة النفاث في عقدته

ابو عبد الله محمد الشرفي ابن المؤدب الصفاقسي

ترجمه الشيخ محمود مقديش في تاريخه بقوله كان رحمه الله رئيسا في علوم الدين من فقه وحديث وتفسير وتوحيد وعربية بانواعها واصول فقه وسير ومغاز وغير ذلك تفقه ببلده صفاقس على الشيخ النوري والفراتي ثم دخل المشرق فاخذ عمن لقي من علماء الازهر واخذ علوم الرياضة من حساب وفلك وغيرهما عن نادرة وقته ابي العباس احمد الشرفي الصفاقسي نزيل مصر واتقن معرفة اعمال الارباع الحيبية والمقنطرة وانفرد في صفاقس بتلك الصناعة فاخذها كثير من الناس عنه ولما رجع الى صفاقس وظهر فضله وانتشر علمه فانتفع به الناس بنى له الامير حسين باي بن علي مؤسس العائلة الحسينية مدرسة بصفاقس قرب المسجد الاعظم بها واولاه مشيختها فعمرت بالطلبة واقتبسوا من علومه . وعمر حتى الحق الاصاغر بالاكابر وكان شاعرا مجيدا غالب شعره في الجد توفي لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ١١٥٧ من شعره ما ارخ به المدرسة المذكورة

سعد الزمان واشرقت انواره ... وبدا السرور وهذه آثاره
بحسين بن علي باي الذي ... طابت بطيب فعاله اخباره
يا حبذا للعلم مدرسة بنى ... بصفاقس فعلى بذاك مناره
فاقتر رونقها البديع وحسنها ... روضا تضوع نوره وبهاره

في عام ش ١١٢٦ وقك للبنا تاريخها ... يا من سما بين الملوك فخاره
لازلت اهلا للفضائل والعلى ... ما دام دهر ليله ونهاره

ومنه قوله في الغرض نفسه

لله درك يا فخر الملوك ومن ... غدا بمهجته للخير ملتمسا
انشأت للعلم في ذا العصر مدرسة ... يحيى بها من علوم الدين ما اندرسا
حسين بن علي الباي اسسها ... من لم يزل لضياء المجد مقتبسا

ومنه يمدح ابن ابي دينار الشاعر المتقدم ذكره

وقائلة ارى الايام ولت ... واعقب زهر بهجتها الذبول
واودى كل ذي ادب ولب ... وصال الغمر فينا والجهول
فناداها الزمان وقال كلا ... ضللت اذا وقد وضح السبيل
ثكلتك ها ابو دينار اضحى ... له بين الورى ذكر جميل
له ادب يحير كل لب ... ويدهشه اذا انشا يقول
له في حلبة الادباء شاو ... بعيد ليس يدركه الفحول
اذا ابتدروا لنيل المجد فيه ... ابا دينار انت له كفيل
فان طلعت لهم فيه نجوم ... فشمسك فيه ليس لها افول
لقد اصبحت في ذا العصر شمسا ... تضيء بك البصائر والعقول
عليك تحية ما فاح روض ... وما مالت غصون او تميل

الشيخ ابو عبد الله حمودة الريكلي

اصل آبائه من مهاجرة الاندلس وولد هو بتونس وبها نشأ طالبا للعلم فاخذه عن علمائها الجلة، هداة الامة وحماة الملة، حتى ظهر فضله، وتبين نبله، فتصدر لبث العلم فكان امام المعاني والبيان، حائز قصب السبق في علوم الدين واللسان، فقيه اوانه، ونحرير زمانه، ولي مشيخة المدرسة المرادية، وقضاء الجماعة المالكية، وامامة الخمس بجامع الزيتونة وخطب به خلفا عن ابي الغيث البكري وكان اديبا جيد النثر والشعر توفي سنة ١١٦١ ومن شعره يقرض شرح التسهيل للامير علي باشا باي على اثر نثر رائق،

يزهو على اقرانه في حلل ... من حلل الجمال في مهجته
غصن اذا ما لاح في بهجته ... فالبدر يخفى من سنا طلعته
وعلم في حسنه منفرد ... ليخجل الشمس ضيا وجنته
قد فاح ريح الزهر من افنانه ... وقد توارى المسك من عطرته
وحمرة الخد لدى بهائه ... قد فاق لون الورد في روضته
واللؤلؤ المنظوم في مبسمه ... والسلسبيل العذب في كلمته
انتج لي من حبه عود الصبا ... بعد تناسيه الى نشأته
فاخنع الصالح من عشقته ... واقتضب العابد من خلوته
واهتز اطيار الصبا في فنن ... لرنة العيدان في جنته
ومن رحيق الحسن قد ناولني ... طربت وانتشوت من جرعته
فلامه العاذل جهلا قلت مه ... لا تلم العدل على نشوته
حل لنا ان ننتشي مدعيا ... فلتسال العالم عن علته

الشيخ ابو محمد عبد الله السوسي

ولد بالمغرب الاقصى ثم قدم الى تونس في طلب العلم فلازم جهابذتها منهم الشيخ الصفار فتملا علما، وفاق اقرانه ذكاء وفهما. ثم سمت نفسه للحج فاجتمع بعلماء جلة من اهل المشرق استمد من شمسهم بدره. ثم رجع الى افريقية وقد ازدان بها عصره. فالقى عصا تسياره بالقيروان فالتزم بها الاقرا. واشتهر بغزارة العلم ذكرا. فلما كانت دولة الامير علي باشا نقله الى حاضرة تونس اغتباطا به مغمورا باحسانه. منوها لسان تبجيله بشانه. وكان بحرا للوراد. يشفي اوام العاطش للمعارف الصاد. ولم يزل منهل اغتراف. وكعبة علم يلاذ به ويطاف. الى ان توفي سنة وكان اديبا شاعرا ومن شعره يمدح الجناب النبوي الرفيع ويتشوق الى طيبة الطيبة

احن وما الى وطني اشتياقي ... ولا شوقا الى كاسات ساق
ولا طربا لرنات المثاني ... مجاوبة بالحان رقاق
ولا للغانيات ولا جياد ... يسابقن الرياح لدى السباق

ولا للروض قد حفت بزهر ... يكل الطرف منها بائتلاق
ولا لسماع اسجاع القماري(١) ... على دوح تخللها السواقي
ولكن طيبة المختار طه ... علت شرفا على كل الافاق
إلاهي اوثقت رجلي ذنوبي ... عن الحرمين فاحلل لي وثاقي
اعني كي اموت بها الاهي ... بجاه المصطفى بدر اتساق
على دين حنيفي معافى ... من الاهوال ساعة كشف ساق
وصلى الله ما هجر السرور ... قلوب العاشقين الى التلاقي
على المختار خير الخلق طرا ... وافضلهم جميعا باتفاق
وآل ثم صحب ثم تال ... باحسان الى يوم المساق

الاديب الشيخ محمد ابن الشيخ محمد بن محمد الشريف

الشوثري شهر العياضي

اديب جليل . وفاضل نبيل . نشأ بتونس طالبا للعلم فاخذه عن علمائها الافاضل ذكر منهم في ترجمته لنفسه الشيخ الخضراوي وابا العباس احمد الماكودي اخذ عنه مغنى اللبيب والقطب على الشمسية والتسهيل بشرح علي باشا ومنهم الشيخ منصور المنزلي قرأ عليه مختصر الشيخ السنوسي المنطقي والمطول للسعد ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز قرأ عليه مختصر خليل ونبذة من المحلي من لواحق القياس وغيرهم ذكرت ذلك لتعلم ما كان يدرس من الكتب العالية التي اكثرها الآن مهجور الدراسة ولما استكمل نصاب التحصيل تصدر لبث العلم فافاد . وزين بدر تحقيقه عواطل الاجياد . وكان فارس النظم والنثر . الف كتابه مفاتيح النصر في التعريف بعلماء العصر . للامير علي باشا باي وابتدا بترجمة الامير المذكور ثم ذكر اولاده الامراء يونس ومحمد وسليمان ثم ذكر نيفا وعشرين عالما من علماء تونس . ذكر انه ابتدا تاليفه في شوال سنة ١١٥٣ ولم نقف على سنة وفاته ولا اكثر مما ذكرت في ترجمته من شعره مضمنا مصراعا اولا من بيتين للمصحفي سنذكرهما

---

(١) جمع قمرية وهي ضرب من الحمام — مصححه

وظبي غدا ما لـه مرتع ... سوى انه في فؤادي رتع
هو البدر حسنا ولكنه ... بافق حشاي وقلبي طلع
يعذب بالصد قلبي وما ... درى ان قلبي به قد ولع
ويمنعني الوصل مع رفعتي ... وكل وضيع بذاك انتفع
ولا عجب في الذي قد جرى ... هو السعد كم من وضيع رفع

وبيتا المصحفي هما

هو السعد كم من وضيع رفع ... فقاتل بسعد والا فدع
اضيف الى المصحف اسمي ومن ... اضيف الى ذي ارتفاع ارتفع

ومن شعره يمدح الامير علي باشا

زارتك تخطر كالقضيب قواما ... خود تزيد الى المحب غراما
حوراء لو اهدت الى البدر الضيا ... عند التمام لما اختشى الاظلاما
اهدت لعاشقها السقام لانها ... ملات لواحظها المراض سقاما
خطرت تجر ذيولها فكانها ... الروض اهدى زهره البساما
كالبدر وجها والليالي مبسما ... والظبي لحظا والقضيب قواما
فكانها شمس تدير بكفها ... بدرا منيرا اذ تدير الجاما
في حبها عاصت قول لوائمي ... او كيف يسمع عاشق لواما
كم بت ذا وجد وقلبي خافق ... ويزيدني شوقي له تهياما
ولكم سهرت الليل طوعا للهوى ... ومنعت لحظي ان يذوق مناما
ولكم وقفت على رسوم ديارها ... وسكبت من دمعي عليه غماما
ووقفت انتظر الحبيب فلم اجد ... احدا عدا الغرلان والاراما
وسهرت ليلي والنجوم كانها ... درر عدمن من النحور نظاما
ورايت وجه الصبح لاح فخلته الـ ... ـباشا ابا الحسن العلي مقاما
ملك اذا ما لاح يخجل وجهه ... قمر السماء ويدهش الضرغاما
ملك جواد عادل نصبت له ... ايدي السعادة في العلاء خياما
ذو همة عربية وضخامة ... عجمية قد زانت الايـاما

جمع الندى والحلم والاغضاء عن ذنب الجني والعفو والاكراما
لم تدر راحته المخيم فخرها الّا الندى والسيف والاقلاما
ملك همام رأيه وسماحه بحر وشمس تطرد الاظلاما
تخشى ملوك الارض سطوة باسه لو شاهدوه لقبلوا الاقداما
كم غارة كان الخليل لنارها وبه غدت بردا له وسلاما
فتراه يوم الحرب ليثا ضاريا وتراه في يوم النوال غماما
ملك تجمعت المعالي عنده وعلى الملوك تقسمت اقساما
طود العلوم الشامخات ومن غدا في كل فن سيدا وعصاما
لو كان في الزمن المقدم لم يكن في النحو يوما سيبويه اماما
احيى دروس العلم بعد دروسها واشاد شرع محمد واقاما
فافخر به قد شيد الملك الذي لولاه اهدم ركنه اهداما
اكرم بدولته المعظمة التي قد البست ثوب البها الايامـا
فبه تهدنت البلاد واشرقت وغدت جفون الظالمين نياما
يرعى رعيته بعين رعاية ويحافظ الصلوات والاحكاما
يأيها الملك الذي ملا البلا د بعدله وتنعمت انعامـا
فاذا تشيعنا بحبك اننا يوم القيامة لا نرى الاثاما
واذا راينا المجد سار بوفده يوما فانت له غدوت مقاما
طوقت اجياد الانام محاسنا وكسوتهم من فضلك الانعاما
لا زلت نورا يهتدي بضيائه من ضل في ليل الخطوب وهاما

الشيخ مسعود الباجي

ولد بباجة وطلب العلم بها فاخذ شيئا منه ثم انتقل الى تونس سنة ١١٤١ للتضلع في العلوم فقرا على جهابذتها كابي عبد الله محمد سعاده وغيره فامتلا و فاضه. وازهرت رياضه. وكان فقيها له اليد الطولى في العلوم العربية متقدما في فن المنطق. دخل المشرق حاجا ولما رجع اقام بمصر واخذ عن علمائها واجازوه ثم آب الى تونس فلازم بث

العلم بجامع الزيتونة فنشر الفرائد . واثنت حقائب المستفيدين على ما منح من الفوائد . وكان شاعرا مجيدا من شعره

ولما رعى ظبي الفلاة عشية حشاشة قلبي حين حن له القلب
صبوت له رغما على غيض عذلي ومن ذا يرى هذا الجمال ولا يصبو

الامير ابو عبد الله محمد الرشيد ابن الامير حسين باي ابن علي تركي

ولد هذا الامير النبيل في ذي الحجة سنة ١١٢٢ على فرش الامارة التونسية تحت سرادقات العزواتي والده الامير على شوق . وترقب لوارث من صلبه وتوق . ولما وصل سن التاديب اوكله الى المعلمين فلم يجاوز سن الصبا . حتى كان لاخبار كمال نجابته نبا . قد عرف سياسة الملك . ونظم آداب الرئاسة في سلك . واخذ من كل علم بطرف . وعرف الدهر من تحققه بالتقدم ما عرف . فاناط به والده قيادة المحال . ورشحه لادارة جلائل الاعمال . ليكون ولي عهده . ووارث الامر من بعده . فقاد الجنود . وعرف بالراي المحمود . وشكرت آثاره في البلاد . وبذر احسانه في الرعية فائمر اثيل الوداد . حتى انه لما حلت الطامة . وابتليت بامارة ابن عمهم العامة . والتجا صاحب الترجمة بعد مصارعة الحمام . الى قطر الجزائر « براس طمرة ولجام (١) » لم يعدم ثمرة ذلك البذر . فجنى منهم عند امكان الكرة ثمر النصر . فاسترد ملكه المغصوب . وارتاحت الايالة انقيادا لابن اميرهم المحبوب . والقت عصاها واستقر بها النوى . واسترد تراثا عليه عدوه احتوى . في ذي القعدة سنة ١١٦٩ فحق له ان ينعت بصقر الدولة الحسينية . كما نعت عبد الرحمان الداخل بصقر بني امية . ومع ما كان له من شرف الحسب والنسب . له اليد الطولى في علوم الادب . معدودا في علماء عصره . معروف الاجادة في نثره وشعره . وله ديوان شعر صغير الحجم متداول بين الادباء وترجمته تكفل ببسطها التاريخ توفي في امارته سنة ١١٧٢ ومن شعره قصيدته الميمية المسماة بمحركات السواكن . الى اشرف الاماكن . يذكر فيها البقاع المطهرة ويحن اليها ونص بعضها

(١) مثل يضرب لمن رجع من سعيه خائبا — مصححه

هل زورة تشفي فؤاد متيم ... يا اهل مكة والحطيم وزمزم
اوحظوة بالجزع والخيف الذي ... ما خلته حينا تجافاه فمي
اني انا وبذي الحليفة موردي ... وببانة الجرعاء ثم مخيمي
او بالحجون وذي طوى لي ضجعة ... حيث الهوى عذب لذيذ المطعم
يا هل لطرفي نحوهم من نجعة ... ولطرفي الارق انتشاء النوم
ومتى اواصل وخدسيري في كدا ... حتى ارى الامال ذات تبسم
فعساي ارمي من منى جمراتها ... وابرد الجمرات من قلب ظمي
يا هل بذات الاثل يوما مرتع ... وببطن رامة مربع المستسلم
يا بارقا قد لاح لي من بارق ... بالله صافحني بكف مسلم
بالله اد تحيتي يا نسمة ... لاهيل ودي من محب مغرم
واذا مررت على ربى ام القرى ... ابلغ لهم شوقي وفرط تتيم
ما ان يطيب العيش لي حتى ارى ... وبحومة التنعيم صفو تنعمي
رقي لرقي يا ليبلى واعطفي ... نصب الحشى هدفا وماقط رمي
من لي بان احتل بطن تهامة ... فيروق حالي باطراح المأثم
ياهل يطوف بمضجعي من طيفها ... لو كنت احسب في عديد النوم
واحر قلبي لم اطق صبرا على ... ليلى وانى لي بها في الموسم
كيف التاسي واصطباري خانني ... عن حيدها الحالي وبارق معصم
فالصبر فان والفؤاد بزفرة ... والشوق باق ذو لهيب مضرم
ولطالما اشتاق الفؤاد لطيبة ... شوق العليل الى الدواء المحكم
كم برهة قضيتها في لوعة ... ذا عبرة تهمي ولكن بالدم
ولكم ليال بت ارعى زهرها ... والفكر ساه والحشى في ماتم
ما ان قطعت سوادها وبياضها ... الّا بصبر طعمه كالعلقم
هل بعد ليلى لي مرام يرتجى ... ام بعد طيبة بغية في مغنم
من لي بها وبقبلة في خالها ... واقول ياخضراء دومي واسلمي

وهي طويلة قد اعتنى بشرحها جهابذة من العلماء منهم الشيخ محمد الشافعي الباجي بشرح نفيس ممتع ومن شعر صاحب الترجمة القصيدة القافية التي مطلعها

امولاي ان النفس لما تعودت جميلك راحت بالفواضل تنطق

وشرحها ابو الفلاح شيخ الشيوخ سيدي صالح الكواش واختصره العلامة رئيس اهل الفتوى المالكية ابو العباس الشيخ احد بن حسين كما اخبرني بذلك ابنه العلامة شيخنا سيدي حسين ومن شعره في فوارة احدثها ببستانه بالجزائر

فوارة بعثت حبابا طالعا نحو الدراري فاثنى بجمان

وتدير قوسا منحن في بركة لصفائها خيل السماء اثنان

وفيها يقول بعض جلسائه

لك الله من فوارة دام حسنها ولا عطلت من رائق السلسل الراقي

كان الزلال العذب منها وصوته شفاء شج تزجيه هينمة الراقي

وقال فيها مفتي الجزائر لما اطلعه على ما قيل فيها وقد زاره في بستانه المذكور

ولله روض مشرق جاده الحيا على طرب حث المدام به ساق

كأن به الانبوب يزعج ماءه قضيب من البلور قام على ساق

وتذكرت والشيء بالشيء يذكر ما قيل في خصة جعلها اخو صاحب الترجمة الامير علي باي بمقصورته بباردو فقال فيها العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد الشحمي

ونضاخة تجري بعذب كانها قضيب من البلور في جسد الدر

فقال العلامة سيدي عبد الكبير الشريف مجيزا

وان انسكاب الماء في جنباتها كفيض يد الباشا بنائله الغمر

فقال الشيخ محرز مجيزا وكان كاتبا

كأن مشار الماء معصم غادة اساورها تلك الحفان من الدر

وقال فيها ابو الحسن الغراب

ونضاخة في الاوج يعلو صعودها كقطعة بلور تضمنها ثلج

حكت بر مولانا المعطر بالثنا فمن أمه قد نال منه الذي يرجو

الشيخ محمد الشافعي ابن محمد ابن القاضي
الشريف المالكي الباجي الاصل

نشأ هذا الفاضل طالبا للعلم فاخذه عن علماء تونس بجد لا يعرف الفتور، حتى كشف عن مخدراته الستور. فتملا علما. وبرع ذكاء وفهما. ثم تصدر لافادة المعارف فوسم بين اقرانه باجادتها فاقتطف المجتنون من نور رياضه. وكرعوا من سلسبيل حياضه. ما امطاهم متن العلى. وقلدهم من جيد تعاليمه محاسن الحلى. فكان بحرا يتدفق. وشعلة تحقيق وتحرير نورها يتالق. وكان وحيد الدهر. في صناعتي الشعر والنثر. قدحمل رايتهما. وملكت كفه غايتهما. ثم اختص براس الدولة الحسينية. ومؤسس مجادتها السنية. وامتزج بابنائه الملوك. واسطة عقود السلوك. فلما الم بهم الحادث. وعبثت بدولتهم الكوارث. تمسك صاحب الترجمة بغرزهم. واحتمى بمنيع حرزهم. واحتمل معهم مضض الغربة. وانتصب معهم دريئة لتلقي نكبات الزمان وحربه. وكان يسليهم بادبه. ويجلي عنهم العموم بعلمه لا بنشبه. ويكتب عن الامير محمد الرشيد باي في الاغراض. وقاد صعاب المقاصد في ذلك وراض. وشفى من صدر البيان اواما. وقضى في صحبتهم بالجزائر اثنين وعشرين عاما. استطلعوا فيها خبايا سريرته. فحمدوه في السراء والضراء على سيرته. فلما انجلت الخطوب. وتبسم لهم الدهر القطوب. واسترجعوا الحق المغصوب. والقت الامارة عصاها فاستقر بها النوى. واستوى بشر عراقها على دستها واحتوى. كان صاحب الترجمة متفيئا ظلالهم. وملتحفا بضاف من لباس جلالهم. فعاود مرابع ناسه. ومعاهد مطالع اينا سه. فعرضت عليه الخطط السنية العلمية. فاعرض عنها اعراض من فحص اخلاق الدنيا الدنية. وعلم عقبى الرئاسة. فاحكم من قربها اياسه. واختار ان يقطن بجبل المنار. متفرغا للعبادة شان العقلاء الاخيار. فاجري عليه رزقه. ونفعه ببركة اتباع الحق صدقه. محفوظ المنزلة. مسموع الكلمة. ملحوظا بعين الاجلال. معتبرا في كمل الرجال. شرح قصيدة الامير محمد الرشيد باي الميمية المسماة بمحركات السواكن بشرح سماه ابداء النكات بسط فيه القول واشبع. وحسبك به ديوان ادب به الانفس تتمتع. دل على طول باعه في العلوم العربية. وامتداد نفس نفسه الادبية. ولقلة العناية بمؤلفات التونسيين وزهادة اغلبهم

في ذلك لكساد العلم وغلبة الجهل وربما نشأ عن المنافسة العصرية لم ينتشر هذا الشرح على نفاسته في الادب حتى اني لا اعرف غير نسخة واحدة منه نصفها ملك ونصفها الثاني حبس بخزنة جامع الزيتونة رام مالك النصف الاول استنساخه لتكمل نسخته فالفاه قد ضاع من خزنة الجامع وعوض بغيره ولا ادري اتوجد غيرها ام لا وهكذا اكثر مؤلفات التونسيين تضمحل بهاته الاسباب ونحوها مع نفاستها وازهد الناس في العالم اهله وجيرانه ولكن التونسيون افرطوا في ذلك للاسباب التي ذكرنا. وكان صاحب الترجمة فقيها اصوليا . قد حل من كل علم خصوصا علم البلاغة مكانا قصيا. ولم يزل في منزلته السنية. الى ان حلت به المنية. سنة ومن شعره وكتب نسجا بالراية التي صنعها الامير محمد الرشيد باي بالجزائر البديعة الشكل واهداها لحسين باي قسنطينة المتكفل بانجاده والمتأمر بنفسه على اجناده لما حان ايابه لاسترداد البلاد

سمح الزمان بغثه وسمينه هذا حسين تاجه بجبينه
ناهيك راية عزة اهدت كما اهدى الصبا رياه من نسرينه
طابت بك الدنيا كما طاب الكرى والمندل(١) الهندي في دارينه(٢)

ومنه في فوارة انشاها الامير محمد الرشيد باي في ايوانه الذي ابدعه ببستانه بالجزائر ايام تغربه عن وطنه ومفارقته لسكنه

يا رب فوارة ابدت لنا عجبا يحكي نضارا مذابا ناره الجاري
لها شهاب من الماء الزلال له كسف (٣) تساقط بين الماء والنار

قال صاحب الترجمة ولهذين البيتين حديث حسن وذلك ان المولى ايده الله قعد ليلة بايوانه الذي انشاه ببستانه في الجزائر ايام تغربه عن وطنه ومفارقة سكنه وقد كلل بهاؤه بسرج اللهب. وشيدت جدرانه بمذاب الذهب. وتارج بالند نسيمه. وتضرج بالهزل والجد نديمه. والروض سندسي الغلائل. عبقري الشمائل. نسيمه معتل. ونوره مكلل بالظل. والبدر نضاري الاديم. يريح نفسا. ويجلب انسا. ويستفصح من سروره ورقا ويستومض من حبوره برقا. واحاطت به اصحابه للسمر. احاطة الهالة بالقمر. وقد كان

(١) عود الطيب — (٢) موضع يجلب اليه الطيب — (٣) جمع كسفة وهي القطعة من الشيء — مصححه

حفظه الله ابدع بهذا الايوان فوارة. كانها من الحسن معارة. اعدها لنبع الماء وبل الصدا. وحين جرى ماؤها في سبيلها. وانهل عذب سلسبيلها. لم تلبث ان بدا حشاها. وباحت بما في احشاها. تمج مجاجا. عذبا ثجاجا. دبر في بطنها فصعد. وانفصل لكمال الامد. بلع النسرين علوا. والنيرين سموا. ثم عاد نقط. وجواهر تلتقط. بلون السرج ملونة. ومن النار مكونة. فاهتز اهتزاز من ظفر بارب. وغولب فغلب. واخذ القلم على البديهة وكتب. اه ومنه

قصرت ذوائبه كليل مسرة ... لا تعجبوا فالوجه منه ربيع
في ليله ميل الى قصر المدى ... ميل القلوب لمن له التوديع

ومنه

لاغرو ان قصرت ذوائب من بمغـ ... ـناطيسه انجذبت له الابصار
او ما محياه الربيع شمائلا ... طابت لياليه وهن قصار

ومنه يمدح الجناب النبوي الكريم ندبه لذلك الامير محمد الرشيد باي

الم يأن للمشتاق ان يعلم الرسما ... ويعري عن البيد الرواسم والرسما
وهل آن القاء العصا نحو رامة ... ويانس آراما بارجائها بغما
فيقضي مرادا من كدا وتهامة ... ويشفي فؤادا من سعاد ومن اسما
وينتشق الريحان من نحر حاجر ... فناهيك من نحر وناشقه شما
ايا بارقا يسطار وهنا بعالج ... اضاء به الادنى من الكون والاسما
أأنت ام الحسناء شالت لثامها ... وقد حظرت عنها التلثم واللثما
وما شاقني الا حمائم سجع ... يسجعن للضليل(١) وابن ابي سلمى
يرددن شجوا فوق افنان ايكة ... كأن عنانا(٢) تنقر الزير(٣) والبما(٤)
ويا راكب الوجناء ان زرت واديا ... وجاوزت اطوادا به انفا شما
تحمل سلاما مسك دارين نفحة ... الى قمر من بين آفاقه ثما
ويا اهل ودي هل لذي الهجر عندكم ... بلاغ وهل احظى بوصلكم يوما

(١) امرؤ القيس — (٢) لعله اراد جارية الناطفي المشهورة في كتب الادب — (٣) الدقيق من الاوتار — (٤) الغليظ من اوتار المزهر — مصححه

فلا عجب ان ذاب فيكم متيم ... اذا زمزم الحادي واجماله زما (١)
ويا لائمي اغريتني مذ عذلتني ... فلا عذل مسموع لدي ولا لوما
فلا تعذلوا القلب الكليم فتنصروا ... على صبره الوجد المبرح والكلما
كتمت هواهم مذ كلفت بحبهم ... ولكن دمعي بالحقيقة قد نما
وتسعدني مهما هممت بزورة ... عذافرة (٢) ادماء تستعقب السهما
اذا انبعثت تفري الفلا بخفافها ... فخطوتها واللحظ مبتدرا المرمى
مناسمها في البيد كف مشعوذ ... فليست تحيط العين من كنهها علما
اذا اتهمت فالسيل ازعجه السما ... وان انجدت صكت بذروتها النجما
تبلغني دارا دوين فنائها ... وجوه تراءت في طلاقتها جهما
ديار الذي ارسى من الدين ما رسا ... له الحظة العلياء والرتبة العظمى
ديار الذي اجدى وجالد للهدى ... وصال على الاعداء واهتز واهتما
هو المصطفى الهادي لمن ضل رحمة ... هدى العرب العرباء والعجم العجما
فيا خير من والى وولى ومن علا ... ويا خير من صلى ويا خير من اما
رفعت الى مبرور بابك قصتي ... ومسالتي فافرج لي الحادث الجما
هو الحادث الحلّي والنازل الذي ... حمى عن مآقينا الكرى عند ما حما
فلا ملجأ الّا الى بابك الذي ... به تكسب النعما وتنكشف الغما
تفردت في العلياء غير مزاحم ... كما ان نظمي فيك قد غلب النظما
وماذا عسى يثني عليك وقد ثنى ... عليك الذي اجلى بك الغبن والغيما
فما حملت انثى ولا وضعت فتى ... كأنت وكان البيض في مثل ذا عقما
اليك وهل يلجا لغيرك عائذ ... من الواصل البغضاء والقاطع الرحما
عليك سلام الله ما قام عابد ... وقال خطيب فوق منبره اما

رئيس الكتاب ابو العباس احمد الاصرم

القيرواني الاصل

نشأ هذا الاديب في طلب العلم فاقتطف من زهره يانعا، ورفع عن عرائسه

---

(١) شد رحالها — (٢) الناقة الشديدة — مصححه

براقعا. وانارة متالق من برقه ساطعا. حتى امتلات حقائبه. وبلغ منه مآربه. وبهرت محاصيله. وصال صولة البزل فصيله. وضرب في كل فن بسهم مصيب. وخص في قسم حظوظها باوفر نصيب. وجلى في حلبة الادباء. وتميز بين اقرانه منها باجزل حباء. فكان فارس الكتابة. والخائض من يم الادب عبابه. ما شئت من شعر كانه القلائد. في نحور الغواني الخرائد. ونثر كالروض جاده المطر. فازدانت اماليده بشذى الزهر. اختص بالدولة الحسينية. واقتعد منها ذروة سنية. وانضاف الى اشبال الامارة. وانتشق من نجد جودهم بهاره وعراره. ولما حلت الحادثة. وداهمتهم بفظائعها الكارثة. كان صاحب الترجمة ممن صاحب ركابهم. ولازم في السراء والضراء اعتابهم. حتى كان يحمل الامير محمد الرشيد باي على كاهله اذا اعياه المشي حتى بلغ منجاته من الجزائر فحفظوا ذلك العهد. واولوه خير جزاء من بعد. فاقتعد دست رئاسة الكتابة. لما اتاح الله الى تونس معهم ايابه. فاثل مجدا بها لاهل بيته. اشاد في الاقطار التونسية بصيته. غير انه لم يطل بها المامه. حتى اقتطفه من سعادته حمامه. فتوفي سنة ولا تزال الامراء الحسينيون يرعون لآله عهد ابيهم. حتى جعلوا رئاسة الكتاب فيهم. فتداولها خلفهم عن السلف. الى ان خف قطين تاهلهم وزرع اضطلاعهم بها جف. وكل شيء فالى زوال. والملك لله الكبير المتعال. ومن شعره مقرضا قصيدة مخدومه محركات السواكن

بنت فكر لما اماطت خمارا ... ثمل الناظرون منها خمارا(١)
كاعب ناهد عقيلة شعر ... تخذت حلة البيان شعارا
اطلعت زهرها شموس طروس ... فعجبنا من الدراري نهارا
وبدت في سمائها بدر تم ... ليس فيها سوى المداد سوارا
شمس مجد تطلعت من نظام ... تستبيح الالباب والافكارا
بلحاظ من البديع مراض ... نفثت في خلالها الاسحارا
لا تقل انها استعارت من البد ... ر سناها فالبدر منها استعارا
البستها يد البلاغة والملـ ... ـك حلاه فبذت الاقمارا
ذات دل قرت بحجر مليك ... في مجالي الفخار ما ان يجارى
رام صوغ القريض شبه لجين ... فابى ان يكون الا نضارا

(١) الم الخمر ولعل المراد الثمل — مصححه

زينت بامتداح خير البرايا عبق المدح سوسنا وبهارا
سددت قوسها لرمي الملما ت كاني بها تدلت فرارا
ايها السيد الهمام المفدى راضع المجد خالصا .... (١)
اظهر الدهر منك معنى ولولا ظله للورى انتحى الاظهارا
فلئن قام عن علاه عساه ينتضي منك ذابلا خطارا (٢)
فلتدم سالما لنا والمعالي نحو ذاك الذرى تحث المهارا

ومن شعره في فوارة بايوان بستان مخدومه الامير محمد الرشيد باي بالجزائر باقتراح منه

وفوارة حاكت بوشي رحيقها حبابا نضيدا يفضح الانجم الزهرا
تحاكي اذا انهلت بسلسال مائها كريم اناس في العطا ينثر الدرا

ابو الحسن علي الغراب الصفاقسي

ولد بصفاقس وبها نشأ فاخذ العلوم والادب واشتهر فضلا وذكاء ترجمه الشيخ محمود مقديش في تاريخه بقوله كان فقيها عدلا ذا حظ في علم الحساب والميقات والمنطق واما علوم التاريخ والبلاغة فحدث عن البحر ولاحرج واما توارياته وتشبيهاته واستعاراته وكناياته فامر مشهور من وقف على كلامه اعترف بفضله ونباهة شانه والحقه بالشعراء المجيدين المتقدمين اعترف بفضله اهل الفضل شرقا وغربا قال ابو القاسم الاديب المصري لا اعلم احدا في هذه الاعصار المتاخرة ادرك شاو الغراب لا من المشارقة ولا من المغاربة والحق ما قاله فان جميع الادباء من ذوي الفضل والانصاف مقرون بفضله وعلو طبقته ولما رحل شيخه ابو الحسن الاومي الى مصر كاتبه صاحب الترجمة بقصيدة امتدح فيها علماء الجامع الازهر ونوه بشان الشيخ العلامة ابي المحاسن يوسف الحفني محشي الاشموني على الخلاصة فلما وقف على القصيدة الشيخ الحفني وظهرت له بلاغتها وفضل قائلها وقوة عارضته في الفنون الادبية قال كم في الزوايا من المزايا وكان مؤيدا في شعره اه ملخصا . كان شاعرا مفلقا امتدح الامراء

---

(١) بياض بالاصل — (٢) الذابل الرمح الرقيق والخطار المهتز — مصححه

وحاز جوائزهم الطائلة. له مقامات في نهاية الحسن منها المقامة العبائية والمقامة الهندية وله ديوان شعر كبير متداول بين الناس كله عيون انتهت اليه بدائع التورية توفي سنة ١١٨٣ بصفاقس ومن شعره موريا بجامع الزيتونة وجامع الهوى الكائنين بحاضرة تونس في جامع زيتونة فاتن بحسنه يطلب منه التفضل بمعروف وصاله

جمعت هوى ظبي وقد كان جامعا ... لزيتونة من فوق اغصانها التوى
ايا جامع الزيتونة الفاتن الورى ... تفضل بمعروف على جامع الهوى

ومنه موريا بمن اسمه عطاء الله

يا مانعي وصال من احبيته ... بقوارع وزواجر ونواهي
الله اعطاني حبيبا مخلصا ... فمنعتموني من عطاء الله

ومنه يمدح الامير علي باي لما ثار عليه جبل وسلات تشتمل على حكم

زارع البغي حاصد للندامه ... فاطلب السلم ان اردت السلامه
لا تشق بالمنى فما كل باغ ... نال ما يرتجي ووفى مرامه
ربما كانت الاماني مطايا ... للمنايا وموردا للندامه
ربما خيلت لراج منالا ... مثلما خيلت لراء منامه
رب ساع ليجتني طيب عيش ... وهو يجني وليس يدري حمامه
من سما طالبا لما ليس يرجى ... طلب العيش من لهاة اسامه
دع هوى ما اليه نفسك تدعو ... فالهوى للهوان يعطي زمامه
واصحب الراي ما استطعت بعزم ... منك يفري مضاؤه الصمصامه
واذا الراي ما اهتدى لك فاجعل ... في يد الصبر لا سواه خطامه
واركب الحزم في الامور اذا ما ... بان وجه الصواب واشدد حزامه
واغتنم فرصة بدت من عدو ... ان من اعظم السرور اغتنامه
وابل من تصطفي لنفسك سرا ... كي ترى منه صحوه وغمامه
ودع الراي والنصيحة ممن ... بسوى الجمع لا يسوم اهتمامه
انما رايه يعود لنفع ... عنه لم يرع في سواه انتظامه
واذا ما وشى بذي الفضل واش ... فاعتقد عكسه ووال انصرامه

واذا ما اعتقدت في العهد شخصا كن على يقظة وراع ذمامه
لا تذع ما كتمته من عدو لصديق فلا يطيق اكتتامه
واذا ما صحبت رب اتهام لا تلم من يسوء فيك اتهامه
لا تطل في تردد لحبيب لك فالطول مؤذن بالسآمه
واذا مسك الزمان بعسر وأباد اللئام منه كرامه

ثم تخلص الى مدح الامير ثم افاض في تقريع اهل جبل وسلات بقوله

قل لقوم بجهلهم خالفوه فيم سوء الخلاف ذا وعلى مه
حكم الله ان ملك علي وبنيه الى المعاد ادامه
بطريق القضاء والكشف عمن بالصلاح ارتدوا واهل الكرامه
لا تزال السعود تقضي بما قد يتمناه والزمان غلامه
فاقطعوا بالاياس حبل الاماني ان في السحب ما يسمى جهامه
وصلوا منه بالاطاعة حبلا قبل ان ينفذ القضاء سهامه
اتروا صادت الثعالب ليثا او تروا صادت الصقور حمامه
اهل وسلات الجفاة قلوبا من وفى عهدهم يخونوا ذمامه
خالفوا المسلمين حيث استحلوا منهم المال والدما والغرامه
كل لعن وكل خزي عليهم في الدنا والعذاب يوم القيامه
فقد استمسكوا بواهن حبل عن قريب يرون منه انفصامه
وتعود النعال منهم عليهم حسرات يرونها وندامه
ارضيتم شق العصا عن مليك جمع العدل فيه والاستقامه

وهي طويلة كلها عيون ومنه يهني الامير علي باي ببناء مراكب جهادية

بشائر في الاسلام زاد بها عزا وآيات نصر نورها يذهب الرجزا
بها قوي الدين القويم وانما بها الكفر ولى مدبرا واثنى عجزا
سوابح فلك للمغانم انشأت يسابق افلاك السما جريها وخزا(١)
يفوز باجر من علاها ومغنم اذا ضربوا في البحر او ركبوا غزا(٢)

---

(١) لعله من قولهم جاءوا وخزا اي اربعة اربعة — (٢) غزاة — مصححه

عليها لواء العز والنصر خافق ... ولكن جموع الكافرين بها تخزى
اذا لقي الاسلام كفرا بها ترى ... جميع العدى اسرى واعناقهم حزا
عليها من الرحمان حرز من العدى ... على انها للمسلمين غدت حرزا
فمن لجاهد الكافرين بها استوى ... باجر جزيل راح او مغنم يجزى
لقد كان جيد البحر في الغزو عاطلا ... الى ان اتت هذي الشواني له طرزا
كأن الجواري المنشئات بيادق ... وكل غدا من هذه بينها فرزا
ترى بها الكفار ثوب مذمة ... وقهر وثوب العز منهم قد ابتزا
اذا سمع المستأمنون بغزوها ... نعى بعضهم بعضا له وله عزى
الست تراهم حين جرت وادهشوا ... ثلاثة ايام تكلمهم رمزا
صموتا فلم تحتس من احد لهم ... اذا لاح او تسمع له في الملا ركزا
اذا نشرت للطرد اشرعة لها ... شهدت بها العقبان تختطف الوزا
كأن صارخ البارود منها وبيضها ... رجوم هوت اثر الصواعق بالارزا
طرايد(١) كل كالطواويس خفقت ... واعلامه مثل البروق اذا فزا (٢)
يرى للاعادي بالجناحين طائرا ... ولا عجب فهو الغراب له المغزى
لئن سودوا بالقار منه جوانبا ... فان بياض الغنم في وجهه احزا
يصول بابطال الجهاد كانهم ... عفاريت جن في الوغى حربهم وخزا
اذا قابل الكفار في الحرب انما ... ثعالب لاقتها اسود الشرى وكزا
تشاهد بيض الهند حلت رقابهم ... وتبصر للسمرا باعينهم غمزا
ترى الفا للقطع في وصلها بهم ... ولكن ترى في كل رأس بها همزا
جوار باسد الغاب والقضب دونها ... تناجز شرك الروم في رصعها(٣) نجزا
جميلة صنع من صنيع مملك ... جميل المزايا قدره جاوز الجوزا
ثم اخذ في مدحه وهي طويلة

---

(١) السفن الصغيرة — (٢) نهض — (٣) الطعن الشديد — مصححه

ابو عبد الله محمد الورغي

نشأ في طلب العلم واكتساب الادب فقرأ على علماء جامع الزيتونة حتى امتد باعه، واتضح بالعلوم اضطلاعه، جيد التحصيل في علمي الكلام واللسان، محسن في صناعتي الشعر والنثر اي احسان . تصدر للاقراء بجامع الزيتونة فجلى في ميدان التحقيق والافادة، واحرز الحصل في التحرير والاجادة. قلد الكتابة فانيط عقدها بلبة حقيق، ومستاهل لها خليق، فحبر ودبج، وعطر ارجاء الاداب وارج، كان له في دولة الامير علي باشا كلمة مقبولة، وله فيه امداح منقولة، ثم لما انتقلت الدولة للاميرين محمد وعلي ابني الامير حسين بن علي شمله عفو، لم يكدر عليه ما كان فيه من الصفو، وانتظم في سلك الكتاب، وتردد على تلك الابواب، رعيا لما له من التحقق بتلك الصناعة، التي يقصر عنه مزاحمه اذا اجال فيها يراعه، له ديوان شعر كبير، ينسيك حسنه الروض والغدير، ومقامات احداها على لسان حماره هدم الامير علي باي بنائها وابتنى موضعها مدرسة، وما زال في فلك علاه، متجملا بحلاه، الى ان توفي سنة ١١٩٠ ومن شعره يمدح الامير علي باشا ويذكر بناءه باعلى برج باردو الذي بقرب المحكمة ويهنيه بعيد الفطر

اعيدا حديث الانس عن ساكني السفح ... عسى تبردا ما بالجوانح من لفح
واياكما ذكر العذيب فانه ... على غيرتي عنه غني عن الشرح
خليلي لا انسى وقد جئت حيها ... وحيدا اسر الخطو في غيهب الجنح
تطالعني الجوزاء شزرا وينطوي ... على حنق قلب السماك مع النطح(١)
وما وطأت رجلي على غير شائك ... ولا قبضت كفاي إلا على رمح
اداول منها لفتة لا لريبة ... واطلب منها نغمة لا على قدح
ولولا انتشار النشر من طي ردنها ... وبرق ثناياها ظللت الى الصبح
فايقظها ملبعد (٢) خفق حشاشتي ... وقد عاد حرب الدهر فيها الى الصلح
فوافت ويالله كابن محمد ... وقد قام للتعييد في ساحة الصرح
الا انه الباشا الذي اعترفت له ... ملوك الورى بالخلق والخلق السمح

---

(١) نجم — (٢) اي من البعد وهي لغة للعرب — مصححه

همام اذا عاينته قلت ان من ... سواه من الاملاك من جملة السرح (١)
طوى لاكتساب الحمد كل تنوفة ... واصبح عن كسب الهوى طاوي الكشح
واظهر في ذا الملك كل عجيبة ... يغني بها طير الفخار على دوح
راياه لما ودع الصوم راجعا ... واقبل عيد الفطر في معرض الفرح
تطلع من بين الاساطين مثلها ... تطلع وجه الرشد من خلل النصح
وقام لاعطاء التحية مقبلا ... كما انتصب الركن اليماني للمسح
وابرز للتقبيل كفا لو انها ... تمر بمقروح لصح من القرح
ولا شك انا اذ لمسنا يمينه ... ظفرنا بكنز اليمن من معدن الربح
فيا ايها الغيث الذي قطر جوده ... من الدر والابريز منتشر السح
ويا ايها السيف الذي انقطعت به ... رقاب بني البهتان من غير ما جرح
فداك من الاسواء كل مملك ... سجيته وقف على الجبن والشح
وهنيت بالعيد الذي كل موسم ... على اثره ازكى واعظم في النجح
تحاشى وايم الله عن كل وصمة ... سوى انه قد جاء في اثر الفتح
فلاقاه من والاك كالزهر باسما ... وواجه من عاداك في غاية القبح
وانعم بهذا القصر دهرك باديا ... لك البشر من ارجائه عالي القدح
حواليه مثل الغيد ارخت ذوائبا ... ولولا الحيا مالت امامك للشطح
ترى كل بيضاء الاديم توكأت ... على مثلها سمراء في جودة السطح (٢)
شددن على الاوساط حزما كانما ... يرحين ان تدعو الجميع الى الكدح
وقمن على دست النظار كانه ... من الثلج الا انه فاقد الرشح
بدائع ازرت بالبديع واغمدت ... مصانع ذي غمدان في حيز الطرح
ورام يحاكيها السدير فما له ... واين من السعدان نابتة الطلح
بعثت بها للشرق والغرب خطة ... تخط بها اقلام مجدك في لوح
فلا زلت تبدي كل حين غريبة ... تروق النهى بدءا وتختم بالمدح

ومنه معارضا ويذكر معاهد تونس حرسها الله ومنازهها

---

(١) الانعام - (٢) الاعلى - مصححه

باكر صبوحك ليس الوقت بالدون ... واجعل صبوحك عند باب سعدون
واصحب الى الانس جذلان الفؤاد اذا ... أطفت حمياك (١) نار الصعب باللين
ماذا التوقف عن عيش تسر به ... وقطع آنك في حدس وتخمين
فاخلع عذار التوقي من عواقبه ... ما الحزم تركك قطعيا لمظنون
اما ترى الروض قد القى السحاب به ... على طريق الغوادي اي بُزيون (٢)
قد وشحته فنون النور وانبسطت ... على خمائله ظل الافانين
كانما قزح لما تقوس في ... ارجائه رشه من كل تلوين
وقف هنا بابي فهر (٣) الجليل فقد ... مضت به دولة الشم العرانين
ترى الحنايا كسطر النخل مد به ... بعض لبعض كمحني العراجين
او خرد نهضت للرقص فاعتنقت ... كي لا تجيء برقص غير موزون
ولست صاحب ظرف ان مررت على ... مرسى الظريف ولم تنزل الى حين
والعبدليات تحكي في تصنعها ... حرائرا جئن في غنج وتزيين
وما مقيم لدى الافيا (٤) بسكرة ... على القلالية الغنا بمغبون
ولو وقفت بقلهرت التي جمعت ... شطوطها بين مرعى الضب والنون
ومل لمنوبة وقت العشي اذا ... فاح الاصيل بها بين البساتين
وانظر الى القصر والاخرى تناظره ... مثل البيادق طافت بالفرازين
والطير تصدح في حافاتها زمرا ... جموع عجم اتت بعض الدواوين
ورح الى رادس العليا وقبتها ... بين البساتين تبدو مثل شاهين (٥)
حتى اذا ما قضيت البعض من وطر ... ورمت ايقاع فرض بعد مسنون
فاركض الى ضحوة المركاض وانس به ... ما كان عندك من وحي الشياطين
واحضر عشية باب البحر مغتبطا ... فربما نفست عن نفس محزون
اما ترنجة فهو البر لو سلمت ... ساحاتها الغر من لسع الثعابين
وارجع الى البيت من باب المنارة او ... باب الجديد الى سوق الرياحين

---

(١) خمرك – (٢) سندسا – (٣) من رياض الحفصيين – (٤) جمع فيء وهو الظل الذي نسخته الشمس – (٥) طائر – مصححه

وطف من البركة المعمور جامعها ... الى الرباع الى ركن القرسطون
واخش الحجار لدى بئر الحجار اذا ... سعيت منها الى حمام زرقون
وان خرجت الى روض السعود فقف ... كما عرفت وبت في درب زيتون
تلك المنازل لا الزهرا وقرطبة ... كلا لعمري ولا غيطان جيرون
فصد سوانحها ان مكنتك وان ... تعسرت فاستعن بمثل فرطون (١)
ولا تصد غير ساجي الطرف ذا حور ... فانت في غير هذا غير ماذون
واستمنح السعد من عند الجواد به ... واستغن ان نلته عن كنز قارون
ولا تقل كيف يدنو ما أومله ... فان مغزاك بين الكاف والنون

ابو الحسن علي ذويب الصفاقسي

ولد بصفاقس وبها نشأ فطلب العلم عن علمائها ولازم الشيخ ابا الحسن الاوسي وعنه تمكن في علوم العربية والفقه ثم رحل الى تونس فاخذ عن علمائها واستكمل التحصيل فكان له حظ وافر من علمي المنطق والكلام وله تعلق بعلوم الاوائل فكان مشاركا في الطب والاغاني وبرع في الشعر ومدح امراء عصره واخذ جوائزهم وكان هجاء فاستهجنه الناس لذلك وبسبب ذلك رحل الى مصر ثم تاطف ابوه وسعى في رجوعه الى بلده فرجع اليها ولم يزل بحره يتدفق . ولطلاب العلوم مما آتاه الله ينفق . الى ان ادركته منيته فمات بالطاعون سنة ١١٩٩ ومن شعره مرثية في شيخه الشرفي وهي شهيرة بين ادباء صفاقس مطلعها ريب المنون من البرية دان

منها في ذم الدنيا وسرعة تصرمها

كم نغصت عيشا وكم قد فرقت ... بين امرء واليفه المتداني
وكم اغتدت وبدت مخادعة لمن ... قد اعجبته ولا خداع زواني
ابناؤها اخنت عليهم فاغتدوا ... صرعى بخالية من السكان

---

(١) طائر

ويل امرء تلفيه مغروراً بها ... متلهفاً بوبالها الفتان
وتراه مسروراً بمن هو شائد ... لقصوره فيها ومن هو بان
ابغض بها من مستقر نوائب ... ومحل اكدار ودار هوان
اين الوصي مدينة العلم الرضى ... والشيخ ذو النورين والشيخان
والاصبحي الفرد مفتي طيبة ... وعليمها المشني على النعمان
واخو المكارم نجل ادريس الذي ... قد سار للفسطاط من بغدان
والمهتدي الصوفي مفخر حنبل ... وابو حنيفة ذو العلى والشان

ومنه ما كاتب به العلامة الشيخ ابا الثنا محمود مقديش مستعيرا لشرح الصحائف لشمس الدين السمرقندي

ايا ذا الذي اضحى طراز المعارف ... واعطي للتدقيق اوفى العوارف
وشوهد مغرى بالرشاد ومغرما ... يبث علوما تحت ذيل
ويا من غدا ذا سؤدد حسنت به ... مدائح قد وافته من كل واصف
ومن ذكره للقلب مني مطرب ... كما يطرب النشوان عرف القراقف
ومن ذقت صفو الود منه منزها ... عن الدخل الخافي ببعض الزخارف
ومن لم يزل يبدي غريب مباحث ... لتحقيق علم من تليد وطارف
ومن دام ممدوح البديهة لابسا ... من الكرم الموفور اي مطارف
ومن صار استاذا يقر بفضله ... اولو ادب اضحوا اجل غطارف
اعرني ما اشتاق الفؤاد لقربه ... وذاك رعاك الله شرح الصحائف
كتابا به امحو حنينا موفرا ... بنفسي الى احراز شرح المواقف
بهمتك العلياء اصبحت جامعا ... لكل كتاب منتهى كل عارف
لقد حزت كتبا لم يحزها سواك من ... افاضل كانت من سراة الخلائف
فلا زلت محمودا لدى الناس ملجأ ... لكل امرء من طارق الجهل خائف
ولا برحت آيات فهمك للنهى ... تسر بما تهدي لها من لطائف
عليك سلام الله ما ذر شارق ... واطرب في الروحات شدو الهواتف

الشيخ ابو محمد عبد اللطيف بن محمد الطوير المذجحي القيرواني

ولد بالقيروان وبها نشأ في بيت علم اصيل . ورياض مجد اثيل . طلب العلم ببلده عن علمائها ثم انتقل الى تونس فقرأ على اعلامها حتى برع . واجتلى ابكار العلوم وفرع . فاقرا بالجامع الاعظم علم الفقه مع مشاركة في سائر العلوم خصوصا العلوم الادبية فقد كانت له فيها قريحة وقادة . وتفوق به اصبحت صعابها اليه منقادة . وله شعر فائق . جيد الحوك سهل الطرائق . ولي خطة القضاء بالقيروان ثم رئاسة مجلسها الشرعي وكان اذا قدم الى تونس في مدة امارة علي باي يحضره مجلسه . ويؤثر بمسامرته تانسه . وله رسائل انتصر فيها للشيخ المفتي ابي عبد الله حسين البارودي الحنفي على الشيخ لطف الله العجمي العالم المشهور في مسائل كانت محل مناظرة بينهما توفي سنة ١١٩٩ ومن شعره يمدح الامير علي باشا بن محمد

غاب بدر الدجى فقام مقامه ... وتثنى فاخجل الغصن قامه
قمر فاتن ادار عذاريـ ... ـه لفتك اللواحظ الدعج لامه
جائر الطرف حائز الظرف أعـ ... ـدل في دولة الجمال قوامه
نافر ان رنا اليك بلحظ ... وثنى جيده فشادن رامه
واذا ماس قده وهو يشدو ... قلت غصن غنت عليه حمامه
ما بدا صبح وجهه لليالي الـ ... ـشعر الا وقبلت اقدامه
زعموا شعره الدجى ومحيا ... ه هلالا فقال هذي ظلامه
انما الليل شعرة من فروعي ... وهلال السماء عندي قلامه
ودرى ان ريقه السكر المسـ ... ـكر خمرا فما اباح مدامه
صنع الحسن من لآلي الثنايا ... وعقيق المراشف اللعس جامه

ومن مدحها قوله

ملك عادل همام غمام ... شامخ المجد جهبذ علامه
ناظم العدل ناثر الجور ما احـ ... ـسن في الناس نشره ونظامه
ماجد لاح في سماء سناه ... قد اقام الفخار فيه خيامه
سؤدد راسخ وكعبة مجد ... اخجلت في النوال كعب بن مامه

اطلع الشرع في مجاريه بدرا ... لم يفارق من الليالي تمامه
ختمت سنة الملوك بملك ... جمع العلم والندى والزعامه
من يجاري مداه ان هو اجرى ... في ميادين طرسه اقلامه
ببنان لكعبة المجد ركن ... تتمنى الشفاه منا التثامه
الف الطرس واليراعة والصـ ... ـارم والجود لا كؤوس المدامه
فاذا ما وشى برود بيان ... سترت (١) سعده وارضت عصامه
كل فن تلفيه في طوعه ان ... سل سيف الذكا وهز حسامه
اي صيد من مشكلات النهى لم ... يصمه ان رمى اليه سهامه
فاعل بالعويص من مشكل التسـ ... ـهيل ما ليس تفعل الصمصامه
لو رآه ائمة النحو قالوا ... انت اولى بحمل تاج الامامه
او رآه امامه سيبويه ... قال انت الخليفة العلامه
لك شرح لو لم يكن ملك الشرا ... ح ما سلمت له احكامه
لو رآه الخليل اورده من ... مورد البحث برده وسلامه
او اتى ورده المبرد قال الـ ... ـآن بردت من غليلي اوامه
او تلاقي عيونه اعين الاخـ ... ـفش في النحو ما اشتكى آلامه
واذا شام بحثه ابن هشام ... شام توضيحه كمغنيه شامه (٢)
ولو ان الرضي طالع فيه ... ما ارتضى في الشروح الا كلامه

وهي طويلة ومن شعره يهني الامير علي باي بن حسين باي بختان ابنائه وابناء اخيه

سعودك بالمسرة والتهاني ... مجددة على مر الزمان
واقبال واسعاد وبشرى ... بعيش قد صفا بالامن هان
تبسم للزمان ثغور بشر ... كما بسمت ثغور الاقحوان
وهز الملك عطفيه سرورا ... كما هزت معاطفها الغواني
لك الايام قد خضعت رقابا ... وبين يديك قامت كالقيان

---

(١) اشعر كلامه بتفضيل العصام على السعد وهو لغو من القول — (٢) لقد اغرق سامحه الله

وفي اوج السعادة والمعالي تـرقى نيـران ونيـران
قضى سعد السعود حقوق فرض مؤكدة بمسنـون الختـان
ختان ابني علي باشا مع ابني اخيه المرتقي غرف الجنان
ختان شعشع الافـاق نورا واشرق من سنـاه الخافقـان
ختـان البس الدنيا جمـالا وحسنا من طرائفه الحسان
ختان بهرج العليـاء ما ان يقاس به بهاء المهرجـان
جنينا الطيبـات فما فقـدنا سوى المحظور من بنت الدنان
وطاردنا اللذائذ في حماه طراد الخيل في يوم الرهان

منها في خطاب الخاتن

وكيف بسطت للاشبال كفـا وليث الملك منـك على عيان
دخلت لاجمة الاسد السبنتى(١) جهارا غير مرتاع الجنـان
جرحت فراهدا(٢) فيها بقط(٣) وبت من الغضنفـر في امـان
جزاك على صنيعك كل خير واحسان يجل عن البيان
فقال لبست سابغـة حمتـني وظلت بها يقينا في صوان (٤)
وثقت بسنـة المختار حقا فبت من المخاوف في ضمان
فقد سن الختان لنا ووصى به من جملة الفطر الحسان
على اني انطت بهم كمالا وما انا بالختان لهم بجان
قططت ذبال مجد فاستنارت بعقد جمانها بالقـط قـان
اسلت دما بها يلـفى شفـاء من الكلب المبيد بلا توان
وزهر للعلى اخرجته من كمائمه ولست لـه بجان
وحلي سيادة ابرزت منهـا عقائقه المصونة في الصوان
فنقصي عين تكميلي لان شعار الديـن اصبح في ختاني
وهي طويلة كلها عيون

---

(١) الجريء — (٢) جمع فرهد بضمتين وهو ابن الاسد — (٣) قطع — (٤) ما يصان فيه — مصححه

الشيخ محمد بن علي بن سعيد الحجري محشي الاشموني

ولد هذا الفاضل بقرية بوحجر من قرى المنستير ثم قدم به ابوه في مبدا شبيبته الى حاضرة تونس لطلب العلم فاقبل عليه بجد لا يفل له حد فلم يمر عليه زمان طويل حتى بذ بعلومه الاقران . واعترف له بعلو الكعب اهل الشان . ولقب بالنجم فتصدر للاقراء والافادة . وبرز في التحرير والاجادة . فتزاحم على مورد دروسه . واقتطاف الزهر من رياض طروسه . اذكياء الطلبة . وسباق تلك الحلبة . فكتب حاشية على شرح الاشموني على الفية الامام ابن مالك ويزعم بعض الناس انه اطلع على حاشية العلامة الصبان عليه لتواردهما في بعض الابحاث والحق انه لم يرها لانه لو رآها لكانت حاشيته احفل مما هي عليه على ان درجة صاحب الترجمة في الذكاء والتحصيل تؤهله لاصابة تلك الاغراض التي تواردا عليها كما كتب حاشية على شرح الخبيصي على التهذيب وخص شواهد الاشموني بشرح مستقل وله حاشية على السكتاني في علم الكلام وله رسالة في علم المنطق سماها اللوامع وديوان شعر سماه الفلك المشحون جمع فيه شعره وجملة من نثره طابق اسمه مسماه وطارصيته شرقا وغربا وكاتبه مشاهير العلماء ونوهوا به لما وقفوا على محرراته العلمية وله مكاتبات علمية بينه وبين العلامة السيد ابي المكارم عمار الشريف القسنطيني ممن حصل العلوم بجامع الزيتونة ثم رجع الى بلده لبثها فوقعت مباحثة في مسالة الاستدلال على عرضية العقل وانه ضعيف بينهما وتكررت بينهما في ذلك المراسلات وقد الف جدي العلامة ابو عبد الله سيدي محمد النيفر رسالة حكم فيها بين ذينك العلامتين في المسالة بما كشف به عن محيا الحق المبين . اما ذكاء صاحب الترجمة الوقاد . وفهمه الذي اليه العويص ينقاد . فذاك نبأ يستغرب خبره . وان دل عليه في العيان اثره . ينقل عن العلامة سيدي حسن الشريف انه بينما هو يقرا مع اهل طبقته في كتب العلم المتوسطة واذا بصاحب الترجمة قدم من بلده لقراءة العلم فزاول صغار الكتب العلمية فلم تمض الا مدة غير بعيدة واذا بصاحب الترجمة قد شاركهم في حضور دروسهم فلم تطل مدة حتى بلغهم انه تصدر للاقراء وابتدأ الاشموني وكتب حاشية عليه كما كتب على غيره ولما اشتهر

ادبه الفائق رغب الامير حموده باشا في توليته خطة كتابة الانشاء وارسل اليه في ذلك فازمع على القبول ولما سمع تلميذه الشيخ ابو العباس احمد بن الخوجه وكان ملازما له وبه تخرج اتاه متاسفا، وعلى فراق دروسه متلهفا، فلما راى ما عليه من الكآبة، اعرض لاجله عن قبول خطة الكتابة، فكان ذلك معدودا في مناقبه، ومحسوبا فيما ادخر لعواقبه، لكن لم ينض ثوب الشباب حتى اختطفته المنية غصنا غضا، وتركت القلوب محترقة ودمع العلوم عليه مرفضا، في الوباء الجارف سنة ١١٩٩ ومن شعره متشوقا الى خير البقاع معارضا ابيات القاضي ابي الفضل عياض في الشفا

يا دار قطب دوائر الشرف الذي ... لم تحوه الاقمار في الهالات
يا مربع النبإ الجليل ومنبع الـ ... ـعلم الجزيل ومطلع الآيات
شوقي اليك رمى بقلبي جذوة ... من دونها متوقد الجمرات
وافاض من عيني بحرا زاخرا ... يرمي بامواج على وجناتي
ان ساعد المقدار واتسع المدى ... آتي اليك ولو على لحظاتي
لا اختشي فيك العوادي والعدى ... موتي لاجلك هو عين حياتي
لم لا وانت ديار طه المصطفى ... والآل والاصحاب والزوجات
مخدوم جبريل الامين المجتبى ... ورئيس كل مرفع الدرجات
ذاك الذي لبس النبوة حلة ... والخلق في حلل من العدمات
كهف الخلائق كلهم وملاذهم ... يوم امتداد ازمة الازمات
من لي به القاه حتى في الكرى ... واشم منه معطر النسمات
واكحل الاجفان من آثاره ... واشنف الاسماع بالنغمات
واقول يا خير الورى يا من به ... ارجو جميل الصفح عن زلاتي
كن لي شفيعا يوم يمتد الردى ... ومؤمنا من لوعة العرصات
فلقد كرعت من المآثم كلها ... ووقفت دون مشارب الحسنات
وركضت في مضمار كل كريهة ... ورميت اغراضا من الشهوات
وعليك كل تحية بسامة ... تزري بعطر الورد في النعمات
وذواكي الخيرات والبركات ... وزواكي التسليم والصلوات

ومنه مرتجلا وهو من اول شعره وقد اقترح عليه جمعة وصف الحال وقد تراكم السحاب واستتر وجه الشمس واسودت الجبال وكانوا جالسين عشية على سطح مخازن القطران بالبحيرة بتونس

انظر الى لون الجبال وقد بدت ... مسودة لما ارتدت بغمام
فكأنها قلبي المسود بالجفا ... مما بدا لك من ضياع ذمام
والشمس في حلل السحاب تسترت ... لما رأتك رميتها بسهام
واذا نظرت هنيأة تجد الدجى ... وافى اليك ببدره كغلام

ومنه مرتجلا

وذي قوام نضير لا نظير له ... سل الكرى من جفوني ثمت انفلتا
في وسط قلبي من مر الغرام به ... صيف ولكن في عيني منه شتا
عاينت وقت زوال الشمس طلعته ... لذاك عيناي ان قلت اكففاهمتا
وشمت في خده نبت العذار وما ... عهدي هناك بغير الورد قد نبتا

ومنه معارضا قصيدة ابن الجهم يمدح الكاتب العلامة الشيخ حمودة ابن عبد العزيز ويهنيه بإياب من سفر وبمولود وهي من غرر الشعر

تثنى كما اهتزت مثقفة السمر ... ولاح كما انجاب السحاب عن البدر
وجال بمضمار الملاحة واحدا ... فاضحت جياد الفكر في حسنه تجري
وسل حساما من جفون بديعة ... فعلم جفني صنعة النظم والنثر
غزال غزا الالباب كاسر طرفه ... فما ظفروا الّا بمرتبة الاسر
ابيت واجفاني هوام دموعها ... على جسد بالسقم يحكي ابا ذر
كأن سطور الدمع في طرس وجنتي ... غمائم در في رياض من التبر
كاني لافنان الصبابة جامع ... ودمعي وقف في مصالحها يجري
يطول علي الليل حتى كانني ... ليالي من فرط الجوى ليلة الحشر
ويزعجني الاصباح حتى كانني ... نهاري سيف سل من حيث لا ادري
واما اذا ما اومض البرق في الدجى ... فقل في الذي امسى(١) من الذعر

(١) بياض بالاصل ولعله بقلبي — مصححه

خليلي ان الدهر ابدى اساءتي ... واظهر ما قد كان اضمر من مكر
وما ضر مثلي ان تلظى بشاره ... وهل ضر ابريز تلظيه بالجمر
وما لي من ذنب لديه جنيته ... سوى انني لم اسمع العذل في بدر
وان خبر الواشي بسلوتي اختبر ... فليس يد الاخبار مثل يد الخبر
على ان اخبار الزمان تخالفت ... سوى خبر العلياء عن واحد العصر
عزيز الورى حمودة العالم الذي ... بيوت المعالي عن معاليه كالقصر
فخار بني عبد العزيز وذكرهم ... وحسبك من فخر وحسبك من ذكر
وزير ولكن ما اتى الوزر دهره ... وعز ولكن ما تطلع في كبر
امام له في العلم ارفع رتبة ... بها سارت الركبان في السهل والوعر
هو الصدر فيه الله اودع سره ... ولا عجب ان اودع السر في الصدر
له قلم ان ماس في روض طرسه ... فما هو الّا الغصن يثمر بالدر
وان ذر تربا فوق جيش سطوره ... فماهو الا النقع والعسكر المجر (١)
كم استعبدت مثل ابن عباد في الورى ... وداوت عماد ابن العميد من الكسر
وشاب الوليد البحتري قبل نيلها ... واضحى ابو تمام بالنقض في اسر
ارى المتنبي قد تنبا ولو راى ... قصائده الغرا تاله بالشعر
اخو كرم ينسيك فرط جماله ... عيون المها بين الرصافة والجسر
ترى حاتما لكن بصغرى بنانه ... كأن البحار السبع في الانمل العشر
دعوا زخرف الاخبار عن جعفر فذا ... هو البحر والانهار ليس كما البحر
فاني سبرت الناس سمحا وباخلا ... فذو اليسر باليسرى وذو العسر بالعسر
فالقيت كل الناس منذ لقيته ... وصغرت الاخبار عندي بالخبر
وشاهدت مالم يمكن المرء حصره ... ولو جاوز الاطناب بالنظم والنثر
اخو عفة لو ادرك الناس بعضها ... لاصبح يوما ما تأزر بالوزر
وذرهمة ما ادرك الطرف شاوها ... ولا طائر النسري ولا طالع النسر
ومن كانت الامال طوع يمينه ... فلا غرو ان يعلو على الشمس والبدر

---

(١) الكثير — مصححه

الا ايها المولى الهمام الذي له ... قضى السعد في تيسير ما كان ذا عسر
ومن ملأ الدنيا سرورا قدومه ... وقامت له تسعى على قدمي بشر
وراقت به الخضراء من بعد هجرها ... وليس يزور الوصل من غير ما هجر
وقد اظلمت من قبل لولا محمد ... وكيف يضيء الافق لولا سنا البدر
وهزت بني الامال من فرط نيله ... كما انتفض العصفور من بلل القطر
وحير من عاداه حتى كانما ... ادار لهم كاسا مليا من الخمر
تهنى به نجلا تجلى هلاله ... لنا وعليهم بالمسرة والقهر
شبيهك في العلياء والعلم والحجى ... وبذل الندى والباس والنظم والنثر
ولو لم يكن هذا الهلال بوجهه ... لما اشرقت انواره اول الشهر
ودونكها هيفاء من غرر الثنا ... تحلت بالفاظ ارق من السحر
يواقيت من ابحار مجدك اخرجت ... وهل يخرج الياقوت الا من البحر
على انها قد انشدت يوم فخرها ... مدحتك بالشعرى وغيري بالشعر
ثناها الحيا قبلا وغالبها الجوى ... فجاءتك تستقري مطايا من العذر
فلا زلت للامال كهفا وملجأ ... حليف هناء خاتما في يد الفخر
اليك انتهى قصدي وحسن قصائدي ... وان كنت لم اعبأ بزيد ولا عمر

الكاتب ابو عبد الله محمد بن عبد الكافي بوعتور الصفاقسي

نشا هذا الاديب في طلب المعارف . وصرف عن تحصيلها كل صارف . مقتبسا له عن جهابذة عصره . واساطين قادة مصره . حتى ابدر هلاله . وعرف في ميادينه كماله . وضم الى اثيل نسبه القرشي . ما اكتسب من الحسب السني . وانتظم في سلك الدولة الحسينية . وجلى في خدماتها الادبية . بهمة سامية و نفس ابيه . وكان فقيها فرضيا اديبا شاعرا فلما تفرق من الدولة الحسينية الشمل . وعطل الخطب ذلك الحفل . وتفرقت البطانة ايادي سبا . وبلغ سيل صروف الدهر الربى . تقلب صاحب الترجمة مستخفيا يطلب النجاة . وقد اخذت عليهم الاعداء المراصد في العمران والفلوات . حتى اضطر للاختفاء بدار صاحب له بمدينة سوسة مدة كلبهم . واستشراء غلبهم . كان في اثنائها يتسلى بالنسخ

لبعض الكتب العلمية . الى ان امكنه سلوك الثنية . فلحق بالامراء الحسينيين . والتجا الى حصن حماهم الحصين . ولازم بابهم . وخدم في التغرب ركابهم . بث علم عمل الفريضة بمدينة الجزائر وكان مفقودا يقال انهم كانوا يلتجأون في قسمة التركة الى حساب اليهود وربما قسموه بالفول كما تصنع العجائز فلما انفرجت الازمة . والتأمت في طاعتهم الحزمة . وراجعوا ملكهم . ونظم الله سلكهم . اقتعد صاحب الترجمة دست الكتابة . وبلغ من الدهر آرابه . مرموقا بعين التجلة . مرفوعا على عاتق الجوزاء محله . الى ان تقضت ايامه . وحل به حمامه سنة ١١٩٥ ومن شعره يهني الامير علي باي بفتح جبل وسلات

لله ما احلى سرورا جاءنا ... ببشارة تمت بها الافراح
قدم البشير بها الينا ليلة ... غراء مشرقة فطاب الراح
طاب الزمان بطيب حسن حديثها ... في مجلس زالت به الاتراح
ناهيك من ملك به كالكوكب الـ ... ـدري بدا وجبينه وضاح
بدر منير في سماء سعادة ... الوجه منه كانه المصباح
متجلل ببهائه متهلل ... متوكل والناصر الفتاح
فتح الاله له بخير غنيمة ... وانحل مغلقها وجا المفتاح
جاد الزمان بها على طول وما ... ادراك ما هي منة وصلاح
فانا الذي استبطأتها فكانني ... استمرض الايام وهي صحاح
حتى تفضل ربنا بمغانم ... واتت ليالي الوصل وهي ملاح
وتبسم الزهر الاريج بخضرة ... وتباشرت بوصالها الارواح
وتمايلت اغصان روضة مالك ... لكمالها وجمالها ترتاح
وترنمت اطيارها وتعانقت ... اشجارها وعبيرها فواح
اقمارهم طلعت وطالع سعدها ... ان شاء ربي دائما مرتاح
وتزينت تلك الربوع واوقدت ... فيها الشموع وصفت الاقداح
وجلوت فيها للوصال عرائسا ... الخد ورد والثغور اقاح
ونظمت من حر النثار نفائسا ... ونثرت منظوما وذاك مباح

وابيحت الانفاس في طلب العلى ... وكذا دماء البائحين تباح
وتكاملت لذاتنا حتى لقد ... غاب الرقيب وهمنا منزاح
فالحمد لله على نصر سما ... وحبا اتاناه العلي الفتاح
قصم العدى ومحا الردى فصفا المدى ... وجلى الصدا فالليل منه صباح
يا ايها الملك الذي هشت الى ... تأميله الشعرا وفيه فلاح
يا من هو الغيث الغياث المرتجى ... في المحل اذ كلتا يديه سماح
اندى من البحرين حقا كفه ... بل جوده للبرمكي فضاح
من لم يفز بشمائل اعطاكها ... للغاية القصوى عليه جناح
من رام جانبك العلي اذايه ... سفت عليه بالنواح رياح
فالجسم موقوف عليك لخدمة ... والقلب ليس له عليك براح
خذها ابا حسن عليا كاعبا ... عذراء بل حوراء وهي رداح
امت مديحك تبتغي نيل الرضى ... في ثغرها المشروب والتفاح
دامت لك العليا فقلت مؤرخا ... انا لنا ببقائك استرواح

٥٢	٨١	١٣٥	٩١٦

١١٨٤

الشيخ ابو العباس احمد العصفوري الاندلسي الاصل

ولد هذا النبيل . في بيت علم ومجد اثيل ينسب الى الشيخ ابن عصفور رئيس النحاة في عصره فنشأ في طلب العلم وارتياد رياضه . والارتواء من مترعات حياضه . حتى استد فيه ساعده . وتالق في افق العلى صاعده . فتصدى لافادة الطالبين . ونشر الوية علوم الدين . ما احيى به النفوس . وقيل في ارج تحريره لا عطر بعد عروس . وكان فقيها مشاركا في العلوم اديبا . شرح عقيدة الشيخ سيدي علي النوري الصفاقسي بشرح نفيس . ولي مشيخة المدرسة العصفورية بسوق العطارين وتعرف بالحكيمية نسبت اليهم لطول مدة من تداول مشيختها منهم . توفي سنة ١١٩٩ ومن شعره يهني الامير علي باي باتمام اسطول صنعه بحلق الوادي سنة ١١٨٨ لتحصين السواحل التونسية . ولتحرر فاني نقلتها من اصل محرف

سفين نجاة ادركت ما ترومه ... وسلمها بحر بها مات رومه
وسلمها الله العزيز من الاذى ... وايدها نصر له تستديمه
تبيد جيوش الكفر في كل وجهة ... وترجع بالغنم المفل خصومه
وتحمل سبي الروم من ارض كفرهم ... الى تونس والسبي شدت كلومه
بمرساة حلق الواد قد انشأت لها ... حماء ونفعا للامير عمومه
هو الباي مولانا علي باشة الرضى ... من ارتسخت في المكرمات رسومه
سليل حسين الباي من نال همة ... الى الفلك الاعلى السني نجومه
مقلد اعناق الرجال اياديا ... تبيد ليالي الدهر وهي تعومه
راى خلل البر استقام برائه ... وصار حميدا بالسداد ذميمه
فعاد بلحظ الراي ينظر بحره ... ومينـاه حتى يستقيم سقيمه
وانشأ اسطولا تنوع شكله ... تدبره آراؤه ورقومه
يشير بما يبديه صاحب رأيه ... فيرضى به من حنكته علومه
ولا يرعوي عنه المهندس ذو الحجى ... وان كثرت في الفكر فيه همومه
يرى منتهى الامر الذي رام فعله ... فيوقعه تنزاح عنه حسومه (١)
يتابع برا بره اهل وده ... وينعشه بشر له ونسيمه
ويغضي حياء عند سقطة زاهف (٢) ... فما قال مرتاب قلتني سمومه
ويممه التجار من كل بلدة ... وامنهم عدل له وحلومه
واعلن بالاموال من كان خائفا ... يهوله وسواسه وغمومه
رآه يعيذ الناس من شرة الاذى (٣) ... وقد صد عدو العاديات رجومه
سياسته تقضي بكل فعاله ... فلم يلف ذو نقد له ما يلومه
سفائن مينات البلاد لامنها ... فما سامها منه الردى وهجومه
تركن لمرسى تونس كل نجعة ... ولو علمت اضعاف ما قد ترومه
يحط بها احماله كل سافن ... ولم يلق بخسا في الذي قد يسومه
لذا اكثرت فيها التفاريق من غدا ... يغالي بامداح لها لا الومه

---

(١) شؤمه — (٢) ذليل — (٣) المراد الشدة من شرة الشباب نشاطه - مصححه

ومن يمتدح املاك دهرك يلقه كئيبا اذا لم يمتدح من اشيمه
فسوق امتداح الباي للناس نافق وعطره المدح الذي لا يريمه(١)
راى المجد من كل الجهات ثوى به فلازمه لا زال عنه لزومه
واصبح مخدوما بامداح ألسن ومن نال مجدا فالمديح خديمه
يلازمه في صحبة المدح ثانيا لزوم نديم يصطفيه نديمه
يزيد غراما حبه في حشى الذي يشاهد من افضاله ما يديمه
متى رام تقصيرا مريد مديحه تلوح صفات والبيان خصيمه
فتخرج من افكاره درر حكت قلائد در بالشذور نظيمه
تشوق لها الاسماع والذهن والحشى كشوق الذي يصبو اليه حميمه
وترتاح للتكرار كالمحتسي طلا ومن لم ير التكرار فهي غريمه
تنازعه حبا لذكر مليكها اميرا رسا في المكرمات صميمه
عليه من النصر المفاض عبابه وتسليم ذي العرش المجيد غيومه

وهناك جملة من شعراء هذا العصر لم نقف على جلية خبرهم نقتصر على تسميتهم وشيء من اشعارهم فمنهم

الكاتب ابو العباس احمد سمية القيرواني

كان حيا سنة ١١٧٢ من شعره يمدح الامير علي باي ويهنيه بعيد الاضحى

هنيئا ايها الملك الهصور بعيد فيه اشراق ونور
اتاك مبشرا بدوام ملك عليه حماية المولى تدور
جلست على منصتك ابتهاجا كانك فوقها قمر منير
اذا ما لاح وجهك مثل شمس تغيب بحسن طلعتك البدور
فمن كابن الحسين القرم حتى به الاعوام تحسن والشهور
فقبلت العلى يده وقالت يد قبلتها فيها بحور
تزاحمت الشفاه عليه حتى غدت باللثم تفتخر الثغور

---

(١) اي لا يتحول عنه — مصححه

علوك يا علي طويل باع ... وباع سواك في العليا قصير
سرور العبد طاب فارخوه ... بعيد النحر طاب لك السرور

وله يهنيه بحلول سنة جديدة

وافاك عام اليمن بالبركات ... والسعد ساعد والزمان مُوات
والوقت مبتسم المحيا مشرق ... لبس الهنا صاف من الشبهات
يا من ترفع قدره وسما على ... كل الملوك بارفع الدرجات
يا من له سند قوي في العلى ... عن والد يرويه خير رواة
اقبل الى ما تشتهي من حاجة ... فيؤمك الاقبال بالحاجات
الله اودع فيك نور فراسة ... فتكاد تخبرنا بما هو آت
اصبحت في وجه الفضائل غرة ... يجلو نساها غيهب الظلمات
ابقاك ربك للانام مؤيدا ... وحماك اكراما من النكبات

ومنهم

الكاتب ابو عبد الله محمد ابن ابي القاسم بن غانم

كان حيا سنة ١١٧٠ من شعره يهني الامير علي باي بختان ابنيه وابني اخيه

حان الختان وقد ابرزت اقمارا ... وجدد السعد بالخضراء انوارا
يوما اضاء الدراري نور بهجته ... ومن شذاه تبدى الزهر معطارا
ترى الحدائق مالت من مسرته ... والطير تبدي من التغريد اطوارا
يا ايها الملك المبدي فضائله ... غيثا يسح على العافين مدرارا
هذا الختان الذي زانت محاسنه ... وعم باليمن غلمانا وابكارا
ابشر بغرسك ان الروض ان قطعت ... منه الزوائد نار الغصن ازهارا
واسعد فان بدور السعد قد طلعت ... وقد تراهم بعز الملك انصارا
يا خير من حل بالخضراء مبتهجا ... وقد تجلى بنور العدل امارا
تهدي اليك الليالي يمن غرتها ... والدهر يسفر من عليك اسفارا
ما كل ثغر متى يفتر منتظما ... وكل طرف متى يرتد سحارا

خذها تهنيك بالافراح ناطقة عذراء شطت على الاقمار مقدارا
جاءت تقبل في الاقدام راغبة ولم ترد منك غير البشر ايثارا
فاعطفا با الحسن الباشا الرضى كرما عطفا يبلغ بالامال اوطارا
دامت اليك وللابناء مملكة وقد وقاهم رسول الله اكدارا
عليه ازكى سلام الله ما طلعت شمس النهار وعم النور اقطارا
وآله الغر والاصحاب ما عبثت ريح الشمال وراق الزهر اشجارا

ومنهم

ابو اسحاق ابراهيم بن قاسم الخراط الصفاقسي

كان حيا سنة ١١٨٠ من شعره يهني الامير علي باي

لك الفتح فاعزم غازيا واحسم الكفرا وجاهد فدين الله يهدي لك النصرا
بني الاصفر استعبد بسيفك انني ارى النصر معقودا برايتك الصفرا
فحسبك في الفرقان ما جاء منزلا وفي سورة الانفال اعظم به بشرا
وحسبك فوزا نصر دين محمد فدم حازما واغنم باعدائك الظفرا
وحسبك هذا السعد قاد غنيمة اليك فجاهدهم تنلها وحز اجرا
لقد كنت ذا عزم لغزو بلادهم لتفتحها اذ انت منهم بها احرى
فلم تغرهم حتى اتوك هدية وقد ركبوا سفنا بها قطعوا البحرا
قلوبهم تحكي اضطراب قلوعها كاني بهم صاروا جميعا بها اسرى
بسفنهم تلك الجموع تكسرت ولم يبق جمع منهم سالما ذكرا
اتوا حلق وادي تونس فراوا به حصونا لقد احدثتها تذهل الفكرا
وعسكر ابطالا وجيشا عرمرما اذا انتشروا عموا بذا السهل والوعرا
وما غادروا هذا به حين نقضهم لصلحهم والحزم يستهون البترا
ومن رام غنم الظفر حث طلابه ومن طلب العلياء لم يغله مهرا
حرابك قد راموا فكانوا كباحث على حتفه يوما بظلفه مغترا
اتوا للردى جهرا ومن ببنانه يسد فم الافعى اتى للردى جهرا

تحدثهم آمالهم ان سيحدثوا ... فسادا بافريقية منهم مكرا
عجيب باذن الفيل طنت بعوضة ... وبالاسد الضاري ارادت مهى ضرا
متى صادت البازي حبارى وهدد الـ ... ـغراب عقابا والقطا طلب النسرا
الا خبروا جمع الفرنسيس لم يروا ... لدى ملكنا الا البواتر والسمرا
ودار ابن لقمان لديهم هي التي ... اعدت بمصر مثلها له بالخضرا
كذا القيد باق مثله ونزيده ... الى سور صبر يحمل الجبر والصخرا
يمينا بديني يا فرنسيس ما اتيـ ... ـتم تونسا الا استتميتم العمرا
اتيتم لاسياف لنا اليوم اودعت ... بواطن اغماد ترجتكم دهرا
تهافتم في حر نيران حربنا ... فكنتم فراشا قد راى قبره الجمرا
فاصبحتم في حرها وحشاشة ... لكم في غليل فارشفوا الدمعة العبرا
الا فاشربوا مهما ضمنتم نجيعكم ... بذا اليوم لم تلفوا به الاكؤس الحمرا
وتحريك اوتار السهام لنا هو السمـ ... ـاع ومن يظما يجد عندنا نهرا

وهي طويلة

ومنهم

الاديب خليفة ابن القائد منصور المشرق

كان ابوه القائد منصور من رجال دولة الامير حسين بن علي ومن خواص اتباع دولته فلما دالت الدولة للاميرين محمد وعلي ابني الامير المذكور ولي الولايات الجليلة الى ان ولي عاملا على سوسة فاساء السيرة في اهل جمال وكانوا من انصار الامير علي باشا ابن محمد فلذلك خاشنهم وسار فيهم سيرة عسف فلما ثار اسماعيل بن يونس باي كان اهل جمال اول الملبين لدعوته وآووه وقاموا بنصره فراى الامير علي باي ان من اسباب ثورتهم عسف قائدهم فعزله عن سوسة ونشأ صاحب الترجمة فسمت همته لطلب العلم والادب فلازم حلقه فبرع وظهرت نجابته ونبغ في الشعر وكان وحيها. كان حيا سنة ١١٨٠ ومن شعره يمدح الامير علي باي قالها في اول شبيبته وهي من جيد الشعر

قاتل بسعدك فالمعالي تنجد ... واعزم فجدك لم يزل يتجدد
فلانت اعلى عزة بل منعة ... من ان تحاربك العداة القصد
والحرب انت مجيدها ومجيلها ... والخلق تعلم والوقائع تشهد
والامر امرك والبلاد باسرها ... طوع اليدين ومن عليها اعبد
سمعت خيولك بالحروب فهزها ... طرب وباتت للصهيل تردد
كالصب اخبره الصبا عن حبه ... رام الزيارة فاثنى يتنهد
ما ذاك الا انها عودتها ... حمر الدما حيث النجيع الورد
والخلق تحدق والمنايا حوم ... والخيل ترقص والقواضب تنشد
من كل سابغة اذا ارسلتها ... يلفى القريب لها المكان الابعد
جعلت حوافرها المراود في الوغى ... للحاظها حيث الغبار الاثمد
ومدلل في الحرب يلفى سارحا ... نبت الرؤوس ومن دماها مورد
نهد اذا استنجدته في وقعة ... اعطاك عفوا صدره ما تقصد
والسمهرية في سرور خلتها ... سقيت طلا من كثر ما تتأود
عودتها في الحرب تترع اكؤسا ... يسقي العداة بها الغمام الاسود
ولطالما اثمرتها من هامهم ... اذ انت يثمر في يديك الاملد
تمحو الدجى اطرافها ان اشرعت ... فيسير تحت ضيائها المسترشد
والمشرفية ودعت اغمادها ... اذ عودت في الهام حربا تغمد
غر الغبي صموتها لم يدر ما ... تحت الحجار من اللظى اذ تخمد
هامت بهام المارقين فلا نأى ... عنها المراد ولا خطاها الموعد
خذم الغرار كانها ان جردت ... واسود ليل النقع نار توقد
يامن به شقي العدى ومن اغتدى ... يوما مطيع امره يستسعد
ان العداة قد اعترتهم علة ... وحسامكم رجل حكيم يفصد
فاتوك كي تبري بها اعناقهم ... وخذ الديار وكلها قد شيدوا
فاحلل عرى اعناقهم ان يقربوا ... وارسل لهم جيش العدى ان يبعدوا
واحكم ومر واظفر وجد واعزم وصل ... واسعد وطل وانهض ودم تستنجد

هذي القضية لم تزل اخبارها قدما تغور لدى الانام وتنجد
فالكون يعلم ان مفني جمعهم اعلى الملوك ابن الحسين الاوحد
لله يوم اتيت حلق الوادي في فخر اقر له العدى والحسد
في جحفل ستر الضحى بغباره والبيض تبرق والصواهل ترعد
متوقد الجنبات تلتاح الضبا والسمر فيه لبعضها تتأود
من كل ملتثم على بدر الدجى يغدو الصباح بنوره يستنجد
فارتد سرب الكفر يبغي نفسه اذ حله الهم المقيم المقعد
لو تعقل السفن التي قابلتها نطقت محيية وخرت تسجد
يا اهل تونس قد حباكم ربكم بمؤيد آلاؤه لا تجحد
من لم يرد جدواه لم يدر العلى من لم يلذ بجنابه لا يسعد
ملك الملوك ونخبة الاقيال والامجـــاد والانجاد وهو الانجد
ليث العدى سيف الردى نجم الهدى قطر الندى بحر الجدى المسترفد
عزم يمازجه اتئاد ضامن للنجح بالراي السديد مؤيد
ذو همة صرفت الى صرف العدى وحجى سما فانحط عنه الفرقد
تاميله نور اذا ما اظلمت نوب الزمان الى الاماني مرشد
لولاه ما طلع الهدى في افقكم يوما ولا انتشر العلى والسؤدد
كم اشرقت ايامكم بل اورقت فاضاء معتكر وسال الجلهد
حان عليكم ناظر خلاتكم وعلى المسيء جناية لا يحقد
اسدى الندى وازال عنكم ماثما كالغيث فهو مطهر مستورد
واصان من انجالكم اموالكم فرجعتم لا مسكر لا مفسد
واعاد تونس جنة انهارها من بذله من تحتها لا تركد
فلتحمدوا ولتشكروا آثاره ان النعيم بشكره يتقيد
يا حلية الاشعار ان ذكرت به فمتى خلت من مدحه لا تنشد
فاليكها من خدر فكري غادة خجلت لطلعتها الحسان الخرد
وافتك ترفل في ثياب الفخر اذ سمعت بانك كفؤها والمقصد

واتتك بالنصر القريب تفاؤلا ... ان التفاؤل امره لا يبعد
كبرت ووالدها صغير فاغتدى ... فكر الغبي لامرها يستبعد
فعلمت ان مقاله حسد به ... اذ لم يجد من حسنها ما ينقد
ما ضر شمسا شاهدت انوارها ... مقل الورى ان لا يراها الارمد
نظمت اياديك المعالي فاغتدى ... شعري لمنتظم المعالي ينشد
ان كنت اهديت المعاني عذبة ... فلانت لي منها المفيد المرفد
فانا ابن دوحة ملككم وديارکم ... لي ملجأ ونميرها لي مورد
فاسلم وعش ما عاش نوح سالما ... واسعد فانت لدى الانام الاسعد

الشيخ الكاتب ابو عبد الله حمودة بن عبد العزيز

ولد بتونس وبها نشأ في طلب العلم فاخذه عن علماء عصره من اهل تونس منهم والده العلامة فبرع وتصدر للاقراء بالجامع الاعظم فظهرت براعته واشتهر تحقيقه . تخرج به اعلام منهم حامل راية مذهب النعمان ومحقق الحنفية في هذا القطر الشيخ محمد بيرم الثاني وعالما المالكية الشيخ محمد المحجوب والشيخ عمر المحجوب . له حاشية على الوسطى للشيخ السنوسي ورسالة في القبلة وحرر مسائل كلامية وقع خوض علماء زمنه فيها منها مسالة كاتب فيها بعض علماء قسنطينة علماء جامع الزيتونة فاجابوه عنها كان ممن اجاب عنها صاحب الترجمة والشيخ ابو الفداء اسماعيل التميمي لم اطلع عليهما واخبرني بعض محققي شيوخي ان كتابة صاحب الترجمة احسنهما تحريرا وتحقيقا وشرح موشحة ابراهيم ابن سهل الاسرائيلي . رغب الامير علي باي ان يستكتبه فلم يرض ثم طلبه ثانية فقبلها ولما سامره اول ليلة اعجبته محاضرته حتى ان الامير لم يزل يدنو منه حتى كاد ان يماس مجلسه . قام بخطة الانشاء خير قيام فاستكفى به وافاض عليه اياديه وكان خليقا بالرئاسة الف له تاريخه الباشي وبعثه سفيرا عنه لدار الخلافة العثمانية وللجزائر وخصه باقراء ولده الامير حمودة باشا العلم فاعتنى به وتخرج به وكان له بذلك ادلال عليه في امارته وكان مترفها في معيشته فاذا لیم يقول لا يسليني عن مجالس العلم بجامع الزيتونة واستبدالها

بخدمة المخزن الا ذلك وربما صرح به للامير حمودة باشا وما زال رفيع المكان نافذ الكلمة مرموقا بعين الاعتبار الى ان حاول بعض الناس الفتك به فطاش سهمه وارتاع لها صاحب الترجمة والقي القبض على الجاني فيقال ان الامير حمودة باشا حكمه فيه وامر بانفاذ ما يحكم به فامر صاحب الترجمة بالتمثيل به ونفذ فاتى بها شنعاء خالف بها الشريعة الاسلامية اذ لم يستوجب غير التعزيز فتغير عليه باطن الامير وعدت عليه اعظم سقطة وقال ما ظننت انه يبلغ به الى القتل ولكن سبق السيف العذل والحق انها فلتة من الامير كيف والشريعة الاسلامية تحظر حكم العدو على عدوه او شهادته عليه ولكن حب مجابرته حدا به للوقوع في ذلك وكان شاعرا مفلقا له ديوان توفي سنة ١٢٠٢ ومن شعره يهني الامير علي باي باطفاء فتنة جبل عمدون وجبل وسلات وهو من السهل الممتنع

مهاد لجنب العز ظهر السلاهب(١) وبرد لصدر المجد حر المضارب
وسمر العوالي للمعالي دعائم وبيض المواضي سلم للمراتب
ولا وابي لا يبلغ المجد عاجز يعلل نفسا بالاماني الكواذب
ولكن فتى قد جرد السيف طالبا به من حقوق المجد اسنى المطالب
يهاب الدنايا ان تدنس عرضه وليس لاسباب المنايا بهائب
يعاف ورود الماء ليس به دم ويترك طعما ناله غير غاصب
فذلك ان يظفر فاكرم ظافر والا فعذر السيف في كف هارب
هي الحرب من يعلق بها يبلغ المنى وهل نال اقصى المجد غير المحارب
ومن لا يهب يغلب ومن كان ضاربا بسيف علي كان اغلب أغالب
امير العلى والحلم والباس والندى واشجع مقدام واكرم واهب
مليك تسامى في المكارم والعلى بحيث غدا مثواه بين الكواكب
تبوأ منها حيث ان يبغ رتبة يعد اليها من عل كف جاذب
بصير باعقاب الامور كانما يريه حجاه شاهدا كل غائب
وكل يرى صدر الامور وانما تبين مزيات النهى في العواقب

(١) جمع سلهب ما عظم من الخيل وطال — مصححه

رجاحة عقل حنكتها تجارب ... وهل رجح الالباب مثل التجارب
واقدام من لا يرهب الموت والفتى ... ينال المنى ما كان ليس براهب
تخف الى داعي الوغى متهللا ... يجرر اذيال القنا والقواضب
يباري جياد الخيل في خيلائها ... كأن مجال الحرب بعض الملاعب
يظن دم الابطال في متن سيفه ... تورد خد فوق خضرة شارب
وطعنة رمح تحت ضربة سيفه ... هي المقلة النجلاء من تحت حاجب
هو القائد الجرد السلاهب للوغى ... تفوت غداة السبق طرف المراقب
تطير وقد خاضت الى الرسغ (١) في الدما ... كعقبان جو داميات المخالب
رياح اثارت من غبار سحائبا ... ترى الشقر منها برق تلك السحائب
عمدن الى عمدون من بعد وقعة ... بوسلات سالت بالدماء السواكب
كلا الجبلين ابطرته (٢) فواضل ... بنعماك لا تحصى بحسبان حاسب
افضت الندى فيهم ومن كان مثلهم ... بضرب الطلا (٣) ينقاد لا بالمواهب
فبدلتهم اذ بدلوا الطوع جفوة ... حرابا لما اوليتهم من حرائب
وسقت لهم ليلا من الجيش بيضه ... نجوم هوت من هامهم في مغارب
فجاءتك وفدا بعد وفد رؤوسهم ... وليس لها غير القنا من ركائب
لئن صديت افكارهم من غواية ... ففي كفك السيف الصقيل الترائب
وان اظلمت ابصارهم من عماية ... فمن رأيك النور المزيل الغياهب
وما زلت تولي كل يوم عليهم ... كتائب نصر اردفت بكتائب
الى ان اتوا ما بين عان مشدد ... وبين شريد لائذ بك تائب
وليس عليهم سبة ان اخذتهم ... فليس سطا المولى لعبد بعائب
قسوت لهم حتى ملكت قيادهم ... فعدت الى ما اعتدت من لين جانب
عفوت فلم تستبق للعفو غاية ... وفرجت عنهم عند ضيق المذاهب
وللحر ان كانوا كذلك خجلة ... من العفو انكى من عقاب المعاقب

---

(١) المستدق مما بين الحافر وموصل الوظيف وهو مستدق الساق – (٢) اطغته بالنعمة – (٣) الاعناق – مصححة

ابا الحسن افخر فالملوك باسرها ... مقصرة عن بعض هذي المناقب
اتيت بفرض المكرمات ونفلها ... واكرمهم من لا يخل بواجب
خطبت العلى بالسيف حتى ملكتها ... وليس بكفؤ للعلى كل خاطب
عجبت لرمح وارد ابحر الندى ... بكفك يثني عطف ظمآن شاحب
واصفق (١) من وجه المنية صارم ... نظرت اليه فانثنى غير ذائب
عدلت ولم تعدل عن الحق والهدى ... واوردت منه كل صافي المشارب
وعم الورى ذا العدل الا رواحل ... لرفدك هاضتها ثقال الحقائب
مدحتك حبا في علاك ورغبة ... وما انا في غير المعالي براغب
فدونك من حر الكلام مدائحا ... كعقد من الياقوت في جيد كاعب
معان لافراط السنا لو تجسمت ... لزادت فريقا في النجوم الثواقب
لقد سل منك الله سيفا مهندا ... فلا فل منه الدهر عضب المضارب
وعزز منك النيرين بثالث ... فدمت على طول المدى غير غارب

وقد عارض بها قصيدة بليغة لابي عبد الله محمد الورغي في الامير علي باشا ابن محمد مطلعها

هو العز في سمر القنا والقواضب ... والا فما تغني صدور المراتب

ومن شعره موشحة نصها

عاد لي زماني ❁ بعد طول تعليل ❁ فاسترد الفائت ❁ وطوع الابيا
حبذا المزار ... وحسن ما افاض
اذ لنا الخيار ... في الحدق المراض
واكتسى النهار ... والبرق في اعتراض
حلة الدياجي ❁ والجو فيه تخضيل ❁ كسوة الفواخت ❁ تطوقت حليا
قد هويت شخصا ... اعززبه من شخص
ضم جسما رخصا ... واي جسم رخص
سالفاه انتصا (٢) ... والغصن فوق دعص (٣)

---

(١) اوقح — (٢) ارتفعا او انتصبا — (٣) كثيب — مصححه

يا قضيب البان ❁ هلا ثناك مميل ❁ طبت في المنابت ❁ فلا تكن عصيا

ليتني حويتك ... بكل ما حويته
ضقت اذ فديتك ... ذرعا بما حبيته
ليتني جنيتك ... علما بما جنيته

صعدت الزفرات ❁ ثقلت في الافاعيل ❁ ما الزمان صامت ❁ تحت سطاك عليا

ظبية المروج ... اشرفت في وجيب(١)
عرجي وعوجي ... للدنف الكئيب
شعرك الدجوجي (٢) ... ستر من الرقيب

بت في امان ❁ بمفعم الخلاخيل ❁ والعذول صامت ❁ يرى الرشاد غيا

طيرتي قد صارت ... اقفاصها الضلوع
رفرفت وطارت ... لا تالف الوقوع
كم من جوى اثارت ... عني لها ولوع

يا احزاني فان ❁ على عارم المثاقيل ❁ ناديتها ولا بتّ ❁ تنزل على يديا (٣)

ابو عبد الله محمد بن حسين الدرناوي الطرابلسي الاصل

ممن انبتته رياض جامع الزيتونة فحصل على ملكة علمية . وكان له في الادب يد قوية . ملك بها عنان قلم الانشاء في دولة الامير علي باي فلما توفي ابو العباس احمد الاصرم رئيس الكتاب اولاه رئاسة الكتابة بدولته ثم اخره عنها ولم يزل بعد عزله على وجاهته واحترام جانبه وكان اديبا شاعرا حسن الاخلاق سليم الصدر والعرض توفي في ربيع الاول سنة ١٢١١ ومن شعره يهني الامير علي باي بختان ابنيه وابني اخيه

هناء وافر الاجزا جليل ... مديد والسرور به طويل
وبشرى عمت الافاق طرا ... وسعد بالسماك له وصول

---

(١) اضطراب — (٢) الحالك — (٣) هذه اللازمة طالع موشح عارضه صاحب الترجمة وهو باللغة الدارجة البدوية كما ترى — مصححه

بختن لو محاسنه تراءت لبدر الافق ادركه الافول
لابناء الرضى وبني اخيه علي من له مجد اثيل
هو الملك الزكي الباشا المرجى اذا ما نابنا امر مهول
امام بل همام بل غمام له خلق كباطنه جميل
وشغل دائم بعلوم دين ولا سيما بما قال الرسول
وابحاث بها رقت ودقت فكم في فهمها حارت عقول
وبالاداب معرفة ونقد به خجلت له الشعرا الفحول
سري المعي او حدي نبيه فاضل حبر نبيل
تأزر بالعفاف فلم تمله شمائل ذي جمال او شمول
ففي حلم وفي عزم وحزم ومحض الفضل ليس له مثيل
له ان امن الجاني عهود تزول الراسيات ولا تحول
لقد عانى الزمان لذا لديه تساوى الصعب منه والذلول
ولا يخفاه من حال الرعايا لفطنته كثير او قليل
ولا عضد له في الملك الا قوي السعد والراي الاصيل
وانجال له نجبا ولكن لدى الهيجاء اشبال تصول
مآثره الجليلة انبأتنا بعاقبة الى الحسنى تؤل
وناهيك البرية بايعته ولا نهب يلوح ولا قتيل
ايا ملك الورى يهنيك ختن به العلياء تاهت والخيول
وتخت الملك والتاج المحلى ورمح الطعن والسيف الصقيل
كذا الرايات والجند المفدى لعمرك والاقامة والرحيل
لابناء دروا وهم بمهد امورا ليس تدركها الكهول
فدم بهم فديتك في سرور قرير العين ما هبت قبول
فيا له من ختان قد اريعت به الاعداء وانسر الخليل
ومذ قد كان في زمن سعيد اتى التاريخ ختنهم جميل

١١٧٨

الشيخ ابو الفلاح صالح بن حسن شهر الكواش الكافي الاصل

ولد هذا الامام في ربيع الاول سنة ١١٣٧ وكان ابوه يحترف في فرن وهو الكوشة في اصطلاح تونس كائن قرب سيدي المشرف فحفظ القرآن العظيم وتعلقت همته بطلب العلم فاخذه عن علماء عصره . وجهابذة مصره . ويذكر ان اباه ربما منعه من استغراقه النهار في طلب العلم رغبة في اعانته على مهنته وربما اوكل حفظ الكوشة اليه فيفر صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة عناية من الله بهذا الفاضل وتوفيقا له « وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل » الى ان اصبح بحرا . قد ازدادت به تونس مجدا وفخرا . فتصدر لبث ما به تملا . وفي حلبة تحقيق العلوم حلى . فكان كعبة طلاب العلوم التي يولون وجوههم شطرها . وجونة متنشقي تحاريرها التي يتنسمون عطرها . فانتفعت به العباد . والحق الاحفاد بالاجداد . وتخرج على يده العلماء الاطواد . ممن لا تاتي عليهم كثرة التعداد . وكان شديدا في ذات الله تعلى لا تاخذه لومة اللائم . ولا ترهبه سطوة الامراء الاعاظم . بل يصدع بالحق . ولا يراعي في انكاره غضب الخلق . اذا كان في تغييره رضاء الحق . حتى حصلت له بذلك محن . فر من الامير علي باشا لخوف سطوته الى طرابلس ثم دخل ازمير والقسطنطينية العظمى فاستقر بها فظهر علمه ظهور الشمس في رابعة النهار . وجرت مذاكرات علمية له مع شيخ اسلامها كشف فيها عن وجه التحقيق الستار . فطلب منه شيخ الاسلام شرح الصلاة المشيشية فشرحها بما بهر به علماء دار الخلافه العلية . ورام الاستيطان بها لما لاقى من الحظوة . وتوفر لديه من الشهرة والثروة . ثم استدعاه الامير محمد الرشيد باي كتابة ليراجع مسقط راسه ومطلع شمسه واكد عليه رغبة فيه وضنا به ان تخسره تونس وحيث ان من كان يخافه قد تقضت ايامه . وانصرمت شهوره واعوامه . حن الى الوطن . فلما قدم تلقاه بتلق حسن . ولما افضى الامر الى اخيه الامير علي باي وشى به بعض الفسقة . وابلغ الامير عنه ما زينه وزوقه . مما هو منه بري . ومثل هذا من يكون على مثل صاحب الترجمة مستعجل جري . فنفاه الى منزل تميم قبل الكشف عن التهمة . ثم انقشعت عن الامير دياجي هذه الظلمة .

فسرحه بعد شهر وطلب منه ان يجعله في حل مما فعل به وان ذلك كان عن وشاية حركت غضبه فامتنع الشيخ من مسامحته وقال له ان الله ولاك امرنا فكيف تسمع فينا الاقاويل قبل سماع جوابنا والله يقول « يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » فلم يزل الامير يلاطفه حتى سامحه. ولي مشيخة المدرسة المنتصرية وكان من احباسها دار لسكنى شيخها فسكنها الشيخ حتى تداعت فانى بنفسه الى الامير حموده باشا وطلب منه ان يبنيها من بيت مال المسلمين حيث كان الوقف لافضل في ريعه لبنائها فرغب منه الامير ان يشتري له دارا تبقى ولده ووكيل الوقف يبني دار الوقف من فواضله فقال له اما ولدي فالله له وليس من حسن العهد ان نسكن بدار الوقف حتى تتداعى ثم نتركها خرابا فراجعه الامير فاصر على ذلك فامر ببنائها فكان صاحب الخيرات يوسف صاحب الطابع ياتي بنفسه لمطالعة ترميمها عناية بصاحب الترجمة . وكانت له حافظة لا تعهد كاد ان يحفظ كل ما طالعه : كان يقري المطول والزرقاني على المختصر يمر على محل الدرس بحانوت بعض الكتبيين وياتي في درسه بما لا فوقه من التحرير . مما يعجز عنه بعد طول المطالعة النحارير . وينقل عن محشيي المطول ما مر له على نظره السنون . يذكر انه انكر على ايمة جامع الزيتونة التزامهم تاخير صلاة الظهر وكان امام الخمس اذذاك ابا حفص عمر المحجوب فبلغه فقال سبحان الله ينكر الشيخ هذا العمل وقد قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات ان ذلك جائز فنقل كلامه هذا لصاحب الترجمة فقال لمخبره قل له اقلب الورقة تجد في نهاية كلامه قوله ما لم يتخذ ذلك عادة وكان الشيخ عمر المحجوب لم يستقص كلام الشاطبي مطالعة فتامله فاذا هو كما قال الشيخ صاحب الترجمة . وقال له الامير علي باي يوما يا شيخ صالح قد اجتمع فيك ما تفرق في غيرك من العلم والفضل وجعل يعدد محاسنه لكن ليس لك حظ من علم السياسة فاجابه صاحب الترجمة بقوله انا من اعلم الناس بالسياسة غير انكم معاشر الامراء تريدون ان تخالفوا الشرع ونساعدكم على مخالفتكم . وكان حضر في ختم الحديث للشيخ سيدي حسن الشريف فاعجبه درس الشيخ فنادى باعلى صوته ايها الناس ناشدتكم الله من اولى بالامر هذا ام حموده باشا . شرح قصيدة الامير محمد الرشيد باي القافية بشرح

نفيس اختصره الشيخ العلامة ابو العباس احمد بن حسين كبير المفاتي المالكية وترجمته اوسع من ذلك. وكان يقول شعرا جيدا. توفي عشية يوم الاثنين ودفن صبيحة يوم الاربعاء تاسع عشر شوال سنة ١٢١٨ ومن شعره يهني الامير علي باي بختان ابنائه

ان الغصون اذا شذبتها ابتهجت ... حسنا فتنمو وتبدي جيد الثمر
والشمع ايضا اذا ما قط فضلته ... يزداد نورا يسر القلب كالبصر
كذا اليراع اذا هذبته انتظمت ... نقوشه كانتظام السلك بالدرر
ففي الختان رقي للصبي الى ... معارج الرشد بعد الوصف بالصغر
فيا اميرا له الآمال طائعة ... كما اتيح له في سابق القدر
هذا ابتداء مسرات ويتبعها ... تزويجهم بذوات السعد والخفر
دمتم سماء بلا غيم ولا كدر ... وهم لكم زينة كالانجم الزهر
حتى ترى لبني ابنائهم غررا ... من السرور وتقضي غاية الوطر
بحرمة الفاتح المحمود منزلة ... السيد المصطفى المختار من مضر
خير الانام وخير العالمين هدى ... ومن هو الشمس والاكوان كالقمر
عليه من نفحات القدس ناسمة ... من الصلاة مدى الآصال والبكر

ومنه يهني الامير علي باي بموت يونس باي

راحة الصب غيبة الرقباء ... حين زال الرقيب زال عنائي
فاذا اسعد الزمان محبا ... نزه القلب في رياض الهناء
واسام العدو ربعا وخيما ... لم يفد فيه نافع الادواء
تونس الانس زال نقطك من اسـ ... ـفل فاحو علامة العلياء
ليس للغاصب الظلوم قرار ... بل يزال تحتما بالقضاء
ألوراثه سبيل الى الاخـ ... ـذ نعم هو ضامن للتواء
يا سلالة غاصب رد منه ... مستحق لوارث الملكاء
فالذي منكم يعيش قليلا ... منشد الحال قولة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الاحياء
انما الحق للذي بايعوه ... وهو حق بذاك للابناء

وبنوهم كذاك ما دامت الدنـ ـيا الى عزمها على الانقضاء
يا اميرا سما بحسن خصال ورقى همة على الجوزاء
هكذا تقتضي الاعادي بمحض الـ ـفضل لا بتكلف وعناء
خلد الله دولة الملك فيكم بالغا فضلكم عنان السماء

الشيخ ابو حفص عمر المحجوب المساكني الاصل

نشأ هذا الفاضل من بيت علم وشرف ورئاسة فطلب العلم عن ايمة عصره فبرع وتصدر للاقراء وانتفع به طلبة العلم وتخرج على يده نبلاء . ونحارير فضلاء . وكان مقدم ادباء زمنه حتى ان امير عصره كثيرا ما احتاج اليه في مهمات الانشاء ولما وجه جدي ابا اسحاق الرياحي لفاس في طلب الميرة اصحبه مكتوبا من انشاء صاحب الترجمة مخاطبا به صاحبه الشيخ ابن شقرون من اعيان دولة المغرب في غرض هذه السفارة ليكون في اعانته على قضاء مهمته بما هو معروف . وله الباع المديد في سائر العلوم خصوصا في علم التوثيق . والمنزلة السامية في التطبيق . يؤثر ان الامير حمودة باشا استفتى اهل الفتوى في مسالة عرضت له وكان الامراء لا يقدمون على شيء حتى يستفتون العلماء المفتيين فيه فافتي بغير غرضه واطلع صاحب الترجمة على نص معتمد يوافق الامير في مطلبه فتحدث بذلك وبلغ الامير فارسل اليه يسأله فابى ان يخبره الَّا ان يعطيه اربعمائة محبوب ذهبا ولم يكن اذ ذاك صاحب خطة شرعية حكمية فوجهها اليه فحينئذ كتب له النص . ولي خطة قضاء الجماعة وامامة الخمس بجامع الزيتونة وكانتا متلازمتين فقام باعبائهما احسن قيام وكان الامير حمودة باشا معجبا بخطبه كثيرا ما يصلي الجمعة خلفه لسماعها . كانت له همة منوطة بالثريا . لما ولي خطة قضاء الجماعة طلب من اخيه وشيخه ابي عبد الله محمد المحجوب رئيس المفتيين كنش ابيه في النوازل الفقهية ليستعين به فوعده بتفتيشه في خزائن كتبه وتسليمه اليه ثم لم يفعل فلم يحل العام من ولايته حتى اتى صاحب الترجمة لاخيه المذكور بكنش قد جمعه في مهام النوازل يعرضه عليه فلما طالعه اعجب به وقال لصاحب الترجمة اني لم ابخل عليك بكنش ابيك ولكن خشيت ان تعتمد فاحببت ان تكتب مثل

هذا الكنش عنوان اجتهادك واضطلاعك بالخطة وسلم اليه حينئذ كنش ابيه . اخره الامير حمودة باشا عن الخطتين المذكورتين وسبب ذلك ان الامير كانت له اخت عاضلا لها وطمع صاحب طابعه يوسف خوجه في تزوجها وطال عليه الامر فاسر الى صاحب الترجمة بذلك ورغب منه ان يخطب في العضل فاعد صاحب الترجمة خطبة في ذلك واودعها جيبه ينتظر ورود الامير ليخطب بها كانها على جهة الصدفة لعله يتعظ فيزوج اخته ولا يجد لها اولى من يوسف خوجه فيبلغ المرام فلما كانت جمعة من الجمع اتى الامير حمودة باشا للصلاة فاخبر به صاحب الترجمة فخطب بها فلم يخف عن الامير مغزاها وتغيظ حتى هم بالخروج قبل الصلاة ثم ملك نفسه واسرها حتى بلغه تخلف صاحب الترجمة عن الصلاة بالجامع الاعظم والحكم بدار الشريعة لمرض به فقال ان الخطتين لا يليق بهما من يتخلف فاخره عنهما لكن بقيت له رئاسته العلمية التي لا يمكن لاحد ان يبتزه ثوبها . من تآليفه رسالته التي اجاب بها الوهابي ورد بها شبهاته جمعت الوجازة والافادة وكان شاعرا ناثرا توفي سنة ١٢٢٢ في محرم . من نثره ما كاتب به امير عصره يعلمه بثبوت هلال رمضان ونصه : ادام الله المجلس العالي . يبشر بتجدد الاهلة . ولا زالت غيوث التهاني . على ارجائه منهلة . اما بعد السلام التام . اللائق بذلك المقام . فلتهن مولانا بالهلال الجديد . والطالع السعيد . والمقدمة التي تتيجتها العيد . فلقد ثبت لدينا الثبوت الشرعي . المحرر المرعي . اهله الله عليكم وعلى المسلمين باليمن والبركة . وقران الخير في حالي السكون والحركة . فليأذن مولانا في اطلاق البشير . واسماع النذير . والسلام

بشرى فشهر الصوم لاح هلاله ... وبدا سناه مشرقا وكماله
فليعلن المولى المؤيد امره ... اذ صح شرعا لا ارتياب يناله
لا زلت في عز وتوفيق لما ... يرضاه رب الناس جل جلاله

ومن شعره يعتذر عن اطفاء شمعة

لا تلوموا نديمكم حين يطفي ... شمعة قد اراد منها صلاحا
بهرته انواركم بسناها ... فراى الشمع لا يفيد صباحا

ولـه

انظر الى الامواج كيف تجمعت ... اذ قابلت شمسا تلوح بمشرق
فكأنها سلك من الياقوت قد ... نشرته خود في بساط ازرق

ولـه

ولرب ليل ضمني مع فتية ... خضع الزمان لامرهم فاجابا
مهما اراد البدر فيه تطلعا ... جعل السحاب من الحياء نقابا

وله ملغزا في الملوسة والكابة والعذبة مخاطبا الشيخ حموده بن عبد العزيز

يا رئيسا ازاح سقما بجسمي ... حين عنه عيت عقول أناسه
عالج الجسم فاستقام ولولا ... هبة منك لم يفق من نعاسه
فالاذى قد كشفت عنه بلطف ... بعد ما ارجفوا عليه بياسه
فلك الفضل في قبول معيب ... بدن الهدي اشعرت بلباسه
ولك الفضل في فكاك معمى ... ولك الفضل في معاطاة كاسه
كيف عذلي به ومالي فيه ... من جفاء وقد بليت بناسه
غير ان العليل يشكو صداعا ... قد اصابت آلامه شق راسه
عمرك الله في علاج ملول ... افلا تنزع الاسى من اساسه
نقه ثانيا بخلط ومزج ... ثم ضعف له النقا بمساسه
لك حل بعد العلاج عروضي ... بظروف من لبسه ونحاسه
(والقوافي) على الرؤوس جميعا ... هي في جنب حله كمداسه
واذا رمت ان تتم جميلا ... فاكشف الحزن ساترا للباسه
حيرتي من اذى شبيه لاصل ... مذدهاه بها الزمان بباسه
فكني من بنيه تتلو كبارا ... نزعت برها تفي بقياسه
واكشف الضر والاذى عن اثاف ... حولكم تامل الحجى في اقتباسه
لاعدمناك كاشفا لخطوب ... محييا للكمال بعد اندراسه

ابو عبد الله محمد ابن شيخ الشيوخ صالح الكواش

ولد بتونس وبها نشأ في حجر ابيه عالم القطر . وغرة ايمة العصر . فاخذ عنه

وعن غيره . وبدت على صغر سنه تباشير خيره . حتى بالعلوم تملا . وتقلد عقد التحصيل وبفرائده تحلى . فتصدر لبث العلوم بالجامع الاعظم عن ثرا . واستن في ميدان تحقيقها وجرى . وكان لوالده به تعلق زائد . وشفقة لم تعهد من والد . حتى كان لا يذكر اسمه الا مقرونا بالسيادة . وعلى ذلك تلاميذ والده الكثيرون رعيا لما لوالده عليهم من حقوق الافادة . وبعد وفاة والده تقلب به الزمان وانتابته طوارق الحدثان . حتى اخر عن الشهادة . ولا مـرد لما قضاه الله واراده . وكان بعض تلاميذ والده يعينونه على مقارعة الزمان . وهل جزاء الاحسان الا الاحسان . واغربها وقعا . واظهرها في المعروف صنعا . ما سلكه تلميذه الشيخ بيـرم الثاني رئيس المفتيين الحنفية في رد امر شهادته اليه وذلك ان يوسف صاحب الطابع صاحب الخيرات لما اتم بناء جامع الحلفاوين اختار الامير لامامته وخطبته من انتقاهما فكان الخطيب الشيخ محمد بيرم الثالث وكان في سن الشباب فلما اعلم الامير والده اظهر غاية الاسف فسئل عن موجبه فقال لرسول الامير وكيف لا تتاسف وابني على حداثة سنه ينتخب لمثل هذه الخطط وذكر والده لم يخرج من هذه الحفرة يعني تونس والشيخ صالح الكواش الذي طبق ذكره بلاد الاسلام ينزع ولده من العدالة التي يتمعش منها فلما بلغ ذلك الامير رد الى صاحب الترجمة امر ولاية العدالة . وقد وقفت على كنش لصاحب الترجمة تشكى فيه من الشيخ ابي عبد الله محمد السنوسي الكافي صاحب نظم لقط الدرر لتضييقه عليه في الخروج من دار شيخ المدرسة المنتصرية حيث تولاها بعد شيخه والد صاحب الترجمة وانه لم يرع حق شيخه في ابنه وقد طلب منه ان يمهله مدة يستحضر في اثنائها مسكنا يأوي اليه فلم يساعفه ولعل الشيخ السنوسي مضطر لسكناها . ولم يزل والده حتى بعد موته منعطفا بشفقته عليه فقد نقل في هذا الكنش انه راى والده نوما بعد وفاته فانشده قول ابن سهل الاسرائيلي

اخشى عليك العار من قولهم معدل القامة لا يعدل

قال ففهمت منه انه يعاتبني عما صدر مني . شرح قصيدة جدي ابي اسحاق الرياحي في سلطان المغرب التي مطلعها

ان شط من خير الانام مزار فلنا بزورة نجله استبشار

وله شعر جيد توفي بالطاعون سنة ١٢٣٢ ومن شعره في واقعة حال

ايا ظبية دمعي بها متدفـق وعن مهجتي من حبها انا مشفق
يمينا فاني باذل فيك مهجتي اذا لم يكن لي من تجنيك مرفق
سقى الله ربعا كان فيه اجتماعنا ونشر نسيم المسك من فيك يعبق
ونلت اماني لو أرى اليوم بعضها لفزت مفازا لم يفزه موفق
وانشدت لما استرجعت من زيارتي وقلبي من نار المحبة يخفق
ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق

ومنه ما كتبه على ظهر حاشية لفقها الشيخ قاسم بن كرم على كبرى الشيخ السنوسي بطلب من صاحبها مدحا في الشيخ لطف الله العجمي لما رام تقديمها اليه ليجيزها وسماها زبدة التوحيد

بك زبدة التوحيد لاذت واحتمت تبغي النجاة من الحسود اللاهي
قالت وقد بسطت اكف ضراعة يـا رب داركـني بلطـف الله

الشيخ محمد بن محمد ماضور السليماني الاندلسي الاصل

ولد ببلد سليمان من الجزيرة القبلية مقر سلفه في منبت مجاده . وبيت رفع العلم سمكه وشاده . طلب العلم اولا ببلده ثم انتقل الى حاضرة تونس فاسام فكره في رياض علمائها المزهرة . حتى خُبره حمدوا ومخبره . فاذنوا له بالتصدي للاقراء بالجامع فبدا في ميادينه محرز الخصل (١) بديع المنازع . ثم آب الى مسقط راسه ومنبت غرسه اماما وخطيبا بجامع بلده فقرأ على والده العلامة . ناشر بساط العلم بتلك البلدة ورافع اعلامه . تفسير القرآن العظيم ثم ولي قضاء بلد سليمان . فكشف عن دين وفقه متين وابان . مرتديا بتقواه . لا تاخذه لومة لائم في الله . وكان اديبا شاعرا يميل الى الغزل وله ديوان شعر لطيف توفي في ذي الحجة سنة ١٢٢٦ ومن شعره يهني والده بختم تفسير القرآن العظيم

تفسير اشواقي لديك يحرر فعساك تختم بالوصال وتجبر
يا ايها البدر الذي به احـدقت احداقنا فرأت كمالا يبهر

---

(١) الخصل اصابة الهدف

وهي طويلة ومنه فيمن بخده خمس خالات ومطرزا باسمه

سعدنا وخابت للوشاة ظنونها ... لدى مقل لو سالمتنا جفونها
يصول بها ظبي تقول لحاظه ... لقلبي المعنى كن لظى فيكونها
دنا فتدلى ثم اوحى لعبده ... بلابل حب لا يفيق جنونها
يعذبني وهو العليم بانني ... حليف صبابات اليه رهينها
علا رتبة في الحسن حتى تواضعت ... الى قده بين الرياض غصونها
له وردة من فوق وجنته التي ... بدت لعيون الناظرين فنونها
يذود بسيف الجفن عنها وخاله ... بخمس من السودان اضحى يصونها

وله مضمنا المصراع الاخير

يا ظبية اشعلت في القلب نيرانا ... وخلفتني مع الاشواق حيرانا
بالسمع اهواك لا عن رؤية سبقت ... فهل اراك واشكو منك اشجانا
صبري ودمعي لما حملت من شغفي ... هذا تلاشى وهذا صار غدرانا
يا شمس حسن تبدت في ملاحتها ... هلا قرنت بذاك الحسن احسانا
ما ان ذكرتك الا صرت من طرب ... من طيب ذكراك ولهانا ونشوانا
روحي بشارة من بالوصل بشرنا ... ومن جميلك بالرضوان هنانا
اذني هوتك وعيني ما رات شبحا ... والاذن تعشق قبل العين احيانا

الشيخ ابو عبد الله سيدي حسن ابن سيدي عبد الكبير الشريف الهندي الاصل

نشأ هذا الجهبذ في بيت شرف رفيع العماد . وبركة في البلاد . فاخذ العلم عن علماء عصره . واساطين مصره . فرفع راية التحصيل . بذهن ثاقب وفكر اصيل . حتى اصبح من افراد زمانه . وغرة في علماء اوانه . فتصدر للافادة . واشتهر في العلوم بالتحقيق والاجادة . له اليد الطولى في الشعر والنثر حتى اولاه الامير حموده باشا كاتب انشاء وكان اول يوم كتب فيه بمجلس الامير حرر منشورا فلما فرغ منه أخذه منه الشيخ حموده ابن عبد العزيز كاتب السر اذ ذاك فسأل صاحب الترجمة عن علامة

جزم فعل امر معتل وقع في المنشور فاجابه فقال له نحمد الله ان ما اقراتك من النحو لم يذهب سدى وهي مسالة ضرورية للمبتدئين من الطلبة غير انه اراد اعلام الامير ان صاحب الترجمة من تلاميذه ومن يومئذ ظهرت عليه مخائل الغيرة منه حتى غص به . فيقال انه احتال فداخل بعض خدم صاحب الترجمة فاختلس من جيبه اوراقا دولية سرية فاطلعه عليها وامكنته الفرصة بها لافساد الامير عليه بدعوى افشاء سر الدولة فقال للامير ما بال اسرار الدولة تتحدث بها العامة ولا يعلمها كاتب سرك بلغني ان اتباع صاحب الترجمة يتحدثون بكذا وكذا فراج على الامير فاخره عن الكتابة واراح الله صاحب الترجمة منها لما اراده من انتفاع الناس بعلمه وجعله اماما يقتدى به فرجع الى بث العلم فاخذه عنه الجم الغفير ونتج من تلامذته الجهابذة الاعلام وانتفعت به طبقات . يحكى عنه من حسن الاخلاق ولين العريكة ما لا يستغرب في صدوره منه اذ من شان تلك البضعة النبوية والعترة العلوية ذلك . ولي خطابة جامع الزيتونة بعد خروجها عن البكريين ثم الفتوى المالكية سنة ١٢٣٠ . ومن تآليفه حاشية على قطر الندى واخرى على لامية الزقاق بشرح الشيخ ميارة ومجموع في الاحكام سماه معين المفتي لم يتممه والموجود منه عظيم النفع وله ديوان خطب توفي سنة ١٢٣٤ في ٢٨ ذي القعدة ومن نثره وشعره ما قرض به رسالة للشيخ ابي عبد الله محمد بيرم الثاني رئيس المفتيين الحنفية واظنها التي في رجوع الوصي ونصه

حمدا لمن اقام لتبيين ادلة الشريعة اقواما . ونصب لتوضيح مشكلاتها اعلاما . وصلاة وسلاما على من قررها اكمل تقرير . ثم على ملقيها من جاء في الزمن الاخير . وبعد فقد وقفت على هاته الرسالة التي يرحل اليها . والفوائد التي يعول في بيان المعاني الغامضة عليها . والفرائد التي لا يلتفت الى ما خلفها ولا يقبل الا على ما بين يديها . وتاملتها بعين الانصاف . ولحظت ما اشتملت عليه من محاسن الاوصاف فوجدت لسان التحقيق قد نطق بفضلها . وحاكم الانتقاد قد قضى برفعة محلها . ورايت نقولا لا سبيل لصرفها عن الصواب . واسئلة يعسر عنها فتح باب الجواب . وابحاثا قد شهد ميزان الاعتبار برجحانها . وصدق الاختبار بفضلها عند امتحانها . ومسائل قضاياها محفوظة عن النقض . وابكار مزاياها محروسة عن الفتك والفض .

وتصاريف الاعن الاجدة مصروفة . وبمنع الموانع معروفة موصوفة . فدلت على جودة جواد فكر منشيها . وآذنت بصولة انظار مبدعها ومبديها . وانه مفرد العصر . وعلامة هذا المصر . فلله ناظم عقودها . وراقم برودها . فقد جلى عليها للابصار ما شاء من زين . وجلى عن البصائر ما شاء من رين . ما تصدى فيها لبحث الّا بينه غاية البيان . ولا وجه جياد آرائه الى غاية الّا كانت منطلقة العنان . فيا لها من غرر مجد في وجه الزمان ساطعة . ودرر فضل في جيده لامعة .

سرت غررا تزري من الحسن انجما ... وعن درها ثغر العلوم تبسما
عجبت لها في جنح ليل تطلعت ... وما اسندت الا الى الشمس منتمى
عقيلة فكر قلد الحسن جيدها ... وصاغ لها حليا وعقدا منظما
ابت ان تجوب الترب عنه ترفعا ... فما وطئت الا بدورا وانجما
وضاءت باذن الدهر شنفا واشرقت ... محاسنها في الثغر منه تبسما
وجرت ذيول التيه عن حافل الربى ... فازرت بازهار الرياض تنسما
باي حجا صيغت فقد اعجز الحجا ... وافحم معناها الفحول تفهما
ترنم اعجابا بها الدهر ناطقا ... واعرب حتى قيل ما الدهر اعجما
ابان لسان الحق فيها رسوخه ... وافصح فيها العلم عنه مترجما
يراها فيزري ذو العلوم بنفسه ... ويقسم جهرا انه ما تعلما
فلو كان للغيب المكتم سلم ... لكانت لما استخفى من العلم سلما
بني العصر اخلاقا فمن كان قبلكم ... ومن بعد ياتي لو رآها لسلما
قد استخلفتها الكتب في العلم كله ... كما استخلف النعمان في الفقه بيرما
رسالة محمود المقام محمد ... لحق على اعجازها ان تسلما
مقدمة اذ قدم الله ربها ... محكمة اذ كان هو المحكما
ولا غرو ان كان الاخير فانه ... اذا ذكر الاعلام عد المقدما
فتى كرمت آباؤه وجدوده ... فهم من هم في الفضل منه لآدما
اليهم اوى علم الشريعة لائذا ... بهم والتقى فيهم اناخ وخيما
ولا مثل مأثور الكمال محمد ... هدى وجدا او عزة او تكرما

امام به الفتيا اطيل عمادها ... وارسي حتى جاوز الارض والسما
حمى الدين افضالا به الله اذ حمى ... به حرم الاسلام واعتز واحتمى
باسرع من لبى وادفع من حمى ... وانفع من اسدى وارفع من سما
واعظم مقدارا واقدم مفخرا ... وافخر آثارا واعلى واعلما
تذكرك النعمان غر علومه ... وآدابه تنسي الوليد ومسلما
تقي لو القى جملة من عظاته ... على كافر من حينه عاد مسلما
ولو ميت جهل امه لافاده ... حياة وما امّ المسيح بن مريما
اليك انتهى التحقيق في العلم وانتهى ... الى كل فضل من الى علمك انتمى
ارى كل ما الفت معتنيا به ... من الناس من عانى العلوم وعلما
ولو كان مسبوقا لما افتقروا له ... وكم زائد علما على من تقدما
فخلدت من غيث من العلم نافع ... متى خص غيث عم او ضن انعما
ولا زلت في كل المعالي نهاية ... وغاية من عاداك حط اذا سما

ولا غرو في كونه في التحقيق كعبة يحج اليها . وللتدقيق عمدة يعول عليها . اذ قد انتهى في المعارف الى اقصى امدها . وكرع في بحرها لاثمدها . وملك اعنتها . وقاد ازمتها . فعلا قدرا . ولاح في سماء السناء بدرا . وصار لاوائك الصدور صدرا . وبالجملة فلسان القلم في وصفه ومدحه قصير . ومن اتى بابدع مقال فانما هو آت بيسير . قاله بفمه . وزبره بلسان قلمه . العبد المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار . الراجي للتنصل منها رحمة العزيز الغفار . فقير ربه اللطيف . حسن بن عبد الكبير الشريف . اصلح الله حاله . ونعم بالتقوى باله . وبلغه من متابعة السنة المصطفوية آماله . آمين اه وكتب مخاطبا رئيس الكتاب ابا عبد الله الشيخ محمد الاصرم بعد افتتاحها بما يليق من الثناء عليه اما بعد فاني انهي اليك . بعد السلام عليك . ان جملة من طلبة الكاف اتوني باكين . ومن قبح سيرة عاملهم شاكين . فذكروا عنه اخبارا ردية . وافعالا غير مرضية . من شتمه للدين . واذايته الاولياء والصالحين . وجوره على برية رب العالمين . خصوصا الطلبة فانه قد جرى في الاذاية بهم طلق عنانه . وسرى الى ما شاء من عدوانه . حتى انه جعل على كل طالب مائة ريال ضريبة . ومن

امتنع سجن وعذب بانواع غريبة . فابكوني والله . وكل من حضر . وقلنا يا لله لجانب العلم قد اندثر . وصار مرمى لكل غرض . مع ان تعظيمه ملتزم مفترض . وقد شكوا للامير فلم يزل شكواهم . ولا التفت لقصدهم ومرماهم . وخافوا ان رجعوا الى الكاف . ان يوقع بهم موجبات الاتلاف . فقصدوا حماك المنيع . ومقامك الرفيع . الذي هو بعد الله العمدة العظمى . والملجأ الاحمى . في كتب ورقة له تامره فيها بتامينهم . وعدم المعاقبة على شكواهم وجريمتهم . وهذا الجانب منسوب اليك . وعدم الذب عنه محسوب عليك . والى ظل فضلك استنادهم . وبحجة نصرهم يرتفع عنادهم . والله جل جلاله يبقيك لهم حائطا . وللعدل فيهم باسطا . حتى لا يكون فيهم من يضام . ولا ينال احدهم باهتضام . ويجعل لك المآثر التي تتلى . والمفاخر التي لا تبلى . وقد كتبت هذا لاخذ خواطرهم عجلا . ومن جنابك خجلا . والاعذار فضلك يقبلها . والامور مثلك من يتاملها . والسلام اه فانظر واعتبر ايها الواقف على هذا المكتوب

ونص طالعة مكتوب آخر بعد فاتحته وبعد فاني انهي اليك . بعد السلام عليك . وتقبيل الكريمتين يديك . والقيام بالحق الواجب لديك . ان الفقيه النبيه الخير النزيه ابا الحسن علي الشريف شيخ الطريقة العيساوية قد لازم العبد مدة مديدة . في علوم عديدة . حتى ظهرت نجابته . وعرفت من الطلبة مكانته . وهو مع ذلك ممن اصلح الله حاله ونعم باله الخ

ابو عبد الله محمد سيالة شهر الحكيم الصفاقسي الاصل

من بيت مجد قديم ولد بتونس وبها نشأ في عز متاصل فطلب العلم عن اعلام زمانه فامتطى صهوة التحصيل وكان ولوعا بالعلوم الرياضية حتى لقبه شيخه ابو عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب بالحكيم تصدر للتدريس بالجامع الاعظم فنشر اللئالي . وتسنم ذروة المعالي . ثم اجتذبته الخدمات الدولية فسافر مع ابي عبد الله محمد خوجه الى لندرة وغيرها من بلاد اروبا في مصالح دولية فحمدت صحبته . وشكرت خدمته . وكان يجالس الامير حسين باشا فيستفيد منه . اولاه مشيخة مدرسة باردو

ثم سامر الامير احمد باشا وكان خيرا حلو المحاضرة حسن العشرة نزيه النفس اصيل المروءة نقي العرض سلم الناس من يده ولسانه له تاريخ وشعر حسن توفي في شعبان سنة ١٢٤٧ ومن شعره يهني الامير حسين باشا وقد شفي من مرض

زهو ومهرجان ❁ وموسم جديد ❁ براحة الهمام ❁ حسين السعيد

شفاؤه سرور ... وبرؤه نجاح
وامره خطير ... في العدل والصلاح
تمت به الامور ... واستحكم الفلاح

اضحى به الزمان ❁ عيدا واي عيد ❁ فالسعد في انتظام ❁ والخير في مزيد

ما انسى لست انسى ... مذ شفته يسير
يبدي هنا وانسا ... والوجه مستنير
فطبت منه نفسا ... وناظري قرير

مولى لنا امان ❁ برأيه السديد ❁ لا زال في احترام ❁ ورايه حديد

لله اي شمس ... يسعى بها فرس
تفديه كل نفس ... ودام في حرس
وفي زهو وانس ... سناه يقتبس

لدهره ازديان ❁ بخلقه الحميد ❁ ومن رضى الامام ❁ الوالد الرشيد

يا ايها المفدى ... قم واركض الجياد
وصل بمن تعدى ... بالطعن والجلاد
فالله جل شدا ... برايك البلاد

لله منك شان ❁ سامي الذرى بعيد ❁ والملك في نظام ❁ كالجوهر الفريد

فضحت بالمناقب ... املاك ذا الزمان
فالجور منك راهب ... والعدل في امان
حباك خير واهب ... باللطف والحنان

وملكك امتنان ❁ جدوى لمستفيد ❁ والرأي في احتكام ❁ على الورى شديد

ما انت غير رحمة ... للناس والبلاد

والعدل منك نقمه لطالب الفساد
فاضت عليك نعمه قد عمت البلاد
فالدهر لا يصان ❁ الا بما تريد ❁ والظلم في انصرام ❁ بعدلكم بيد
يا باهر الشمائل يا كامل الصفات
احييت للفضائل امواتها الرفات
والكف منك نائل هام على العفاة
بعزكم يهان ❁ عدوك العنيد ❁ والضد في انخزام ❁ مقطع الوريد
ما ان لكم نظير في الباس والسماح
وجه عليه نور يحاسن الصباح
والصيت مستطير يسري مع الرياح
او انكم اوان ❁ زاه بكم نضيد ❁ وانت في اتسام ❁ بالمال والعديد
لا زلت خير عون كالشمس مستنير
ودمت اي ركن لكل مستجير
ما قال من يهني في المطلع الغرير
زهو ومهرجان ❁ وموسم جديد ❁ براحة الهمام ❁ حسين السعيد

الشيخ ابو عبد الله محمد بيرم الثاني
التركي الاصل من ابناء الجند

ولد هذا الامام في ١٦ ذي القعدة سنة ١١٦٢ في بيت علم ومجد فطلب العلم عن اعلام قطره . حتى انهل وابل قطره . وتزين به عقد عصره . فطلع شمسا . واقتعد ذروة المعالي القعسا . فتدفقت حياضه . وازهرت بالمعارف رياضه . كرع من معين دروسه النحارير . ونفقت به سوق التحقيق والتحرير . وتعطرت بذكره النوادي . وحدا بثنائه الرائح والغادي . حاز فضيلتي العلم والتقوى . فكان يأوي منهما الى الركن الاقوى . يوسم ببلوغ درجة الفتح . واقتعاد ارائك ذلك الصرح . ولي القضاء مرتين استقال في اولهما سنة ١١٩٣ ثم وليها سنة ١١٩٤ في ربيع الاول وولي نقابة الاشراف بعد وفاة الشيخ عبد الكبير الشريف لانتساب صاحب الترجمة

في آل البيت من جهة امه وذلك سنة ١٢٠٦ . واستقال بمكتوب على لسان خطة القضاء فلم يقله الامير حموده باشا الى ان توفي والده عن رئاسة الفتوى وكان يعبر عن صاحبها بالمفتي الاول فقلد خطة الفتوى عوض والده سنة ١٢١٥ . وكان ابتلي بموت اولاده وامهم في الطاعون الجارف سنة ١١٩٩ فصبر الصبر الجميل وله في ذلك اشعار يبكيهم بها وكان مهيبا وقورا هينا لينا رقيق القلب واسع الصدر محببا الى الناس يتبركون به . وله محررات علمية منها رسالة في بيع الوفاء واخرى في رجوع الوصي عن وصيته بعد اشتراط عدم الرجوع قلد فيها المذهب المالكي قرضها اعيان علماء عصره ببلده وله منظومة في الهلال واخرى في المفتين على مذهب ابي حنيفة رحمه الله منذ دخول الترك الى تونس الى زمنه وشرحها وترجم فيها لنفسه واخرى في سلاطين آل عثمان الى زمنه وقفت له على حاشيته على شرح الشيخ قاسم بن قطلوبغا على مختصر المنار لابن حبيب الحلبي المتوفي سنة ٨٠٨ فرغ من تاليفها في ٥ ثاني الجمادين سنة ١٢٢٦ الى غير ذلك من التآليف وكان اديبا شاعرا وترجمته اوسع مما ذكرنا توفي في ١٦ جمادى سنة ١٢٤٧ ومن شعره يشتكي من خطة القضاء شان اهل الورع المشفقين على انفسهم

اظلمة همي هل لليلك من فجر ... وهل يستحيل(١) العسر منك الى اليسر
ويا نجم اسعادي متى انت طالع ... فاستقبل الآمال باسمة الثغر
وابصر من نفسي سراحا من القضا ... واطلاقه من بعد ما طال بي اسري
اذا شئت ان اسعى سعيت وان اشا ... سكونا لزمت البيت كالطير في الوكر
ولا عين ترعى لي حضورا وغيبة ... من الناس لا زيد الزمان ولا عمرو
فذي منية ان نلتها لا حرمتها ... فما بعدها ذنب يعد على الدهر
وما لذة في هذه الدار عادلت ... بميزان عقل راحة الجسم والفكر
وذا ان يكن لا شيء في محنة القضا ... سوى التعب الجسمي والشغب الفكري
فكيف ويا لله ما سامني به ... هموما توالت ضاق من هولها صدري
يخيل لي اني على الضعف حامل ... لاعظم طود في الجبال على ظهري

(١) يتحول — مصححه

أعان عليه حسن صبري مدة ... وعند امتداد الامر اسلمني صبري
ولم لا وظني انه الشر كله ... وما فيه خير عند ذي فطنة حر
فان قلت فيه الرفع للقدر وهو لا ... يرى حاصلا الَّا من المسلك الوعر
فمع ان هذا ليس ملحظ ذي تقى ... وان كان في اهليه كالواو في عمر
على انه كالشمس لم يقترن بها ... سحاب فيرخي دونها حجب الستر
واني له بالرفع والعرض عرضة ... لنهش ذوي ناب وقرض ذوي ظفر
غدا جيفة لكنها مستلذة ... فما عيب منها الاكل يوما من الدهر
وتمزيقه في الناس ليس بمنكر ... فهل يرتجى عن ذاك نهي اولي الامر
ويكفي لنفي الرفع مسالة غدت ... لدى كل نحوي مكررة الذكر
هي الرفع في القاضي ثقيل ومثله ... يقدر اذ اظهاره غاية النكر
ولم يختلف في النقص فيه كلامهم ... وما ابعد المنقوص عن رفعة القدر
وان قلت فيه الاجر وهو لذي الحجا ... هو الغرض المقصود بالسعي في العمر
فذا لا تغالط للذي باع نفسه ... من الله في الاعزاز للحق والنصر
وليس يبالي كيف كان تلافه ... على الحق هل للجنب منه او الظهر
وذلك في ذا العصر عنقاء مغرب ... فلا ترج ترويج الخداع على فكري
فان فساد العقل مني ما سرى ... الى العقل حتى اجعل الترب كالتبر
واني لراض بالكفاف فلا ارى ... لذلك نفع الاجر او ضرر الوزر
فعفواً الاهي عن جميع جرائمي ... فانك بالمكنون في خلدي تدري
واحسن خلاصي منه مولاي قبل ان ... تسير بي الحدبا حثيثا الى القبر
بحرمة خير المرسلين محمد ... شفيع الورى المقصود في كربة الحشر
عليه صلاة منك ما هبت الصبا ... على دوحة من جوفها غرد القمري
وبالآل والاصحاب عمهم الرضى ... وبالاولياء المجتبين ذوي السر

وله ليلة الميلاد يمدح الجناب الرفيع عليه افضل الصلاة والسلام

ايه عن ليلتنا يا قمر ... انت مني بحلاها اخبر
ايه عنها بحديث مسهب ... ليس فيها يستجاد القصر

نقحن في وصفها اللفظ فما ... ناسب الياقوت الا الجوهر
ليلة قد سمح الدهر بها ... فذة ما عودها ينتظر
ليلة الميلاد للنور الذي ... في وجوه الدهر منها غرر
يا لها من ليلة هب بها ... في فجاج الارض مسك اذفر
يا لها من ليلة نمت بها ... نفحة قد طاب منها العنبر
يا لها من ليلة ماذا بها ... نال من يمن الامان البشر
ترقص الافلاك فيها طربا ... والنجوم الزهر منها تنشر
اذ بدت طلعة مصباح الهدى ... طيب العنصر ذاك الازهر
فاعترى للكون من طلعته ... ما اعترى فيه البليغ الحصر(١)
اي فخر قد حواه العفو ... حين قد حاذاه منه الظفر
تتمنى جنة الفردوس ان ... حل فيها منه سعد اكبر
والذي سكن ما قد نالها ... بعد ان كادت به تنفطر
انه يعرج في الاسرا لها ... راقيا فيها رقيا يبهر
ليلة ما ليلة قد اسفرت ... عن صباح قدره لا يقدر
سطعت انوار آيات الهدى ... فيهما اسرارها لا تنكر
اذ بدا صلى عليه الله ما ... مس من قد ولدته كدر
طاهرا نحو السماء رافعا ... راسه يتلوه منه البصر
هكذا المفطور عن مرقى العلى ... لا لما دون حماها ينظر
ان يكن ناغى الى بدر الدجى ... فهو الشمس وذاك القمر
وتبدى الشام للشفا وما ... كل طرف مثل هذا يبصر
واعترى الفرس التي لا فوقها ... في وجوه القوم منها قسر
حيث من ايوان كسرى سقطت ... شرف كسر بها لا يجبر
وغدا الوادي ولا ماء به ... ما له ليس عليه خبر
واتى للنار ما اخمدها ... بعد الف من سنين تسعر

(١) العي — مصححه

كيف بالنار اذا قابلها ... منبع الانوار انى تظهر
ايها القوم الا فاستمعوا ... للذي عنه سطيح يخبر
واتتهم منذرات جمة ... غير ان القلب منهم حجر
فلذا لم تنفع الذكرى وهل ... عن جماد القلب تغني النذر
هذه الفال وما اعظم ما ... فاله هذا الفظيع النكر
يا نبيا عظمت آياته ... اصغر الآيات فيها اكبر
واتى والكون في ظلمته ... فغدا وهو الصباح النير
وامتطى ظهر البراق وارتقى ... درج المعراج فهو المنبر
وراى الكبرى من الآيات ما ... كذب القلب وزاغ البصر
هذه جهد المقل قد اتى ... لك من تقصيره يعتذر
فاقبلنها منه فالفضل الذي ... لكم تقصر عنه الابحر
وانله منك محبوب الرضى ... فهو الجنة وهو الكوثر
فعليك الله صلى ما بدا ... في بهاء يتجلى القمر
وعلى آلك والاصحاب من ... عزروا ووقروا ونصروا
كلما انشد في ميلادكم ... ايه عن ليلتنا يا قمر

ومن نظمه قوله ناسقا سنده في صحيح البخاري

سند هذا العبد في البخاري ... عن والدي صين عن الاكدار
قراءة لبعضه والبعض قد ... اجازني فيه بوجه معتمد
وهو روى عن شيخه الماكودي ... عن الحريشي العلم المقصود
عن شيخه الفاسي عبد القادر ... عن عابد الرحمان ذي المفاخر
عم اب له عن القصار ... عن شيخه خروف النظار
عن شيخه الفخر سقين العاصمي ... عن زكريا الفذ ذي المكارم
عن حافظ الدنيا الامام ابن حجر ... لعسقلان الفخر اذ منها ظهر
عن التنوخي عن الحجار ... عن الزبيدي الشائع الاذكار
ذا عن ابي الوقت عن الداودي ... عن السرخسي المنهل المورود

عن الفربري عن البخاري دامت عليه رحمات الباري
بيني وبين الشيخ سبعة عشر واسطة كل بفضله اشتهر

الشيخ ابو العباس احمد زروق الكافي

ولد بالكاف ولما بلغ سن طلب العلم وفد الى الحاضرة فقرا على اعلام جامع الزيتونة وكان له مزيد اختصاص بشيخ الشيوخ ابي الفلاح سيدي صالح الكواش فحصل وبرع ثم تصدر للاقراء بجامع الزيتونة برهة ثم اشتغل بالشهادة طلبا للرزق ومع ذلك لا يزال معروفا بين اقرانه بالعلم خصوصا بالفقه والفرائض فقدم لخطة قضاء المحلة فزانها وكان ذا مروءة واخلاق جميلة وله في الآداب القدح المعلى . ودرر الاشعار التي بها الزمان يتحلى . توفي سنة ١٢٤٦ ومن شعره مرثية شيخه ابي الفلاح الكواش ونصها

لمثلك من خطب تنوح النوائح وترتاع في اغمادهن الصفائح
اريقت له دون الدموع دماؤنا وشقت به دون الجيوب الجوارح
هو القدر المحتوم يلقاه سانح ويرمى به في غامض اليم سابح
لهذا فقد اودى الحمام بصالح لقد حل ثلم في علا الدين واضح
هو العالم العلامة الفرد من غدا ولا فرد في ادنى معاليه طامح
هو النهر الفياض ينبوع علمه بماء حياة ماؤه العذب طافح
امام الورى الشيخ الهمام الذي له مآثر راقت في حلاها المدائح
فتى كان اما فكره فهو معجز ذكاء واما علمه فهو فاضح
حوى فكره كل العلوم فنقلها ومعقولها متن له فهو شارح
فمن لعلوم الدين من بعد صالح اذا نالها خطب من الغي فادح
كوى مصرع الكواش اكباد اهلها ففي قلب كل من جوى الحزن قادح
هو الجامع العلم الذي انقاد لاسمه اذا ما تلا من مشكل العلم جامح
حوى قبره مع ضيقه من علومه رواسي قد ضاقت بهن الاباطح
فما غاب حتى ادبرت انجم الهدى وصاح بادبار المعارف صائح

وقال الورى قد مات علامة الورى فارخ يموت العلم ان مات صالح

١٢١٨

وله يرثيه ايضا وهي تشتمل على حكم بالغة ومواعظ مؤثرة

احادث الدهر ما احدثت في امم قبلي وبعدي كهذا الحادث العمم
خطب له ارتجت الاقطار قاطبة اجرى الدموع دما من اعين الديم
هد الرواسي اعلاها واسفلها فكم هوى علم منها على علم
وحارب الدين حتى بالهدى وبه افضى وبالعلم والآداب للعدم
ما زال ذا الدهر لا ثارا يحاوله فيما يروم وكم يرمي دما بدم
اذا اطمأن باقوام مقرهم من الحياة جلاهم عن مقرهم
وهي الليالي متى حلت بملتئم من معشر تركته غير ملتئم
اضعاف من سار فوق الترب مندرج في طيها كاندراج الطفل في الرحم
كم من يد وضعت فوق التراب على يد وكم قدم سارت على قدم
من لم ترعه الليالي في تيقظه ولا سبيل لذا راعته في الحلم
ومن تغافل عن وعظ به صدعت عجم الحوادث لا يغفل عن الندم
يا من راى حرما الوى بنازله عن الخطوب فلم ينزع عن الحرم
لم يترك الدهر من سام يصول ولا حام يطول ولا حصن لمعتصم
ما كان اجدر بالافلات من يده لو كان يدفع باني الحصن في ارم
والموت يفتك بالعصما وان نزلت شم الشواهق والاساد في الاجم
ولو ثنى الحتف ثان عن منيع حمى رد الردى هيبة العلامة الفهم
تلك المنية قد فازت بمنيتها من صالح بن حسين العالم العلم
خيرتها بينه والخلق قاطبة فلم تدعه ولم تعدله بالامم
كانما بحشاها من هواه ضنى وفي تدانيه ما يشفي من الالم
رات قصور البرايا عن تطاولها فافردت بازيا من صفقة الرخم
يا حاسديه وما شق الغبار له من اسهر الجفن قبل اليوم فلينم
لا يركب الليل ساع في تطلبها اقوت رسوم سرى الوخادة الرسم

ولا يرم فطن ايضاح مشكلة ... من علمه وعلى التشكيك لا يرم
فالعلم اجمع والآداب جامعها ... مكفن في ثياب المجد والكرم
ضجيع سام باسنى المجد مرتسم ... بالفخر متسم بالفضل مبتسم
انار مثواه نبراس العلوم به ... انارة البدر في داج من الظلم
وما استوى بالثرى حتى علاه شذا ... ريح عبيق بطيب المسك مختتم
وللملائك افواج بساحته ... ما بين مقتحم منهم ومزدحم
وهي طويلة كلها عيون

ابو اسحاق ابراهيم ابن الشيخ احمد الخراط الصفاقسي

ولد بصفاقس وبها نشا وطلب العلم فبرع في العلوم العربية والفقه وكان من مجيدي شعراء صفاقس . اشتهر شعره وارتفع صيته فيه فمدح امراء واعيان عصره ونال جوائز جمة منهم وكان والده الشيخ احمد من علماء عصره العاملين لا يسكت عن منكر حتى يغيره بقدر وسعه فسعي به لامير وقته الامير علي بن حسين باي ولما كانت ملوك الاسلام لا تزال تضغط على الامة لسلبها الاصداع بتغيير ما يضر بمصالح العامة والخاصة من المنكر ويخالف الدين ليتم لهم الاستبداد وتصبح الامة جميعا بمنزلة حيوان سخر في اغراض مالكه وتلك خطتهم التي دابوا عليها وتواصوا بها افتياتا على الشرع واستخفافا بحقوق من استرعاهم الله والعلماء العاملون لا يسعهم السكوت امتثالا للاوامر الالهية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قبلت تلك السعاية وامر بشيخ من اساتذة العلم فسجن وشدد عليه فبلغ ولده صاحب الترجمة ان مولاي عليا ابن الامير محمد بن الامير الشهير اسماعيل سلطان فاس قادم على قابس متوجها للحج فتلقاه مادحا بقصيدة بليغة مستشفعا به في والده لامير تونس علي باي فقبله مولاي علي واكرمه وكتب له كتابا للامير شافعا قد ذكر نصه الشيخ محمود مقديش في تاريخه فقدم به صاحب الترجمة على الامير علي باي فقبل الشفاعة واطلقه واحسن اليه . ولصاحب الترجمة تاليف في الادب سماه زهر الربيع . عمر مائة سنة وتوفي ستة ١٢٥١ من شعره القصيدة التي امتدح بها مولاي علي المذكور وهي

اذا رمت ادراك العلى فاسلك الصعبا ... وبالنفس خاطر بالخطير ودع رهبا
وزر ربع من تهوى ولو كان نائيا ... على اي حال فيه كن هائما صبا
الم ترني ملكت للحب مهجتي ... ولم يعطني مثقال ود ولا حبا
لي الله قد خاطرت في سبل الهوى ... بنفس تعاف الورد ان لم يكن صعبا
ففي درك الآمال استقصر الخطا ... وفي موقف الاهوال استصغر الخطبا
يلين بما في مهجتي الصخر من جوى ... ويذبل مما حل لي يذبل (١) رهبا
وما لان قاسي القلب يوما ولا صفا ... كنقش الصفا اسماعه مني العتبا
به نفرات حين اشكو ولفتة ... تحير لبي فانظروا الظبي والصبا
ترجح اطماعي بباسم ثغره ... فصحح يأسي كسر مقلته الغضبى
فيا مانعي وردا بلحظي غرسته ... ووردا شهيا من لماه حوى عذبا
اذا كان عذب الثغر بالدر يشترى ... فخذ فيه من اجفاني اللؤلؤ الرطبا
بعدنا ولم ينس البعاد لانني ... احمل اشواقي النسيم اذا هبا
تعللني الذكرى فاغدو معاتبا ... عليل نسيم الروض يسعى لكم خبا

وهي طويلة ومن شعره يمدح الامير علي باي ويهنيه بغنيمة

لك الفتح فاعزم غازيا واحسم الكفرا ... وجاهد فدين الله يهدي لك النصرا
بني الاصفر استعبد بسيفك انني ... ارى النصر معقودا برايتك الصفرا (٢)
فحسبك في الفرقان ما جاء منزلا ... وفي سورة الانفال اعظم به بشرى
وحسبك فوزا نصر دين محمد ... فدم حازما واغنم باعدائك الظفرا
وحسبك هذا السعد قاد غنيمة ... اليك فجاهدهم تنلها وحزاجرا
فلم تغزهم حتى اتوك هدية ... وقد ركبوا سفنا بها قطعوا البحرا
قلوبهم تحكي اضطرابا قلوعها ... كأني بهم صاروا باسرهم اسرى
بسفنهم تلك الجموع تكسرت ... ولم يبق جمع منهم سالما ذكرا
اتوا حلق وادي تونس فراوا به ... حصونا لقد احدثتها تذهل الفكرا
وعسكر ابطال وجيشا عرمرما ... اذا انتشروا عموا بذا السهل والوعرا

(١) جبل — (٢) راية تونس كانت صفرا

ومن رام غنم الظفر حث طلابه ... ومن طلب العلياء لم يغله مهرا
وما غادروا هذا به حين نقضهم ... لصلحهم والحزم يستهون الامرا
حرابك قد راموا فكانوا كباحث ... على حتفه يوما بظلفه مغترا
اتوا للردى جهرا ومن ببنانه ... يسد فم الافعى اتى للردى جهرا
تحدثهم آمالهم ان سيحدثوا ... فسادا بافريقية منهم مكرا
عجيب باذن الفيل طنت بعوضة ... وبالاسد الضاري ارادت مها ضرا
متى صادت البازي حبارى وهدد الـ ... ـغراب عقابا والقطا طلب النسرا

منها في مدحه

مليك حواشيه عليها الكمال مس ... تتما وسعد الدين قام بهم نصرا
فما منهم الا مصيب برأيه ... سداد مقال او سداد حمى ثغرا
مليك له جيش يفتت جاش من ... يحاربه فاق النجاشي مع كسرى
مليك اذا ما جال حرب العدى سطا ... واجلى نفوسا من جسوم بها ذعرا
كان منا ياهم بصفحة عضبه ... اذا سل في ارواحهم انشبت ظفرا
مآثره لم تحص في كل وقعة ... ضخامة ذكر ضرها يفلق الصخرا
يساهر بيض السمهرية في الوغى ... ويسمر وقت السلم بالصعدة السمرا
مليك اذا يعلو اغر محجلا ... فقل باسمك المولى على الطلعة الغرا
ففي الحرب ارهاب لافئدة العدى ... وفي السلم اعجاب وعز به قرا

الشيخ ابو عبد الله محمد بيرم الثالث

ولد هذا العلامة في ٢٧ ربيع الاول سنة ١٢٠١ في مهد العلم وفرش المجادة فنشا في طلب العلم مقبلا عليه ، منقطعا بكليته اليه ، فلم يبلغ سن الشباب حتى ابدر هلاله ، وبهر كماله ، وزاحم العلماء الفحول ، واحرز قصب السبق في علمي المعقول والمنقول ، تصدر للتدريس فنشر الدر النفيس ، وتزاحمت على منهله العذب ، وروض تحريره الخصب ، طلاب المعارف ، ومنتجعو غيث الفوائد والعوارف ، وكانت له اليد الطولى في علمي المعاني والبيان والمنطق ، اتقن طريقة الالقاء التي سنها جدي

ابو اسحاق الرياحي في هذا القطر فكان صاحب الترجمة وحيدا فيها بعده . اقرا مختصر السعد مرات تخرج عنه اعلام نحارير ، كل يشرق على نوادي العلم وينير . وكانت دروسه غاية تنقطع دونها الاطماع . ويقصر عنها كل ذي باع . ومع ذلك كان يقدر قدر التآليف وينزلها منزلتها ويراعي منافع الطالبين فيما يقري من التآليف ولا يطوح بتلامذته فيما لا يتناولون ثماره عن كثب . اخبرني والدي ابقاه الله عن جدي والده انه لما ختموا على صاحب الترجمة مختصر السعد طلب التلامذة ان يقرئهم المطول فابى وقال ان المطول لا يقريه الّا مثل الشيخ صالح الكواش اما نحن فحسبنا المختصر واعاد المختصر وقريب من هذا ما بلغني عن جدي ابي اسحاق الرياحي كان طلب الطلبة منه اقراء الشيخ عبد الباقي على المختصر فابتدأه لهم فلما بلغ فيه اثناء الجمعة قال لهم ان هذا الشرح كتاب نظر لا كتاب اقراء فلنبدله بشرح الخرشي فابدله به . ولصاحب الترجمة من التآليف شرح على ايساغوجي نحى فيه منحى الاعاجم وحاشية على المنار وتحريرات فقهية . ولي خطابة جامع صاحب الخيرات يوسف صاحب الطابع في سن الشباب وهو اول خطيب به انتخبه الامير لذلك بتقدم واستحقاق وتقدم للفتوى في حياة والده ولما توفي والده سنة ١٢٤٧ قام مقامه في رئاسة المجلس الشرعي الحنفي وخطة نقابة الاشراف حكى والدي ابقاه الله عن والده جدي ابي عبد الله محمد النيفر ان شيخه صاحب الترجمة زيادة على ما هو عليه من العلم والفضل كان يعده في اهل الكشف ويحكي من كراماته انه لما ابتدأ لهم مختصر السعد بالمدرسة العنقية كان ممن حضر معهم وان لم يكن من طبقتهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن سلامه وكان يجلس على يمين صاحب الترجمة والشيخ ابو العباس احمد بن حسين وكان يجلس خلف الحلقة فحضر الشيخ ابن سلامه مدة ثم تغيب وبقي موضعه شاغرا واذا بالشيخ صاحب الترجمة نادى يوما للشيخ ابن حسين واجلسه في موضع الشيخ ابن سلامة وقال ان سي محمد بن سلامه مات رحمه الله قال فتعجبنا من قوله فضرب الدهر ضرباته حتى ولي الشيخ ابن سلامة مفتيا ثانيا وهو يلي الرئيس كبقعته بدرس صاحب الترجمة ثم مات وعلى اثره توفي شيخ العصر وبركة المصر جدي الرياحي فاتى الامير احمد باشا بالشيخ ابن حسين من بلدة الكاف وكان قاضيا بها واولاه باش مفتي

المالكية وهو الوظيف الذي كان يهيأ للشيخ ابن سلامه فكان تفسيرا لما صدر من صاحب الترجمة وكان شاعرا مجيدا توفي سنة ١٢٥٩ ليلة الاربعاء في ٢٧ ربيع الاول . ومن شعره ارتجالا وكتبه على ظهر روض الآداب يخاطب ابنه الشيخ ابا عبد الله محمد بيرم الرابع وقد سمعه مع بعض اقرانه يتحاورون في الادب

ان الزمان الذي تفنيه في الادب ... يراه اهل النهى من جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجو عواقبه ... تاتيك آثاره تنهل كالسحب
وذا مقالي عن نصح افوه به ... وليس يرجى لنصح المرء غير اب

ومنه مقرضا ختما لجدي ابي عبد الله سيدي محمد النيفر وقد اطلعه عليه حيث كان شيخه

ختام به مزن المعارف ينهل ... يثير غراما والغرام له اهل
ويبرز معنى يعجز اللب دركه ... فكل عويص بعد ادراكه سهل
يقول لطود البحث كن متلاشيا ... فيفنى سريعا فهو واه ومنحل
حباك به من سحبه تمطر التقى ... فمن لم يصبه وابل ناله طل
محمد المشهور فينا بنيفر ... مفيد علوم عندها العقد والحل
فقف عنده واثن العنان لنحوه ... وخل سبيل الحاسدين وان جلوا
وقل يا جميل الصنع احسن ختامه ... فعند ختام الامر يعتبر الفضل

ومن شعره مذيلا على نظم والده في سلاطين آل عثمان العظام المسمى بعقد الدر والمرجان انتهى فيه الى السلطان عبد الحميد الاول فطلب منه نظم من ولي بعده الى سلطان زمانه فقال

ومن بعده قد قام بالامر مصطفى ... همام به ثغر العلى ذو تبسم
سرت فيه من عبد الحميد جلالة ... فاكرم به نجلا لاصل معظم
وقد لاح في افق الخلافة بعده ... شقيق له محمود اهل التقدم
هو الملك الخاقان من خضعت له ... ملوك البرايا من فصيح واعجم
تطلع من بيت السلاطين مثل ما ... تطلع بدر التم من بين انجم
اعد لهذا الدين ما لم تجد به ... قريحة ذي لب وملك عرمرم

وحسبك ما ابدى بترتيب جنده ... فانت تراه مثل عقد منظم
فلا زال منصور اللواء مدعما ... لاركان نصر الدين خير متمم
ولما تناهى في الكمال ونفسه ... تؤم المعالي من عظيم فاعظم
تصاعد في افق الجلال لجنة ... شهيد سقام اجرها خير مغنم
فاظلمت الدنيا لفقد امامها ... وعم اولي الالباب افظع مأتم
وما عبس المحزون حتى تبسمت ... ثغور الليالي بالسعيد المعظم
امام الورى عبد المجيد ومن غدا ... لبيعته الاذعان من كل مسلم
فما مات من احيى الرسوم بنجله ... وما فات من ابقى لنا خير ضيغم
فلا زال من ذا البيت تبدو اهلة ... تضيء الدجى نوراً اضاءه انجم

جدي ابو اسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي

شيخ المسلمين

اصله من المحاميد القاطنين بطرابلس من فريق رياح الذي دخلوا افريقية على عهد الدولة الصنهاجية لما سرحهم اليها خلفاء العبيديين من مصر وخبرهم معروف في التاريخ . ولد هذا الامام سنة ١١٨١ ببلد تستور من بلدان الاندلس التي احدثوها بعد هجرتهم الى افريقية فحفظ القرآن العظيم ببلده وسمت همته لطلب العلم فرحل الى تونس وتفرغ للعلم فداب باجتهاد . حتى بلغ منه المراد . وظهرت براعته بين اترابه حتى كان شيخ الشيوخ ابو عبد الله محمد الطاهر بن مسعود لا يقري اذا تخلف صاحب الترجمة عن درسه فكلمه بعض الطلبة في ذلك فقال نحن ننتفع به اكثر مما ينتفع هو بنا لما يبديه اثناء الدرس من الابحاث النفيسة والفهم الجيد فاصبح وحيدا في علماء جامع الزيتونة بلغت سيول معارفه الزبى . واضحى تحل اعظاما له الحبا . فتصدر للافادة . واجرى في ميادين تحقيق العلوم جياده . فتهافتت على حلق دروسه طلاب العلم من كل فج . وتسامى الى سماء العلى وعرج . حتى كان يذكر مع شيخه وشيخ شيخه الشيخ الطاهر بن مسعود والشيخ سيدي حسن الشريف كانهم في مرتبة واحدة فالذي لا يعرف ترتيب تقدمهم الزماني يظنهم اقرانا وكان شيخه ابن مسعود يقري بقربه فسكت يوما وانصت لتقريره درس مختصر السعد ثم قال

لطلبة درسه ما احقنا بقراءة هذا الدرس . وكان قدم على حاضرة تونس الشيخ العالم ابو عبد الله السناري من السودان فطلب من صاحب الترجمة ان يقريه شرح السعد على الشمسية للكاتبي في علم المنطق فاقراه وكان ممن حضر معه الشيخ ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار فكانت بينهما علاقة اوجبت ان كاتبه بعد رجوعه الى بلده يقول له في مكتوبه اعلم يا اخي اني دخلت الازهر واجتمعت بعلمائه وغيرهم من علماء المشرق والمغرب فلم نظفر بمثل شيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي فشد عليه يدك فهنيئا لكم ان كان بين اظهركم . تخرج به الاعلام . وانتفع به اهل الاسلام . انتشر صيته في المشرق والمغرب . وابان لسان علمائهما عن فضله واعرب . لما وقعت المسغبة بافريقية سنة ١٢١٦ رام الامير حمودة باشا ان يوجه شيخ الشيوخ ابا الفلاح سيدي صالح الكواش الى السلطنة المغربية لجلب الميرة لتونس حيث كانت ممنوعة الخروج وانما اختاره لان مثل مدينة فاس مناخ العلماء لا يصلح لملاقاتهم الا مثله فاعتذر الشيخ للامير بكبر السن واشار عليه بتوجيه صاحب الترجمة وقال انه يقوم مقامي وناهيك بها من شهادة فسعدت سفارته وابقى فخرا علميا لتونس بتلك الديار . واخذ عن العارف بالله الغوث المكتوم ابي العباس سيدي احمد التجاني بفاس وهو اول من اظهر طريقته بتونس . ووجهه الامير احمد باشا الى الاستانة العلية شفيعا فتلقي بالاجلال واخذ عنه اشهر علمائها كالشيخ عارف شيخ الاسلام وهاداه المولى السلطان محمود بصندوق مرصع ثمين فلما قدم الى تونس اهداه للامير احمد باشا . ولي قضاء الجماعة بعد تاخير الشيخ ابي حفص عمر المحجوب ففر منها الى زغوان بعد ان امتنع فالزم ثم اقيل منها ثم الزم اخيرا برئاسة الفتوى فقبلها بعد طول توقف ثم خطابة جامع الزيتونة الاعظم كشيخه ابي محمد حسن الشريف بدون تدرج في امامته ولم يتفق ذلك لغيرهما في العصور المتاخرة بعد البكريين . ولما توفي الشيخ ابو عبد الله محمد الفاسي عن درس تفسير البيضاوي والبخاري بشرح القسطلاني بجامع المرحوم يوسف صاحب الطابع رام الامير حسين باشا ان يسند الدرسين الى صاحب الترجمة فطلب حضوره لديه بباردو فلما دخل عليه وهو بديوان حكمه وكان من تراتيبهم الكسروية بسط كفهم للتقبيل لكل من يدخل عليهم كائنا من كان عدا اهل

المجلس الشرعي فمد الامير اليه يده فصافحه الشيخ كما جاءت به السنة المطهرة فتغير لها الامير ورام ان يكسر الشيخ فاظهر انه لا علم له بسبب مجيئه فقال له ما حاجتك فاجابه الشيخ لا حاجة لي اليك انت ارسلت الي فلم يسع الامير الا قوله نعم ارسلت اليك لتتولى درسي التفسير والحديث بجامع الحلفاوين عوض الشيخ الفاسي فامتنع الشيخ من قبول ذلك فاخذ الامير يلاطفه ويلح عليه في قبولهما الى ان قبل، وكان شديدا في ذات الله يقول الحق ولا يبالي وله في ذلك مواقف حفظتها الناس وجزاؤها عند الله، مهاب الجانب مجاب الدعوة محبوبا للناس لا ينطق باسمه الا موصولا بالتسييد، اما آثاره العلمية فحدث عن البحر له حاشية نفيسة على الفاكهي على القطر يقال انه اكملها وضاع آخرها سافر به بعض طلبة السودان قبل ان يخرج منها نسخة والموجود منها بايدي الناس الى كان وحاشية على شرح القاضي على الخزرجية في علمي العروض والقوافي ورسائل في مسائل كثيرة في فنون متعددة وجمع الشيخ احمد ابن الطاهر محشي التاودي على العاصمية حاشية من تقارير صاحب الترجمة على شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الى اثناء الجمعة وله فتاوي تبلغ جزءا ضخما وديوان خطب اخبرني حفيده المرحوم ابو العباس احمد الرياحي انه جمع منها تسعا وتسعين خطبة وقد كان جمع ابنه ابو الحسن علي خطب سنة اولى لولايته بديوان متداول بايدي الناس وله ديوان شعر جمعه حفيده المذكور نحو العشرة كراريس بليغ النثر والشعر افردت ترجمته بالتاليف توفي في ٢٨ رمضان ليلا سنة ١٢٦٦ ودفن بتربته بالزاوية التي احدثها هو لذكر الورد التجاني بحوانيت عاشور وهو آخر من توفي بمرض الوباء وارتجت البلاد لموته وقد خطب تلميذه الامام العلامة ابو عبد الله الشيخ محمد بن الخوجه في موته بجامع محمد باي المرادي وضمن حديث القلب يخشع والعين تدمع ولا نقول إلّا ما يرضي ربنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون او كما روي من شعره يمدح السلطان محمود رحمه الله

العز بالله للسلطان محمود ... ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما اعلاه من شبه ... بآدم ونبي الله داود
من آل عثمان سادات الملوك ومن ... جاءوا كعقد من الياقوت منضود

سادوا الانام وشادوا الدين وافتتحوا ... من كل ما فيه خير كل مسدود
هم السلاطين ماذرت وماغربت ... شمس على مثلهم في نصر توحيد
وجاء سلطاننا المحمود بعدهم ... بكل راي من الاراء مسعود
وربما جهل الانسان مقصده ... فجاء فيه بقول غير مقصود
لم يعطه الله ملكا في خليقته ... إلّا لمعنى من الاغيار مفقود
دانت لدولته الاعناق خاضعة ... من كل ذي ولد منهم ومولود
تخشى السلاطين من بعد بوادره ... لما له من جلال غير مجحود
وكل باشا وان جلت مكانته ... فليس غير فتى في الرق مصفود
ياعز دين الهدى ان يخشى منقصة ... بكل قرم من الاسلام صنديد
وقوة من لدن رب العلى بهرت ... برا وبحرا بنظم غير معهود
العجم تشهدها والعرب تعلمها ... شرقا وغربا من البيضان والسود
انت المذل لعباد الصليب وان ... لوى الزمان بانجاز لموعود
لا يخلف الله في نصر مواعده ... لكن الى اجل في العلم معدود
انت المؤمل في كل المهم فمن ... اتى لبابك قصدا غير مطرود
وقد اتيتك من اقصى البلاد وفي ... ظني الجميل بلوغي منك مقصود
دامت معاليك للاسلام مرحمة ... وللطغاة عذاب غير مردود
بحرمة المصطفى المهدي الاله له ... ازكى تحياته من غير تحديد
تعم اتباعه في الدين قاطبة ... والخلفاء الى السلطان محمود

ولما اراد الامير احمد باشا توجيه الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف الى اسلامبول في قضاء مهمة طلب من صاحب الترجمة مكتوبا لشيخ الاسلام بالسلطنة العثمانية ليكون في عونه على قضائها فكاتبه بما نصه

المقام الذي رفع الله قدره . واكمل في سماء العز بدره . وطهر من الدنس سره وجهره . وطيب في انف الدهر ذكره . مقام مولانا الهمام الامجد . والامام الاوحد . غرة سعادة الايام . وواسطة عقد نظام العلماء الاعلام . صدر صدور الافاضل . ومزية الاواخر على الاوائل . معدن الاسرار واللطائف . وكعبة العلم

التي يثوب اليها كل طائف . ابو العباس سيدي احمد عارف . ادام الله اسعاده . وافاض على البرية امداده سلام . تفوح اعطاره . وتبوح بسرايـر المودة اسراره . لا يهتدي لكماله تنقيص . ولا يعتري عمومه تخصيص . هذا واني من حين بلوغ كتابكم الكريم المعرف عن وداداكم القديم . المصحوب بصلتكم المرفوعة على المفرق . المذكورة بالسندس والاستبرق . مقيم على شكر افضالكم الجليل . اقامة شامة وطفيل . سائل عن احوالكم كل مظنة . فيقع الجواب بما لله فيه المنة . هذا واستمد من مدد جاهكم المقبول . وعزكم الذي لا يحول ولا يزول . اعانة احد ابناء قلبي . الذي هو اعز من ابناء صلبي . نخبة نجباء ابناء درسي . واشكر من تمتع بثمار غرسي . مختار ديوان الانشاء . المبوأ من مراتب الدولة ما يشاء . القائم منها مقام الانسان من العين . المنزل من الباشا منزلة العلق الثمين . فانه وارد الى حضرتكم العلية . في قضاء لبانة سلطانية . فمرادنا من علي همتكم اعانته بالامداد والاسعاد . حتى يبلغ من امله نهاية المراد . والله يبقيكم للاسلام . ويجمع شملكم بخير الانام . في الدنيا قبل يوم القيام . آمين من معظم قدركم ابراهيم الرياحي اه ومن شعره يمدح الكاتب الشيخ قلاله مجيبا له وهي من الكامل وتقرا من مجزو العروض

زمن السرور بما يسرك مسعف ... رحب المهاد . ومسعد لك متحف
فاجن المنى من روضها فلطالما ... حن الفؤاد . الى بروق تخلف
واخلع براقعك التي منعتك من ... نيل المراد . فان دهرك منصف
وانس بعسال القوام مهفهف ... طلق القياد . ودع عدوك يرجف
واقطف ثمار اللهو قطف مراغم ... انف الاعاد . ولا يصدك مسرف
وادر بذكر محمد بن قلالة ... كاس الوداد . فانما هي قرقف
واصدع بحبك فيه لا تخش امرءا ... ينبغي البعاد . فلس يخشى المدنف
علم ابان بعلمه لمن اهتدى ... سبل الرشاد . فاين من لا يعرف
واضاء تونس من سناه فاصبحت ... شمس البلاد . ضياؤها لا يكسف
وتزينت من حسنه فكانها ... ذات العماد . ولاح فيها يوسف
وغدت به منحى الورى وملاذ من ... يبغي الاياد . له فؤاد يزحف

يا من به جاد الزمان ولم يكن ... يدعى الجواد . ولا بفضل يعرف
ومن اغتدى من حسنه كل الورى ... الف السهاد . له دموع ذرف
لك في المكارم سنة وشريعة ... بين العباد . ومذهب متحنف
وعليك من حلل المهابة ما به ... خضع المعاد . وعاد الفا ينصف
ومن الجمال ملابس يصبو لها ... صاد الجماد . كانه بك مدنف
ومن العلوم مناهل تروي بها ... من هو صاد . بالجهالة مشرف
ومن البلاغة ما به سحبان في ... فرش القتاد . من الفهاهة يلهف
ومن القريض سوابق جلت على ... كل الجياد . ودون شأوك موقف
ومن الكتابة ما به تسمو على ... رتب العماد . وانت انت الاشرف
ولك اليراعة صارما توقيعه ... نفع يراد . وديمة تترشف
وبك الوزارة اشرقت لو جئتها ... بادي السداد . وفيك معنى يلطف
وسمت بك الكتاب مذ علمتها ... سفك المداد . وحد سيفك مرهف
وبك العلوم واهلها فرحا نفت ... لبس الحداد . واصبحت تتشرف
ولذاك اضحى باسمه وبحسنه ... شعري يناد . ومقلتي تتشوف
وغدت ظنوني من سواه سليمة ... فهو السناد . وهل اذا اتخوف
لا زال في فلك العلى مترقيا ... حتى المعاد . وبالمدائح يتحف

فاذا اردت الى العروض المجزوة قل

زمن السرور بما يسر ... رك مسعف رحب المهاد
فاجن المنى من روضها ... فلطالما حن الفؤاد
واخلع براقعك التي ... منعتك من نيل المراد
وانس بعسال القوا ... م مهفهف طلق القياد

الى آخر القصيدة ومنه قصيدته النبوية التي انشدها عند مواجهة القبر الشريف لما زار الروضة السنية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وهي

مسك الصلاة واعطار السلام تلي ... عليك تغدو لها الاطياب في خجل
يا رحمة اهديت للعالمين هدى ... لولم تكن لم يكون كون بديع جلي

يا سيدي يا شفيع الخلق قاطبة ... اذ قول كل رسول ليس ذلك لي
انا اتيناك في ظلم لانفسنا ... مستغفرين من الاثقال في وجل
فانظر لزورك واستغفر لهم كرما ... فان فضلك بالاقبال لم يزل
انا ضيوفك يا خير الانام نرى ... ذوو افتقار الى ما منك من نزل
جئناك من شاسع الاقطار يحملنا ... حسن الرجاء الى افضالك الهطل
لم نعدم الفضل في بعد فكيف وقد ... صرنا بقربك مثل الشمس في حمل
يا رحمة الله في كل العوالم يا ... محمد احمد يا اكرم الرسل
اتيت بالحق من عند الاله فما ... اخلدت فيه الى عجز ولا كسل
جاهدت حق جهاد في رضاه الى ... ان اشرق الدين في سهل وفي جبل
وقمت لله في تبليغ ملته ... لم تخش لوما ولم تحفل بمنخزل
حتى غدت ملة الاسلام ظاهرة ... تعلو على سائر الاديان والملل
وذاك مصداق ما يتلى (ليظهره) ... برغم معطس اهل الكفر والخبل
طوبى لمتبع نورا اتيت به ... يمشي به في رياض العلم والعمل
وويل من لم يقم رأسا به فغدا ... من خسره في مهاوي الزيغ والزلل
ها نحن بين يدي نجواك نشهد ان ... لا رب للخلق الّا الواحد الازلي
وانك الرحمة المهداة منه لمن ... سواه كي يستقيم الامر عن ميل
وان كل الذي بلغت من نبإ ... حق وصدق على التفصيل والجمل
هذي شهادتنا ذخر لديك ومن ... يستودع المصطفى ما خاب في امل
نعم ولي حاجة في القلب تعلمها ... لا عيش لي دونها فانعم بعيشك لي
نعم واخرى وقد جلت ولست لها ... اهلا وانت الذي نرجوه للجلل
يا كم قصدت لها ممن يظن به ... فكنت اقنع بعد اليأس بالقفل
والان جئتك لا الوي على احد ... انت الجواد الذي تعطي بلا مهل
انظر لذلي بسقم الحجب عنك فان ... تنظر رفلت بعز الوصل في حلل
وارحم فؤادا بنار الفقد مصطليا ... وانظر لدمع من الخسران منهمل
طالت ليالي الجفا مني وقد قصرت ... يداي عن نزع ما البست من علل

ان لم تكن بالذي اوتيت من كرم ... تشفي سقامي فما علمي وما عملي
يا سيدي عمري ولى وما ظفرت ... يدي بنيل الذي اعيت له حيلي
اني توسلت بالاسما واعظمها ... وكل امر يرى من اعظم الوصل
هب لي وصالا على مر الليالي كي ... اموت والقلب في سكر من الجذل
عليك صلى الذي في الذكر قال لنا ... صلوا بامر من التسليم متصل
وسلم الله تسليما يفوح له ... مسك الختام مع الاشراق والطفل
ثم الرضا عن ابي بكر وعن عمر ... وذي الحيـاء ابي عمرو كذاك علي
وكل من يك يا خير الانام له ... تعلق بانتساب غير منفصل

خالنا ابو عبد الله الشيخ محمد الطيب

ابن الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي

نشأ هذا العالم بين يدي ابيه شيخ العصر، وبركة المصر، في طلب العلم فاخذه عن ايمته القادة، حتى القى اليه التحصيل مقاده، فتصدر للتدريس، فنثر من تحقيقه الدر النفيس، وجلى في ميدان البراعة، ورفع من فلك التحقيق والتحرير شراعه، متضلعا من العلوم العربية، والفنون الادبية، والعلوم الشرعية، والمعارف المرعية، ما فاق به الاقران، وتعاضد في الاشادة به القلم واللسان، اخذ عنه جم غفير، وتخرج به اعلام نحاريـر، وكانت له مكابدة على ادمان النظر والمطالعة يستغرق في ذلك جل ليله وقلما تجد كتابا يملكه، اوطالعه لم يدبج حواشيه بما من التحرير يسلكه، ولي خطة التدريس بجامع الزيتونة وامامة جامع ابي محمد الحفصي وعزم الامير احمد باشا على ان يقلده خطة القضاء بعد خروجه من الحجر الصحي لمرض الوباء فسابقته المنية واختار الله له ما عنده، وكان تقيا زكي النفس عالي الهمة، وله شعر رائق، ونثر فائق، توفي بالمرض الوبائي في ٢٣ ربيع الاول سنة ١٢٦٦ في حياة والده فوجد عليه وبكته الدروس والمنابر، وكل حي فالى الفناء صائر، وكان له ذهن وقاد، وروية اليها الابي ينقاد، يذكر انه حفظ الخزرجية في العروض والقوافي في عشية صيفية بمقبرة السلسلة على صعوبتها، وكان برا بشيخه العلامة ابي العباس احمد بن حسين وقد اقترح عليه ان يوجه اليه كل كتابة تصدر من والده

شيخ الشيوخ في اي غرض فكان يوجه اليه ذلك بخط الشيخ ولذلك اجتمع عنده ما للشيخ سيدي ابراهيم الرياحي من المحررات . ولصاحب الترجمة كلام حكمي منه قوله نهي عن الاسراف في الماء فكيف بالمال . وانا الومك على حاجتي في الامهال فكيف بالاهمال . كل شيء اذا ظفرت به سلوت عنه الَّا المال فكلما ازداد ظفرك به ازداد حرصك عليه . شيئان يخف امرهما على الجهول ويثقل على العاقل الامانة والوصاة . ومن نثره ما كاتب به الشيخ ابا العباس احمد بن حسين وهو اذ ذاك قاض بالكاف شفيعا ونصه المقام الذي طيب الله سيرته . وطهر سريرته . وزين بالاعمال الصالحة صحيفته . مقام مولانا الهمام الامجد . والعلامة الاوحد . صدر الافاضل . وعين اعيان الاماثل . ومصداق كم ترك الاول للاخر من الفضائل . شيخنا الذي نوجب له مبرة الوالدين . ابو العباس سيدي احمد بن حسين . واصل الله سعده . وحرس بعين كلاءته مجده . آمين بعد السلام التام . كما يليق بذلك المقام . ورحمة الله وبركاته والطافه وكراماته . فالمهم اولا السؤال عن الزكية احوالكم لا زالت بملاءة العافية مشمولة . وباسباب السعادة الكاملة موصولة . ويليه اعزكم الله ان جوابكم الاغر وصلني . وبحسن عافيتكم سرني . والحمد لله على ذلك ثم ان من مطالب الابن . الموقوفة على اجازة الاذن . الشفاعة في الاجل السيد احمد بن ابراهيم بن الزين فانه قد استشعر من جهتكم طلائع الاعراض . وتوسم في وسيم اقبالكم مخائل الانقباض وقد هرع الى العبد الفقير ومنزلة بنوتي عندكم تناجيه بالنجا . وتواعده بتحقيق الرجا . وفضل السيادة بالوفاء ضمين . ولكم الاسوة الحسنة في سلوك سنن المتقين . والتحلي بحلية والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . زادكم الله عزا في الدارين . ويبلغكم اتم السلام في جمادى الاولى من عام ١٢٥٨ ومن شعره مؤرخا وفاة شيخه ابي عبد الله محمد بيرم باش مفتي الحنفية الثالث سنة ١٢٥٩

جدث البلى اعلمت ام لم تعلما ... ان قد حويت سنا الشريعة بيرما
قدست من رمس تضمن ذات من ... كانت مراتبه تناجي الانجما
لا عذر لي ان لم اجدك تحية ... اقضي بها حقا علي محتما
واقوم حولك ما استطعت افض من ... اخلاقه مسكا علي مختما

واقيم للمجد المنيف وللهدى والدين والدنيا عليه مأتما
هو ذاكم الشمس المنيرة كورت انوارها فالدهر اصبح مظلما
هو ذاكم العلم الاشم جلالة عصفت به ريح الردى فتحطما
هو ذاكم الكنز الذي كتم الثرى ان الذخائر شانها ان تكتما
سرعان ما اختطف الحمام كماله فكانه برق تألق بالحمى
تبكي المنابر وهي عجم فقد من تسبي براعته الاصم الابكما
تبكي الدروس عليه شيخ مشائخ تشفي هدايته الصدور من العمى
ألمذهب النعمان بعد محمد صبر فقد فقد الامام الاعظمى
قد كان ايم الله فوق جبينه تاجا وفي يده لواء معلما
ولخطة الافتاء بحر يرتمي بنفائس الدر الثمين منظما
ان يمض فهو سبيل من وطىء الثرى اين الذي نال الخلود ومن وما
قسما بمن كتب الفناء لو انه يفدى لكان فداه من تحت السما
لكن ما يلقى من الزلفى ومن حسن القرى خير من الدنيا وما
فقد استجاب لربه لما دعا داعيه منقادا له مستسلما
وله من الصنع الجليل مآثر تتلو جميل الذكر نصا محكما
وتثير للاسف العميد من الاسى ما يجعل الصبر الجميل مذمما
لا غرو ان ناديت اذ ارخت يا اسف على ركن الهداة تهدما

ومن شعره يمدح القطب الملاذ سيدي احمد التجاني رضي الله عنه

عسى نفحة تاتي بعطف واقبال تفيق بها من غشية العسر احوالي
وتنفك من قيد الاسار عزائم عتاق سراها غير وخد وارقال
هنالك لا غير الكواكب رفقتي الى حيث جيد الفضل ليس بمعطال
الى المغرب الاقصى وما هو انما مناي به من ليس يعزب عن بالي
ملاذي واستاذي ومن بانباعه احر على هام الكواكب اذيالي
امام الهدى غوث العوالم كلها مبيد العدى مبري الضنى عند اعضال
هماما سقاه الله من فيض سره كؤوسا بها مزج بود واجلال

وعلاه حتى نال بالقرب رتبة حوى فضلها مجد المقدم والتالي

وهي طويلة ومنه يهني الوزير ابا النخبة مصطفى خزندار لما بنى قصره بقرطاجنة ثم اعرض عن ارسالها اليه فلم تصله

على طالع اليمن السعيد المفضل نزلت بحمد الله اسعد منزل
تخيره قبل اختيارك باهر من السعد في شرخ من العز مقبل
هو القصر لا بل في العلى بيت عزة يضيء ببدر من سناه مكمل
تنافسه فيك البروج لفوزه باجمل مما قد حوته واكمل
وتعنو اليه الزاهرات صبابة بابلج ميمون النقيبة مفضل
جميل محي المكرمات ممجد حميد مساعي الراي في كل معضل
قريب منال الفضل في غير منة بعيد منال المجد للمتامل
هو الشمس اشراقا وحسنا ورفعة سوى انه داني الرضا والتفضل
عليه لاحسان الصنيع مخيلة بها ولديها نجح كل مؤمل
لك الفوز ان ابصرت غرة وجهه بنيل نهايات المرام المعجل
لقد ظفرت بالصالحات ايالة تحلت بتاج من حلاه مكلل
وضاءت بشمس من حجاه منيرة وصالت بسيف العز غير مفلل
وفاءت لظل وارف من امانه وسامت بروض للندى غير ممحل
شمائل في افق الفخار تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
تناولت قدر الوسع منها وليتني تمتعت من حظ بها غير معجل
ابا النخبة المحظى بخير وزارة وخزنة دار الملك والمنصب العلي
هنيئا لك المبنى الذي شدت قبله من المجد مبنى في ذرى العز يعتلي
اناف على الزهراء حسنا وبهجة وازرى بغمدان وحصن السموأل
اقمت لعز الملك في وضع شكله على غاية الابداع برهانه الجلي
واعربت عن فياض جودك في الورى وهمتك العليا بافصح مقول
تملأ به رغدا من العيش واردا من الامن والاسعاد اعذب منهل

عليه من الالطاف سور وحوله وفود سعود مالها من محول
ومن يمنه استخرج لحضرتك المنى وازج لها فوزا بغنم معجل

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد الطيب بن سلامه

الطرابلسي الاصل

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه وجده وكان جده ابو العباس احمد فقيها مشاركا فاعتنى به ومرنه وطلب صاحب الترجمة العلم عن نحاريره فحصل على ملكة مرضية ضربت بسهم غير طائش . فتصدر للتدريس برهة من الزمان ثم تخلى عنه واشتغل بتعاطي الشهادة فاختص بالقاضي ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار فتخرج في علم الوثيقة بطول ممارسته كتب الاحكام وتسجيل المرافعات وكان من خواص سماره وتلامذته وقد كان الشيخ البحري اول من جمع المتفقهين من الطلبة وغيرهم للنظر معه ليلا في النوازل المنشورة على بساط المرافعة من قضاة الحاضرة لتحرير النصوص المنطبقة عليها فكان صاحب الترجمة في زمرتهم ولما ضرب الدهر ضرباته وتولى خطة قضاء الجماعة جرى في ذلك السبيل فالب المتخرجين من فقهاء الطلبة والعدول وربما ضم اليهم بعض المفتيين والمدرسين لتحرير النصوص الفقهية بتتبع دواوين المذهب كل واحد يتكفل بمطالعة ديوان منها ويخلص زبدة ما مخضوه في المسالة ويتحفهم بلذيذ الماكولات ورائق المشروبات وسلك ذلك حتى في تآليفه كحاشية التاودي على التحفة وغيرها من رسائله وهي طريقة حسنة تنتج تحريرا اذا كان فيمن يسلكها اهل تمحيص وقد رايت بعض محققي مشائخي ينتقدها نقلا وتقريرا ولعل مخيضها لم يتخلص . يميل الى التفخيم في محرراته من ذلك اني طالعت تاريخه الاحمدي وقد حذا فيه حذو التاريخ الباشي فاذا هو قد افتتحه بمقدمة تعرض فيها لتقسيم العلوم وتعاريفها وفي آخرها قال ولعمري انها تربو على مقدمة ابن خلدون هكذا لفظه فوددت ان هذه العبارة تمحى منها وكيف يقال ذلك مع مقدمة ابن خلدون التي تلقتها حكماء الشعوب بالقبول ولم يكن منهم عدا مناقشات ليظهر عجز البشرية . تولى مشيخة المدرسة المنتصرية وقضاء المحلة وقضاء باردو وقضاء الجماعة وتولى الفتوى بعنوان كاهية باش مفتي نقله الامير اليها وتخطى به المفتيين قبله وكان يهيىء نفسه لرئاسة المفتيين بعد شيخ الشيوخ ابي

اسحاق الرياحي فلم يقدر له . وكان له شديد علاقة مع الامير احمد باشا ووزيره مصطفى خزندار ومن مآثره تنبيه الامير المذكور لازالة عوائد التعصب المذهبي التي كانت جارية بين اهل المذهبين المالكي والحنفي منذ استيلاء الترك على تونس منها اختصاص القاضي الحنفي بختم الحجج والاحكام ومنها تقدم المجلس الحنفي بحيث يكون رئيس المفتيين من المالكية خلفه ومنها جلوس الحنفية على اسرة يمين الامير واخوانهم المالكية يجلسون يساره على مقاعد بالارض اظهارا للتمييز المبني على التعصب المذهبي وما دروا ان الفضل والتقدم الحقيقي بالعلم والتقوى لا بالجلوس على الاسرة والتقدم في الدخول . وصدر المجلس حيث جلس صدره ولعمرك ان ذلك من آثار العجمة ومخالفة السنة وقد كان صلى الله عليه وسلم يمشي خلف اصحابه كما ورد في حليته الشريفة وقد قال شاعره

وقال نبي المسلمين تقدموا واحبب الينا ان يكون المقدما

فابطل الامير احمد باشا جميع ذلك وله من التآليف جملة من الرسائل في مسائل خلافية وحاشية على شرح التاودي على التحفة بلغ فيها التوقيف وكتابة على تفسير الفاتحة للقاضي البيضاوي وشرح قصيدة العارف البكري التي اولها

ما ارسل الرحمان او يرسل من رحمة تصعد او تنزل

شرحها كما نقل عنه للتحصن بها من الوباء الذي مات به فذهب باجره موفرا وما زال في مكانته الى ان توفي بمرض الوباء بسيدي ابي سعيد في ١١ شعبان سنة ١٢٦٦ واوصى ان يدفن بسيدي عبد العزيز المهدوي بالمرسى فدفن حذاءه ومن المصادفات انه لم يحضر مشهد جنازته من اهل المجلس الشرعي عدا العلامة ابي عبد الله الشيخ محمد ابن الخوجة كاهية شيخ الاسلام اذ ذاك ولهم العذر ببعد الشقة وخوف الوقت فان المرء لا يدري متى يصاب فهو لا تطيب نفسه ان يتباعد عن محله فكان ذلك ذريعة للوشاية بهم فان بعض مضحكي الامير وكان من ذوي السعايات ابلغ اليه ان اهل المجلس المالكي وحاشاهم ان يقولوا ذلك لما توفي صاحب الترجمة قالوا قد مات رماله اي الذي يخط له بالرمل فاحفظته هذه الفرية ولم يجد الى كيدهم من سبيل حتى توفي جدي ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي بقرب ذلك فشغرت خطته فاشار

عليه فيما يقال الشيخ ابو العباس احمد بن ابي الضياف بان يولي العلامة الشيخ ابا العباس احمد بن حسين قاضي الكاف اذ ذاك باش مفتي ويقدمه عليهم اغاظة لهم ليشتفي صدر الامير ففعل فان صح ذلك فلا اراه مؤثرا عليهم فانه خليق بالخطة وهم اول من يشهد بعلمه ودينه وما هي الّا من باب اعطاء القوس باريها . وكان صاحب الترجمة ناثرا شاعرا ومن شعره مخاطبا ابا عبد الله الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام الرابع وقد وجه اليه رسالته في معاوضة ارض القنديل

اليك امام الدين والعلم غادة ... كساها النهى ثوب الحياء فزانها
فان قصرت فالصفح منك سجية ... وان كملت فالفضل منك اعانها
فلا زلت بحرا مستمدا وموردا ... لتحقيق آيات تفيد بيانها

ولما اجرى الامير احمد باشا لشيوخ المجلس المالكي مرتبا مع الجند النظامي كما لشيوخ المجلس الحنفي مع جند الترك دفعا لما يتوهم من الايثار والتمييز بين حملة الشريعة وهداة الامة وكان ذلك في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٥٥ فاجتمع علماء المذهبين امام محراب جامع الزيتونة باذن اميري بين الظهرين وتلا عليهم كاتب السر الشيخ احمد بن ابي الضياف منشور الامير في اعلامهم بذلك فقال صاحب الترجمة مادحا للامير على هذه المنحة

نظمت القوم في سلك النظام ... فثغر المالكية في ابتسام
واعززت الجماعة بانتساب ... وليس العز في كسب الحطام
فسويت الورى في عدل قسم ... نسخت بصلحه حيف الظلام
محال ان يظن الناس هذا ... وكاد يكون من نوع الحرام
ولولا الله ارشد منك قلبا ... لما لاقته حتى في المنام
ولكن الاله اراد خيرا ... فارشدك السبيل الى القوام
فالفت القلوب به جميعا ... وواخيت البرية بالتمام
فانت اليوم اعدل من راينا ... بك المبدا وخاتمة الختام

الشيخ ابو عبد الله محمد الخضار

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم فاخذه عن جهابذته حتى اثمر غرسه ، وتملأت من العلوم نفسه ، فظهر فضله ، ووضح بين اقرانه نبله ، تصدر للتدريس فحرر وحبر وله في العربية اليد البيضاء ، تخرج به الجم الغفير من الاعيان ، وازدان بحلى محاسنه الزمان ، ولي خطة التدريس وقضاء المحلة فاصابه بالسفر ضعف في بصره اعجزه ثم نقل الى خطة الفتوى وولي خطابة جامع الهوى وكان عالما نقيها ذكيا خيرا عفيفا كريم النفس غرا ، وكان الشيخ ابو عبد الله محمد البحري قاضي الجماعة يستعين بعلمه وذكائه في معاناة النوازل مع غيره من النجباء ثم بعده الشيخ ابو عبد الله محمد بن سلامه وكان كثيرا ما يبيت عنده فاذا اظلم ما يعانيه من فهم عويص استضاء بشعلة من ذكائه ، او بارقة من لوامع آرائه ، ولم يزل على حسن سيرته ، وطيب سريرته ، الى ان توفي في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٦٧ وكان شاعرا مفلقا ومن شعره يهني الامير حسين بن محمود باشا وقد ابل من مرض

تمت بعافية المولى امانينا ... والدهر وافى بما نهوى يهنينا
واصبحت ساجعات الورق في فنن ... تملي علينا من البشرى افانينا
والروض قد نم بالزهر العبيق شذا ... وكللته الحيا وردا ونسرينا
وللشقيق ابتسام كلما خفقت ... راياته اطربت سر المحبينا
وعاودت دولة الاقبال مسعدة ... من بعد ما اضمرت للعز توهينا
لله عيد سعيد طيب حفل ... به تحلى لباس البرء والينا
وموسم اضحك الدنيا ببهجته ... وبالمسرة بل قد اضحك الدينا
ونعمة ما قضاها الشكر هائلة ... اربت على كل حزل من ايادينا
نبا حسين الذي الدنيا به حسنت ... وازينت منه بعد الحسن تزيينا
مملك دانت الدنيا لصولته ... وذللت ايده الشم العرانينا (١)
فاقت على دول الاسلام دولته ... قد زاده الله اعزازا وتمكينا

---

(١) في هاذين البيتين اغراق منكر

فيا سليل كرام قط ما عهدوا ... لغير عرش من العلياء بانينا
اسلم فسقمك سقم الناس اجمعهم ... يفديك من جملة الادواء فادينا
انا لمذ قيل قد عوفيت في جذل ... يسمو بنا وعن اللاواء يلوينا
كأن غانية غنا تغازلنا ... والدهر من قدح الافراح يسقينا
نواصل الحمد اذ ولى بعافية ... ابو الصفاء المعلى فخر نادينا

ومنه يرثي الشيخ ابا عبد الله محمد بيرم باش مفتي الحنفية الثالث

الا فجع الاسلام وارتج جانبه ... ودجت من الخطب المهول غياهبه
وضاق مجال الدين رحبا فطرقه ... كأن لم تكن مسلوكة ومذاهبه
هوى نجم من زان العلى بكماله ... وما طالع الا سيأفل غاربه
فيالك من طود تضعضع ركنه ... وخرت الى بطن الوهاد شناخبه
قضى الله ان تعفو الرسوم وتطمس الـ ... ـعلوم وان يسترجع الدر واهبه
وان ياخذ الناشي من الترب مضجعا ... وان خلقت فوق السماك مراتبه
مضى ثالث الاعلام من آل بيرم ... الى نزل رحب كريم يناسبه
فلا كان من يوم به كان نعيه ... فقد هلك النعمان فيه وصاحبه
امام كسا الاسلام نورا فاشرقت ... مشارقه من حسنه ومغاربه
اذا ذكر النقاد نقدا لغيره ... فحليته منشورة ومناقبه
فمن لمصاب الدين يبكيه فليجد ... بدمع وان لم يقض بالدمع واجبه
وقل لبناة المجد قد كان معجزا ... لكم واذا فليطلب المجد طالبه
محمد لا تبعد فديناك سيدا ... فما عنك الا فاقد الصبر ذاهبه
فمن للقضاء الفصل والكلم التي ... اذا انتظمت كالدر اهداه ثاقبه
ومن لبيان المشكلات بصارم ... من الفكر عضب ليس تنبو مضاربه
ومن لفضاء الصدر ان عن مجلس ... له احتفلت يوم القضاء مواكبه
ومن لبغاة العرف ان ضاق ذرعهم ... بوجه كصوب القطر تهمي جوانبه
وكنت لمن قد غص كالماء مسعدا ... فديت فمن للماء ان غص شاربه
عسى النسخة الغراء تجبر صدع ما ... صدعت ويكسى حلة الاصل نائبه

فيا تربه واريت اكرم من مشى ... على الارض هونا ليس يهضم جانبه(١)
ويا ساحة العلياء اقفرت بعده ... كان لم تحم يوما حماك مناصبه
سقى رمسك السامي مساء وغدوة ... نوال من الرضوان تهمي سحائبه
ولقّاك في الفردوس اكرم منزل ... تناغيك منه حوره وكواعبه
ونلت الرضا ما قال يوما مؤرخ ... الا فجع الاسلام وارتج جانبه

ومنه يهني الامير احمد باشا ببناء قصر المحمدية

هي الروضة الغناء لا بل هو القصر ... وان راق مرأى العين اكنافه الخضر
بدت غرة في الدهر تزهو بحسنها ... فمعطفها والثغر زاه ومفتر
تانق في تنظيمها كل صانع ... فجاءت كما شاء التعزز والفخر
تود الثريا ان تكون لسقفها الث ... ريا وان يسمو بغرفتها الغفر
وكم رامت الشعرى العبور لقصرها ... عبورا فجرتها المجرة والنهر
وقد كاد قطب الجو يهوي مهنيا ... فقيل له بالعزم ثم لك الاجر
وللحضرة الجوزاء شدت نطاقها ... وما عاقها الكف الخضيب ولا النثر
ولكن لليث الغضنفر صولة ... تهاب فللعذراء من اجلها عذر
مغان تناغيك السعود لواحظا ... ويرتع في اكنافها العز والنصر
فما القبة الفيحاء منها وانما ... على قدر جد المرء يسعى له الدهر
وما جد مولانا المعظم بالذي ... يحد ولا معناه مما له حصر
وان ابا العباس في الدهر واحد ... ورب مقال كان مصداقه السر
امام لمن يرجو الغنى من نواله ... يميناه مبسوطان كلتاهما بحر
تباعد مرمى صيته فلذكره ... بما شاده في كل ناحية ذكر
كأن معاني الحسن اذ ما تجمعت ... عليه غواني الطيب يجمعها عطر
كأن ضياء الصبح غرة وجهه ... وانى له منها الطلاقة والبشر

---

(١) ـ اني لا عجب من صدور هذا البيت من صاحب الترجمة وهو رجل عالم متدين ومثل هذا لا يطلق الا على خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان امكن ان يتأول له لكن تبقى بشاعة المتبادر

كان رؤس الكفر عند انقضاضه ... خشاش من الغربان قابلها صقر
اعدلهم ما اسطاع من فضل قوة ... وخيل رباط حسبما عمه الامر
فهذا لسان الدين يشكر سعيه ... ومن صنع المعروف حق له الشكر
يؤانس مهضوم الجناب بلطفه ... ويؤنس من اخلاقه العفو والستر
تطلع بالاسرار حتى كانه ... بها قيل من لم يدر ان له خبر
لذلك والته القلوب ودادها ... ورب ولي كان اذعانه قهر
فلله مرماه السديد ورأيه الـ ... ـرشيد وما اورى لقادحه الفكر
هو الفضل تبنيه الجدود وربما ... بنى فوق هام النسر ما دونه النسر
فيا مالكا يعيى الزمان بوصفه ... وهمته من قدره ما لها قدر
لبنيتك الشماء سيقت خريدة ... بمدحك تزهو كان يحجبها الخدر
فان لاحظتها من جمالك نظرة ... فذاك مهر لا يقاس به مهر
هنيئا بها مرقاة عز منوطة ... بها آية الكرسي ما طلع الفجر
ولا زلت في امن بها ومسرة ... وطاب لك المثوى وطال لك العمر
وهذا لسان الفال قال مؤرخا ... منازل سعد حل قبتها البدر

خالنا الشيخ ابو الحسن علي الرياحي

نشا هذا الفاضل في بيت علم وتقوى يتمسح باركانه . ويلتمس النجاح في ظل بنيانه . فطلب العلم . واحرز من قسمه اوفر سهم . فظهرت براعته . وفاق في المعارف مقوله ويراعته . فتصدر للافادة بباع مديد . وفكر في التحرير والتحبير حديد . وكان جواده في الادب لا يشق غباره . قد سارت مسير الامثال اشعاره . سابق اقرانه فسبق . وانتسق بجيده عقد العلوم واعتلق . لما توفي اخوه ابو عبد الله محمد الطيب انتخبه المشائخ النظار لولاية التدريس عوضه وذلك عن استحقاق لها بعد تبصرهم لا عن مراعاة لوالده عالم العصر وبركة المصر ولما ورد مكتوب المشائخ النظار الى الامير احمد باشا اسر اليه فيما يقال الشيخ ابو عبد الله محمد بن سلامة بان في علماء جامع الزيتونة من هو احق بالدرس من صاحب الترجمة فاوقف الامير

تنفيذه وكاتب السادة النظار بانه بلغه ان في علماء جامع الزيتونة من يطلب المناظرة وعليه فليمكنوا من ارادها طبق الترتيب في معلقة التحبيس اجراء لنصه وكان المترشح لخطة الدرس بلا نزاع عم والدي العلامة المحقق ابو الفلاح الشيخ صالح النيفر ويليه طبقة اخرى منهم العالم ابو محمد الشيخ عبد الله الدراجي فاعلمهم النظار بذلك طبق المكتوب الاميري فانكروا ان يكون فيهم من طلب المناظرة وامتنعوا منها مسلمين لصاحب الترجمة فكلفوا الكتابة بخطوطهم في ذلك فكتب الشيخ ابو الفلاح المذكور ما مضمنه انه لا ينازع ابن شيخه وشيخ شيوخه في الدرس وان ذلك عن رضا منه لما يعلم من استحقاقه ولما عرضت الكتابة على الشيخ عبد الله الدراجي فمن بعده تابعوه على ما كتب واعلم بذلك الامير فاصدر امره بولاية صاحب الترجمة ولقد جازى الله سبحانه الشيخ ابا الفلاح عن هذا البرور الذي شكره عليه الخالق جل وعز وخلقه بان اورثه رئاسة الفتوى المالكية وخطابة الجامع الاعظم جامع الزيتونة وهما وظيفا شيخه ابي اسحاق الرياحي الذي بربه وقلها اجتمعا لغيره . ولي خطابة جامع ابي محمد الحفصي عوض اخيه جمع خطب والده للعام الاول من ولايته خطابة جامع الزيتونة وجمع شعر والده في ديوان وله تقارير نفيسه على كتبه في عدة علوم وكان فقيها نحريرا حسن الاخلاق عزيز النفس عالي الهمة نقي العرض قطفته يد المنية وهو في زهرة شبابه يوم الجمعة في ١٣ ذي الحجة سنة ١٢٦٨ ودفن حذو ابيه بالزاوية التي انشاها للورد التجاني بحوانيت عاشور ، من شعره مشطرا ارتجالا ومذيلا

(للورد عندي محل) وذمه لا يحل
وشمه كل وقت (وظيفة لا تمل)
(كل الرياحين جند) بظله تستظل
فهو العلى مقاما (وهو الامير الاجل)
ان غاب عزوا وتاهوا حتى اذا جاء ذلوا

وكتب لبعض الادباء

ان الثناء عليك قد بلغ السما حتى سمعنا بحر شعرك قد طما

من كان مثلك فلتجيء اداباه دررا ليذعن خصمكم ويسلما

ومن شعره يهني والده بختم القسطلاني على البخاري

تبلج في افق العلى طالع السعد كسا حلل الاسعاد واليمن والرشد
وفاح شذى مسك يفوق ختامه نسيم الصبا جاءت بريا ربا نجد
او الروض اذ يزهو بحسن ابتسامه فيحيى بريحان الازاهر والرند
واسفرت الايام عن وجه بشرها كما اسفر المحبوب عن وردة الخد
تذكرنا عهد الصبا وغرامه وما قد رشفنا في الثغور من الشهد
رعى الله تلك الغانيات ولا ارى سوى انهن الحور من جنة الخلد
لهن جبين كالصباح بياضه يلوح سناه تحت فاحم مسود
وحاجبهن السيف لكن اذا جنى فليس قصاص يلزم الحر في العبد
وقد نثر الخيلان من حبر عنبر بديع جمال لم يكن خط بالايدي
لك الله ما احلى التغزل في الهوى واحسن منه مدحة العالم الفرد
امام اغر الوجه كالشمس في الضحى وكالزهرة الحسناء في دوحة المجد
امام اذا ما كنت في روض درسه رأيت نفيس الدر ينظم في العقد
امام لو ان الله يهدي بنوره لكان جميع الناس من نوره مهدي
ترى رأيه كالسيف في كل حادث وراي سواه لا يعيد ولا يبدي
له رتبة لو حاول البدر نيلها لكانت عن الادراك في حيز البعد
غدا مثلا في الحلم والعلم والتقى كمالك كالبصري كالاحنف السعد
الا يا ابا اسحاق والفاضل الذي مزاياه قد جلت عن الحصر والعد
اليك من السحر الحلال قصيدة تانق في اتقان صنعتها جهدي
خدمت بها يوم الختام لعلني اقابل بالرضوان منك وبالود
ودمت منارا في الشريعة هاديا تبلغ من نيل المنى غاية القصد

جدي ابو عبد الله الشيخ سيدي محمد النيفر شيخ الشيوخ

ولد هذا النحرير سنة ١٢٢٢ في بيت شرف ومجد ورثه الخلف عن السلف ينتهي

نسبه الى احد اسباط القطب الكبير العارف بالله ابي العباس سيدي احمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه ترامت بسلفنا الاوطان الى ان قطن جدنا صفاقس ثم انتقل جدنا الشيخ ابو النور وسكن تونس حدود سنة ١١١٠

ونشا صاحب الترجمة بين يدي والده التالي لكتاب الله التاجر المثري الخير ابي العباس احمد بن قاسم النيفر معتنيا بتربيته فحفظ القرآن المجيد وسنه اثنا عشر سنة وكانت سيماء الخير ومخائل النجابة تلوح عليه فاراد ان ينقله من المكتب الى طلب العلم بالجامع الاعظم فاشار عليه مؤدبه الفقيه التالي الشيخ ابو عبد الله محمد القسنطيني بابقائه بالمكتب ليحفظ المتون العلمية حيث كان سنه اذ ذاك يقصر عن طلب العلم بجامع الزيتونة فابقاه فحفظ جملة من المتون كالمرشد المعين والفية ابن مالك والجوهرة وتلخيص القزويني ويتعاطى مع ذلك مبادي العلوم خارج جامع الزيتونة على بعض الشيوخ ولما بلغ اربعة عشر من عمره طلب العلم بجامع الزيتونة بمطالعة والده حيث كان من العطارين الكبار ودكانه امام الجامع المذكور فطلب العلم بجد وانقطع الى ذلك الجانب وفي مدة غير بعيدة ظهرت نجابته فاعتنت به شيوخه وائتلقت بروق تحصيله وبذ الاقران . وجلى في ذلك الميدان . فتصدر للاقراء بجامع الزيتونة باذن شيوخه على حداثة سنه . الف رسالته الفقهية في مسالة جواز قربان المرأة اذا تعذر عليها الاغتسال بعد الطهر فحرر المذهب المالكي فيها وسنه اذ ذاك ثمانية عشر سنة وكان شيخه ابو عبد الله محمد بيرم شيخ الاسلام الثالث معجبا به فكان كثيرا ما ياتي لسماع درسه وكان يقري شرح المحلي على جمع الجوامع فيجلس خلف الحلقة من غير علم صاحب الترجمة فيقوم مبتهجا ويقول ما رايت مثل طريقته في القاء الدرس راحة وترتيبا وايضاحا وتحريرا لو ملك التلميذ نفسه ولم يستعجل بالسؤال لم يحتج اليه وكان شيخه ابو عبد الله محمد بن الخوجه شيخ الاسلام اذا سمعه يقري يقول لله دره هذا معنى راحة العلم صارت مسائل الدرس في عينه ضرورية . ولي التدريس بجامع صاحب الطابع بالحلفاوين ولما رتب الامير احمد باشا الدروس بجامع الزيتونة كان مقدم المنتخبين لذلك وولي امامة ووكالة جامع باب الجزيرة الداخلي المعروف بمسجد القنيطرة وهو الذي بنى صومعته حيث وقع تداعيها

فاجدها من ماله حيث لم يكن في ريعه وفاء . وولي قضاء المحلة وباردو وقضاء الجماعة يوم الاحد في ١٥ صفر سنة ١٢٦٣ واحضر الامير احمد باشا يوم ولايته شيخ الشيوخ سيدي ابراهيم الرياحي باش مفتي المالكية واعلمه بولايته خطة قضاء الجماعة قصدا منه للتنويه بشانه فاثنى على دينه وعلمه . فقام باعبائها . وكان لورعه وخوفه كثيرا ما يدعو الخصمين الى الصلح تفصيا من ابرام الحكم بينهما مع تشبثه وقوة عارضته في التطبيق وحاول الاستقالة منها فلم يسعفه الامير احمد باشا فلما توفي شيخه ابو اسحاق الرياحي باش مفتي المالكية وجد فرصة فالح في طلب الاذن في الحج ليتوصل الى اداء الفريضة ثم التفصي من خطة القضاء فاذن له الامير المذكور بعد ان عزم على ابقائه فيها وينوبه بعض المفتيين مدة مغيبه حتى سأل ابا عبد الله الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام الرابع هل يعلم في التاريخ من اذن من الملوك لقاضيه في الحج فلم يعرف ذلك الشيخ بيرم فنقله حينئذ الى خطة الفتوى يوم الاحد في ٢٥ رجب سنة ١٢٦٧ واصدر منشور ولايته موشحا بالثناء عليه والشهادة له من انشاء كاتب سره ابن خطيب زمانه الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف وطلب الامير احمد باشا من صاحب الترجمة ان يباشر الحكم بين الناس مثل القاضي ويحكم بداره وكتب الاذن له بذلك بمنشور ولايته ولم يكن ذلك لغيره ننقل المنشور المذكور بنصه لتمام الفائدة من خط منشيه المذكور

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم من عبد الله سبحانه . الراجي عفوه وغفرانه . المتوكل عليه . المفوض جميع الامور اليه . المشير احمد باشا باي سدد الله تعلى اعماله . وبلغه من اعزاز الشريعة آماله . الى من يقف على هذا المنشور . والخطاب المحرر المسطور . الذي بني على الحق اساسه . ودل على ما يرضي الله تعلى التماسه . وزكت فصوله واجناسه . من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية . ونوابنا في القضايا الدينية . وابنائنا امراء الامراء . اعيان الوزراء . وامراء الالوية وامراء الالايات . وقائمي المقامات . وامناء الالايات . والبينباشية . وسائر الاجناد العسكرية . والقواد والمخازنية . واولي الولايات الشرعية والعرفية . شرح الله تعلى للحق صدورنا وصدورهم . واستعمل فيما يرضيه اميرهم

ومامورهم . اما بعد فان الفاضل الكامل القدوة الحجة العلامة الثقة التقي الاورع الماجد المحقق الزكي محبنا الشيخ سي محمد النيفر باشر خطة القضاء بحاضرتنا فاعطاها الحق وزيادة . واستمنح بذلك من الله تعلى المثوبة والسعادة . فنقلناه الى خطة الفتوى . وعضدنا به ركنها الاقوى . ليحكم بين الناس في النوازل الشرعية . والقضايا الدينية . بمذهب امام دار الهجرة ملك بن انس رضي الله عنه وعن سائر الائمة فليقم بخطته عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من آثارها . واجريناه مجرى امثاله في سائر احواله واعماله . واوصيناه بتقوى رب العالمين . عملا بقوله تعلى « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » كما اوصينا له بالتعظيم والاجلال . وصون منصبه الشرعي عن الاخلال . وعلى من تدبر هذا المقال . ان يعرف مقدار هذا الكمال . الواجب لاهل العلم في كل وقت وعلى كل حال . والامر لله الكبير المتعال . وكتب يوم ٢٥ الاحد الخامس والعشرين من رجب الاصب سنة ١٢٦٧ اه ثم اعلمه الامير انه يريد ان يصحبه بصر الحرمين وكان ذلك اذ ذاك عنوان التبجيل كما كان فعل مثل ذلك سلفه مع جدي شيخ الشيوخ سيدي ابراهيم الرياحي فسلمت اليه واركبه بريك النسر افخم مراكب الدولة تنويها به بقيادة المرحوم السيد دلوار ابلغه الى الاسكندرية واذن الامير بان كل من ياذنه صاحب الترجمة من السفار بالركوب يركب مجانا فركب من حجاج الايالة جم غفير ولما ورد مصر احتفل لملقاه العلماء واتوه للزيارة ولقاه عزيزها عباس باشا الاول اكراما واذن ان يكون سفره الى السويس على نفقة الدولة ولما رجع من حجه الى الحاضرة اقرأ تفسير القاضي البيضاوي بباب الشفاء احد ابواب جامع الزيتونة تحت المعلقة هناك فكان درسه جامعا لاعيان العلماء والمدرسين فاتى بالعجب العجاب حسبما تلقيت ذلك عن تلاميذه الكثيرين الاعلام كالعلامة الهمام ابي العباس احمد بن الخوجه شيخ الاسلام والمفتي ابي العباس الشيخ احمد بو خريص والمفتي الشيخ ابي الفلاح صالح بن فرحات وغيرهم وسطره المؤرخون كالوزير ابي العباس احمد بن ابي الضياف في تراجم تاريخه والماجد الفاضل ابي عبد الله محمد بيرم في صفوة الاعتبار ولم ندرك في جامع الزيتونة من نحاريره من لم يفتخر بالقراءة عليه . وينتسب في متانة علمه اليه . ومع هاته المكانة العلمية كان تقيا

تقيا زاهدا في الدنيا عابدا يقوم الليل من سن الحداثة الى ان توفي محببا جميل الاخلاق والخلق يعفو عمن ظلمه لا يُذكر بمجلسه احد بسوء لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعلى حج ثلاث حجات انتشر صيته حتى كان اسمه مع اسم شيخه سيدي ابراهيم الرياحي علما وتقوى فيظن من لم يعرفهما انهما طبقة واحدة يتبرك به ويلتمس منه الدعاء اخترمته المنية في سن الكهولة في حجته الثالثة بعد ان حج بالمدينة المنورة فمرض اياما وتوفي يوم ١٢ الاحد من المحرم فاتح سنة ١٢٧٧ عن اربع وخمسين سنة ودفن بالبقيع قرب قبة الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعلى عنه بمقربة من قبر امامه ملك بن انس رحمه الله تعلى، وله محررات منها حاشية على النخبة للحافظ ابن حجر في علم المصطلح ورسالة في القصر واخرى في حكم البسملة في الصلاة المفروضة واخرى في مسالة قربان المرأة بعد طهرها وقبل الاغتسال ومختصر في علمي العروض والقوافي ومحاكمة بين العالمين الشيخ محمد بن سعيد محشي الاشموني والشيخ عمار الشريف القسنطيني في ضعف الاستدلال على عرضية العقل ومحاكمة اخرى في مسالة كلامية بين الشيخ حمودة بن عبد العزيز والشريف عمار المذكور اما فتاواه فكثيرة واختامه الحديثية قرة لاعين العلماء افردت ترجمته بتاليف مستقل وكان يقول شعرا غير كثير جيد السبك محكم النسج منه قوله متندما على قبوله خطة القضاء ويرجو الخلاص منها كفافا شان المتقين وضمن قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعلى عنه

فلو انني استقبلت من امري الذي ... لعمري قد استدبرت ما كنت قاضيا
ولكنها الاقدار تجري على الورى ... بارغام ذي كره ومن كان راضيا
ومن يلتمس غنما فغنمي تخلص ... وانجو كفافا لا علي ولا ليا

ومنه مقرظا نظم الاجرومية لبعض الناس المنتسبين في آل البيت النبوي وقد عرضه عليه مستجيزا

لفتح علوم الشرع يرقى بذا النظم ... ويدنو باذن الله للحفظ والفهم
حوى اصله الاسنى بعقد منضد ... بجيد جيود الجد في طلب العلم
الى مثل جلت وحسن وجازة ... يرق لها المعنى الى واضح الرسم

على انه املاء شيخ مؤيد ... شريف نصوح تابع اثر القوم
فطبتم أاهل البيت نفسا وسيرة ... ودمتم لدى العلياء في انفذ العزم
ونفسي فداكم مغليا ما اهمكم ... بانفس اخلاق الكرام اولي الحلم
يدور رضاكم بين خير فضيلة ... وفاضلة منها لنا ديمة تهمي
اعفاء خلقا عن سفاسف زخرف ... يرى عند اهليها بها اوفر السهم
يلوذ بكم خوفا محمد نيفر ... فيا رب امن خوفه زمن الختم

واستجازه الشيخ محمد الكافي من بيت الشيخ السنوسي الكافي في اقراء العلوم بجامع الزيتونة فكتب له بخطه

اجزت له الاقراء عونا على البر ... واوصيه بالاخلاص والجد في الامر
ولا يهملني من جميل دعائه ... واضرع للوهاب في الفتح والسر

الوزير ابو عبد الله محمد الاصرم باش كاتب

نشأ في بيت مجد، موروث لاب عن جد ، فطلب العلم بجد ، وسابق في تحصيله لغير حد ، على ما هو عليه من تسنم ذروة العلى ، وتقلد عقود العز بين الملا ، حتى تبين فضله ، ووضح للعيان نبله ، فاستكتبه الامير حمودة باشا فرغب عن ذلك واختار الاقبال على رياض المعارف ، والاعراض عن كل حظ عنها صارف ، فامتلا وطابه ، وتوفر من العلم نصابه ، فحصل على ملكة مرضية في العلوم العربية ، وضرب بسهم في العلوم الشرعية والرياضية ، وله في صناعة النثر والشعر ، باع يريك اللآلي في سلوك التبر ، قاله في صباه ، وأجاد فيه بما اتم علاه ، رام والده الوزير ابو عبد الله محمد الاصرم ان يختبر مقدار توقد قريحته في الادب فدس لصاحبه الاديب الاكتب الشيخ محمد قلاله القيرواني ان يختبره باستدرار در ادبه فكاتبه بابيات منها

يا من سمعنا له حرصا على الطلب ... وفكرة تعتني بالشعر والادب
وانه ينشىء النظم البديع على ... طريقة الفصحا الاولى من العرب
وليس ينكر فيه الفضل متسقا ... ولا صدور اللآلي منك بالعجب

وجدك الاصرم السامي له غرر ... في النظم والنثر حازت ارفع الرتب
فما ظلمت اذا ان جئت تشبهه ... وما سطا ولد قد حاز فضل اب

الى آخره فاجابه صاحب الترجمة بقوله

ان كنت تجهلني في اية الرتب ... سل الاهلة عن شعري وعن ادبي
تلق الذي خط في ارجاء صفحتها ... هذا الذي اصله من اشرف العرب
قحطان جدي وفي اخباره كتب ... لكن في الخمر معنى ليس في العنب
فالنظم من شيمي والدر من ديمي ... فليس يفضي بنا شيء الى تعب
كانما الشعر في طيي فانشره ... فينثني سابحا في لجة الطرب
وجيد الشعر في طبعي سلالته ... نطقت بالشعر حتى كاد ينطق بي
فانظر تجد صارما ادنى مراتبه ... مراتب الشمس ان بانت من الحجب
فان سألت فاعلاها على زحل ... واحلف حديثك محجوب عن الكذب
فالقول قولي لمن جادت قريحته ... شتان شتان بين الجد واللعب
فبعد قولي لا تركن لذي ادب ... في طلعة الشمس ما يغني عن الشهب
وكن عذيري فلولا بنت فكركم ... ما كان بيني وبين النظم من سبب
قد غادرتني كليما من تكلمها ... من حسن مبسمها الدري ذي الشنب
وخامرتني بخمر من بشاشتها ... كانما الخمر منهل من السحب
ودم فريدا بحفظ الله مشتملا ... ما لاح بدر الدجى في ارفع الرتب

ولما توفي والده عن رئاسة الكتاب قدمه الامير حسين باي كاهية لعمه ابي الثنا محمود المتسنم لرئاسة الكتاب عوض والد صاحب الترجمة وقدمه على من تقدمه من شيوخ الكتاب ولما توفي عمه المذكور قدم لرئاسة الكتاب ونال وجاهة وجاها خصوصا عند الامير احمد باشا ولما تبدل حال الدولة عما كان يعهده في زمن سلفه حينما طمح الامير احمد باشا لالباس امارة تونس الصغيرة لباس سلطنة واحداث القاب تناسب ذلك لرجال امارته ولزم لتفخيمها الاستكثار من الجباية حسب ما اقتضاه ذلك المظهر وعظمت المظالم وكان للامير بطانة يصغي لآرائها ويعمل بمشورتها تعاضده على افكاره وتشجعه على مقاصده ومن اخصها وزيره ابو النخبة مصطفى خزندار وكاتب سره ولسانه ابو العباس الشيخ احمد بن ابي الضياف فكان صاحب الترجمة يحذره

من الركون اليهما يقصد بذلك غاية النصح في نظره حتى يقال انه لما وعظه بقصيدته السينية الاتية وانشدها بين يديه وكان الوزير المذكور وكاتب السر حاضرين فلما بلغ الى قوله فيها (واحذر مكائد كل من صاحبته ❁ واعمل بما قد قيل في الخناس) اشار اليهما ومد بها صوته غير انه لما راى ان نصحه لم يؤثر في الامير لغلبة دواعي شهوة الاستقلال عليه وحبك الشيء يعمي ويصم انزوى في بيته ونفض يده من خدمة الدولة ولا يزال الامير مع ذلك يجله ويعظمه ولما ولي الامير محمد باشا عامله بمثل معاملة ابن عمه احمد باشا ثم ولي الامير محمد الصادق باشا فعامله كذلك الى ان توفي في ٢٠ شوال سنة ١٢٧٧ ومن شعره يمدح الامير احمد باشا

اثار كمين الشعر في كل خامد ... رحيق المعاني في كؤوس القصائد
يشعشعه كف البديع سلافة ... بريق بيان في ثغور الخرائد
كذائب تبر خلصته يد النهى ... فها هو سيال وليس بجامد
يخامر اشكال النفوس برقة ... ويسري سرى الارواح في كل خامد
ومن عاش منه صاحيا كان ضاحيا ... من الظرف عندي في جميع الموارد
له اللفظ كاس والبديع حبابه ... يشير به كف البيان لوارد
جزالته قد اشربت سحر بابل ... كنشوان في مهد البلاغة هاجد
ترشفت الاسماع منه لطائفا ... كرنات اوتار على نحر ناهد
والًا كما غنى الهزار موانسا ... على غصن قلب الواله المتواجد
والًا كما جاء الرسول مبشرا ... بقرب وصال من حبيب مباعد
والا كما فاه الرسول مداعبا ... بصوت رخيم في خلال التراود
والا كما قد سر قلب متيم ... برقة عتب من حبيب مساعد

وهي طويلة تزيد على مائة بيت غير انها مجال للنقد ولعله عاناها بعد ان قوّض خيام الشعر من فكره ومنه يعظ الامير احمد باشا وهي من واديها غير ان اصداعه بالنصح فيها غض طرف ناقديها

الصبر مفتاح لكل ايـاس ... فاصبر ولا تك للنصيحة ناسي
يا احمد الميمون في حركاته ... يا ابن الاكارم يا ابا العباس

العدل اس للدوام مصيره والظلم بنيان بغير اساس
والنفس تابى ان تضام جبلة فاكتل لها ماكلته للناس
والبيت لا يرسى بغير عماده فاجمع اذاً اوتاده بقياس
لا تصلح الدنيا ولا احوالها مالم تكن انت الطبيب الاسي
واحذر مكائد كل من صاحبته واعمل بما قد قيل في الخناس
اني سبرت الخلق طرا اصبحوا فوضى بلا كيل ولا مقياس
فاصمد الى ما قلته بمودة من خالص النصح الصميم الراسي
وارجع الى العقل الذي قد ميزت ابناؤه من سائر الاجناس
واطو التحابي وانشرن انصافه واحمل سياسته على القسطاس
واجر التجارب في ميادين الرضا واحس لهم ما انت منهم حاس
ولو اطلعت على جواهر نظمها قد سطرت في وجنة القرطاس
من عهد آدم ثم من من بعده لرايت نورا ساطع النبراس
كن هكذا في عز ملك آمن تعطي وتمنع آخذا ومواسي

ابو عبد الله الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام الرابع

ولد هذا الفاضل في جمادى الاولى سنة ١٢٢٠ ونشا بين يدي ابيه ، في بيت مجده النبيه ، واصطفاه جده الشيخ ابو عبد الله محمد بيرم الثاني وتلطف في العناية به حتى لقد كان يلقنه المسائل وهو مضطجع معه بفراشه ، وطلب العلم عن نحاريرعصره ، وجهابذة مصره ، فاحرز منها ما احرز ، وجلى فى ميادين العلوم وبرز ، واشاد صروح مجده ، زيادة على بناء ابيه وجده ، فتصدر للتدريس فنشر الدر ، واتى من التحرير والتحبير بما بهر ، ثم ولي الفتوى في حياة جده الثاني اقرارا لعينه على حداثة سنه فان الامير حسين باي لما عاد الشيخ الثاني في مرض وفاته اخبره لما اراد وداعه بانه اولى حفيده صاحب الترجمة الفتوى وبعد موته لبس شعارها فجلى في ميدانها وعد فيها من الراسخين ، وسابق اعلامها السابقين ، ولما توفي والده عن رئاسة الفتوى الحنفية وكان المترشح لها غيره ممن تقدمه في الفتوى اولاه الامير احمد باشا رئاسة

الفتوى الحنفية ونقابة السادة الاشراف عوض والده وتولى خطابة جامع صاحب الطابع ثم الجامع اليوسفي وهو اول من لقب بشيخ الاسلام في تونس فان هذا اللقب لم يكن حتى فخم الامير احمد باشا الالقاب بايالته الصغيرة يحاكي السلطنة العثمانية فاستدعى يوما صاحب الترجمة والبسه كركا سمورا ولقبه بشيخ الاسلام وقد حدثني الثقات ممن دخل الاستانة ومصر وغيرهما من امهات البلاد الاسلامية انهم يسخرون من ذلك وحق لهم فان وضع هذا اللقب لوحيد في دار الخلافة الاسلامية لرعايته الدينية من يحويه في الشرق والغرب ظلها فانى لتونس ذات المليون ونصف من السكان ذلك ولله في خلقه شئون . وكان الامير يقربه ويستشيره في المهام ويصله باسنى العطايا ولما ولي الامير محمد باشا وكان صاحب الترجمة صهره قد تزوج الامير اخته قربه وجعل امر الخطط الدينية اليه فلا يتولى احد منها شيئا الا بانتخابه فكان يؤثر عنه الانصاف فتاتي المستحقين اوامر الخطط من غير علم منهم . يحب اجراء العوائد على سننها فكان يلزم الشهود والمدرسين بملازمة زيهم الخاص باهل العلم والعدالة ويشتد مع المتساهل في ذلك . وكان خليقا بالرئاسة كامل المروءة وقورا مهيبا ذا همة عالية ونفس ابية لا يشق غباره في الشعر والنثر حتى كان الامير محمد باشا ربما التجأ الى ادبه الرائق عند المهام ولما ورد مكتوب السلطنة الفاسية على الامير المذكور في غرض التهنئة بالامارة احجم فارس ميدان الكتابة الشيخ احمد بن ابي الضياف عن الجواب عنه واشار على الامير ان يكل الجواب عنه الى صاحب الترجمة فاجاب عنه نثرا وشعرا بما هو واسطة قلادة الادب . والامر في ترتيب الديوان الشرعي من انشائه وغير ذلك من الاغراض ومن تآليفه تراجم خطباء الحنفية وكتاب سماه الجواهر السنية في شعر المتاخرين ورسالة شرح فيها قواعد عهد الامان ومحررات فقهية في مسائل مهمة وله كنانيش كثيرة مشحونة بالفوائد والادب وما زال يرفل في علاه . ويتجمل من فضله بحلاه . الى ان توفي في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ ومن شعره يهنئ الامير محمد باشا بولاية الامارة

وهب الاله لك المحاسن كلها ... وحباك من رتب الكمال اجلها

ابداك في افق الجلالة نيرا ... في هاته الخضراء تنشر عدلها

واراك طرق الحق بادية السنا وهداك للتقوى ومهد سبلها
وكساك من حسن الثناء ملابسا ترضى الملوك بان تحوز اقلها
وامال نحوك للخلائق انفسا فغدوت منها اذ تؤمل سؤلها
ومنحت رفقا بالخليقة ضافيا وسع الايالة كلها فاظلها
وتشرفت بك خطة اوليتها ما كنت الّا اهلها ومحلها
وافتك ملقية القياد وحق اذ تخذتك خدنا ان نعظم نزلها
وكسا رقاب الخلق منك قلادة ابدى محاسنها وابدع شكلها
واحلك الدست الحري بنيله وبك الولاية زانها واجلها
واجال رايك في الايالة منصفا ترعى مصالحها وتجمع شملها
وتميط عن ارجائها ما آدها حملا ويذهب حسن رايك محلها
لله سر في ولايتك التي ما ابصر الرائون قدما مثلها
لم تختلف فيها العقول وشانها نصب الخلاف كما تقدم قبلها
فانساب افواج لبيعتك التي كل يسارع كي يؤسس اصلها
يقتادهم طوع القلوب محرض والذات طبق القلب تعمل رجلها
وتبادروا فيها السباق وانما قصد المسارع ان يمسك حبلها
فاريتهم عنوان فضل دلهم ان سوف يعقب وبل كفك طلها
فرجتك افئدة لضيق صدورها جزما بانك سوف ترفع كلها
قد مدت الاعناق تامل صيبا وترقبت منك الفواضل كلها
علما بانك واحد في فضله ان لم تكن للمكرمات فمن لها
ورجت بك الانجاز فيما ترتجي اذ ابدت الايام قبلك مطلها
ما ساقها فيما ترجي سائق يهدي ولكن طيب صيتك دلها
ولتغتنم من ألسن مهما انبرت في موطن كان الدعا لك شغلها

ومن بدائعه الادبية تشطيره لقصيدة ابن بحر صفوان ونصه

(يا حسنه والحسن بعض صفاته) والشمس لم تبلغ الى درجاته
سلب العقول تراه طوع يمينه (والسحر مقصور على حركاته)

(بدر لو ان البدر قيل له اقترح) قال اكتسابي من سنا مشكاته
او قيل زد مما تمنى نيله (املا لقال الكون من هالاته)
(عبثت بقلب محبه لحظاته) فهي التي يخشاه من سطواته
ولقد اقول متى أصبت بنبلها (يا رب لا تعتب على لحظاته)
(ركب المآثم في انتهاب نفوسنا) وجرى بذا سبقا الى غاياته
والصفح مبذول اليه وان جنى (فالله يجعلهن من حسناته)
(يعطي ارتياح الحسن غصنا املدا) اكرم بمعط تلك بعض هباته
شاهدته فرايت غصنا ناعما (حمل الصباح فكان من زهراته)
(والخال ينقط في صحيفة خده) متوخيا اتقان مرسوماته
ولذا اجاد الصنع في اعجامه (واخط حبر الصدغ من نوناته)
(واذا هلال الافق قابل خده) وبدا قران السعد في ميقاته
واردت تعيين المفضل منهما (ابصرته كالشكل في مرآته)
(مازلت اخطب للزمان وصاله) واقل عبأ المطل من سنواته
واجيد نسج السعد في استعطافه (حتى دنا والبعد من عاداته)
(فغفرت ذنب الدهر فيه لليلة) فاقت سنين الصب طول حياته
والدهر كم قد زل لكن هذه (سترت على ما كان من زلاته)
(غفل الزمان فنلت منها بدره) وانضم فيه الشمل بعد شتاته
ليت الزمان مساعف بالوصل او (يا ليته لو دام في غفلاته)
(ضاجعته والليل يذكي تحته) لهبا يعوق الجسم عن راحاته
لم استطع منه الوقاية وهو من (نارين من نفسي ومن وجناته)
(بتنا نشعشع والعفاف نديمنا) ما تقصر الصهباء عن نشواته
انى لها ببلوغ ما نسقاه من (خمرين من غزلي ومن كلماته)
(وضممته ضم البخيل لماله) او ضم ظام نال ماء نجاته
او ضم ام طفلها فاذا انا (احنو عليه من جميع جهاته)
(او ثقته في ساعدي لانه) لا يؤمن المعهود من فلتاته

والحزم قاض لي بـذاك فانه (ظبي خشيت عليه من نفراته)
(والقلب يدعوان يصير ساعدا) ليرى وساد جبينه من ذاته
او ان يكون اديم صدر باديا (ليفوز بالآمال من ضماته)
(حتى اذا هم الكرى بجفونه) وبدا الفتور المحض في نظراته
وسرت حميا النوم في اعطافه (وامتد في عضدي طوع سناته)
(عزم الغرام علي في تقبيله) فعددت ذلك من عظيم هناته
واعاد عزمته فعدت ممانعا (فنفضت ايدي الطوع من عزماته)
(وابى عفافي ان يقبل ثغره) واحتل منه محل بعض حماته
نظري بجنة وجنتيه منعم (والقلب مطوي على جمراته)
(فاعجب لملتهب الجوانح غلة) كادت تحوم حول سلب حياته
بات الغرام حليفه وفؤاده (يشكو الظما والماء في لهواته)

الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن حميدة بيرم

نشأ هذا الفاضل في بيت مجد سامي الذرى مقبلا على طلب العلم باجتهاد، حتى سبق في حلبة التحصيل الانداد، بفكر وقاد، يحذو طريق النحارير النقاد، تصدر للتدريس فافاد، ثم ولي التدريس بالجامع الاعظم، وسلك في الشيم والنزاهة مسلك سلفه الاقوم، لما احدثت المجالس وانتظم مجلس الشورى سنة ١٢٧٩ من اعيان البيوتات وقع الاختيار عليه من بيتهم البيرمي ولولا ما اصابه من الامراض، لبلغ الى اقصى الاغراض، فقطفته يد المنية في سن الكهولة وكان فقيها مبرزا في كثير من العلوم شاعرا بليغا توفي في ذي الحجة سنة ١٢٨٠ ومن شعره يقرض القصيدة البائية الغراء للوزير الاكبر ابي عبد الله محمد العزيز بوعتور التي مدح بها جدي ابا عبد الله سيدي محمد النيفر لما ختم عليه المطول للسعد وكان صاحب الترجمة رفيقه في قراءة هذا الكتاب ولصاحب الترجمة تهنئة في الختم المشار اليه لم تحضرني الآن ونص التقريض

أبدر الدجى قد لاح جنح الغياهب ام البرق يبدو من خلال السحائب

ام الروض اضحى بالغصون منظما لعقد لآل في نحور كواعب
ام السحر ابدى من بدائع نفثه فنونا زرت آياتها بالهواذب
ام الروضة الغناء بل بكر فكر من حوى من مراقي الفضل اسنى المراتب
عزيزة حسن للعزيز قد انتمت فكانت لعمر الله احدى العجائب
كشمس كبدر كالحياء وكالضحى كصبح كبرق كالسنا كالثواقب
لقد ملأ الاقطار باهر فضلها وسارت بها الركبان من كل جانب
ولا غرو ان كانت كريمة اصلها فان لمنشيها كرام المناقب
لعمري هو الفرد الذي اصبحت به تفاخر ارض الشرق ارض المغارب
فحسبي ان ادعو بكل العلى له ونيل الذي يرجو وحسن العواقب

ولعمري ان البيتين الاخيرين كرامة لصاحب الترجمة جلية اذ قوله ذلك في زمن شبيبتهما وطلبهما للعلم فصدق الله قوله واستجاب دعوته والمؤمن ينظر بنور الله فاتقوا فراسته فالممدوح الآن هو كما قال ودعا له (انظر تهنئته بالختم المذكور في ترجمة الوزير الشيخ العزيز بو عتور)

ابو عبد الله الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور

وفد سلفه من المغرب الاقصى من بلد سلا وهم من بيت مجد وشرف . ورثه الخلف عن السلف . فولد هذا الفاضل في مهد ذلك الفخار فطلب العلم عن شيوخ مصره الاعلام . واقبل عليه اقبال شغف وغرام . فعظم محصوله . وتوفرت لديه فروع العلم واصوله . واشتهر بالذكاء . اشتهار ذكاء . واصبح بحره متدفقا لا تنزحه من مستفيديه الركاء . فتصدر للافادة . واجرى في حلبة التحقيق والتحرير جياده . فكتب حاشية على شرح قطر الندى لمؤلفه بديعة المنزع . عذبة المشرع . واختصر شرح شيخ الاسلام ابن مرزوق على البردة وابتدأ في تقارير على كل من حاشية العلامة الصبان على شرح الاشموني على الخلاصة وحاشية العلامة عبد الحكيم على المطول واخرى على المحلي على جمع الجوامع وثلاثتها لم تتم ولي قضاء الجماعة في ٢٥ رجب سنة ١٢٦٧ فباشرها بساعد قوي . وتمرس بها تمرس احوذي . ثم نقله الامير محمد الصادق باشا الى خطة الفتوى لما توفي جدي ابو عبد الله محمد النيفر سنة

١٢٧٧ واولاه نقابة السادة الاشراف بعد وفاة ابي عبد الله الشيخ محمد بيرم الرابع وكان للامير المذكور محبة فيه خاصة انعقدت اواصرها قديما بينهما بواسطة صهر الامير الماجد علاله العروسي وكان لصاحب الترجمة نفس ابية . وفصاحة سحبانيه . له اليد البيضاء في سائر العلوم . وكان له ختم بمدرسة حوانيت عاشور في ٢٣ رمضان يتسابق العلماء لتشنيف اسماعه باقراطه . وما يبدي فيه من تحقيق مناطه . وله شعر رائق . ونثر فائق . وما زال في مكانته السامية وحظوته النامية . الى ان توفي في ذي الحجة سنة ١٢٨٤ ومن نثره ما خاطب به بعض اخوانه حاثا على طلب العلم وترك التكاسل ننقله برمته لفائدته ونصه . هذا توقيع شريف . وظهير شامخ منيف . نبعت عذوبته من رسيس القريحة . واسست ارومته على صميم النصيحة . ابرزناه مطبيا للمم بعد عن الاندمال كلمه . وكاد ان يتسع على الراقع خرقه وثلمه . عسى ان يكون وسيلة الى السداد . وحسما لمادة الفساد . اما بعد فلولا ان السلام من تحية الاسلام . لما كان لتحيتي بساحتك مستقر ومقام . وحينئذ تسمع ما لا تجد لانكاره من سبيل . تهدى بموجبه ان صادفك التوفيق باوضح دليل . وليرتسم اولا بخزانة خيالك اني لم اركب فيما اقول مطية اعتساف . ولا حدت فيما سيقرع سمعك عن طريق انصاف . مقدما للعفو امام الدليل . متجافيا عن شيم اللئام كما قيل

ان الوفاء على الكرام فريضة ... واللؤم مقرون بذي الاخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفا ... وترى اللئيم مجانب الانصاف

وها هو خطيب اليراع قد قام مفصحا على منابر السطور . مترجما عن ملك زمام النفس المتحجب بغرف الصدور . ضاربا بسيف البيان . هادرا بشقشقة بزل معد وقحطان . فلتكن له منك اذن واعية . ونفس لما يوجب تزكيتها ساعية . فاقول قد قرانا يا اخا العرب في غير ما كتاب من كتب الاثار . متصلا سنده بخيار خيار الخيار . ما رواه ابو رقية تميم بن اوس الداري ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم اه وقد قال علماء الدين نصح العامة ارشادهم الى ما يصلح دنياهم واخراهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم وان يحب المرء لهم ما يحب لنفسه الى غير

ذلك مما لا يعزب عن علمك وان شئت الاطلاع على نزر منه فاعد نظرا في معاملتي لك فانها على زعمي ولا اظن خلافه على وفق النصيحة ومن لازمها ان لا احب لك ان تعاملني بسواها وقد تكاثر من سوء فعالك . ما ستر جميل خصالك . اما علمت ان ثمرة العقول الراجحة . الاخلاق الصالحة . فما لي اراك نبذت تلك الصفة وراء ظهرك . مكذبا لحسن خَبرك بقبح خُبرك . تجازي الحسنة بالاساءة . وتجيب داعي المروءة بالاباية . تسارع الى ما يجب عن مثله القعود . وتتقاعد عما يرقيك في درج الصعود . ترى اقرانك جاهدين فتسول لك نفسك ان الراحة احق . فتميل الى ما سهل امره وتترك ما شق . اما قرع سمعك ان الكد سلم المعالي . ومن لم يعان تيار البحر ايس من اللئالي . وقل لي عافاك الله تعلى ماذا تفعل اذا تجوهر تربك بعلمه . ونشر في المجالس حلية فهمه . واستقدح من قريحته زندا وريا . وافاد من خزانة فكره اثاثا وريا . أتجد لنفسك من تلك الفضيحة ملاذا . ام تقول يا ليتني مت قبل هذا . فشمر ايها الانسان عن ساعد الجد . واركب مطية الكد . ولا يهولنك معاناة النصب . فان حلاوة الظفر تذهب بمرارة التعب . ولا ارضى التواني عن فضيلة صرح بها الكتاب . قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب . والسلام اه ومن شعره يهني اخاه العلامة ابا عبد الله محمد بختم الاشموني على الالفية في ١٩ رجب سنة ١٢٥٥

هو العلم ضاءت من سناه المحافل ... وشاعت له بين الانام فضائل
مزايا تجلت بالمحاسن والبها ... تقاعد عن ادراكهن المحاول
رقى لسماء القوم حتى غدوا بها ... بدورا ضياهم للبرية شامل
مشارقهم تهدي السراة الى المنى ... اذا عاقهم ليل من الجهل سادل
كرام راوا في المجد انمى تجارة ... فكل الى سمت المفاخر مائل
ولا غرو ان سادوا البرايا فانما ... تروم العلى من كان فيها يحاول
ومن يخطب الحسناء نال وصالها ... وبالجد تسبى الطيبات الحوافل
كجد الذي لاحت منارة سعده ... فقامت له بالرحب تلك الشمائل
امام دعا ركب النجابة فاثنى ... اليه وجاءت بالكمال المحامل

هو البحر الا ان لامع دره ... غدا وله نظم من المثل عاطل
اذا قام للاقراء فاسمع جواهرا ... على حسنها قامت لدينا دلائل
لئالي عذارى صاغها عزم فكره ... نعم هن بالمعنى المحرر حامل
معان تحاكي رقة عاطر الصبا ... لها في قلوب العارفين منازل
يصول بميدان البلاغة ذهنه ... فتبدو له من خدرهن المسائل
وامّا نحا للنحو تسهيل صعبه ... صفت لنا بالتوضيح منه المناهل
ويعرف بالتصريح حال مسالك ... لمنهجها تسدي الوفود القوافل
يقول لسان الحال فيه محدثا ... بمنٍّ جليل فضله متواصل
واني وان كنت الاخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الاوائل
امولاي من فاق الانام بفضله ... ومن هو بحر لم تحطه السواحل
ومن صيته قد شاع بين ذوي النهى ... وكل الورى في فوزه اليوم قائل
تهن فهذا الدهر انجز وعده ... وساعدك الاقبال والسعد قابل
وحان المنى لما دنا الختم بالرضا ... ختام به تاج السعادة حافل
اقامت به الافراح وارتحل العنا ... وبدر الهنا في افقنا اليوم نازل
جزاك الذي اولاك اعظم منة ... جزاء باحسان وبشر يواصل
ودمت بعز للمؤمل ملجأ ... وطالعك الاسمى منير وكامل

ومن شعره مادحا الشيخ ابا عبد الله محمد بن سلامه في ختم الشفا سنة ١٢٦٢ انشدها بمحضر الامير احمد باشا وقد ختمها بمدح الامير المذكور

لك الله من برق بدا متبسما ... تألق ما بين المنازل والحمى
اضاء لطرفي بالعقيق معاهدا ... فهيج اشواق الفؤاد وتيما
فديناك هل من ماء رامة رشفة ... تعاني بها القلب الجريح من الظما
وهل تحسن الاخبار عن عرب النقى ... فشنف بسمعي وان كنت اعجما
هم خيموا بالرقمتين ووجدهم ... على البعد ما بين الترائب خيما
عذولي دعني والتصابي والنوى ... فما نفع التذكار سمعا مصمما
ايرجى سلوي بعدما عاهدت يدي ... اهيل ودادي عهد صدق محكما

ومن شيمي حفظ العهود وصدقها ... وما كل عهد بالوفاء متمما
مكارم اخلاق سقيت لبانها ... من المنبع الفياض اكرم منتمى
من الماجد الاسمى الامام الذي علت ... له همة فوق السماء وان سما
جليل كسا ركن الجلالة مفخرا ... واوضح من معنى السيادة مبهما
هو الحبر والعلامة الفرد من غدت ... مآثره في غرة الدهر انجما
هو البحر لكن ساغ عذب زلاله ... هو البدر ان ليل الجهالة اظلما
امام محا ليل الضلالة هديه ... واحيى سبيلا للهداية قيما
اذا ثار نقع للخلاف واشكلت ... مسالكه كان الرئيس المحكما
وان حمت يوما نحو ساحل درسه ... رأيت من الياقوت عقدا منظما
جواهر تبدو كالزواهر في الدجى ... لقد ابدع النظام فيها واحكما
وكم من مزايا دون معشار عدها ... تخرس منطيق الثناء وافحما
ولا سيما هذا الختام الذي غدا ... على فخره سعد السعود مترجما
ختام به كان الشفاء من الهوى ... وحازت به الخضراء مجدا معظما
محا غيهب الافكار طالع نوره ... واضحى به العرفان عضبا مقوما
تباشرت الارجاء منه واشرقت ... وغنى به طير الفلاح ورنما
وكم رام قطب الجو تهنئة له ... ولكن رأى ما قد رآه فاحجما

ولعمري ان عداد هذه الابيات السالفة في عقود اعذب الشعر ثم تخلص لمدح الامير فقال

رأى طلعة الباشا المشير تحفها ... سرادق عز ما اجل وافخما
مليك يقاد النصر طوعا لعزمه ... وان عدت الاقيال كان المقدما
تصدى لحفظ الدين بالحزم والنهى ... فشيد اركانا واوضح معلما
واحيى رسوم العلم بعد اندراسها ... وجيش في قهر العداة عرمرما
بكل كمي جوهر الروع سيفه ... ترى به في يوم الوقيعة ضيغما
فارهب اعداء الاله بصولة ... لو انبسطت لم تبق في الارض مجرما
سرى صيته في الخافقين فلن ترى ... لهيبته الا مطيعا مسلما
ومن كان في نصر الشريعة حزمه ... حري بان يحمى حماه ويعظما

تهنى ملاذ العصر بالمفخر الذي ... ملأت به الافاق بشرى وانعما
يهنى به الاسلام والعلم والهدى ... ودهر زها من نشره وتبسما
وما هذه اولى اياد منحتها ... تسر الليالي منة وتكرما
اياد يغار الغيث من نفحاتها ... ولا غرو ان كانت اعز واعظما
كفى بك ذخرا المريد وملجأ ... وحسبك ان والى علاك ويمما

الشيخ ابو الثنا محمود بن علي قابادو الشريف

اصل سلفه من مدينة صفاقس ثم سكنوا تونس ولد صاحب الترجمة بها ونشأ في طلب العلم فاخذه عن جهابذة عصره وكان له ذكاء مفرط وقريحة وقادة فحصل على حظ وافر من العلوم ثم تصدر للاقراء وله ولوع بعلوم اللغة والبلاغة والشعر والانشاء وباع مديد في علم التصوف غلب عليه التوغل في كتب القوم وبالاخص كتب الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي الاندلسي حتى افضى به الحال الى التجرد وربما مشى في الاسواق بتونس حافيا مكشوف الراس رافعا صوته بالتهليل هضما لنفسه بمخالفة عادة ذوي الهيئات وهجر وطنه سائحا فدخل طرابلس واجتمع بالشيخ المربي السيد محمد مدني شيخ الطريقة المدنية واخذ عنه طريقه ودخل الاستانة وقطن بها سنين ورجع الى السلوك فكان يغشى عظمائها ويخالط علمائها كشيخ الاسلام عارف بك ولما ورد الوزير ابو العباس احمد بن ابي الضياف على الاستانة من طرف الامير احمد باشا في مهمة لقيه صاحب الترجمة فحرضه على مراجعة وطنه ووعده بالمساعدة لدى اميره فرجع الى تونس في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٥٧ وولي مدرسا بمكتب الحرب بباردو ثم مدرسا بجامع الزيتونة وقضاء باردو ثم الفتوى على المذهب المالكي في ٩ شعبان سنة ١٢٨٥ ومشيخة مدرسة التربة الكبرى وكان غرا كريما مرجعا لكثير من علماء جامع الزيتونة فيما يشكل عليهم من العلوم على اختلافها فيزيح الاشكال وكان شيخنا العلامة ابو النخبة مصطفى رضوان يراجعه في المسائل الحسابية العويصة في فني الجبر والمقابلة وراجعه في حل اشكال اقليدس وكان الشيخ العلامة ابو حفص عمر ابن الشيخ على تضلعه في علم الميزان يراجعه فيه وغيرهم ومجلسه منتدى الفضلاء وله تبحر في علوم

القوم فاذا افاض فيها ابدى العجب العجاب ومحاضرات لا يستطيع مجالسه ان يجاريه اما الشعر فهو شاعر عصره غير مدافع له القصائد البديعة السائرة مشحونة بالحكم والاغراض النافعة يرتجل ما يبهر ويحسن موقعه نقل بعض احبابه يوما بمجلسه ما حكاه الواحدي في شرحه لديوان ابي الطيب المتنبي عند قوله

رايتك في الذين ارى ملوكا كانك مستقيم في محال
فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

من انتقاد بعض مزاحمي ابي الطيب بمجلس سيف الدولة في مقابلته الاستقامة بالمحال ومقابلها الاعوجاج وحمل ابو الطيب على ذلك تأدية المعنى العجيب الذي صار مثلا في قوله (فان المسك بعض دم الغزال) مراعاة للقافية ثم ما اصلح به المنتقد البيتين ان لو كانت القافية جيمية بقوله

رايتك في الذين ارى ملوكا كانك مستقيم في اعوجاج
فان تفق الانام وانت منهم فان البيض بعض دم الدجاج

وقول ابي الطيب للمنتقد ان سوق الملوك لا يباع فيها البيض فانقطع المنتقد وعد في الاجوبة المسكتة فقال صاحب الترجمة بديهة لو كنت انا لاصلحت البيت الثاني بقولي

فان تفق الانام وانت منهم فان الدر من ماء اجاج

واقول ان صح ما ينقل من ان الصدف تطفو في شهر نيسان وتفتح افواهها لتلقي ما ينزل من ماء مطره فما يقع في بطونها منه ينعقد درا لم يصح اصلاح صاحب الترجمة اذ الدر حينئذ من ماء عذب لم يخالط ماء البحر الّا ان يكون بالنظر الى الصدف المتكون به

وكان واعد المشارك الفقيه الشيخ عثمان الماطري صاحب الترجمة ثم لم يف فانشده ارتجالا

انما وعدك يا ماطري كراقم يوما على ماطري

وكان اطلعه بعض الادباء على تقريض له لقصيدة الشيخ ابي عبد الله محمد بيرم شيخ الاسلام الرابع في الامير محمد باشا التي مطلعها (جمع الاله لك المحاسن كلها) فلم يستحسنه وقال هلا قلت

عهدي بها في الخدر تخفي دلها فعلى البروز لفتنتي من دلها

في جملة ابيات من هذا الطرز البديع ارتجالا الى غير ذلك مما يطول تتبعه وله في التاريخ بحساب الجمل براعة لا تعرف لسواه من حيث انسجامها مع القصيد ويقال انه له قاعدة في ذلك اخترعها يستخرج بها التاريخ بسهولة وانسجام ويكفي شاهدا على ذلك قصيدة دالية هنأ بها السلطان عبد المجيد بانتصاره على الروسيا فان جميع ابياتها بمهملها ومعجمها وصدورها واعجازها يستخرج منها تواريخ لعام الانتصار بحيث يتحصل منها الالاف حتى جعل لها جدولا في كيفية استخراجها وله اطلاع واسع على اللغة العربية حتى كاد ان يحيط بها حفظا وله شعر كثير جمع تلميذه المرحوم الاديب الشيخ محمد السنوسي جملة منه فكان ديوانا ضخما واكثر شعره تلاشى حيث لم يكن متحفظا عليه توفي في ٣ رجب سنة ١٢٨٨ عن تسع وخمسين سنة ودفن بالجلاز ومن شعره مصدرا ومشطرا

قيل لي انت احسن الناس شعرا سبك لفظ وصوغ معنى نزيه
كم عقود قلدتها لجيود في فنون من المديح النبيه
(لك من جيد القريض مديح) ليس يعرى من مفخر مكتسبه
تارة يسحر العقول وطورا (يثمر الدر في يدي مجتنيه)
(فعلى م تركن مدح ابن موسى) وهو اولى باعظم التنويه
او لم تستبن كمال علاه (والخصال التي تجمعن فيه)
(قلت لا استطيع مدح امام) طهر الوحي بيته وذويه
ماعسى ان يقال في مدح من قد (كان جبريل خادما لابيه)

ومن شعره قصيدته الميمية في مدح المثابة النبوية وصرف طرفيها لمدح آل البيت الكرام لم ينسج على منوالها ذيلها بعقد من النثر فائق الدرر ومطلعها

يا آل بيت له العلياء والعظم ومنه للامة الالاء والعصم
جوامع الحمد لم تفرع منابرها الا مكارم يعزى فخرها لكم

وقصيدته الميمية التي هنأ بها الوزير مصطفى خزندار بايباب ابنه الاكبر من اوربا بعد ان طلب في مدارسها العلوم العصرية روضة غناء بها من الحكم

والتربيات . ما ينهض النفوس الابيات . مع رونق البلاغة وبديع الفصاحة ما فيه قرة لاعين الادباء . وتاييد لنفوس الحكماء . وبفحصها يتبين فضلها كغيرها من قصائده التي هي كالحلقة المفرغة

كاتب السر الوزير ابو العباس احمد ابن الحاج بالضياف

ولد هذا الفاضل بتونس سنة ١٢١٩ ووالده هو الذي قدم من اولاد عون الى تونس فنشا صاحب الترجمة بين يديه فصرف وجهته الى العلم ودأب على تحصيله عن نحاريره وكان له ذهن وقاد . ونفس ابية الى المعالي تنقاد . فحصل على باع مديد . وبصر في العلوم حديد . لا سيما علم الادب فقد كان ابن خطيب زمانه يقال انه يحفظ الريحانة لابن الخطيب السلماني ولولا استيثار الامراء الحسينيين به واشتغاله بالكتابة عنهم لكان لآثاره العلمية شان . يفتخر به الزمان . فاولاه الامير حسين ابن الامير محمود باي خطة الكتابة وضمه لصاحب الطابع شاكير فحمدت خصاله . وعملت في تنفيذه تدابيره نصاله . وهو اول من هذب اساليب الكتب في الدولة الحسينية والمسطرات التي يكتبها كتابه الان ماكان اسسه لهم جروا عليه واول من كتب بالقلم العربي للدولة العلية العثمانية ولما ولي الامير احمد باشا عرف مكانه . فاعلى شانه . وكان يتعجب كيف استقامت لمن قبله دولة ولم يكن فيها مثله ووجهه في المهام للاستانة فحمد اثره وكان ممن صحبه في سفرته الى فرانسا وباطلاعه على مبادي الانصاف والعدل التي تشبثت به الامة الافرنجية المعبر عنه بالحرية قايسها بالقواعد التامة التي اسستها الشريعة الاسلامية لذلك فالفاها المتكفلة بسعادة الدارين وان تنكبها انما كان باستبداد ملوك الاسلام وضغطهم على الرعية ودؤبهم على ذلك حتى استعبدوهم فضعف الامر وظهر الفساد في البر والبحر حيث خلفت سيطرة الشريعة سيطرة الاستبداد الذي لا يقود الا الى الخراب وليس طريقا للتفصي عنه غير الضرب على ايدي الامراء في معاملة الرعية الا بما تقتضيه الشريعة في نفوسهم واعراضهم واموالهم وانسابهم واديانهم فكان صاحب الترجمة يوميء للامير وان ساعده في سلوك طريق الاستبداد التي كان عليها وهي فيه متاثلة بان التقيد بقيود الشريعة هو الدواء الناجع في اصلاح العباد والبلاد وبقي ذلك في خياله الى ان وجد من يعضده عليه فصرح بامياله حسبما

افاض في ذلك في الباب السادس من تاريخه وكان القائم باعباء تاليف القانون الناشي عن عهد الامان يناضل عن فصوله . ويقنع الخاصة على تسليم اصوله . حتى سلقته الالسن . ووسمته على براءته بما لا يحسن . ولقد كان في تاليفه . ومدة معاناة تفويفه . يبيت ساهرا . ويصبحه باكرا . فباسط اللسن اللبيب حميده مازيغ وكان يبيت معه بكثرة نومه وطول استغراقه فيه مع ان صاحب الترجمة لم ينم الا يسيرا فاجابه بديهة حق لمن يضع دينا جديدا ان لا ينام الليل فاحتملها ضاحكا وكان الاميران احمد باشا وابن عمه محمد باشا يودان ولايته باش كاتب فلم يتسن ذلك لهما فلما ولي الامير محمد الصادق باشا وقد غلب على هـواه الوزير مصطفى خزنـدار فقلب لصاحب الترجمة ظهر المجن فلما توفي ابو عبد الله محمد الاصرم باش كاتب لم يشـك احد ان صاحب الترجمة هو المتسنم ذروتها واذا بالامير اولى الوزير ابا عبد الله محمد العزيز بوعتور باش كاتب ثم بلغ الوزير مصطفى ان صاحب الترجمة قال في سمره ان خطة باش كاتب وباش مفتي تقدم الدولة اليهما من شاءت ولا تراعي الاسبقية فيمن تنيطها به اما كاهية باش كاتب فاني بلغتها بنفسي اذ لم يبق من هو اسبق مني في الكتاب فسعى عند الامير حتى اصدر للشيخ محمود بوخريص منشورا في ولايته كاهية باش كاتب وسمعت من يقول ان ذلك من عجائب القدر في المقاصصة الدنياوية عن نـازلة باش مفتي المـالكية بناء على صحة انه هو الساعي في ذلك ويغلب على ظني براءته ثم لازم بيته وتفرغ لتاليف تاريخه المفيد ونفث فيه نفثة مصدور فلما ولي الوزير خير الدين وزيرا مباشرا سعى له مع الامير في مرتب عمري رعيا لما له من سوالف الخدم فاجـري له الى ان توفي في ١٧ شعبان سنة ١٢٩١ وكان متفننا فاضلا فصيحا لطيف المحاضرة حسن الاخلاق بعيد الهمة زكي النفس كاتبا بليغا شاعرا مطبوعا ومن شعره يمـدح تونس ويتشوق اليها وهو بالاستانة معارضا لقصيدة الكاتب الفاضل ابي عبد الله محمد الورغي

نسيم تونس حياني ويحييـني ... والطيب منه اذا ما تهت يهديني

لاغرو ان تـاه قلبي في محبتها ... فاصل نشأته من ذلك الطين

اذ وجهتني لارض لا تلائمني ... وحبذا امرها يزكو ويرضيني

قاسى فؤادي اهوالا يذوب بها ... اعوذ بالله من همز الشياطين

بالله يا نسمة ان جئت تونس قف ... وانشر سلاما لها من قلب محزون
واستمنح النور من طود المنارة اذ ... يبدو لمنظرك الباجي على حين
ترى مراسي حلق الوادي زينها ... شوامخ السفن كالطير الميامين
فانظر مدافعه واعرف عساكره ... في البر والبحر حازوا خير تمكين
ونزه العين في تلك البقاع وطف ... على الحصون ومأوى عسكر الدين
واسرع الى قشلة القنديل ان بها ... سمط المدافع في زي الثعابين
طوابر الاسد في آجامها ربضوا ... ان فاه آمرهم لبوه في الحين
زادوا لاقدامهم ترتيب حربهم ... واتقنوا نظمها من غير تخمين
ان الحنايا كنوع من وقوفهم ... لا مثل نخل بمحني العراجين
قادوا الصواعق في سهل وفي جبل ... طاروا باثقالها مثل الشواهين
واستنطقوها اذا حنوا لنغمتها ... اصواتها عندهم رجع التلاحين
وسرح الطرف في قصر الامارة من ... ارجائها اذ بدا في كل تلوين
مرصع بنظام فاق نظمهم ... سلك الجواهر في تلك الاساطين
غيل الملوك ومأوى كل ذي شرف ... بقاعه شرحت اهل الدواوين
ديوان كتابها ديوان حسابها ... ديوان قوادها اهل القوانين
وغيرهم من جموع طاب نشرهم ... طيب الرياض بانوار الرياحين
قاموا بخدمة مولاهم وطاعته ... فلن ترى خطوة في غير ماذون
مدار عصبتهم مامور سيدهم ... فيما يصرف من صعب ومن لين
واعطف الى قشلة الفرسان تبصرها ... تلفعت وتردت بالبساتين
عقبانها من ظهور الخيل قد ثبتوا ... مثل الجذور تلقت من افانين
تطير للناس في الهيجا جيادهم ... فاعجب من البحر تجري بالموازين
واستخضر العيش بالخضرا وساكنها ... واسعد باتيانها من باب سعدون
اصل العلوم ومأوى الصالحين بها ... ومركز الدين من فرض ومسنون
انس الغريب بها ينسى مواطنه ... وموضع اليسر من عيش المساكين
ومتع النفس من مرأى محاسنها ... وانظر مآثر من شم العرانين

واعبر الى القشلة الكبرى وعسكرها ... وانظم من الدر في نسق الاساطين

غاضوا مُحاربهم عزوا مَحاربهم ... زانوا بصولتهم تلك الميادين

وادخل مساجدها واذكر محامدها ... وصف معادنها وصف المجانين

والجامع الاعظم اجمع من فرائده ... ما يقتضي لنحور الخرد العين

قد زانه احمد ذاك المشير ومن ... به الايالة في عز وتمكين

كتائب الكتب اهداها وقد عجزت ... عنها الملوك ولا هموا بتخمين

قوى بتسييرها تاييد عسكرها ... اذ مرجع الكل للتحقيق في الدين

يا حسنها وهي بحر في خزائنها ... يغنيك جوهرها عن جوهر الصين

وكم له من فعال لا عداد لها ... تبقى مع الدهر شجوا للملاعين

لا زال يلبس والتاييد يصحبه ... ملابس العز مع تاج السلاطين

ما قال صب من الاشواق في قلق ... نسيم تونس حياني ويحييني

ومنه يمدح شيخ الاسلام ابا العباس احمد عارف بك

سبقت الى المعارف كل عارف ... فانت بافقها شمس المعارف

وعطر غربنا عنكم ثناء ... يدين به المسلم والمشارف (كذا)

تضوع طيبه فهدى قلوبا ... لبابك كي تنال من العوارف

وحصل كل ذي امل مناه ... فنحن الان منك بظل وارف

وقد زاد العيان على سماع ... فلم يحد اللسان ولم يقارف

حويت من الكمال غريب كسب ... يزيدك ما تزيد من المصارف

وحليت الزمان بدر فكر ... فاعجزت المجاري غير صارف

تفجر عن علومك كل عذب ... مباح للعطاش وللغوارف

أ أحمد انت وحدك للمعالي ... تحدث بالنعيم فانت عارف

فمن لي واحدا يحكيك فضلا ... ولو بذل التلاد وكل طارف

ودمت كما تريد قرير عين ... وصيتك في الوهاد وفي المشارف

الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد الباجي

ابن الكاتب ابي عبد الله محمد المسعودي

ولد بتونس وبها نشأ ووالده هو الذي استوطن تونس وهو من احفاد الصالح الشيخ بوبكر صاحب القبة بتراب تبرسق ثم طلب العلم عن علمائها وكان له مزيد اختصاص بجدي ابي اسحاق الرياحي لازمه في كثير من دروسه فحصل على ملكة حسنة ومشاركة في الفنون اخصها العلوم العربية فكان كاتبا شاعرا بليغا ولي الكتابة وعرفت منزلته في الانشاء فترقى في معارجها. احله الامراء الحسينيون منزلة سامية. ولقُوه مبرة نامية. وكان ذا مروءة حسن الاخلاق جميل السمت. الف تاريخه الخلاصة النقية في امراء افريقية وله اشعار رائقة. من محبته في جدي ابي اسحاق وراسخ اعتقاده فيه رغب في دفنه بزاويته تيمنا بجواره فساعفه خالي ابو عبد الله محمد شيخ الزاوية فاعطاه قبرا ببيت السماط امام القبة فلما توفي سنة ١٢٩٧ دفن به ومن شعره ما كاتب به ابا عبد الله الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام الرابع حسبما نقلته من خطه ونصه

كنت عشية عند سيدى محمد بير شيخ الاسلام. الذي لا تاتي بمثله الايام. ولو في الاحلام. بسانيته (١) في العبدلية (٢) وتجاذبنا اطراف الحديث. ما بين قديم وحديث. وتطارحنا من الاخبار. ما يفوق نسمات الاسحار. على صفحات النوار. وكان من جملة ما اورده الشيخ لعلي بن الجهم يصف فوارة في قصر جعفر المتوكل فكلنا عجب منه. واعترف بالتقصير عنه. ولما رجعت الى منزلي بالعبدلية. وكانت ليلة مقمرة مضية. جلست حول فوارة. تشبه الهالة ضياء واستدارة. والنسيم عليل. وثوب الليل بليل. فتذكرت ما كنا فيه من وصف الفوارة. فنظمت بديهة بقدر ما تنساب داره.

وفوارة في روضة مثل هالة	على غصن مثل اللجين قد اعتلى
سمرنا عليها والنجوم كانها	اقاح رياض راق في اعين الملا
ولما تدانى الفجر خافت ذبوله	فساقت له السلسال طلا ووابلا

---

(١) بستانه — (٢) هي المرسى

ثم قلت

ودمية وقفت بين الغصون لها ... قد لطيف وردف كاد يرديها
لما رأت اعين الازهار غامزة ... سقتهم البارد السلسال من فيها

وكتبت الى الشيخ . مولاي وسيدي حسنة الزمان وحسّانه . ومالكي ببدائع بيانه واحسانه . ومن لا يجاريه ابن الحسين في شعب بوانه . ولا الارجاني في وصف كسرى وايوانه . لم ازل اردد قول ابن الجهم في وصف الفوارة . واجيل الفكر علّي احوم حوله او اشق غباره . فانحيت على القريحة الجامدة . وقلت اعيذك ان تكون فوارتي من نظمك عاطلة كاسدة . فاجابت على شرط ان نكتب ما تملي ونكتمه . الّا على من تعتمد وده وانت تعلمه . فكتبت حينئذ ما املت ووجهته الى حضرة سيدي واستاذي ثقة بانه ان استحسنه رواه . او استهجنه واراه . والله المسئول لسيدي في طول بقائه . وعزه وارتقائه . ثم المقطوعين وعنوان الكتاب

اهدي التحية والسلام لمن غدا ... صدر الشريعة حجة الاسلام
لا زال في نعم وسعد مقبل ... متتابع بتتابع الايام

اه وبيتا ابن الجهم هما

وفوارة ثارها في السما ... فليست تقصر عن ثارها
ترد على المزن ما انزلت ... الى الارض من صوب مدرارها

ومن شعره وقد ذهب الى قريص للتداوي بمياهها المعدنية فضاق ذرعا وتشوق الى اخوانه فكاتب خالي الشيخ ابا عبد الله محمد الطيب الرياحي بقصيدة نصها

عليل غريب ولا مونس ... يحن لرؤياك يا تونس
يموت اذا ما يجن الدجى ... ويحيى اذا نصل الخندس
وما حال من نزحت داره ... وقربه للغنا قربس

فلاتَ اقتدار ولات اصطبار ... ولات افترار ومن ينبس
ومن دون هذا تطيش الحلوم ... وتدمى الكلوم ولا تحبس
قرارة خزي ومرمى هوان ... ونار الهموم به تقبس
وما تقع العين الّا على ... مريض ثياب الضنى يلبس

وزمنى وجرحى يسقّون من ... حميم تحم به الانفس
يسمون حينا ولا يحمدون ... وعذرهم واضح ان نسوا

ترى كل ذي علة خافتا ... يئن اذا ضمه المغمس
يبيد الجليد ويشوي الجلود ... كذات الوقود اذا يلمس
وحينا تراهم كاهل اللكام ... تجوب الجبال ولا تجلس
فيجنون من كل مر بها ... امورا تجف لها الارؤس
ويضحون صرعى خمارا اذا ... حسوها ومادارت الاكؤس
يطيف باطلاله اقود ... اشم يناجي السما اقعس
مطل فتحسبه ظلة ... فهل قوم موسى به عرسوا
ومن حوله البحر لكن به ... عواصف صرصر لا تهمس
كان بشاطئه حرة ... ثياب الحداد لها ملبس
فلا البر بر بزواره ... ولا البحر يحبر او يؤنس
ولا نزهة غير عين التيوس ... وعين السلاحف لا قدسوا
مكان سحيق وحزن وضيق ... وقفر يسوق العنا بسبس
فقل للاحبة لامسهم ... هوان اذا انتظم المجلس
وفاح العبير ولاح السرور ... وحياهم الورد والنرجس
اذا ما شجاكم ذكرى حبيب ... وعلق مودته انفس
فقولوا بما تعلموا من اخ ... محاسنه بينكم تدرس
لعل ادكاركم منعش ... قواه التي قاربت تدرس
فيا فالق الحب يا خالقي ... وانت هو المسعد المنحس
سالتك يا رب بالمصطفى ... نبي الهدى الطيب المغرس
وبالآل والصحب والتابعين ... ومن في ثرى بدر قد عرسوا
وبالاولياء الاولى ليلهم ... بنور الهدى نير مشمس
تدارك عبيدك وانظر له ... بعين الرضا فبها يحرس
وعجل شفاه فانت القدير ... اذا حار بقراط او هرمس
وجمع باحبابه شمله ... فقد طال في قربس المحبس
وصل وسلم على من به ... بنود الطواغيت قد نكسوا
وآل وصحب مع التابعين ... لعلي في فضلهم اغمس

الشيخ ابو العباس احمد ابن شيخ الشيوخ ابي عبد الله
محمد ابن الخوجة

ولد هذا الفاضل في شعبان سنة ١٢٤٥ ونشأ بين يدي والده العلامة فاقبل بكليته على تحصيل المعارف . وقطع اسباب ما هو عن تحصيلها صارف . بقريحة نائرة . ودؤب على اقتطاف ازاهرها ومثابرة . فبانت نجابته على الحداثة . وحاز من علوم الشريعة مقاصدها ووسائلها ميراثة . وسرعان ما كمل بدره . وانتشر بالعالمية ذكره . فتصدر لبث ما حوى . فالقى التحقيق عصاه لديه واستقر به النوى . فولي مدرسا بالجامع الاعظم ثم قضاء الحنفية سنة ١٢٧٧ فباشرها بقوي ساعد . وباع مديد له وفور التحصيل مساعد . ثم نقل للفتوى فجلى في ميدانها . واحرز الخصل بين اعيانها . ثم مشيخة الاسلام في ٢٧ صفر سنة ١٢٩٤ فكان زينة الرئاسة . جامعا بين فضيلتي العلم والسياسة . وتولى خطابة جامع يوسف صاحب الطابع بالحلفاوين ثم خطابة جامع محمد باي المرادي اقرأ تفسير البيضاوي بجامع الزيتونة فاتى بما يبهر وكان درسه جامعا للعلماء من المدرسين وغيرهم وكتب تقارير على حاشية الشيخ عبد الحكيم عليه الى حيث انتهى في تقريره وله الفتاوى الرائقة . والمحررات الفائقة وكمل على حاشية والده العلامة على الدرر واختام على احاديث من صحيح البخاري بديعة المنازع وتاليف سماه كشف اللثام . عن محاسن الاسلام . حرر فيه مسائل من مهمات الفقه والسياسة وكان عالما متضلعا ممتع المحاضرة حسن الاخلاق كريم النفس بشوشا لا يخلو مجلسه عن الفوائد العلمية . مع فصاحة سحبانية . وهمة في الامور عليه . ناثرا شاعرا عارفا بمقتضيات زمانه . يجد كل مجالس منه ما يوافق مشربه . اخبرني نعمه الله بداره بسيدي ابي سعيد وكان استدعاني لضيافته بها فلبيت دعوته ان كاتب الدولة العام لما اجتمع به اول مرة افاض معه في محاسن الاسلام وانه امر باتقان كل شيء ووضعه على اكمل وجه من الاحسان واستدل على ذلك بحديث ان الله كتب الاحسان على كل شيء الخ وتلطف في افهامه ذلك فقال له ما مضمونه هذا الاثاث الذي حواه بيتي اقتضت الشريعة الاسلامية ان تكون الثريا التي به في احسن محل توضع به امثالها واكمله والكرسي الذي به في اولى محل ينصب مثله فيه

واليقه فان لم يكن كذلك لم يعط الاحسان الذي كتبه الله عليه فهو مخالف لما امرت به الشريعة السمحة وليقس على ذلك كل شيء من امور الدنيا والاخرة لا يشذ من ذلك شيء فقال له اني احمد الله على ان احياني حتى لقيت عالما مثلك من علماء الاسلام. اصابه مرض مزمن فاضعفه واعيى الاطباء علاجه ومع ذلك مهما وجد نشاطا افاد بفتواه طالبها من جماهير الوفود الذين لا ينقطعون عن بابه . وله غيرة على المنتسبين الى العلم ولا تسنح فرصة للثناء عليهم واظهار فضلهم الا انتهزها ولا زال يرفل في علاه الى ان دعاه مولاه فتوفي في ذي الحجة سنة ١٣١٣ بمنزله بالسيدة المنوبية خارج باب القرجاني ونقل الى داره بتونس ودفن من الغد صباحا وحضر جنازته امير العصر ومن شعره يمدح الامير علي باشا لما ولي الامارة في سنة ١٢٩٩

تهلل وجه الملك بالطلعة الغرا ... ودار السرور الصرف في اكوس البشرى
علي علا دست الامارة فانجلى ... عن القلب ما قد غير الحبر والسبرا
بدولتك العظمى سلونا فقيدنا ... فكانت بحمد الله من صدعنا جبرا
بها هدلت بيض الاماني قطوفها ... وهزت بها الايام اعطافها فخرا
والبستنا النعمى ببيعتك التي ... عن اليمن والاسعاد طالعها افترا
واصبح ثغر الثغر يبسم ناشرا ... بدائع افراح معطرة نشرا
وسر بها الاسلام اي مسرة ... فقد اصبحت في افقه الشمس والبدرا
وقرت بها عين البلاد فلم تزل ... تنثر در الحمد لله والشكرا
هنيئا لك الملك الذي انت سعده ... وسيف ليمناه وغرته الغرا
هنيئا لك الملك الذي قد ورثته ... من السلف السامي الذي انتعل الشعرى
هم السادة الصيد الكرام الاولى هموا ... غيوثا وذادوا عن حياضهم الكدرا
وانهم آل الحسين زواهر ... بها ملة الاسلام قد شدت الازرا
ولي فيهم ود رسيس وادمة ... بها سلفي قد شيد العز والفخرا
تاثل فيك الملك والمجد والعلى ... فكنت كمثل العقد قد جمل النحرا
مليك له المعروف ضربة لازب ... يبدل عسر النائبات بها يسرا
اذا نظرت عين الرجاء لفضله ... تثوب وقد القت الى قلبها السرا

مليك له في كل روضة مفخر ... مناقب زهر تزدري الانجم الزهرا
فما شئت من علم وما شئت من تقى ... وماشئت من صدر حوى البر والبحرا
يهاب ويرجى للشجاعة والندى ... ولم يك هذا الشهم حلوا ولا مرا
ويحلم حين الحلم عن عظم قدرة ... ويزأر حين الباس كالاسد الاضرى
له خلق كالشهد كالراح كالمنى ... كماء قراح احرز الصفو والطهرا
يؤرق جفنا في مصالح ملكه ... لنوم رعاياه وقد امنوا الذعرا
لقد آثر الاصلاح والنسك والعلى ... على المقلة الدعجاء والوجنة الحمرا
وبالعدل والاحسان راض صعابه ... فيا ملك ما ابقى ويا قطر ما اثرى
وان سياج الملك عدل امامه ... فيلبسه عزا ويكسبه ذكرا
وما العدل والاحسان الا غمائم ... بها يخصب المرعى ويخضر مزهرا
وليس جمال الملك الا دراية ... يزيد بها الصهميم في ملكه خبرا
ومن سبر الاشيا وادرك غورها ... فما يكتسي آت حجابا ولا سترا
ولما رفلتم في المعارف والعلا ... بهالة ملك قد رجوناكم ذخرا
فثني على الله العظيم جلاله ... على الملك الاسنى الذي خول القطرا
هنيئا بعام كنت طالع يمنه ... فايامه تبدو محجلة غرا
ولا زالت الاعوام لبسك كلها ... تخرق عام تقتني حلة اخرى
إلهي اطل عمر المليك ممتعا ... بنيل الاماني يرتدي العز والنصرا

ومنه في القطب شيخه سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه

اشيخي محيي الدين اعظمت هجرتي ... فصار جناني في غشاء وجنة
اشيخي محيي الدين من كنت شيخه ... فهيهات ان يصلى سعيرا بجنة
واني لتعروني لذكراك هزة ... فمالك عني في صدود وغفلة
وكنت اراكم في المنام فانثني ... وصبح سروري سافر في سريرتي
ولما بخلتم بالوصال تراكمت ... على عبدك المهجور دجية حيرتي
ابا صالح لله ثم رسوله ... اغثني بوصل ماحق للقطيعة
اشيخي محيي الدين ما انت ملجأ ... ضعيف يقاد نجله للكريهة

ألست وليا عطر الكون ذكره ... ألست شريفا وابن خير البرية
من الحسنين النيرين تفرعت ... ارومته يا طيبها من ارومة
فموسى ابوه من بني الحسن الذي ... يعانقه بالبشر خير الخليقة
دعا الله ان يحيي حبيبا يحبه ... واعلن فيه بالرضا والمحبة
وام ابي موسى المجل محمد ... ابوها الحسين يا لها من فضيلة
الست امام الدين والعلم والهدى ... ملاذا لخلق الله في اي لمة
الست بقطب الدين والسيد الذي ... له الرتبة القعساء بين الايمة
الست بغوث يهتف الناس باسمه ... الست المجلي في مجال الولاية
انخت رحالي في رحابك راجيا ... لفوزي عند الله يا ابن الاعزة
وقد نقل الاثبات انك ضامن ... مريدك بالفوز العظيم بتوبة
تقلد اعناق الانام قلائدا ... من المنن الغرا الضخام العجيبة
لذلك بين الناس شرقا ومغربا ... دعيت بخلاص الوحول الملمة
وذو الرحم الروحي من كان مخلصا ... بحبك اولى باغتنام الاغاثة
تحدث كل الناس انك صيقل ... وان الصدى قد سام كل بصيرتي
فهب لي جلاء للبصيرة كافلا ... باشراق انوار العلوم المحققة
اشيخي عبد القادر العارف الذي ... تلألأ في الاكوان شمس ظهيرة
اليس بعار ان اضام وانكم ... غياث الورى في كل محل وازمة
واشهد ان الله جل جلاله ... تفضل بالابداع في كل خلقة
وكلهم عبد وربنا وحده ... إله تعالى عن شريك ونسبة
وقد ارسل الرسل الكرام دواعيا ... يرون عباد الله نهج العبادة
وايدهم بالمعجزات سواطعا ... ولاحظ مسعاهم بعين العناية
وكان ختام الرسل منهم سيد ... محمد الممنوح اقطع حجة
ويسر اتباعا علوا صهوة الهدى ... لتذكير خلق الله نهج السعادة
فمنهم عبد القادر الكوكب الذي ... تلألأ برهانا لنصر الشريعة
فلذت به لا مستقلا لغيره ... وسفن الامور في بحار المشيئة

إلهي كن لي بالنبي محمد وبالشيخ محيي الدين شيخي وعدتي
وصل على مسك الختام محمد ومن قاده للحق نور النبوءة

وكنت قدمت اليه قطعة من مسودة تاريخي حسن البيان في بعض اجتماعاتي به فتاملها وفحصها واثنى عليها بلسانه ثم كتب على ظهرها بخطه ارتجالا

ابا عبد الاله نظمت درا له حسن على الدري يعلو
كتاب يسحر الالباب حسنا يشيب له عدوك وهو طفل

الشيخ ابو العباس احمد بن محمود كريم التركي الاصل

ولد في صفر سنة ١٢٤٣ ونشأ في طلب العلم فاخذه عن جهابذة نحارير منقطعا بجد اليه حتى حصل على حظ جزيل وتصدر للافادة فنثر النفيس . وغمر بتحقيقه الجليس . وتقدم بنفسه . على ابناء جنسه . وحدا على غير مثال . فيما اتسم به من الفضائل والخلال . عصامي في سيادته . مغبوط في سعادته . اشتهر نبله حتى هم الامير احمد باشا بان يجعله قاضيا حنفيا بالمحمدية واماما وخطيبا بجامعها عند اتمام منبره فحل به المرض المتصل بموته فحال دون ذلك حسبما نقلت ذلك من خطه ولي التدريس بجامع الزيتونة ولما انتصبت المجالس ولي كاهية مجلس الجنايات برئاسة الهمام النحرير علامة زمانه ابي الفلاح الشيخ صالح النيفر ثم لما تخلى عن الرئاسة لسفره للحج سنة ١٢٨٠ قلد صاحب الترجمة عوضه رئاسة المجلس المذكور مع خطة الفتوى وخطابة الجامع الجديد ولما توفي ابو العباس الشيخ احمد ابن الخوجه عن مشيخة الاسلام وليها صاحب الترجمة في ذي الحجة سنة ١٣١٣ فلم تطل مدته فيها ومن عجائب المراءي الصادقة والتعبير الصحيح ان صاحب الترجمة كان رأى في شبيبته سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها فاعطته دراهم معدودة ونسيت بقية تفصيلها كما حكاها هو لي فقصها على جدي ابي عبد الله محمد النيفر علامة العصر وصالحه وكان عالما بالتعبير فعبرها له بما حاصله انه يتولى الخطة الشرعية ويمكث فيها بعدد الدراهم سنين وانه يتولى شيخ اسلام عند قرب اجله فكان يخشى من ولايتها ويدعو بطول بقاء الشيخ ابي العباس احمد ابن الخوجه شيخ الاسلام حيث كان صاحب الترجمة كاهيته فلما وليها لم

يسر بها حتى انه لم يمكث بداره في تونس لقبول الهناء كما هو الشان فكانت وفاته بقرب ولايته وكان فقيها متضلعا في العلوم فصيحا آية في الرياضة عند الاقراء حسن الاخلاق والخلق سليم الصدر لين الجانب حسن المحاضرة بشوشا يميل للفكاهة مشتغلا بخاصة نفسه متبسطا في دنياه . وله من التآليف شرح على المنظومة المحبية في الاحكام على المذهب الحنفي وشرح على بانت سعاد وحواش على خطبة السعد على التلخيص وحاشية على مقدمة ابن هشام النحوية وجمع كراريس من تقارير شيخيه العلامتين ابوي عبد الله محمد ابن عاشور واخيه الشيخ محمد الطاهر على الاشموني على الالفية وله ديوان شعر سماه بالسحر الحلال وغير ذلك من الرسائل والمحررات العلمية والفتاوى الفقهية وله مختصر في التاريخ ذكر فيه دولتي الحفصيين والترك من الدايات والمراديين والحسينيين الى الامير علي باشا وذكر فيه المفتيين الحنفية الى زمنه وتخلص من ذلك الى ذكر فتاوي صدرت عنه للامير محمد الصادق باشا وغيره جمع شتاتها . اصابه داء الفالج فلازمه مدة ثم انتقض عليه فمات فجأة بمحله في السيدة المنوبية بمنوبة في المحرم سنة ١٣١٥ ونقل الى داره بتونس ودفن بالجلاز وحضر جنازته امير العصر . ومن شعره يهني عمي النحرير الهمام العلامة ابا عبد الله محمد الطاهر النيفر قاضي الجماعة بابلاله من مرض ببطاقة نصها . الحمد لله على العافية ونسال من الله تعلى دوامها . والصلاة والسلام على من احكم اساس الشريعة المطهرة وبين احكامها . وعلى آله واصحابه ما دامت الدنيا تكرر ايامها . هذا ولما عاقني اعمال القدم . بادرت الى التهنئة باعمال لسان القلم .

لمبشري بشفائكم نيل المنى ... واهم شيء عندنا لكم الهنا
بدوام عافية ونيل سلامة ... ومديد عمر لا يكدر بالعنا
وهو الشهير فلا اصرح باسمه ... قاضي القضاة المالكي في عصرنا
وهو المعظم قدره بين الورى ... شمس الظهيرة لا تعظم بالكنى
واليك ابدي من صفاء مودتي ... لجنابك السامي اعتذارا بينا
وردت اليك من الودود تحية ... تروي الحديث عن الشفاء معنعنا
وتقول اني مرسلي ذاك الذي ... اهدى التهاني واضحا مستحسنا

فاسلم ودم واهنأ بطول حياتكم والكل داع بالبقاء مؤمنا

والسلام الاتم من حليف ودكم . المعترف بالتقصير في حقكم . فقير ربه احمد كريم المفتي فى ١٣ رمضان سنة ١٣١١ انتهى ومنه مخمسا ارتجالا لابيات ثلاثة انشدها بعض الادباء عند زيارته ضريح السيدة المنوبية سنة ١٣٠٥ بمحضر صاحب الترجمة

هذا مقام فضله لا يجحد قد كان فيه نشأتي والمولد

فاخضع وقل ان زرته يا احمد (يا ستتي عند النوائب تقصد)

(انت التي في المكرمات لك اليد)

انت الطبيبة للورى من كل دا انت التي جردت سيفك للعدى

يا منيتي انت المجيبة للندا (طافت بك الزوار تلتمس الندى)

فتفضلي كرما فانت المقصد

هذا عبيد قد اتى لك طائعا في مطلب قد كان عنه شاسعا

متوسلا متبتلا متواضعا (نوبي على جمع اتى لك خاضعا)

(لا زلت عائشة وضدك يفقد)

ومنه يمدح شيخه الاستاذ الملاذ الغوث الشيخ ابا العباس سيدي احمد التجاني نفعنا الله به وانشدها بضريح سيدي ابراهيم الرياحي

تالق غربيا فهيج اشجاني وذكرني عهدا به الله نجاني

نجوت بنور الله من ظلمة الهوى وكان بنور الله يمني وايماني

ونور رسول الله احمد شاهد على سره الساري لاحمد تجاني

سمي رسول الله وابن سميه شبيه رسول الله من خير عدنان

غياث الورى غيث الانام وغوثهم وملجأ مضطر ومنجى لذا الجاني

له الرتبة الشماء في كشف معضل له الاذن والتصريف في الانس والجان

ختام نظام الاولياء باسرهم وفي طي هذا الختم نشر بتبيان

فحدث بما قد شئت عنه ولا تمن اذا قلت هذا الفرد ليس له ثان

اليك ابا العباس القيت مقودي عسى نفحة منكم تؤكد اذعاني

فاغدو الى تلك الموارد واردا ... وابني على تلك المعارف بنياني
وانشد في تلك الاباطح والربا ... قلائد در لا قلائد عقيان
بامداح من اسدى الينا طريقة ... لسالكها جنات روح وريحان
تحاك على منوال شرع محمد ... بنص حديث او بمحكم قرآن
وتامر بالاحسان في كل حالة ... وتنهى عن الفحشاء واللهو بالفاني
طريقة عباد رفيع مقامهم ... كصاحب هذا القبر [1] في رفعة الشان
عليه سلام الله ما قال منشد ... حنانيك حب الشيخ ياصاح اضناني

ومن نثره ما وقفت عليه بخطه وفيه شاهد لما كان عليه صاحب الترجمة من الاعتراف بالجميل وشكر نعمة الاستاذ الناصح ونصه : الحمد لله - شيخنا العلامة واستاذنا الفهامة شيخ مشائخ الاسلام . ومن لا تفي باحصاء محامده الجسام . اقلام الالسنة وألسنة الاقلام . كعبة العلوم المحجوجة . سيدي محمد بن الخوجه . تغمده الله برحمته . واسكنه فسيح جنته هو ولي نعمتي وعليه المعول في انتقالي من ديوان العسكر الى دفتر الفقهاء في اوائل مدة المشير الاول وانا اذ ذاك صغير السن لم ابلغ الحلم بيد اني احسن الكتابة بالقلم حيث رتبني بجامع محمد باي متطوعا للاقامة والاذان وكان ذلك باعثا لي قويا على تعاطي علم تجويد القرآن وبقية العلوم في عنفوان الشباب . اتطلب تحصيلها من كل باب . حتى كنت اول من نبغ من الغراسة الاحمدية . ونبغ في مضمار العلوم الآلية واخذت الراية باليمين . وقلدت خطة التدريس في الطبقة الاولى من المدرسين . وانا اذ ذاك في فن الفقه ذو بضاعة مزجاة . ظلي فيها اقل من ظل حصاة . فمن نصح شيخنا المذكور . ضاعف الله له الاجور . ان قدم للجامع المشهور . في غير وقته المعتاد وارسل لي من دعاني اليه فلما جثوت بين يديه . وتشرفت بالحضور لديه . قال لي يا بني الدين النصيحة وانا لك اليوم ناصح امين انك قد سلكت الطريقة المرضية ومئالك الخطة التي لا تنفعك فيها العلوم الآلية فلتحضر درسي غدا للدرر على الغرر ولست بمحتاج الى حضورك ولست بمتيقن بقاءي بينكم الى ان اختم ذلك الكتاب ولكن اعلمك اسلوب

---

(١) المراد به الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي

الاخذ من عبارات الفقهاء فانك ان فاتتك هاته الشيبة لا تجد من يعلمك ذلك وانا لك في منزلة الاب الرؤف

ومن يك في امر ابوه دليله تدانى له الامر الذي هو طالبه

فشمرت على ساق الجد في الحضور وتيقنت انه في الفقه الحنفي والمالكي العلم المشهور وكان كثيرا ما يتمثل ويقول ضيق الشيب علي مطلبي وطلبت منه الاجازة لي في صحيح البخاري بعد ان اخذت عنه نبذة قراءة تحرير كما هو ديدنه فيه فتاوّه وقال

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

واجاز لي بالقول لا بالكتابة اه وقوله انه في الفقه الحنفي والمالكي الى آخره اما الفقه الحنفي فهو مذهب الشيخ وفيه افنى عمره واما الفقه المالكي فقد كان الشيخ ملازما لعلمائه خصوصا حامل رايته باليمين الشيخ سيدي اسماعيل التميمي فكان كثير التردد عليه والاستقاء من بحر علمه في مراجعة المسائل وتحقيق المشكلات فصار له بذلك مشاركة نفيسة وقد كان الشيخ اسماعيل المذكور يشهد له بالعلم فكان اذا قام من عنده يتبعه نظره ويقول ما اعلم هذا الرجل تعجبا منه رحمهم الله تعلى

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ عثمان السنوسي

اصل سلفه من بلد الكاف وجده العلامة ابو عبد الله الشيخ محمد السنوسي الكافي هو اول من قطن بتونس لطلب العلم حتى كان من اعيان علمائها وتولى خطة قضاء بنزرت ثم قضاء باردو ثم قضاء الجماعة بتونس وولد صاحب الترجمة بحاضرة تونس سنة ١٢٦٦ فنشأ بين يدي والده وطلب العلم على سنن سلفه فحصل على ملكة مرضية. وشارك في العلوم نقلية وعقلية. فتصدر لبثها فضرب بسهم. واعترف له الاقران بجودة الروية واصابة الفهم. وتولى تدريس العلم بزاوية سيدي الهياص خارج باب القرجاني ثم سعى في نقله الى جامع حمودة باشا المرادي غير ان اشتغاله بما تقلده من تحرير جريدة الدولة الرسمية المسماة بالرائد التونسي والكتابة عن جمعية الاوقاف صرفا وجهه عن رياض العلم ثم ما تقلده من كتابة المجلس المختلط العقاري ثم تسميته حاكما بالمجالس العرفية الجنائية بالوزارة ومع ذلك فقد كتب كثيرا والف مؤلفات مفيدة في بابها في غير

ما موضوع منها في الادب مجمع الدواوين جمع به شمل دواوين متاخري شعراء التونسيين وهو في عدة اسفار وجمع ديوان الشاعر المفلق الشيخ محمود قابادو وله تاريخ خصه بقضاة تونس وايمة جامعها الاعظم والمفتيين سماه بمسامرة الظريف بحسن التعريف ونظم في العروض والقوافي وشرح على القانون العقاري سماه بمطلع الدراري الا ان كثيرا من مسائله التي رام تطبيقها على احد المذهبين المالكي والحنفي انتقدت عليه . وفوقت بسببه سهام الاعتراض اليه . ورحلتان الحجازية لما سافر الى الحج والباريزية لما سافر للمعرض وجمع شراح مختصر خليل فكانوا زهاء الثمانين شارحا وقد كان قلمه رطب اللسان يترشح بكتابة ما عنّ له لا يتهيب اي موضوع . ولا يتاخر اذا اقدمه على مشروع . وقداخبرني بعض اصحابه انه قال له ان ما يكتبه بين خطرات اليراع يريد انه لا يحتاج الى اعمال الفكرة اعلاما بقوة عارضته وذلك اغراق منه يرحمه الله ومؤذن بتعجله في محرراته وله تضلع في التاريخ اخبرني انه لما وصل الى بيروت صادف جمعية دائرة المعارف وصلوا الى ترجمة الامراء الحسينيين فالتمسوا منه ان يكتب لهم في تاريخهم فاملاه وادرجوه بنصه في دائرتهم وكان رحمه الله فصيحا بشوشا لين العريكة متحببا الى الناس وله ادب غض . ونثر كانتثار لؤلؤ عقد مرفض . ابتلي بمرض عضال لازمه سنين ينقه منه يوما ويعاوده آخر الى ان فاجأه الحمام في رجب سنة ١٣١٨ ودفن بمقبرة الجلاز ومن شعره العصري قصيدته النونية التي سماها الفريدة في المخترعات الجديدة صدرها بنثر ونصها

هذه قصيدة فريدة . في مخترعات جديدة . نظمتها قضاء لما من دينها قد وجب . على ابناء الادب . سيما والتشابيه الادبية اكثر تاثيرا في انفس العارفين بلسان العرب . تدعو همم البارعين منهم ان ينسلوا الى ذلك الابداع من كل حدب . ولم نر من شعراء العصر الجديد من اتى بالارب . فتطفلت على اقتحام عذراء هذا المدب . تنشيطا لفكر من تعلم ولقلم من كتب . ولا ادعي الايعاب . لجميع ما تقتضيه لطائف الاداب . وما هي الا فتح باب . ربما ظهر من بعده العجب العجاب . من براعة الشعراء والكتاب . وعلى كل حال يحمد منها الابتداء بدون عتاب . ان لاحظتها عين الرضا من ارباب الفصاحة والاغراب . وهي

ارايت كيف تقارب البلدان بالمزجيات جرت على القضبان
يمتد من سكك الحديد ممرها بالارض وهي جوالب العمران
وفروعها بين البراري خططت خطا اقيم بآلة الاتقان
اشكاله صينت بوضع مهندس في ملتقاها حار ذو العرفان
اذ انها من جدول العمران اجـــرت ثروة تحيى بكل تـدان
فهي الجداول في فروع قد جرت بالامن لا بالمـاء ذي الطغيان
ولها دوالب تستدار بها الى حيث المراد بقصـد اي مكان
فترى على خط جموع محامل وصلت به يـوم التقى الجمعان
حتى اذا سارت فكل يغتدي في فرع مقصد اهلـه الركبان
ما ان تضل عن الطريق ولم ترع من قاصد امساكها بعنـان
مع انها ليست ترى وبدت لها بالليل من مشكاتها عينـان
خرقت لها شم الجبال بمسلك سهل يروع حماه كل جبان
ولها رأينا معظم الانهار قد سويت بآية محكم البنيان
تلج البتيل ولوج لاعب مرسح للبهو يخفى عن محل عيان
وتبين من فوق الجسور كما جرى فوق الجبال مباهيا باغاني
وترى من العجلات وقع رشابه نطق البيانو من بنـان بيان
وتسير في سطح من الارض استوى وله انطوى صعب من الامكان
وتضم اطراف البلاد جميعهـا باحاطة لم تختلف عن آن
فهي التي التهمت ثعابين الطريـ ـق وقد طوت ارضا نأت بثوان
وصل الجنوب من الشمال بها ومن شرق الى غرب وصال تـدان
لو مد في جولها فرع به بلغ البلون لمركز النيران
فبه قد ارتبطت من الارض الجهـــات الشاسعات بوصلة استحسان
وتجر آلاف النفوس لما نـأى في لحظة قصرت عن الحسبان
فترى بني المعمور في عرباتها تجري بهم في سرعة وامـان
كالريح كان غدوها شهرا وتلـــك رواحها بمسير شهر ثـان
قد حار امري اذ ركبت بها على بعد لرؤية آيـة العمران

لم ندر تلك هي البساط يسير في ... ارض على ريح لكل مكان
ام اننا في الجو والعقبان قد ... حفقت بنا في اسرع الطيران
ام اننا فوق السحاب الجون قد ... سيقت بنا للهربع العطشان
ومن اصطكاك الجري خلت رعودها ... صعقت ببرق شرارة الدخان
مع اننا فوق الحرير جلوسنا ... ومسيرنا في منزه الاعيان
وتحوطنا خير البيوت تناسقا ... وتسابقا يجري مع الميدان
تجري بمزجية ان اضطرمت حشى ... قذفت لهيب تفجر البركان
كفؤاد مضنى بالهوى متأوه ... لم يصطبر لتسعر النيران
ولذاك تنفذ للركاب بمغرب ... من مشرق كالشمس دون توان
فمن المحط اذا سمعت صفيرها ... ريئت على غرض المحط الثاني
لولا سلامتها لخلت خروجها ... كرة الكروبي ارتمت لطعان
وترى على بعد لها عدوا حكى ... عدو الظبا لمكانس اطمئنان
تجري بمدخنة حكت روقا لذي ... ام به تعدو على جريان
تجزي اغن كان ابرة روقه ... قلم يمد باسود الدخان
ويخط في صفحات خد الجو ما ... نفضت عليه سوادها العينان
سطرا بطلسم سر سرعة سيرها ... شرحته عندي هينمات لسان
ما سوبقت الا وقد سبقت الى ... ما لا ينال بقوة الحيوان
لم ندر هل هي من معارف آصف ... اذ جر عرشا شاسعا في آن
فاتى به قبل ارتداد الطرف بين ... يدي سليمان الرفيع الشان
ام ان مخترعي سريع حراكها ... طلبوا لحوق السابق العرفان
ولو انها ولدت لقلنا بنت ما ... كانت قديما محملا للجان
لكنها صنعت بقوم اشعرت ... فيهم بقوة فطرة الانسان
هل كان يسبقها سوى صوت امرء ... قد حدث الاسلاك بالاشجان
حتى المقلة بالتليفون انبرت ... للسامعين على قصي مكان
اذ انها تسري كبرق خاطف ... ويجل موقعها من الآذان

او صوت من حمل الشعاع مقاله بالفوتفون المحكم الاتقان
فالصوت ينقله انطباع اشعة الـ ـمرءات حيث تقابل النوران
وبذا ذكرت كرامة الفاروق اذ نادى فسار القول سير معان
ليدل سارية الى الجبل الذي يحمى به من كيد ذي عدوان
فاتاه نفس الصوت من بعد نای وانحاز ممتثلا بدون توان
صوت بلا سلك ولا المرءاة سا ر ولا بفونغراف ذي العرفان
هو آلة ما قيل شيء عندها حفظته منضبطا كخير مصان
وتعيده مهما اريد بها مع الا طوار بالتحريك والاسكان
نطق الجماد بها جرى بل اغربت ببقاء نفس الصوت والالحان
تاتي بافصح احرف مع انها ما ان لها حلق ولا شفتان
فهي التي لا تكتم السر الذي يفشى لها ويعاد بالاعلان
لكن لها صدق وحسن حديثها قد صين عن زيد وعن نقصان
وبحفظ نغمتها سمت عن كل ما به تبلغ الاصوات للاخوان
والكل يضبط صورة الالفاظ ان باهى تلغراف بنقل معاني
سلك كوهم السائحين ممره في كل وهم سائر البلدان
طرفاه كل ينتهي في مركز ناء به قد نال وصل تدان
وكلاهما من منبع السيالة اشـ ـتف الحياة باسرع السريان
فاذا سرى سر من الطرفين لا يتعارضان ويبلغان لآن
واذا تمس يد الحراك رقيقه يتحرك الاقصى بدون توان
فكان ذاك السلك حب تواصل الـ ـمتعاشقين على نزوح مكان
وكأن منبع ما سرى قلباهما قد جردا وتخابرا بتفان
ويد الحراك كمثل انملة الحكيـ ـم يجس نبض مقاوم البحران
ولجسه الاثر انبرى للقلب اذ اضحى يرى بتنبه الحيران
ولذا غدا ذاك الحكيم مترجما عن سره الساري الى الابدان
فاعجب الى الاسلاك من سر الصنا عة توضح الاسرار بالتبيان

تمتد فوق رؤس اعمدة زهت ... اذ توجت بمجرد السريان
فكان ابيض من حمام رسائل ... له فوقها وقع من الطيران
وبكل وقت وهي قائمة على ... ساق تشير لوحدة الديان
ولها بارض مقرها غوص الى ... عمق كمثل منابت الاغصان
وعلى التوالي قد تناسق نصبها ... فتتابعت كتتابع الغزلان
كل يروم وصال الف سابق ... وله يمد بسلك وهم فان
فغدت شواخص مثل من يهوى فتى ... يرعى بدائع حسنه الفتان
ولذاك اسحلها وانحل جسمها ... طول انتظار لم يطب للعاني
وتشذبت ونضت ملابس حسنها ... وتشققت بالعشق شق سنان
ولها زئير من شجا ما قد وعت ... من ذي مسرات وذي احزان
وكأن ما ترويه شيب راسها ... فابيض مما مر بالاذان
اذ مر عنها سلك برق قد اتى ... بخفي سر حوادث البلدان
كالايد من رسل البريد تواصلت ... برسائل مدت من الاعوان
تسري به الاخبار من شرق الى ... غرب فيبلغ نشرها في آن
تاتي عليه كمثل طيف وارد ... الوهم مر به على وسنان
او مثل معنى رق في ذهن امرء ... امسى يعاني في لطيف معاني
نطقت علامات النقوش به كما ... دلت حروف الخط عن تبيان
ما مان في الاخبار الا في الذي ... يرويه عن دول وعن اعيان
لكن آفات الحديث رواته ... وهو البريد مبلغ بامان
ومزية الابلاغ عند تخابر ... به عممت بالنفع كل مكان
فبه الادارة والتجارة ترتقي ... في كل وقت بين اهل الشان
وبه الايادي في البوادي حركت ... حلف السداد لسؤدد العرفان
وبه الفوائد قد غدت منشورة ... وتجددت بتجدد الازمان
فلينظر النحرير في اسرار ما ... للكهرباء وقوة النيران
ليرى مفاد الاختراع وما له ... من صالح للمجمع الانساني
وبذاك يقدر قدر حلف تمدن ... لعنان كسب العلم ليس بثاني

واذا الفتى بالعلم يقصر همه ... لمفاده فنراه اعظم جاني
واخو السداد فتى يجاهد نفسه ... طول الحياة لخدمة العمران
فحياته تفنى وزبدة سعيه ... يبقي بها فخرا لكل زمان
هل فيك يا حلف المدارس غيرة ... منها وصلت لمدين الاتقان
او هل قصدت لنفع جنسك غاية ... تبقى بسلك غرائب الحدثان
او هل لجدك من مآثر نفعها ... عم البلاد بمنبت الاحسان
فاشكر غراسة ما جنيت ثماره ... واردد بغرسك ما يطيب لجاني
فاذا فقدت فان قومك كلهم ... يسعى لينفع انجب الاقران
لا يهملون صنيعك المشهود ان ... تاتي عليه عناكب النسيان
بل ما توانى عن اعانتك امرء ... الا وضيع او جهول شاني
ومفاخر العصر الجديد معارف ... فيمن يقوم بخدمة الاوطان
او حسن تنشيط العزائم من فتى ... له خبرة بمزية العرفان
وبمثل ذاك تقدم المتسابقو ... ن الى العلى في واسع الميدان
فانشط ولا تك عند قرنك عبرة ... لاضاعة الازمان بالخسران
حاشا فتى ذا نهية بانت له ... شمس الهدى ينقاد للعميان
والجد يبلغ كل ذي عقل الى ... ما يرتجيه بمنحة المنان

وحيث ذكر في ديباجتها انه هو السابق في شعراء العصر للتشبيه بالمخترعات فلا جرم كان له الفضل في فتح هذا الباب . ولما كان بيننا من المودة طالما طارحني عيون الادب فمن ذلك طلبه مني تشطير هاتين البيتين وهما

بعثت بنرجسة الي ووردة ... ففهمت افديها حقيقة قصدها
لما تعذرت الزيارة ارسلت ... بشبيه ناظرها الي وخدها

فشطرتهما بقولي

(بعثت بنرجسة الي وردة) ... من بعدما احترق الفؤاد لصدها
رامت تحرك حب صب هائم ... (ففهمت افديها حقيقة قصدها)
(لما تعذرت الزيارة ارسلت) ... فرعا يزين رشاقة من قدها

حاكت لي البدر التمام واومأت بشبيه ناظرها الي وخدها

ولما اطلع عليه طلب مني تخميس التشطير المذكور فقلت

يا رب رائعة الجمال ملدة قد مازجت لين الدلال بشدة
هجرت واذ طال النفار لمدة (بعثت بنرجسة الي ووردة)
(من بعد ما احترق الفؤاد لصدها)

زَهرا بمبسمها ارتواء الحائم وبصحن وجنتها زهور كمائم
روض البها شجو العذول اللائم (رامت تحرك حب صب هائم)
(ففهمت افديها حقيقة قصدها)

مهلا فانك شمس حسن قد علت حلت بروحا من فؤادي قد خلت
افديك من خود مقاصدها حلت (لما تعذرت الزيارة ارسلت)
(فرعا يزين رشاقة من قدها)

يا سدفة من ليل شعر أعتمت منها ببرق الفرق مهجتي احتمت
يا حسن وجه تحت طرتها جلت (حاكت لي البدر التمام واومأت)
(بشبيه ناظرها الي وخدها)

وطلب مني تخميس بيتين للامام محمد بن جابر الاندلسي كان شطرهما واقترح ان يكون ادخاليا بين صدر البيت وعجزها بحيث تكون المصارع الثلاثة وسطا بين مصراعي البيت وهي طريقة مخترعة في التخميس . واصل التشطير :

لما رآني من احب مفكرا فيما اعاني من جوى وتلهف
حيى ورق لحالتي لكنه نادى الي ملاعبا بتلطف
حدثتَ قلبك بالسلو فقلت بل اوسعته صبرا بوصل المسعف
فحديث وصلك شغل افكاري ولو قلبي يحدثني بانك متلفي

فقلت في تخميسها على حسب اقتراحه

(لما رآني من احب مفكرا) في حبه الساري بحيث دمي سرى
والقلب في ميدان يأس قد جرى يفتن مفطور الحشى متحيرا
(فيما اعاني من جوى وتلهف)

(حيى ورق لحالتي لكنه) من بعد ما جسمي الغرام اجنه
يا حسن ثغر فره يا حسنه يوم الرضا اضفاه حتى انه
(نادى الي ملاعبا بتلطف)
(حدثت قلبك بالسلو فقلت بل) قلبي عن استمكان حبك ما انتقل
كيف السلو وانت بدر قد كمل لكنني ان ضاق صدري واشتعل
(اوسعته صبرا بوصل المسعف)
(فحديث وصلك شغل افكاري ولو) عني الوشاة حمى اقترابك قد حموا
ما دار في خلدي السلو وان غلوا فاذا رايتك قد اخذت بما وشوا
(قلبي يحدثني بانك متلفي)

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الحاج محمد طريفة

الصفاقسي

ولد في سنة ستين ومائتين والف بصفاقس بلد سلفه ومرض في صباه بالجدري فعمي واودعه والده في المكتب فحفظ القرءان العظيم حفظا جيدا ثم جوده على علماء القراءات ببلده واخذه بالروايات من طريق الشاطبية وغيرها حتى ختم بالسبع وكان حسن الصوت ذكر لي من حضر ختمه ان يومه كان يوما مشهودا جمع الخاصة والعامة احتفل به الى الليل ، واخذ شيئا من العلم عن علماء صفاقس ثم سافر الى الحج ولما رجع سمت همته الى السفر الى تونس والهجرة الى جامع الزيتونة لتلقي العلوم به عن جهابذته فقدم اليها واقتحم مشقة السفر على عجزه وقطع جميع العلائق العائقة عن الطلب فسكن بمدرسة النخلة بالقشاشين فكان لا يفارق الجامع الا وقت النوم او اذا اتى بعض شيوخه لاخذ علم وقد كان ياتي الى دارنا للقراءة على والدي ابقاه الله مع جماعة من الطلبة فختموا عليه هناك جملة من الكتب في علوم كثيرة اذكر منها الحطاب على الورقات في الاصول وشرح الشنشوري على الرحبية في الفرائض والتاودي على لامية الزقاق في الاحكام وشرح الشريف الغرناطي على الخزرجية في علمي العروض والقوافي وشرح الامير على غرامي صحيح في علم المصطلح ولم احضر معهم لصغري اذ ذاك وقصوري عن قراءة تلك الكتب عدا الاخير فاني قرأته

معهم ولما اصدر الامير محمد الصادق باشا ترتيب الجامع الاعظم في تعاطي العلوم به وجعل اختبار التلامذة كل سنة كان صاحب الترجمة ممن جلى في ميدان الاختبار بالسنة الاولى من اجرائه فابهر السامع واشتهر من يومئذ بالنجابة وتوجهت اليه همم المرفدين بالاعانة على اتمام مقاصده من التحصيل فاجريت اليه اعانة من احباس بلده. فكان مما قرأ الدردير على المختصر الخليلي والنووي على صحيح مسلم وابن عقيل على الالفية على سيدي الوالد بجامع الزيتونة وجملة من تفسير البيضاوي على عم والدي الشيخ ابي عبد الله سيدي محمد النيفر وجملة من الاشموني على الخلاصة والمطول على الشيخ ابي النجاة سيدي سالم بوحاجب والكبرى وجملة من المواقف على الشيخ ابي حفص سيدي عمر بن الشيخ وغيرهم من اعيان العلماء ولما حصل على رتبة التطويع اقرأ بالجامع الاعظم كتبا وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والف لما عزم على الاياب الى بلده اولاه الامير محمد الصادق باشا مفتيا ببلده صفاقس فرجع قرير العين فانتفعت به اهالي بلده فاقرأ وافاد وافتى املاء ومع ماكان عليه من المشاركة في العلوم العقلية والنقلية كان اديبا جيد الشعر والنثر. لا يقنع اذا كتب منهما بالنزر. فاذا قال اطال لكن مع الامتاع. بما تلتذ به الاسماع. ولا تمله الطباع. وسنورد من صناعتيه. ما يقضي له على مزاحميه بالتيه. ويشهد بطول باعه. وفصاحة يراعه. ولا زال في اوجه. وتواصل عروجه. الى ان لبى الداعي. محمود الاثر مشكور المساعي. وله شعر كثير لو جمع كان ديوانا كبيرا ومجموعة فتاوى نظمها من محرراته مدة مباشرته الافتاء وكانت وفاته في رجب سنة ١٣٢٣ ثلاثة وعشرين وثلاثمائة والف ببلده صفاقس وبها دفن فمن نثره وشعره ماكاتب به سيدي الوالد ابقاه الله في ١٨ محرم سنة ١٣٠٧ ونصه بعد الحمد لله والصلاة والسلام على النبي

يا ليت شعري ما يكون جوابي عن واحد الاعصار والاحقاب
ان قيل لي ما مجده ما فخره ما فضله المعيي حجا الحساب

ليس في المقال. الا ان يقال. هو فخر الاكابر. الذي يعز وجود مثله. وبحر الجواهر. الذي لا يحاكى في جوده وبذله. زينة هذا القطر. وحلية ذلك

المصر ، صاحب العلم اللدنّي ، ومالك التونسي لا المدني ، قطب دائرة المعارف ومركزها ، وحائز قصبات السبق فيها ومحرزها ، المجلي في ميدانها ، والمتألي على ان لا يرجع بدون غلبة فرسانها ، ذو المجد القديم ، والجود الذي هو للبشاشة نديم ، التالي لسان تبريزه على كل ذي علم وتعليم ، وفوق كل ذي علم عليم ، ذلك البدر الازهر ، الحائز من كل كمال الحظ الاوفر ، مولاي واستاذي ، وملجإي وملاذي ، ابو الشذا ، الذي اصبح ذكره لروحي غذا ، الشيخ سيدي الحاج محمد الطيب النيفر لا زالت مآثره على الالسنة منقولة ، وهي على اجناس المفاخر مقولة ،

يا كتابي بالله سلم عليه ثم قبل بعد السلام يديه
ثم عرفه ان شوقي اليه طار من اجله علي المنام
واذا فزت بالحلول الجميل في يدي ذلك الامام الجليل
فلتحدثه عن فؤادي العليل بدلا عن فمي ففيه احتشام

اما بعد فاقول ، وان كان شوقي وراء المقول

يمينا بما ضم المصلى وما حوت يمينك من يمن اليه اتوق
وما فيك من سر حبتك بنيله رحاب منى اني اليك مشوق

ثم تيقن واعلم ، يا ايها الملاذ الاعظم ، والمعاذ الاعصم ، انكم ادام الله رعاية جنابكم ، قد اثقلتم كاهلي ببديع كتابكم ، الذي جر ذيل النسيان ، على سحبان ، واعجز بفصاحته كل لسان ، من كل انسان ، وبنى لي من المفاخر بيتا ، واحياني بعد ما كنت ميتا ، كيف لا وقد وافاني ، بما به شفاني ، وارقصني وازهاني ، بما به اغناني ، من ظريف المعاني ، واطرب جناني ، بما به غناني ، من لطيف المباني ، وجاد علي بالاماني ، حتى تناولت بناني ، مع بعد مكاني ، ما كنت املته من روضكم العرفاني ، فاقسم بالله جهد ايماني ، ان مكتوبكم ما له من ثاني ، قد ارقص واطرب ، واعرب واغرب ، واجاد وجاد ، بما فوق المراد ، وجمع من الدرر ، ما لم يكن جمعه في طاقة بشر ، فيا له من كتاب ، سحر الالباب ، ولما نشرت طيه ، وشغلت به عن دعد ومية ، الفتيه بعد نشر طيه جنة المأوى ، وما كنت احسب ان الجنة تنشر وتطوى ، وهي مونقة الرياض ، مغدقة الحياض ، مخضرة الغياض ، قد احتوت على ما لا تصفه

الالسن . وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين . ومما زاد مكتوبكم ابتهاجا وحسنا . ورقاه في عين كل مطالع المقام الاسنى . ما البستموه من حلل التواضع . الذي نسجته يد كمالكم المشتهر في جميع المواضع . والا فهو الدليل الاتم . على ان القلم ما قال قط نعم . الّا حين دعاه جنابك . وعلم انه من الالات منابك . وبالجملة فان ما حصل لي بمكتوبكم من السرور . لا تسع بيانه هذه السطور . غير انه لما نفخ في نار اشواقي . بنفثاتكم التي زادت في التهابي واحتراقي . كادت النفس تفيض . والعين من كثرة البكاء تغيض . فقلت لها او ما نهيتك عن الكتابة . وعرفتك انها توقد نار الشوق وتثير التهابه . فزفرت زفرة امطرت بها من سماء عيوني وابلا ورذاذا . حتى خلت اني قد غدوت جذاذا . وقلت ياليتني مت قبل هذا . ثم جعلت ارقيها . محافظة على رمق باقيها . فقالت دع عنك الرقى . فالموت مع حب هذا خير من البقا . فرد ضد المكتوب . وضمنه قصيدة ترضي المحبوب . ولتكن من البحر المخلع . لتدل على انك بالمحبوب مولع . فما وسعني الا امتثال امرها . مخافة الزيادة في اتقاد جمرها . فقلت مخاطبا لرفيع جنابكم . بما يقتضي التشكي من بديع كتابكم :

كتابكم هيج الغراما ... وزاد في ناره اضطراما
وكاد يفضي الى هلاكي ... لو لم يكن يحمل السلاما
اكرم به من كتاب ود ... ابرز منشوره نظاما
ذكرني منك كل وصف ... كنت به قبل مستهاما
كونك اليوم للمعالي ... انموذجا ضمها انضماما
وكونك المحتوي علوما ... تطفئ للظامي الاواما
وكونك الواضح المزايا ... وكونك الحافظ الذماما
وكونك الكنز للبرايا ... والعمدة القدوة الاماما
وكونك المبرز الخفايا ... اجلى من البدر ان تسامى
وكونك المطرز الجلايا ... بما به تحسن انتظاما
وكونك النيفر المسمى ... بالطيب الفائق الاناما
الذهب الخالص المصفى ... من نسل قوم غدوا كراما

فهو الشريف الاصول لكن له فروع سموا فخاما
محيي صنوف العلوم طرا من بعد ما قد غدت رماما
وممطر روضها بغيث من فهمه المخجل الغماما
وملقح زهرها بنفث من ريقه المبرىء السقاما
فيا ملاذ الورى ويا من اورثني حبه الهياما
قد طالما قد فطمت نفسي عنكم فلم تستطع فطاما
وكم تسليت عن هواكم بمن سواكم فما استقاما
ما ان تناسيت منك وصفا الا تخيلته مناما
ولا توهمت منك قربا الا ولمت النوى ملاما
ولا ذكرت الوصال يوما الا شتمت الفراق عاما
ولا تفكرت فيك الا اقول يا حسرتي على ما

هذا والمرجو من المولى الكريم . بنبيه العظيم . ان يمن علينا بساعة توهي للبين ما بناه . وتوهن البعاد وما جناه .

ساعة الوصل لو تاتت الينا لغدت انفس النفيس لدينا
اسال الله ان يمن بها لي ولكم والزمان مغض علينا

كما نرجو منه سبحانه . ان يوالي عليكم فضله واحسانه . وان يجعلكم من الذين سعدوا واسعدوا . وعلى بساط العز قعدوا واقعدوا . ومن الذين اذا سبقوا حازوا . واذا وردوا الصراط جازوا . واذا وقفوا بين يدي الله فازوا . حرره اليكم الداعي ببقاء حضرتكم الشريفة . ابنكم محمد طريفه . الخ ومنه ما كاتبني به مهنئا ومؤرخا ازدياد ابني محمد العزيز ونصه : بعد فاتحته اسعد الله مقام الجناب العالي . والجوهر النفيس الغالي . مقام الصديق الودود . الذي له في سماء الود اجمل صعود . الفائق في عرفانه . على جميع اقرانه . قديم الود . وعديم الند . وجميل الاوصاف . وسليل الاشراف . وعلي الهمم . وزكي الشيم . ذلك الماجد العالم . والناثر الناظم . الكوكب الازهر . بل البدر الانور . ابني وصديقي . ونتيجة القطر الافريقي . ابو عبد الله الشيخ سيدي محمد النيفر . ادام الله سروره . واظهر فضله . ويسر اموره . وحفظ نجله . اما بعد اهداء

تحية يشرق الكون سناها . ويعطر الجو شذاها . فانه قد بلغني ما اقر مني العيون . وارقصني بعد الركون الى السكون . من ازدياد نجلكم الميمون . المحفوظ ان شاء الله من كل شر كان او يكون . ومن كل ما يخطر بالظنون . وما حصل لي من الفرح بازدياد هذا الغلام . فمما لا تسعه الطروس ولا تفي به الاقلام . فالحمد لله الذي جاد به وانعم . وملأ القلوب من السرور به وافعم . حمدا يكون له به حرز من الشيطان . وكنز من العرفان . وامن من الفتن . ويمن يشيع به ذكره ان شاء الله في كل وطن . وها انا اهنيكم بازدياده . كما اهني به الاحياء والاموات من اجداده . واما انا فقد قدمت نفسي على جميعكم في هذا الهناء وقد ارخت ولادته وان كنت على غاية من الشواغل . التي انا فيها واغل . راجيا من الكبير المتعالي . ان يحقق له ما اقتضاه فالي . وان يصدق فيه مقالي .

سحب العوارف قد اسالت وبلها ... وشذا المعارف قد تضوع قبلها
وعرائس الافراح نحوي اقبلت ... ترمي على الاتراح عندي نبلها
غنت بمزمار السرور بساحتي ... طربا وقد ضربت بها لي طبلها
فرحا بمولود كريم ماجد ... حاز المفاخر كلهن وفضلها
من والد عن والد عن والد ... هم خير سلسلة اجادوا صقلها
وانا ارى هذا الغلام يزينها ... ويزيد فيها ما يحسن شكلها
اكرم به من طلعة ميمونة ... جاءت لتجمع للمكارم شملها
فبها اهني النفس مني انها ... كانت احق بها وكانت اهلها
لم لا وكيف وانه إبن الذي ... اضحت تراه الروح مني نسلها
فاهنأ به يا والدا لجنابه ... فلقد منحت من السعود اجلها
واهنأ به يا جده وانله من ... تلك الشفاه بكل سر تفلها
واعلم بانك ان تفلت فتحت من ... ذاك الفتى بالعلم والحكم اللها
واجزم بذاك وايقنه ولا تقل ... في قدرة المولى الكريم لعلها
وابشر وقل فيه وانت مؤرخ ... ولدي الذي يحيي المعارف كلها

٥٠ ٧٤١ ٣٨ ٤٢٢ ٥٦
سنة ١٣٠٧

هذا والمرجو من الله الذي لا رب سواه . ان يحفظه وجده واباه . وان يمنح كلامنا مامولة ومناه . وان يتحف جميعنا برضاه . يوم نلقاه . بجاه نبيه ومصطفاه . صلى الله عليه وعلى آله . ما دام جنابكم على حال كماله . حرره اليكم الداعي برقيكم كل مرتبة شريفة . خديم العلم واهله محمد طريفه . اخذ الله بيد الجميع . الى ما فيه حسن الصنيع . وكتب في ٢٦ شوال سنة ١٣٠٧ سبع وثلاثمائة والف وشهر المكتوب هو الشهر الذي ولد فيه ابني المذكور في اوائله

ومن ذلك ما كاتبني به مهنئا بخطة التدريس بالجامع الاعظم نثرا وشعرا ونص ذلك بعد فاتحته الجناب الذي لا زالت تتشرف به المراتب . وتتشوف اليه المناصب . جناب الابن الروحي . الذي لم يزل ذكر محاسنه غبوقي وصبوحي . فاتح حصون المعارف بجيوش افهامه . والمرتقي لسماء عزها بسلم اعتنائه واهتمامه . فهو الفائق في عرفانه . على جميع اقرانه . قديم الوداد . وعديم الانداد . وكريم الاباء والاجداد . ذلك السيد الغطريف . الغني فضله عن التعريف . الجهبذ العالم . وجامع المكارم . ابو عبد الله الشيخ سيدي محمد النيفر الشريف لا زالت شموس سعوده في درج المراتب طالعة . وبدور محاسنه في فلك المناصب ساطعة . اما بعد اهداء اتم التحيات وازكاها . وابركها وانماها . الى جنابكم السعيد . المهنا بموسم العيد . وبالمنصب المبارك الجديد . فاني ما زلت على بساط الثناء عليكم متقلبا . ولما يسرني من اخباركم متطلبا . حتى بلغني عنكم ما اذهب عني الاحزان . واطرب مني الجنان . وقال للفرح كن فيه فكان . من ولاية جنابكم خطة التدريس . التي ارتفعت بكم على ارفع من عرش بلقيس . واصبحت بكم تنادي . هلموا الى هذا النادي . فقد حان وقت العلم وبدا . وظهر مصباح الفهم والهدى . فكأني بها وقد لبت الناس دعواها . واقتبسوا من مصباح هداها . فيا لها من نعمة لا يقدر قدرها . ولا يستطاع شكرها . قد ايقظت جفون افراحي . بعد ما اخذت في النعاس . واحيت رسوم مسراتي بعد ما قاربت الاندراس . فان خبر ولايتكم الميمونة قد وافى الي . عقب سرور كان عندي بختان ابني . وبينما انا آخذ في تناسيه . اذ رجع بدره عن تماسيه . حتى توسط في سماء التهاني . ثم خصني بالخطاب وناداني . وقال لي اين انت من

موجب السرور . ومثير الابتهاج والحبور . فقلت له وما هو . فقال ها هو ان اكبر ابناءك . واجدر من تبلغ لاجله غايات هناءك . قد استوى على منصة التدريس .

ويصعد بعده كل مقام علي نفيس . فقلت لعلك تعني الآخذ من كل فن الحظ

٤٥٠ ٨١ ٥٠ ١٨١ ١١٠ ٤٤٠

سنة ١٣١٢

الاوفر . ابا عبد الله الشيخ سيدي محمد النيفر فقال وهل غيره يذكر . ويتقدم للامتحان ويظفر . فحدث عندي اذ ذاك من السرور . اضعاف ما كان منه عندي بالحتان المذكور . فما علمت اني سررت في عام مرتين فضلا عن مرات . الا في هذا العام الذي استحق ان اسميه عام المسرات . ولو لم يكن فيه الا سرورنا بترقيكم الى منصب تدريس العلم . لكان ذلك كافيا بتسميته بهذا الاسم . فلا باس ان يسميه بذلك كل من كان متشوفا لدرس جنابكم العلي ويقول في تسميته مؤرخا . عام السرور بالمعارف لي . هذا ولما طرق خبر ولايتكم مسامعي . وهنئت به في

١١١ ٧٣٧ ٤٢٤ ٤٠

سنة ١٣١٢

جميع مجامعي . حملني الفرح بولاية جنابكم الكريم . على ان انشأت القصيدة التي تصل اليكم صحبة هذا الرقيم . اداء لما يجب لكم علي من الحقوق فتقبلوها بالترحيب . وقولوا اهلا وسهلا بابنة فكر الحبيب . ولا تظنوا اني اخرت مكاتبتكم الى هذا الاوان . لتغافل او نسيان . بل لقلة الامكان . وعدم مساعدة الزمان . فاني والله في اثقال . من الاشغال . وفي امقات . من ضيق الاوقات . ولولا ذلك لوردت عليكم مكاتباتي . في كل جمعة تاتي . لكني اظن ان ما اجده من حر الاشواق . لا ينطفي الا بالتلاق . فنرجو من الله ان يمن علينا بساعة تجمع منا ما تنافى . ويكون جميعنا فيها مسرورا معافى . كما نرجو منه ان يديم لكم التعالي . في رتب المعالي . ويمنحكم التسامي . على كل سامي . بجاه نبينا التهامي . صلى الله وسلم عليه . وعلى آله واصحابه ومحبيه . حرره اليكم الداعي ببقائكم في ظل عيش وريف . الحاج محمد طريفه المفتي الشريف . اخذ الله بيد الجميع . الى ما فيه حسن الصنيع . في ١٣ ذي الحجة ختام سنة ١٣١٢ ونص القصيدة المشار اليها :

عهدي بان خرائد العرفان ... حجبت بخدر العز منذ زمان
ما بالها برزت تدل بدلها ... عنها وتطلب صحبة الاخدان
ولعلها لما رات اكفاءها ... عجزوا عن الصدقات والاثمان
صدقاتها صدق المريد وقلما ... تلفيه في زمن من الازمان
لكن همة من علا اوج العلى ... جادت بها كرما لكل معاني
فغدا بمهر الامتحان ينيلها ... حظا بها من سائر الاخوان
هو من علا في العلم عن اترابه ... وسما بهمته على الاقران
هو من عنى بالمكرمات وجمعها ... متعودا ما اعتاده الابوان
هو من بالبان المعارف والهدى ... غذته وهو بمهده ثديان
نجل الامام الطيب الفذ الذي ... ما خلت في دهري له من ثاني
النيفر النفار من ان لا يرى ... سور الشريعة قائم البنيان
ماضي العزائم ما نبت عن مقصد ... كلا ولا كلت من التبيان
قاضي قضاة الوقت الا انه ... اقضاهم بالعدل والاحسان
نجم الفهوم وبدرها بل شمسها ... غيث العلوم الهاطل الهتان
كشاف صعب المشكلات جميعها ... من كل ما استعصى على الاذهان
مصباح ليل الغامضات باسرها ... مفتاح كنز جواهر العرفان
فهو الذي سارت احاديث الثنا ... عن مجده مع سائر الركبان
وغدت صنوف العلم تشكر صنعه ... لما لها اضحى حليف بيان
وابان من ابنائه لبيانها ... ايضا فتى فاق الملا بمعاني
علم ولكن التقى هو اسه ... حلم ولكن لم يشب بهوان
فهم ولكن الخفايا عنده ... تحكي الجلايا بل هما سيان
عهد ولكن الوفاء حليفه ... فهما لديه ليس يفترقان
ود ولكن الصفاء حريسه ... من ان يناط بموجب النقصان
فلك المهيمن من همام قد حوى ... فخرا وقدرا ليس بالمتداني
وفصاحة وبلاغة وبراعة ... جرت ردا النسيان عن سحبان

يا ايها الفذ الذي آياته ... قد اصبحت تتلى بكل لسان
اني سررت بما منحت من العلى ... وطربت حتى صرت كالنشوان
لا غرو ان الاب يفرح ان علت ... ابناؤه وسمت على الاقران
فبكم تهني خطة التدريس اذ ... بكم تقر لاهلها العينان
فاهنأ بها يا ابن الكرام فانتم ... اهل لها بشهادة الاعيان
وابشر بنيلك اجرها يوم الجزا ... لما تكون بكفة الميزان
واعلم بانك مرتق من بعدها ... رتبا تبين لكم كمال تهان
واليك مني يا ابن قلبي غادة ... ترنو بطرف ساحر فتان
عربية قد اعربت عن فضلكم ... وكمالكم نطقا بخير لسان
وتزينت من مدحكم باساور ... وخلاخل وجواهر وجمان
وافت تهنيكم باشرف منصب ... فزتم به عن سائر الاقران
واتت مبشرة بعلمكم الاولى ... طلبوه وارتقبوه منذ زمان
ولهم غدت تروي احاديث الهدى ... عن درسكم لدقائق العرفان
وتقول في تاريخه فوزو بدر ... س الاورع ابن الطيب الرباني

٢٩٤ ٥٢ ٥٣ ٣٠٨ ٥٠٦ ٩٩

سنة ١٣١٢

ومنه مهنئا لسيدي الوالد ابقاه الله بخطة قضاء الجماعة ونصها

اقول من الافراح الله اكبر ... والهو عن الاتراح طرا واصبر
وانسى بانس اليوم وحشة امسه ... واحمد مولانا عليه واشكر
ومن غاب عنه البدر ثم تطلعت ... صباحا عليه الشمس لا يتحير
ومن فاته غيث ووافاه سيله ... فليس له عذر اذا يتضجر
ومن كان ذا فخر بقاض وقد مضى ... فها باخيه اليوم يزهو ويفخر
هو الطيب الحبر الذي قد حوى العلى ... ولا عجب فيما حوى وهو نيفر
هو الامجد السامي على كل ماجد ... وما فوقه في المجد من هو اكبر
هو الاوحد الفذ الجليل الذي بدت ... مآثره كالشمس بل هي انور

طليب لفعل الصالحات حبيبها ... طبيب الى كسر القلوب مجبر
عطوف لدى الخيرات عمن له التجى ... اسوف على الخيرات ان هي تعسر
لبيب اريب للمعارف جامع ... ولكنه للمشكلات محرر
يفيد نفيس العلم في كل مجلس ... ومجلسه نور الهداية يثمر
تراه كروض راق نمت زهوره ... بكل شذا يحكيه ورد وعبهر
تراه كروض فاح نمت زهوره ... بكل شذا يحكيه مسك وعنبر
تراه كروض طاب نمت زهوره ... بكل عبير من شذا العطر اعطر
امام همام ماجد متعفف ... تقي نقي ناقد متبصر
فافهامه للمغلقات مفاتح ... فما عسر الّا لديه ميسر
واقلامه مهما جرت فجرت لنا ... بحورا من العرفان فيهن جوهر
وآراؤه للغامضات زيارج ... فكم من عويص يختفي وهو يظهر
وآلاؤه بين الانام ظواهر ... فقل للذي ان شاء ينكر ينكر
اليس هو ابن المنتقى من سلالة ... تسامت وبالمجد النبيئيّ تشهر
اليس هو ابن المرتضى العلم الذي ... اذا ما عددت الاتقيا يتحنصر
اليس هو ابن المرتقي رتب العلى ... وكان ولي الله يخشى ويحذر
ويرجى لدى الفاقات طرا كما حكوا ... ويرجى لدى الامقات ايضا فينصر
ويكفى الذي آوى لباب جنابه ... ويشفى به من كل ما منه يضجر
ويحظى بما يرجو من العلم والندى ... ويعطى امانيه فيرجع يشكر
امام زكي الاصل فذ معظم ... همام ذكي الفصل شهم موقر
محمد الحبر الابر الذي انطوت ... صحائفه فاعجب لها وهي تنشر
بذكر مزاياه التي قد سمت به ... واحيته مع طول المدى وهو مقبر
واعظمها هذا الهمام الذي غدا ... يزيد اسمه طيبا اذا ما يكرر
ولا عيب فيه غير ان كلامه ... من الدر فيما قد علمت لا نضر
ولا عيب فيه غير ان يمينه ... من البحر فيما صح عندي لازخر
ولا عيب فيه غير ان جبينه ... بكل سؤال قد بدا يتنور

به زادت السمحاء حسنا وقد غدا ... باحكامها ينهى الانام ويأمر
ونادى لسان الحال منها على الورى ... ألا من له حق به اليوم يظفر
فهذا امام العدل قد قام قاضيا ... على كل ذي ظلم بما عنه يزجر
واصبح يبدي من شريعة جده ... نفائس احكام بها القطر يعمر
وعادت به الخضراء خضرا مريعة ... كأن لم ترع بالامس والوجه اصفر
لك الله من قاض على النفس قد قضى ... بالزامها ما منه تابى وتنفر
واضحى لدى طرق التصوف سيره ... ومن سار فيه قلما يتحير
فدم سيدي في عزة ومهابة ... وفي عيشة حسناء لا تتكدر
وفي نعمة تبقيك مغتبطا بها ... وانت بانجال كرام تؤزر
وفي همة تعلو ولكن دعاؤنا ... بهذا دعاء للبقاء مقرر
وخذ لك من صدق الوداد خريدة ... تفوح عليها من مديحك اعطر
وتحملها حور المعاني اليكم ... بمزمار ولدان المباني تزمر
اتتكم تهنيكم باشرف خطة ... حباكم بها من هو للخير مصدر
امير سمير للمعارف والهدى ... ومن كفه مزن المعارف يمطر
وقد قيل ان البحر يشبه كفه ... فقلت لهم لا لا اذ البحر يجزر
فقالوا هل المزن الهطول شبيهها ... فقلت لهم لا لا اذ المزن يفتر
فقالوا بماذا قلت اني عاجز ... واني على تشبيهه لست اقدر
كفى فيه قولي هو ذات من الهدى ... وجسم من الجود الحقيق مصور
ولو لم يكن فيه سوى جوده بكم ... كفانا ولم نطلب دليلا يقرر
فكم بعروس الشرع ابدى اعتناءه ... الى ان غدت فوق السما تتبختر
وقد جال منه الفكر فيمن ينيلها ... ومن هو اولى بالحقوق واجدر
ولما راى منك الوفاء بحقه ... وحق النبي فيما تسر وتجهر
حباها بكم فضلا وقال مؤرخا ... بك الحق يبدو يا وفي ويظهر

٢٢ ١٣٩ ٢٢ ١٠٧ ١٠٢١

سنة ١٣١١

ومنه ما كاتب به سيدي الوالد ابقاه الله معزيا في والدته الماجدة الصالحة خديجة ابنة الماجد الوجيه الحاج حميده عزيز ونصه : الجناب الذي نرجو من الله بقاء حياته ، وسلامة ذاته، جناب من رفع الله به من الشريعة منارها، واطلع به نهارها، وانبع به انهارها ، واينع به ثمارها ، وفتح به ازهارها ، وضوع به اعطارها ، قطب الدائرة السنية ، وقاضي الجماعة المحمدية ، موضح الخفيات بمحاسن تقريره، وموشح الجليات بجواهر تعبيره ، سليل الاشراف، وخليل الانصاف، جامع جوامع المعقول والمنقول ، وقامع غوامض الفروع والاصول ، ذلك البدر الغني عن التعريف ، والبحر الذي لا تحيط بكنه ما فيه عبارات التوصيف ، مولاي واستاذي، وملجاي وملاذي ، ابو الشذا الشيخ سيدي محمد الطيب النيفر الشريف

عليه مني سلام ❁ يلذ مثل كلامه ❁ يحمل وجدي وشوقي ❁ الى رفيع مقامه ❁

اما بعد اعادة التحية للتاكيد ، ولتحقيق اداء ما يجب علي لجنابكم السعيد ، حتى تكون نائبة عني في تعزية حضرتكم السعيدة ، على تلك السيدة الفقيدة ، فانه قد بلغني منذ ايام ، ما اذهب عني المنام ، واغتممت لاجله غاية الاغتمام ، من ان والدة رفيع جنابكم المامون ، قد اختطفتها يد المنون ، والقتها حيث تقر العيون ، وتتبين ثمرات النيات والظنون ، ويتميز الامين من الخؤون ، ويظهر متصفا بكان كل ما اتصف بيكون ، برد الله ثراها ، وعرفها فضله وادراها ، وانالها من الجنة طرفها، واسكنها منها غرفها ، وما زلت متأسفا على فقدها من ذلك الحين ، ولا اسف الا على الصالحين ، حتى تذكرت قول سيدنا محمد النبي ،ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي ، فرجعت حينئذ الى الاسترجاع ، والدعاء بما يوجب لها ان شاء الله الانتفاع ، وتسليت عن هذا الامر ، ببقاء جنابكم الرفيع القدر ، وقلت لا جزع ولا اسف، والبركة فيمن خلف ، على ان في الصبر مضاعفة الاجر ، والله المسئول ، بنبيه الرسول ، ان يعاملها بالاحسان ، وان يسكنها اعلى فراديس الجنان ، هذا وقد خطر ببالي ان اؤرخ وفاة والدة جنابكم العالي ، وبينما انا افكر في ذلك الخاطر ، واستعمل فيه فكري الكليل القاصر ، اذ هتف لي هاتف حسن ظني ، فيمن قال نبأ عبادي اني ، وهو ينشدني في حق تلك الفقيدة السعيدة بيتا من الوافر ، يتضمن تاريخ وفاتها بما يشعر ان حظها عند الله وافر ، فقال وما اطال ،

لام الطيب الازكى الامام مقام اليمن في دار السلام

٧١ ٥٢ ٦٩ ١١٣ ١٨١ ١٣١ ٢٩٥ ٤٠٢

سنة ١٣١٤

فوقع هذا التاريخ موقع الاستحسان مني . وقلت جوزيت خيرا يا هاتف حسن ظني . ولولا ان افكاري درستها همـوم حوادث الزمان . وطمستها غموم مكائد الاحباب والاخوان . لجعلت ذلك البيت المتضمن للتاريخ آخر قصيدة . تتضمن رثاء تلك السيدة الفقيدة . ولكن لما قصر اللسان عن البيان . وحيل بين العير والنزوان . جنحت الى الدعاء وتلاوة القرآن . واهديت ثواب ذلك الى تلك الفقيدة الرفيعة الشان . مجازاة لها حيث كانت سببا في وجود جنابكم الكريم . الذي كان سببا في ترقيتي الى سماء العز والتكريم . واصعدني اليها في سلم علمه بيد التعليم . ولما رأى ما وقع مني على ذلك التاريخ من الاستحسان . اردفه بثان . وقال لي اجعله على الاول كالبرهان . وقل مؤرخا على لسان الجود والفضل والاحسان . يا رضوان . افتح ابواب الجنان . وانزل ام الطيب اطيب مكان . فتضاعف استحساني .

٣٥٨ ٤٨٩ ١٢ ١٣٥ ٩٤ ٤١ ٥٢ ٢٢ ١١١

سنة ١٣١٤

عند سماعي لهذا التاريخ الثاني . وقلت يا هاتف حسن ظني . لقد اثقلت كاهلي بما اديته من الواجبات عني . فقال ان شئت ابين منه واظهر . وادل على ما للفقيدة عند الله من الفوز الاكبر . والوفاء لاجلها الاوفر . فقل مؤرخا

لام الطيب النيفر . وفاء ورضوان من الله اكبر

٧١ ٥٢ ٣٧١ ٨٨ ٣٥٣ ١٥٦ ٢٢٣

سنة ١٣١٤

فقلت كما قال . ودعوت الله تعلى بان يحقق لها ما نطق به ذلك الفال . وان يخلع عليها خلع القبول والاقبال . وان يحسن فيها عزاءكم وان يجزل على مصابكم بها جزاءكم . وان يجعل البركة فيكم . وفي كل من ينتمي اليكم . وان لا يريكم بعدها ما تكرهونه . وان يبلغكم من خيري الدارين ما تأملونه . وان يحفظكم

بعدها من حوادث الليالي والايام . وان يبلغكم مع طول العمر ودوام العافية كل مرام . بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وعلى آله الكرام . واصحابه المرجو بهم حسن الختام . حرره اليكم . معيد التحية عليكم . وعلى الكرام الفضلاء بنيكم . الداعي ببقائكم في ظل عيش وريف . ابنكم الروحي الحاج محمد طريفه الشريف . وفقه الله وكتب في ٨ رمضان المعظم سنة ١٣١٤ وكانت وفاة الفقيدة المذكورة اواخر شعبان من السنة المذكورة ولنقتصر على ما جلبناه من بدائعه . ففيه اوضح دليل على عذوبة مشارعه . ومقدار ماكان له من البضاعة . في هاته الصناعة . التي انقاد له ابيّها واطاعه . رحمه الله تعلى .

الاستاذ ابو النخبة شيخنا مصطفى بن علي رضوان

التركي الاصل

ولد هذا العالم الجليل بمدينة سوسة سنة ١٢٤٤ فنشأ تحت رعاية والده المذكور فحفظ القرآن وكان بارع الخط ثم اشتغل بمبادي العلوم بسوسة على بعض علمائها المالكية وحفظ جملة من المتون العلمية وتفقه في مذهب امام دار الهجرة مالك حتى انه حفظ جملة من المختصر الخليلي حفظا لم يذهب منه على طول المدة فقد كان يسوق عبارة المختصر اذا مست المناسبة في درسه ولما ظهرت بوارق نجابته تاقت نفسه للهجرة لدار العلوم التونسية جامع الزيتونة فرغب من والده الاذن له فساعده وانتقل معه مدة الى تونس وكان قدوم صاحب الترجمة اليها سنة ١٢٦٠ فاخذ العلم عن جهابذة ذلك العصر فكان جدي ابو عبد الله سيدي محمد النيفر يميزه على كثير من طلبته لنجابته ويخصه بمزيد الرعاية . اخبرني رحمه الله انه لما انتقل بالسكنى الى داره قرب مدرسة بئر الحجار اختار جملة من تلامذته الاخيار لقراءة صحيح البخاري بها تيمنا فكان صاحب الترجمة في مقدمتهم وقد رايت نسخة من رسالة القصر التي املاها جدي المذكور في مسالة ما انا قلت هذا بخط صاحب الترجمة ذكر لي انه نسخها من خط مؤلفها وقد كتب على ظاهر اول ورقة منها ما نصه رجع الدر الى معدنه فسالته عن قصده بذلك فقال لي من مكارم اخلاق جدك ومحبته في تلامذته اني لما نسختها قدمتها اليه راجيا ان يتتبعها مطالعة لعله يجد فيها اصلاحا فجازاني بذلك وكان رحمه الله كلما

اجتمعت به يحرضني على ان اترجم لجدّي جدي المذكور من قبل ابي وجدي اب والدتي ابي اسحاق الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ويقول لي يجب عليك ان تجمع تاريخ حياتهما وما كان لهما من المناقب فاني اخشى ان انقضى هذا الجيل يجهل حالهما الذي هو فخر الايالة التونسية فتاتي الاجيال من بعدنا فيظنونهما بمنزلة غير منزلتهما العلمية كما وقع ذلك لكثير من فضلاء هذه البلاد الذين تفتخر بهم ماتوا فلم تدون تراجمهم فانقرض ذكرهم وجهل امرهم مما هو خسارة عليها وعنوان تقهقر العلم والادب بها وهو اكبر حامل لابن خالي الفاضل البارع الشيخ ابي حفص عمر الرياحي على تاليفه المسمى بتعطير النواحي وكان الشيخ العلامة ابو عبد الله محمد ابن الخوجه شيخ الاسلام ينوه به فقد اخبرنا في بعض دروسه بمناسبة الاعتراف واعطاء الحقوق لاهلها انه كان ساله في درسه وكان بحث صاحب الترجمة مع شيخه وجيها سلمه الشيخ ابن الخوجه وصححه ثم من الغد لما اجتمع التلامذة للدرس قال له بمرأى منهم ومسمع يا ولدي لا اغمصك حقك ان البحث الذي اوردته علي بالامس ذكره الكمال ابن الهمام ويكفيك فخرا ان يوافقك ابن الهمام ولما لاحت عليه مخائل التحصيل رام ان يعرف بنفسه عامل بلده الوزير محمد خزندار فامتدحه بابيات وكتبها بخطه الجميل وقدمها اليه فلما عرفه سر به وتفرس فضله واستجلبه وسعى له في ولاية خطة العدالة فوليها سنة ١٢٦٢ وهي اول خطة يستنم ذروتها اهل العلم ثم رغب منه الوزير المذكور في الكتابة عنه فاجابه على شرط بقائه في طلب العلم فكان ياتي دار الوزير المذكور لمباشرة اعماله في غير اوقات دروسه فكانت له مع الوزير المذكور اواصر ودية وثيقة ولما وجه الامير احمد باشا الوزير المذكور للدولة العلية للمفاوضة في شان توجيه العساكر التونسية اعانة في حرب القرم واحضار ما يلزم لهم اختار صاحب الترجمة للسفر معه بدل كاتب من الدولة فسافر معه ولما عاد الى الحضرة التونسية وتولى الامير محمد باشا الامارة التونسية اعيد الوزير المذكور الى اسلامبول للاتيان بالفرمان والخلعة للامير على العادة اصحب صاحب الترجمة معه بصفته آنفا وكان ذلك سنة ١٢٧١ واخبرني رحمه الله انه اثناء اقامتهما بدار الخلافة في انتظار الفرمان والخلعة السلطانية اتى الى الوزير المذكور مكتوب من الوزير الاكبر بتونس ابي

النخبة مصطفى خزندار يتضمن الحث على قضاء الغرض والقدوم وان الامير محمد باشا ولد له مولود سمي محمد الناصر تفاؤلا به قلت وهو امير البلاد اليوم ايده الله تعلى ويتضمن ان السكة التونسية نظرا لما داخلها من النقص والغش في دولة الامير سلفه حتى افضى بها الى السقوط واصبحت سوقا لتجارة الاجانب وطريقا لاختلاس اموال المملكة تلافى الامير امرها وصححها وقطع مورد الارباح فيها ووضع باحد وجهيها اسمه بصفة ضمان على جودتها وعيارها قلت وهذا منه تملص مما عسى ان يطرق سمع الدولة العثمانية مما لا تزال تتهم به الامراء التونسيين من سعيهم وراء الاستبداد على السلطنة وهو ما لم يفعله احد قبله من الامراء الحسينيين ولو احمد باشا وقد حصل صاحب الترجمة على النيشان المجيدي المجعول افتخارا للخدمة الحربية سنة ١٢٧٢ ثم ان صاحب الترجمة سافر مع الوزير محمد المذكور بصفة كاتب اول لما ولي على الاعراض ولقبه المشير محمد باشا باميير الاعراض وجهز معه محلة من العسكر النظامي والمخازنية والمزارقية لطرد المدعو غومه الطرابلسي المحمودي من قبيلة المحاميد عرب طرابلس الثائر على الدولة العثمانية بولاية طرابلس وقد كانت الدولة العثمانية جلبته الى اسلامبول فهرب منها والتجأ الى الاعراض من الايالة التونسية فاتم الوزير المذكور اعماله كما تروم الدولة ثم ان صاحب الترجمة انقطع بكليته الى العلم وملازمة رياض الجامع الزيتوني من سنة ١٢٨١ فولي خطة مدرس حنفي من الطبقة الثانية به سنة ١٢٨٥ وفي سنة ١٢٨٦ ترقى بالمناظرة مع الشيخ ابي الثنا محمود بيرم الى خطة مدرس حنفي بالجامع المذكور من الطبقة الاولى ثم انتخبه الوزير خير الدين كاتبا بالكمسيون المالي لما ولي رئاسته سنة ١٢٨٦ ثالث ثلاثة وفي سنة ١٢٨٧ توفي رئيس الكتبة المذكورين فولي صاحب الترجمة الرئاسة وفي سنة ١٢٩١ عين عضوا في مجلس ترتيب الدروس للجامع الاعظم وتاليف قانونه وشارك في سائر القوانين التي ابرزها الوزير خير الدين مدة وزارته وفي سنة ١٢٩٤ عين عضوا بمجلس النظر في احداث طريق سكة الحديد بين تونس وباجة وعضوا في مجلس النظر في نوازل طرقات الحديد عموما وفي سنة ١٢٩٥ عين عضوا في المجلس المشكل للنظر في دعاوي الكنت صانهي المتعلقة بمنحة هنشير سيدي ثابت وفي سنة ١٢٩٦ عين عضوا في المجلس المجعول

للشورى في مهمات امور الدولة المتسبب عن نازلة تجاسر علي بن الزي تابع الوزير مصطفى بن اسماعيل على الاحكام الشرعية وفي سنة ١٣٠٠ عين عضوا في المجلس المعين للنظر في الدعاوي الموجهة على مصطفى بن اسماعيل وقد كان حميده بن عياد قام على الدولة التونسية بحسابات يدعي انه شاط له بمقتضاها ملايين قبل الدولة فاعتنى صاحب الترجمة بالنازلة وبحث اوراق الدولة واستخرج منها حججا ورتبها واجاب عن دعاوي ابن عياد المذكور ولخص حجج النازلة ولما نصبت الدولة محكمين في النازلة اتضح لديهم بتلك الحجج الامر وظهرت براءة الدولة بل اصبح ابن عياد مطلوبا لها بعد ان كان طالبا فحمدته الدولة على حسن خدمته وجازته برئاسة قسم بادارة المال سنة ١٣١٠ ولما رامت الدولة وضع مجلة الاحكام المدنية للمجالس العرفية ونظمت لذلك مجلسا بدار الامارة تحت رئاسة شيخ الاسلام وعضوية باش مفتي ومفتيين مالكي وحنفي ومدرسين مالكي وحنفي كان المدرس الحنفي هو صاحب الترجمة وذلك سنة ١٣١٧ هذا من وجهة خدماته السياسية اما العلمية فقد اقرأ من الكتب العالية في العلوم من الاصول والمعاني والفقه وغيرها ما انتفع به جل اهل الجامع الزيتوني ان لم نقل كلهم وقد رأى تلاميذه يزينون المجلس الشرعي ويعمرون حلق الدروس ويجملون المجالس ناهيك من رجل خدم العلم والسياسة ما ناف عن الستين سنة وكانت له علوم امتاز بها حريص على بثها منها الحساب والهيئة وله ادب يكاد معانيه تسبق الالفاظ، وتشربه لعذوبته مسامع الحفاظ . وكانت للنظارة العلمية بجامع الزيتونة اتم وثوق به في اختبار تلامذة امتحان التطويع العلمي حيث كان لا تاخذه لومة لائم في اجازة المتحقق ورد المتسلق وكان رقيق القلب متخشعا كنا نقرأ عليه الهمزية البصيرية بشرح ابن حجر فكان غالب الدرس لا يرقأ دمعه ومثل ذلك اذا قرأ الحديث متواضع النفس، عرض عليه الوزير خير الدين امامة جامع حمودة باشا المرادي فلم يقبلها كما عرضت عليه خطة الفتيا في ايام المرحوم علي باشا باي فلم يقبلها ايضا هكذا اخبرني بعض تلامذته بالنقل عنه وله رسالة في حكم المسح على الجورب واخرى في تقدير نصاب العين بحسب دنانير ودراهم الوقت اما مجالسه فحدث عنها ما شئت من تحارير، تتشح بها النحارير، وتقارير، يضحي بها جفن العلم وهو قرير، وما زال يسحب برود الكمال، مرموقا

بعين الاجلال . حتى اصابه التهاب اعيى الآسي . ودك به ذلك الجبل الراسي . في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ بداره بالمرسى ودفن قرب ضريح سيدي عبد العزيز القرشي المهدوي وكتب على ضريحه تاريخ من انشاء صديقه العلامة الاستاذ الشيخ ابي النجاة سالم بوحاجب ومن شعره ما كتبه الى الشيخ محمد معاوية شيخ الاسلام لما رام تقديم غيره عليه للدرس بدون مناظرة

ايا شيخ اسلام وقدوة امة ... مقامكم اعلى مديح واعظم
معاوية الاستاذ هل من معتب ... فلا العلم مغبون ولا الحق يكتم
عهدناك قبل اليوم تشكو تاخرا ... وتقديم من لا يعلمون وتعلم
اعيذك من ان اشتكي منك مثلها ... فعدلك يأباها ورأيك احزم
فلا تجعلني واو عمرو وانني ... انا الميم والايام افلح اعلم
هديتم الى رشد فخذ قول منصف ... سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم
واني على عليك اثني مسلما ... ولست لمن قدمتموه اسلم

ومنه مهنئا الامير محمد الطيب باي ولي العهد في تاريخه بالقدوم من معرض باريس وكان ذلك لامر ما

قدوم ولي العهد يزهو به القطر ... كما الروض غب المحل عاوده القطر
يهنى به المولى الامير مليكنا ... ابو الحسن الباشا علي له النصر
اناط بكم عهد السفارة واثقا ... بنجح ولم يشدد بغير الاخ الازر
تقلدت منه ما ينوء بعبئه ... سواكم فلا زيد له لا ولا عمرو
مرنت على الاسفار لا متهيبا ... خطوبا وان جلت فمفتاحها الصبر
ركبت الخضم البحر والجد مقبل ... وسعد السعود البيت والطالع الغفر
وسرت وباسم الله تجري سفينكم ... وترسي على الجودي ويستدفع الضر
جرت بسلام فاعجبوا لنجاتها ... ومن تحتها بحر ومن فوقها البحر
وكم حاول القوم اختراعا لمثلها ... فما فعلوا عجزا واعياهم الامر
ولله لطف في شؤونك كلها ... وسر بما قد طاب منه له السر
برزت الى باريز في موكب سما ... يرى منه في وجه الاماني لنا البشر

ولم تقتصر حتى تجاوزت غاليا ... الى لندن حيث العمارة والتجر
وباريز بالتبريز في الحسن برزت ... وخطابها العشاق لم يغلهم مهر
ادارت كؤسا مترعات بكفها ... عليكم وقالت خذ فرائدنا حر
فلاطفت بالمعروف منك سياسة ... بما يعجب الحسنا ويندفع الوزر
فجاءت به صحف الجرائد مسهبا ... الى خطب من نشرها يعبق النشر
ونلت من الاكرام ما هو واسع ... ولكنه في جنب عليائكم نزر
فعلياك تعلو كل عال لا يفل ... تعانقه العذرا ويجنبه النسر
ترى منه باريزا خطوطا كانها ... خريطة تصوير تخللها النهر
وجزءا ولكن لا يجزى خطوطها ... تراها من البالون فانعدم الكثر
لدى معرض فيه الخلائق جمعت ... باعمالهم حتى كأن قد اتى الحشر
فمن محسن يرجو الجزاء لفعله ... وآخر مغبون بضاعته خسر
يجازي من الاعمال ما عملت يد ... صناع باتقان وما صنع الفكر
تلاحقت الافكار في كل مبدع ... وللكل فضل لا يحيط به حصر
وآية روم اخبرتنا بعلمهم ... بدنياكم قد صدق الخبر الخبر
اقول ولا كفران بالحق صادعا ... بقدر ازدياد العلم للامم الفخر
ولا زلتم آل الحسين لتونس ... وبالعلم والاسلام يعلو لها القدر
ويا سيدا احفاده قد رايتهم ... حراصا على التعليم ما فيهم كبر
وبشراك فيهم عن قريب تراهم ... بدورا كما تنوي ويسعدك الصهر
ودمت قرير العين للشمل جامعا ... تهنى بما ينمو به المجد والبشر

ومن نثره ما كاتب به العلامة الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب اظهار الحق في الرد على اهل التثليث على لسان الوزير خير الدين ونصه : جناب العالم النحرير الفاضل ، الذاب عن حوزة الملة الاسلامية المناضل ، الدراكة الهمام ، جار بيت الله الحرام ، الشيخ رحمة الله العثماني ، بلغه الله غاية الاماني ، ولا زالت اقلامه عاملة عمل الصفاح ، ومعارفه الكتائب المنصورة عند الكفاح ، اما بعد السلام ، الذي هو تحية الاسلام ، ورحمة الله وبركاته فقد اطلعنا على تاليفكم المسمى باظهار الحق فاذا هو ازالة القذى ، عن المورد

الاصفى . لاهل الاسلام . والحجة الواردة على اهل التثليث بالنقض والالزام . كم تضمن من دلائل نقلية . اسندت الى علمائهم . لتكون ابلغ في الحجاج . وبراهين عقلية . رتبت على اقيسة هي عند حكمائهم . مسلمة الانتاج . حتى ظهر الحق وزهقت الاباطيل . وجعل الله كيد اولئك الضالين في تضليل . ولعمري انه لا يقدر على ذلك الجدال بل الجلاد . وان شئنا قلنا الجهاد . الا فحول من العلماء لم يدرسوا كتب الاسلام فقط بل مارسوا كتب سائر الامم وعكفوا على دراسة فصولها وابوابها . حتى عرفوا مواقع الحجاج مع اصحابها . وجنابكم . كما يشهد به كتابكم . ممن برز في حلبة هذا السباق . فساق لاظهار الحق الحجج التي خضعت لها الاعناق . فلا ريب انكم اطلعتم على عجر القوم وبجرهم . وحين تصدروا للجدال والتضليل رموا منك بحجرهم . فاصيبوا منه بذات الاضاريس الدامغة . وقامت عليهم بما في ايديهم الحجة البالغة . وطالما بكتهم الكتاب المبين . بآية قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين . فلم يزالوا مبلسين . كاتمين للحق غير نابسين . حتى ترجم اظهار الحق ما كتموه . او حرفوه وبدلوه . فانكشف بذلك عوارهم . وافتضحت به للعامة اسرارهم . وهم الذين استهدفوا لهذا الغرض بوضع الرسائل التي مخرقوا بها على عوام المسلمين ليضلوهم فحماهم الله بالعلماء امثالكم غير ان اولئك القسوس هم لعامتهم اشد تضليلا حيث انهم لا يعلمون من اصول ديانتنا ولا دياناتهم سوى ما يلقيه اليهم اولئك المضلون ولهذا يسرني جدا اطلاعهم على اظهار الحق ولما لم اعثر له على ترجمة بلسانهم رايت من المناسب ترجمته ونشره بينهم فانه ربما كان انفع من تجهيز الكتائب . وابلغ في نفوذ الحق من السهام الصوائب . وانكى لاولئك المضلين حيث ينعكس عليهم ما قصدوه من الاضلال بالارشاد . وانقاذ من حصل في اشراكهم من العباد . واعلمت جنابكم بذلك اغتناما لمسرتكم اذ مقصد الكتاب ما اشار اليه الحديث الشريف لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس او حمر النعم والله يحرسكم ويرعاكم والسلام . ومن ذلك ما اجاب به الفاضل العمدة السيد البشير صفر وهو مع رفقائه باروبا يستكملون معارفهم ونصه فلذة الكبد . ومحل الولد . ورائد المعارف لهذا البلد . اعيذ كمالك بالواحد الاحد . وافاني كتابك على شوق . لم يشب عُمرهُ

عن الطَّوق . فابصرت منه ما يعجب ويروق . وتوسمت منه ان المعارف سترجع الى مركزها المعشوق . واكذبت من قال انها لا ترجع او يرجع السهم الى الفوق . وقد علمت ما لم اجهله والله يديم توفيقك . ويجعل الحزم رفيقك . ما انتم عليه من المثابرة على التعلم . والدؤب في دروب التقدم . وهي الحسناء لا تسمح بالقل . او تبذل لها الكل . ولا تتقرب اليك بالوداد . حتى تتغرب عن البلاد . ولا تجود بالوصال . حتى تنقطع في طلبها الاوصال . لا تجتني راحة الَّا على تعب ولا تنال العلا الا من الهون وقد جرى في هذا الميدان وابدع فيه البديع . وهل يدرك الضالع شاو الضليع . فقال كما قالوا شيء بعيد المرام . لا يصاد بالسهام . ولا يقسم بالازلام . ولا يرى في المنام . ولا يضبط باللجام . ولا يورث عن الاعمام . ولا يكتب لغير الهمام . وزرع لا يزكو في كل ارض حتى يصادف من الحرص ثرى طيبا . ومن التوفيق مطرا صيبا . ومن الطبع جوا صافيا ومن الجهد روحا دائما ومن الصبر سقيا نافعا وانه علق لا يباع ممن زاد . وصيد لا يألف الاوغاد . وشيء لا يدرك الا بنزع الروح وغرض لا يصاب الَّا بافتراش المدر . واستناد الحجر وورد الضجر . وركوب الخطر . وادمان السهر . واصطحاب السفر . وكثرة النظر . واعمال الفكر . ثم هو معتاص الَّا على من زكا روعه . وخلا ذرعه . ووعى بصره وسمعه . وصفا ذهنه وطبعه . وثمر لا يصلح الا للغرس . ولا يغرس الا في النفس . وصيد لا يقع الا في البذر . ثم لا ينشب الا في الصدر . وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ . ثم لا يعلقه الا شرك الحفظ . وبحر لا يخوضه الملاح . ولا تطيقه الالواح . ولا تهيجه الرياح . وجبل لا يتسنم الا بخطى الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد المجد فكيف يناله نؤم الضحى . ومن عكف على شهواته وماصحا . ثم هو يخدم بالنهار امعاءه . ويعالج بالليل وجعاءه . ايرجو ان يخرج من بين هذه الاحوال عالما . او يرجع في بلده استاذا اوحاكما . هذا اذا المجد كالوه بالقفزان كلا حتى ينسى الشهوات . ويجوب الفلوات . ويعتضد المحابر . ويحتضن الدفاتر . وينتج الخواطر . ويحالف الاسفار . ويخوض البحار . ويصل الليلة باليوم . ويعتاض السهر من النوم . ويحمل على الروح ويجني على العين وينفق من العيش ويخزن في القلب ولا يستريح من النظر الا الى التحديق . ولا من التحقيق الا الى التعليق . وحامل هذه الكلف ان اخطأه رائد التوفيق . فقد

ضل سواء الطريق . هذه مقالة البديع المعجب بديعها . فللاريب حكمتها وللاديب تسجيعها . وكم سرني تنبهكم الى ما حصل لكم من عناية المعلمين . انما هو ببركة انكم من اهل الدين . فلله الحمد صدق الله ورسوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ومن سلك مسلك الاستقامة . لم يعدم من احد اكرامه . واعلموا انكم في بلد حفت بالشهوات . واوكار باض الشيطان فيها وفرخ بالشبهات . فلتستخفوا بالليل لحفظ ناموسكم . ومطالعة دروسكم . ولتسربوا اليها بالنهار مع الساربين . وترتضعوا العلوم من المعلمين . من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . وتجتنوا منها اكمؤا وعساقلا وتجتنبوا بنات اوبر . وتعتبروا بقول الله جل وعلا وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر . وقد علمت ان العلوم التي تدرسونها . والفنون التي تهصرون فنونها . هي من الرياضية الارضية فهل من عروج الى الافلاك . للاتيان بخبر السماء والسماك . وقد كان القدماء يعدون الهندسة وما يتبعها من المتوسطات . والغاية عندهم هي المجسطي وهي الهيئة فهي مخدومة تلك الفنون . والغاية التي اليها ينتهون . فهل ذهبتم الى المرصد لا لاستراق السمع . بل لرؤية ما زيد على السيارات السبع . واحصاء العنب الذي في عنقود الملاحية . ورؤية الحوا وقد قبضت بيديها على طرفي الحية . والاعجاب من راس الغول وقد سدل منه لحية . والسعد الذابح وقد تل شانه للجبين كما تتل الاضحية . والاهم رصد الكواكب مارة بخط الزوال . ومعرفة نقطتي الانقلاب والاعتدال . وهل شاهدتم الآلات التي تمثل الكواكب في سيرها . والارض دائرة على ما يزعمون حول الشمس وعلى محورها . فلا بد من الوقوف على ذلك . والاطلاع على ما هنالك . هذا وانما تاخرت بالجواب لتعلموا بالحري ليس بلازم على المتعلمين مثلكم ان يشغلوا بالجواب بل هو موكول الى الوقت فما جاد به عفوا فهو المقبول وما لا فلا يضيع الوقت لتحصيله لان انفس ما عندكم الوقت وانا منتظر منكم لعفوه والله يصونكم بصونه . ويمدكم بتوفيقه وعونه . والسلام على بنوتكم واخوانكم الاصدقاء فردا فردا وكتب الخ .

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن شيخ الاسلام
ابي العباس احمد ابن الخوجة

ولد هذا الفاضل سنة ١٢٦٧ فنشأ في مهد العلم والفضل، وفرش المجادة والنبل، سالكا لمنهج آله، متدرجا في رتب كماله، مقبلا على طلب العلوم، واقتطاف ثمرات الفهوم، بذهن متوقد، وعزم متجدد، الى ان تسنم مراتب العلى، وتحلى بمحاسن الحلى، فتصدر للافادة، واجرى في ميادينها جياده، ولي التدريس بالجامع الاعظم من الطبقة الثانية سنة ١٢٩١ ومن الطبقة الاولى سنة ١٢٩٧ وبالمدرسة الصادقية سنة ١٣٠٠ وخطابة جامع محمد باي المرادي حين انحلت عن والده العلامة ابي العباس سنة ١٣١٣ وتقلد خطة الفتيا سنة ١٣١٥ فافتى الجماهير، واجاد التحرير والتحبير، كان رحمه الله حسن الاخلاق بشوشا جميل المحاضرة مقبلا على شانه محبا لآل البيت النبوي جميل الاعتقاد فيهم له قصيدة في مدحهم، واشعاره جيدة السبك والصياغة، معقودة عليها الوية البلاغة، ولم يزل مقتعدا دست علاه، متجللا بجميل حلاه، الى ان دعاه داعي الحق فلباه، وهو في سن الكهولة في ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٥ فمن شعره يرثي عم والدي العلامة الشيخ ابا الفلاح صالح النيفر باش مفتي المالكية وامام جامع الزيتونة الاكبر

لك الله من خطب تداعت له رجفا ... رواسخ احلام وقد احكمت رصفا
تمطى به ليل من الوجد حالك ... يضل الكرى فيه فلا يعرف الطرفا
صلى كل قلب من لظاه بمضرم ... يزيد اذا ما الدمع برده ضعفا
يحق له شق القلوب اذا اغتدى ... يشق اخو الاحزان اثوابه لهفا
الى الله نشكوه عظيم ملمة ... عسى فرج يولي دجنته كشفا
ومن مارس الايام هان به الاسى ... فكم روعت سربا وكم رنقت صرفا
وهل سالمت من عهد آدم واحدا ... فيأمن مرتاحا الى ظلها الحتفا
ويا ليتها ترعى ذمام ذوي العلا ... فتبقيهم لكن ابى طبعها اللطفا
وما ضر لو ابقت لنا الواحد الذي ... اعد به دين الهدى للورى كهفا
وما ضر لو ابقت لنا الواحد الذي ... يمر ولا يبدي الزمان له خلفا

وما ضر لو ابقت لنا الواحد الذي ... يبيد به جيش الضلال اذا اصطفا
قضى الله في قطب الرئاسة ان قضى ... فها ادمع الاسلام واكفة وكفا
فمن لنوادي الفضل بهجة صدرها ... وملبسها من فضل اقواله شنفا
ومن للقضايا المعضلات يحلها ... بصارم فكر لا يفل ولا يحفى
ليبكه ملهوف الجوانح غلة ... الى عذب فتياكان منهلها الاصفى
اذا امه المرتاد ابصر جنة ... بدائعها تدني لمن رامها قطفا
ترحل فاقتاد القلوب وراءه ... ولاغرو اذ تقفو المعارف والظرفا
بنى نيفر صبرا فهذا سبيل من ... يعيش ولو قد عاش في دهره الفا
وما بيتكم في المجد الّا كعهده ... سنا عزه ان شاء ربي لا يطفا
على انه قد فاز بالفضل والرضا ... وخلف ذكرا طاب ترديده عرفا
وبلغ في الدنيا الذي شاء من علا ... ولم يرغم الاعداء من عزه انفا
كفى ان سعت تلك الرئاسة نحوه ... تبادر ان تحظى بمفخره الاوفى
فالبسها من عدله وعلومه ... ملابس قد زانت لها الصدر والعطفا
عليه من الرحمن ازكى تحية ... تقر بها عيناه في جنة الزلفى
وحقق فيه الله قول مؤرخ ... الى خير مأوى عل صالح قد زفا

ومنه مهنئا ومعزيا الامير محمد الهادي باي في ربيع الاول سنة ١٣٢٠

ان الهناء صباحه قد اسفرا ... من بعد ظلمة حادث قد كدرا
قد قام في غيل الامارة ضيغم ... في اثر ما ساق المنون غضنفرا
قد لاح في افق الامارة نير ... بدر تطلع اثر بدر ادبرا
آل الحسين جبال عز ارسيت ... طود يقام اذا ثبير اخرا
هم ملجأ للواذ نا لن يعدموا ... هم غوثنا هم غيثنا اسد الشرى
شم الانوف كريمة احسابهم ... تلقاهم الروض العطير الازهرا
قوم كرام سادة رأسوا الورى ... بفواضل ومحاسن لن تنكرا
آباء اهل القطر مفزع اهله ... فودادهم في القلب موثوق العرى
سيما الذي قد سار نحو جنانه ... يرجو الكريم ليجتنى خير القرى

قد قدم الاحسان طول زمانه ... فانله يا ربي النعيم الاكبرا
واطل بقاء اميرنا من سرنا ... بجلوسه في عرش ملك اكبرا
قد جربت اخلاقه فتعطرت ... منها النوادي بما يفوق العنبرا
جمع اللطافة والمهابة والعلى ... ارثا وكسبا فاستجد المفخرا
فلذاك قمري التهاني مفصح ... يشدو فتهتز البلاد تبشرا
بشرى لنا ملك حلاحل سيد ... صفو الجحاجحة الملوك تصدرا
هذا الهمام محمد ملك لنا ... فنديم للهولى الكريم تشكرا
يا اهل تونس قد جلا غماءنا ... لما رايناه السراج النيرا
يا اهل تونس نعمة من ربنا ... فلقد علمناه الامير الخيرا
حب النبيء شعاركم فلذا كم ... في شهره اشرقت بدرا نيرا
فاليوم عرش الملك اصبح زاهيا ... يختال في حلل الهنآء تبخترا
جبر القلوب إلهنا شكرا له ... لما انال الملك هذا الازهرا
يا رب متعنا بطول حياته ... متأرجا منه الثناء معطرا

الوزير الاكبر ابو عبد الله محمد العزيز بن محمد الحبيب

ابن محمد الطيب بوعتور

اصل سلفه من صفاقس وولد هذا الفاضل سنة اثنين وثلاثين ومائتين والف حسبما هو الحق الذي سمعته من الثقات منهم الشيخ سيدي محمد بن احمد الشريف امام جامع الزيتونة الاعظم والمفتي المالكي وكان رحمه الله عالما بتواريخ ولادة كثير من الاعيان بتونس فكان في يوم عاشوراء يقول لزائريه اني ولدت في مثل هذا اليوم سنة ١٢٣٣ والشيخ باش كاتب (ويعني صاحب الترجمة) اسن مني بما يقرب من العام وكذلك عن غيره من الذين ادركناهم مثل الشيخ الحاج احمد الكيلاني والسيد احمد ابن عومر الجزيري ومن لا يحصون ومن الادلة على صحة ذلك ان في سنة ١٢٥٦ حبس احمد باشا الكتب على الجامع الاعظم فكان صاحب الترجمة منتخبا لترتيبها لما حصل عليه من صيت النجابة ونصاب العلم ولا اقل من ان يكون سنه اذ ذاك

خمسة وعشرين فما فوق فاذا كان مبدأ قراءته سنة ١٢٥٤ في شوال فيكون من خوارق العادات تحصيله هذا الصيت العلمي في مدة تزيد على عام والذي يعلمه جميع الناس ان هاته المدة لا تكفي في قراءة اصغر كتاب في النحو فمتى حصل على صيت العالمية التي اهلته لترتيب كتب العلوم لا شك ان مدعي ذلك لم يتنبه لما يلزم من المجازفة التي يفقهها البله وبذلك يظهر ان الحق في تاريخ ولادته ما ذكرناه فدعوى ولادته سنة ١٢٤٠ ليس من التاريخ في شيء فلا يحتاج ان يضرب به الحائط وقد ولد صاحب الترجمة في بيت شرف اثيل . وظل مجد ظليل . فان نسبه يتصل بامية بن عبد شمس ابي الخلفاء الامويين فشب بين يدي والده . متحليا من حلى الفضائل بطارف علاه وتالده . فقرأ القرآن . وسمت نفسه الى التحلي بقلائد العرفان . فاقبل على رياض العلوم بالجامع الاعظم فقرأ على جهابذة عصره . ونحارير مصره . كالعلامة النحرير جدي ابي عبد الله محمد النيفر والعلامة النحرير ابي عبد الله محمد ابن الخوجة والعلامة النحرير ابي عبد الله محمد الطيب ابن شيخ الشيوخ ابي اسحاق الرياحي والعلامة النحرير ابي عبد الله محمد ابن عاشور ويذكر انه قرأ على جدي ابي اسحاق الرياحي ولعله حضر بدرس الموطا الذي كان اقرأه الشيخ آخر عمره فحضره طبقات من الطلبة رغبة في علو السند والتلمذة لذلك الحبر الجليل اما ابنه خالنا الشيخ محمد الطيب الرياحي فانه قرأ عليه مدة ولازمه في علوم منها الاصول فقد اخبرني عم والدي العلامة النحرير سيدي مُحمد النيفر انه لما ابتدأ القراءة بالجامع الزيتوني وجد صاحب الترجمة يقرأ شرح المحلي على جمع الجوامع وشرح الاشموني على الخلاصة على خالنا المذكور وكان لشدة رغبته في العلم لا يستنكف ان ياخذه ولو ممن يقاربه في السن فانه قرأ مع الشيخ العلامة النحرير ابي عبد الله محمد الطاهر ابن عاشور على اكثر شيوخه فلما تبين تبريز الشيخ الطاهر المذكور قرأ عليه وتلمذ له ولقد اخبرت انه حضر درس المحلي الذي اقرأه الشيخ المذكور بعد ولايته الفتيا بين الظهرين بجامع الزيتونة وصاحب الترجمة اذ ذاك يهيأ لخطة باش كاتب وهو دليل على قوة رغبته في العلم وفي الحديث الشريف منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال وبذلك فلا عجب ان يتسع محصوله . ويتائل في رياض التحقيق فروع

علمه واصوله . ولما تملأ وطابه . وفاض عبابه . واحجم عن مجاراته اترابه . وكان من شيوخه بالمحل الاسمى تحصيلا ونجابة وتوقد قريحة وضرب في كل فن بسهم اذن له شيوخه في التصدر للاقراء فاجاد وافاد . وقلد بعقود تحقيقه الاجياد . وقد كانت تلامذة الجامع الاعظم على جانب من اجلال العلم واعظام شيوخهم فلم يكونوا ليجسر احدهم على التصدر للاقراء بداخل الجامع بمجرد الاذن لهم في الاقراء الا بعد مدة ريثما يشتهر اضطلاعه فكانوا اذا اذن لهم شيوخهم في الاقراء ورأوهم اهلا للتصدر يلجؤن الى مثل المجنبات بصحن الجامع ومقصورة النواورية والمقصورة العالية فكان صاحب الترجمة ممن اقرأ في المجنبة الشرقية هضما لنفسه عن مساواة شيوخه في التصدر بداخل الجامع وهو فرق يساوي ما عليه علماء القرويين بفاس وعلماء الازهر بمصر من تميز علمائهم الجلة بالجلوس على الكراسي دون الصغار والمتوسطين وقد كان صاحب الترجمة من صغره مفطورا على الشمم والحشمة وصدق اللهجة والصبر والاحتمال حتى لا يكاد تخفى تلك الاخلاق في ملامحه وكان من صغره يطمح الى الكتابة صناعة سلفه فكان يلبس شعار الكتبة ومن عجيب الاتفاق ما اخبرت به عنه انه كان جالسا قرب التوابت بالجامع الزيتوني يوما ثم قام ليخرج وكان بالقرب منه جماعة من الطلبة فقال احدهم على جهة الاستهزاء بصاحب الترجمة على عادة تجامل الاتراب هذا الشيخ باش كاتب قام ليخرج فسمعه صاحب الترجمة فاحتملها ولم يجبه فكان ذلك فالا وبشارة اجراها الله على لسان ذلك القائل ولقد تذكرت والشيء بالشيء يذكر ان العلامة الشيخ ابراهيم البيجوري شيخ الاسلام بالديار المصرية وقع له قريب من ذلك فانه لما جاء الى الازهر من بلده لاخذ العلم وهو بزي الفلاحين في قصة تذكر قال فيه بعض المصريين لآخر مستهزئا هذا شيخ الاسلام فكان فالا استبشر به الشيخ وقد كشف الغيب عنه بعد وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن وقد اقرأ صاحب الترجمة كتبا كثيرة في غير فن حتى اقرأ التلخيص بشرح مختصر السعد التفتازاني وفي ذلك العصر العلمي لا يجسر على اقرائه الا المتحققون بالعلم ولعمري ان اقراءه لهذا الكتاب في ذلك التاريخ يشهد بمرتبته العلمية التي اقتعد دستها ولما حبس الامير احمد باشا الكتب بجامع الزيتونة كان صاحب الترجمة احد

المنتخبين لترتيبها بخزائنها ومع ما حصل عليه من نصاب العلم كانت له يد بيضاء في الادب وتحقق بعلومه درى الشعر والنثر جميل الخط يكتب باقلام فرغب في اصطفائه الشيخ ابو عبد الله محمد الاصرم باش كاتب فاستعان به على بعض اعماله الكتابية واغتبط به وكان ذلك مبدا ابتزاز هذه الدرة من تاج علماء جامع الزيتونة ولما سافر الامير المذكور بمحلة عسكرية الى الاعراض بها سبعة آلاف جندي للبطش بكبراء عمل الاعراض الذين شددوا النكير عليه لما احدث الربع على ما يباع وغير ذلك من المغارم واناب عنه ولي عهده الامير محمد باشا فاستكتب صاحب الترجمة كاتبا خاصا وذلك سنة اثنين وستين ومائتين والف وقد اخبرني شيخ الاسلام ابو العباس احمد كريم ان خاله سافر في هذه الجنود وكان شاطرا فلما القى الامير احمد باشا القبض على المتهمين امر بضرب رقابهم وكانوا سبعين رجلا فيهم اهل علم ودين وكان خاله المذكور مشهورا بقوة الساعد فتقدم لضرب رقابهم واحدا بعد الاخر حتى قدم آخرهم وكان شيخا وهو يتلو القرآن فضربه بسيفه فلم يقتله فرام تشفيع ضربته الاولى باخرى فلما رفع يده لصب سيفه عليه يبست يده وسقط مغشيا عليه فلم يات الليل الّا وقد فارقته نفسه فرأى الناس ذلك كرامة لهذا الرجل المظلوم ومع ذلك فقد اجهزوا عليه وكر الامير المذكور راجعا بما احتقب فلما قدم الى تونس اولى صاحب الترجمة كاتبا في الدولة وكان ذلك سنة ثلاث وستين ومائتين والف فلم يزل يتقدم بنفس عصامية وتقيم اعماله وسيرته شواهد الكفاءة عليه حتى كان بالمحل الاسمى من امراء البيت الحسيني ولما ولي الامير محمد باشا الملك واسندت ولاية العهد لاخيه الامير محمد الصادق باشا ورام الخروج بالمحلة على عادة تراتيبهم اذ ذاك اسر الشيخ ابو عبد الله محمد الطاهر ابن عاشور قاضي الجماعة للامير المذكور وكانت بينهما مودة بان يطلبه كاتبا خاصا له بالمحلة واوصاه به خيرا لما كان بين الشيخ المذكور وصاحب الترجمة من الوداد والاخوة فصاحب ولي العهد المذكور في سفراته فلقي منه ما ملك به لبه. واحكم فيه حبه. ولما كانت السعادة تلقاءه لم تطل مدة الامير محمد باشا فالتحق بربه وارتقى الامير محمد الصادق باشا دست الامارة فرعى له تلك الصحبة، ومنحه محبته وقربه. اخبرني العدل الشيخ ابو حفص عمر الغربي قال كنا بدار الشيخ القاضي ابي عبد الله محمد

الطاهر ابن عاشور اثر ولاية الامير محمد الصادق باشا وكان معهم صاحب الترجمة فقال له بعض الجماعة كيف ترى حالك مع هذا الامير الجديد فقال لهم اما ان اكون باش كاتب والا فكاتب بدار الجلد مثل الحاج حمودة الطرابلسي لا واسطة فكان الاول فكانت فراسته صادقة وهو ينظر الى قول ابي فراس الحمداني

ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

فلما توفي ابو عبد الله الشيخ محمد الاصرم باش كاتب قدمه الامير محمد الصادق باشا الى خطة باش كاتب دون من هو اسن منه واقدم ترشيحا اليها فزانها بحسن السيرة وكمال الاهلية ثم اسند اليه وزارتي المال والقلم والاستشارة وكان احد اعضاء المجلس الكبير من رجال الدولة عند انتصاب المجالس وكان وحيدا في سياسته يلبس لكل يوم منها لبوسا وناهيك برجل استطاع ان يصحب الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين والوزير محمد خزندار والوزير مصطفى بن اسماعيل ويخرج مع ذلك مرموقا منهم بعين التجلة والاعتبار وكان خير الدين يستنكر منه وفاقه في كل ما ما يلوح له حتى ربما صرح له بذلك وقرب غيره من الكتاب اظهارا لضعف ثقته كل ذلك لم يصد صاحب الترجمة عن سيرته ولعله رأى ان تيار اراء الوزير خير الدين لا يمكنه مصادمته . وابداء فكره المخالف يحسبه خير الدين تنكيتا عليه لثبات الرجل على رأيه فرأى الوفاق اسلم ويقال ان الامير محمد الصادق باشا لما أولى مصطفى ابن اسماعيل الوزارة الكبرى قال لصاحب الترجمة ان تصرف ابني مصطفى بنظرك ومسايرتك ولما توفي الامير محمد الصادق باشا وتولى الامير علي باشا ولم تبق وزارة ابي عبد الله محمد خزندار صالحة للوقت تعين صاحب الترجمة لاستلام الوزارة الكبرى فاولاه الامير المذكور باشارة من المقيم الفرانساوي الوزير المفوض فيما يذكر وموقف الوزارة الكبرى بتونس اذ ذاك حرج لما سيدفع اليه من التوفيق بين المتباينين والجمع بين الاضداد وارضاء رعية اختلفت مشاربهم وسياسة امة تضاربت مئاربهم ولذلك لما بلغ الوزير محمد خزندار ولاية صاحب الترجمة الوزارة قال ماذا يقاسي من المتاعب والله ان قلبي ليرق له ولكني اقول ان الله لما قضى بما به قضى على هذا القطر كان من ألطافه اسناد الوزارة الى صاحب الترجمة رجل جمع بين العلم

والسياسة والصبر الجميل فباشرها بحكمة وتدبر وتأن فلم يقصر به اجتهاده عن بلوغ اسمى درجة في حسن الادارة مهد بها الامر حسبما اقتضته الظروف وكانت القاعدة التي يسير عليها في اعماله ارتكاب اخف الضررين والخصلة التي امتاز بذكره بها اكثر من خصاله العديدة المحافظة على شرف اهل العلم والشرع المطهر والذود عن حياضهما ويلاحظ التمهل في السير فلا يخطو خطوتين امكن له ان يقتصر على احداهما احتفاظا على ابقاء العوائد وان ذلك من نظر الحكماء فانقراض الامة بانقراض عوائدها ولسانها ودينها وهي مرتبطة فانفصام احدها انفصام للبقية واني لاعجب من الناشئة كيف يتسارعون الى التخلق بالعوائد الغربية فهم انما يسعون في اندماجهم في الامة التي قلدوا اخلاقها فيعيشون غرباء بين امتهم والامة التي تخلقوا بعوائدها كل منهما تتبرأ منهم وتنظرهم بعين الازدراء وان اعطوا من طرف اللسان حلاوة ولو تميز كل من الامتين بلم شعثه لبقوا لا يأوون الى قبيل ولا تضمهم جنسية ولا يرضى ذلك ذو عقل سليم هذا ولم يزل صاحب الترجمة على مكانته مدة الامير علي باشا فلما توفي وولي ابنه الامير محمد الهادي باشا وهو رجل في سن الكهولة نظر الى خدمات صاحب الترجمة بغير العين التي كان ينظر اليه بها والده وامل ان يصحبه وزير اصغر سنا واكثر نشاطا من صاحب الترجمة وقد كلفه شططا بمجاراته في تقلباته حضرا وسفرا حتى صحبه الى باريز وهو في سن من لا يالف الا الكن ومع ذلك ابدى من الجلد ما صلح ان تضرب به الامثال . وتدرع من الصبر ما يقصر دونه المقال . خصوصا بعد ان اصيب الامير المذكور بمرضه العضال . مما اثر فيما اظن على جلادته ولم تنقض انفاس الامير حتى اعتادته الاسقام . وتهيأ بدنه لملهات الآلام . ولما ولي امير العصر محمد الناصر باشا احله محل الوالد ولقاه من بروره ما اقر عينه واطلق لسانه بالشكر لكن لم تطل المدة حتى اصيب بمرض كان آخره تلبية داعي ربه زوال يوم الخميس مستهل المحرم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف ورام الامير ان يظهر كمال عنايته بصاحب الترجمة فاذن بدفنه بتربتهم والاحتفال لجنازته بمثل الاحتفال للملوك فدفن يوم السبت صباحا وصلي عليه ببطحاء القصبة وعطلت دواوين الحكومة ودار الشريعة والاقراء بجامع

الزيتونة وكانت عطلة دار الشريعة والاقراء ثلاثة ايام اظهارا للاسف عليه ومن شعره ما هنأ به جدي ابا عبد الله سيدي محمد النيفر لما ختم عليه السعد على التلخيص

طريق لنيل العز حرز المطالب ... وغور لاسنى القصد صدر المراتب
وشم النفوس للمعالي مآثر ... وحوز الخصال من تمام المتاعب
ولو كان احراز الفضائل هينا ... لساد بمحض القول من لم يضارب
وشيئان في الاذهان حسم اجتماعها ... طريد اجتهاد واختيار الملاعب
فلا وابي لا يبلغ المجد عاجز ... يعلل نفسا بالاماني الكواذب
ولكنما ذو الحزم من ساد قرنه ... لشأو العلى دون اقتناء الصواحب
وحزمه لا تلوي الحوادث قصده ... فاما لحتف او لنيل المناصب
وليس ثمار الحزم الّا عزائما ... تريه كمينا من عزاز المواهب
اذا كانت السادات تصبو لرفعة ... فاني ملكت المجد جد الرغائب
واني لمقدام وغيري جازع ... واني لقوال باي المواكب
نشرنا على متن السماك مراتبا ... تؤم لها الركبان من كل جانب
ويا رب ليل يثبر الصلد حزنه ... اضأتُ الدياجي من يراع وقاضب
ورب عويص قد ازلنا لثامه ... له الناس فوضى بين راد وذاهب
لقد كنت قدما بالاوابد مولعا ... واين من العلياء طود الشناخب
فخار بني الدنيا رحيب الجوانب ... وعز سراة المجد شم النجائب
ابو المجد مهطال العلوم محمد ... وهل ينكر الانسان فضل السحائب
جواد همام باهر العز والسنا ... له الشرف الاقصى لهام الكواكب
امام حباه الله بالفضل حلة ... تهب بها الارواح قبل الركائب
منيف على شاو الثريا اذا رنا ... ازال المعمى من عويص السباسب
يجل حياء ثم يعظم هيبة ... جليل مضاء غير وكل وهائب
اذا افتر علها فالرقاب خواضع ... وان جال فالاذهان رهن الرغائب
مليك سنا يعتاده من معاشر ... تخر لها الاذقان فوق الترائب
عفاف كرام للرسول نجارهم ... وهم سادة الاحسان غر الاطائب

كان سناء الشمس من نور وجهه صفائح تبر اشرعت بالمغارب
كأن الثريا نظمت من بيانه سلاسل در اشرقت بالمواكب
كان مهب الشرق من فرط لطفه اوان شروق السعد بين الثواقب
تجلى ويالله كالدوح رافلا مطارفه الحسنى بخضرة شارب
تحارير اقوال وللروض جدول سراعا بمزج الكاس رشف المشارب
لها الدر جسم واللجين نطاقه وزهر الروابي من صبيب السواكب
فلا كلم الّا الدقائق دونها ولا لمحة الّا بجزل المآرب
ولا كرم الا اليك مثابه ولا مفخر الا لتلك المناكب
فما زال يبدي كل وقت ولحظة غرائب فكر توجت بغرائب
براعة فهم حنكتها فصاحة تفوق لدى الالباب سحر الذوائب
لقد ملأ الاقطار باهر ذكركم وهل يعدم الولهان وقع القواضب
وانت امام ما بقيت وانما سنام لدى العلياء سمح السلاهب
وما العلم الا بعض ما انت حامل ولا الفضل الا بعض تلك المناقب
لك الشرف السامي وانك اوحد تضيء به الاذهان وقت الغياهب
اليكم بني الزهراء تعنو وجوهنا وانتم بني الزهراء فخر المغارب
وحسب المعالي ان تكونوا ملوكها فمن منزل العلياء شم الجوانب
ومن كانت العلياء طوع بنانه فقد اترع الافضال قبل التخاطب

ومنه مقرضا قصيدة الشيخ العلامة احمد بيرم نظمها تهنئة في الختم المذكور

الى منزل العلياء هطل سواجمه فمنه منار الهدي شم معالمه
مراتع عز لن تزال منيعة بحرس جمال قد اطلت عزائمه
تباكره العلياء من نحو وجهه فتضحي بعز قد توالت غمائمه
جناب ابي العباس من آل بيرم يسود به حضر وبدو ينادمه
ازال عن الايام سوء كسادها وشنفت الاسماع حسنا سواجمه
ترنح من بين المديح كانها سلافة ثغر قد تهادت مباسمه
تشيد ركنا من معالي كماله كما ضعضع الافضال قسرا مكارمه

اذا جرد الاكفاء يوما جمالها فلا السيف بتار ولا العضب خادمه
وهذا يسير في علاك فانه بسعد الفتى تاتي اليه غنائمه

ونص قصيدة الشيخ احمد بيرم

بسعد الفتى تاتي اليه غنائمه وتبدو لدى كل الانام مكارمه
ومن لم يكن بالسعد في الجد نائلا نبا عنه عكسا رمحه وصوارمه
ومن يطلب المجد المؤثل والعلى تهون عليه نفسه وكرائمه
تلذ له الاهوال في نيل راحة كما يستلذ اطول الليل نائمه
كما يستلذ العذل صب مواصل يردد ذكرا للحبيب لوائمه
واما اذا ما بان عنه حبيبه فاكره ما يلقى من الناس لائمه
وكيف يطيق العذل صب بشادن تنصبه الاسقام والبعد جازمه
اذا ما جرى ذكر الاحبة عنده جرى فوق خديه من الدمع ساجمه
ابى الدهر للانسان ابقاء حالة يحاربه طورا وطورا يسالمه
ومن لاذ بالحبر الامام محمد غدا سيدا للدهر والدهر خادمه
هو العلم المشهور فينا بنيفر ومفخر هذا القطر بل هو عالمه
اذا غاص في بحر العلوم مقررا ترى منه بحرا ليس يعبر عائمه
ترى طالبين العلم كالطالب الحيا اذا اجدبوا جادت عليهم غمائمه
وقد حاز في العلياء اشرف رتبة فمن ذا يجاريه ومن ذا يزاحمه
ترى كل من ناواه في نيله العلى هوى ساقطا كالطير قدت قوادمه
ومن يدعي في المجد ما ليس عنده فذلك عندي ساقط الرأي عادمه
وقد يتزيا بالهدى غير اهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه
اليك سبيل المجد والشرف الذي بجدك خير الخلق شدت قوائمه
اتيت بشعر قاصر عن مديحكم ومن شعره تحوي علاك تراجمه
فانت عماد الدين بل انت قطبه نعم انت سعد الدين بل انت خاتمه

ومن شعر صاحب الترجمة مقرضا قصيدة الاديب الشيخ حموده الزلفاني التي نظمها في التهنئة بالختم المذكور وطالعها

غزال سبى الالباب في ثغره شهد ومن هجره يبدو لعاشقه سهد

ونصه

هو السعد ما ينحل ما عقد السعد وضرب العوالي عند اصحابه فرد
وما الناس في التحقيق الا سوائم وذو العقل منهم في الحساب له العد
ولجت ديار الحي والذئب هاجع بفرط سهاد ما له بالكرى عهد
لعلي أرى من نحو رامة لامعا ينمنمه حمودة الاوحد الفرد
فلاقيت وجها كالنهار جلالة وصدرا هو الدنيا وعضبا هو الجد
كشمس الضحى كالحقف كالقد كالقنا كصرف سلاف من لباب هو الرند
وهيفي حسبت الصبح وقت ظلامه ايخفى ضياء عن عليم له الرشد

ابو الثناء الشيخ محمود ابن شيخ الشيوخ ابي عبد الله

محمد ابن الخوجه (١)

ولد هذا العالم في ١٦ المحرم سنة ١٢٤٩ فنشأ بين يدي والده الامام في بيت العلم والمجد . الموروث عن اب وجد . فاضاف لتليد مجده طارفا . ووشى له من عليائه مطارفا . كرع من مناهل العلوم . وامتلك ازمة الفهوم . برأي فراسي . وذكاء اياسي . فنال من العلم اوفر نصيب . وحاز من سُهمانه المعلى والرقيب . ثم تصدر للتدريس . فاسس مبانيه ابدع تاسيس . بفصاحة تخلب النهى . وتحقيق اليه حسن البراعة انتهى . وقد كان رحمه الله ذا فصاحة ولسن . يجري بهما بيانه في اقوم سنن . نظما رائقا . ونثرا فائقا . سريع البديهة حاضر الجواب حلو الفكاهة له محاضرة كالروض الانيق . والمسك الفتيق . ومجالس تضم العلم والادب . يسعى لها افاضل القوم من كل حدب . لا تخلو عن فوائد يقتنيها سامعه . وفرائد تتشنف بها مسامعه يتحف الجليس . بلطائف التأنيس . فلا يزال منه بجنة علوم . ثمارها يانعات

---

(١) بعد الشروع فى طبع الكتاب وجدنا هاته الترجمة لم تخرج من مسودتها فالحقناها به تتميما للفائدة

الفهوم . وكان حسن السمت والشارة متبسطا في دنياه . اما رتبه العلمية والشرعية التي تسنم ذروتها . وتقلدها فكان حليتها . فهي التدريس بالجامع الاعظم تقلده من الطبقة الاولى سنة ١٢٧٨ والتدريس بجامع صاحب الخيرات ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع والخطابة به سنة ١٣١٣ فكانت له فيه كل سنة اختام . يؤمها جماهير اهل العلم هي للابداع مسك الختام . وتولى خطة الافتاء سنة ١٣٠٣ ثم مشيخة الاسلام اقتعد دستها سنة ١٣١٨ فاصدر نفائس الفتاوي للجماهير . ودبجها بما ينسيك الروضة والغدير . وما زال في رفعة مقام . يحفه الاجلال والاعظام . الى ان لبى داعي الحمام . في ١٦ ليلة الاثنين من المحرم الحرام عام ١٣٢٩ . ومن نثره الذي هو في الابداع صنوف . وفي آذان الدهر شنوف . هذه الخطبة النفيسة خطب بها يوم ختم امتحان التطويع سنة ١٣١٩ في يوم مشهود نثبتها هنا لما فيها من الذب عن الجانب العلمي بجامع الزيتونة ورد سهام العدوان المسددة اليه ونصها من خط ناظم عقدها

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على الاسوة الحسنة سيد المرسلين وامام المتقين . وعلى آله وصحبه اجمعين . اما بعد فاني اعرض على مسامعك ايها الوزير العلمي الطائر الصيت . المحلي جيد وزارته من جواهر افكاره المستنيرة باليواقيت . خلاصة اجراء الامتحان بين نجباء تلامذة الجامع الاعظم عمره الله بدوام ذكره على مقتضى الامر العلي المؤرخ بالثامن عشر من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة والف . هو انه لما قدمت التلامذة المقالات الفقهية من باب الاعتكاف فما قبل منها اوسعت النظارة العلمية التامل فيه واستفادت من جملتها نوع حذق في رسم الكتابة وتقرير الفقه كل بما يسره الله اليه ثم تقدمت الطلبة للامتحان التدريسي على حسب ترتيب تقييد اسمائهم وقرروا دروسا في الفقه والاصول وفني البلاغة والبيان والنحو والرياضيات وتسابقوا في ذلك المجال . والمباحثة من جهة المشائخ النظار تقلب اذهانهم ذات اليمين وذات الشمال . فاستفيد من جملتهم ان جمهورهم لا سيما ابناء الحاضرة ممن تبرز . واحرز خصل السبق وتميز . ثم ختمت جلسات الامتحان بالقاء الاسئلة من الفنون العديدة التي تجري مجرى التحسينيات لاتمام نصاب الامتحان والا فاننا نرى العالم النحرير الذي يشار اليه . ويعول في كشف المعضلات عليه . قد يلقى عليه السؤال بغتة فيتبلد

ويتوقف . ويستعيده المرة بعد المرة لاستكشاف حلية حاله بغاية التلطف . عساه ان يهتدي لاستحضار الجواب . كانما يتختل لصيد تلك العقاب . هذه حالة الامتحان اجمالا وسياتي لوزارتكم التفصيل فيمن استحق منحة التطويع او الاعفاء مع جدول العلوم المقروءة بالجامع . اما هيئة النظام العلمي فان العلوم في اقبالها . والانفس في تهممها باتتحالها واهتبالها . والدروس تختال في حلل الفنون على اختلاف اجناسها . فيرتشف عذب نتائجها من مباسم قياسها . ولن يخلي الله هذا الجامع المبارك من هلال يطلع . فيشرق بسمائه بدرا . وزلال ينبع . فيغدق بفضائه بحرا . وشبل يشدو . فيزأر من غابه ليثا . وطل يبدو . فيمطر من ربابه غيثا . فما اشاعته بعض الجرائد العربية في عددها ٦٥١ من ان دروس التفسير والمعاني والبيان والاصول اصبحت دارسة وان الجامع الاعظم خلو من الحساب الذي يحتاجه القاضي والفرضي الى غير ذلك من التدحيل والمكابرة للحس كنسبة القصور او التقصير للنظارة العلمية . في تغافلها عن العلوم الرياضية . فمن الكذب الذي تاباه المروءة والانسانية . وتتنزه عن مثله العناصر الابليسية (١) . الم ير اعمى البصر او البصيرة (٢) ان الاسئلة على بساط الامتحان فى الرياضيات تترى . واجوبتها في آذانها شنوفا تتلألأ درا . اكانت هذه الاجوبة في الرياضي مفاضة على التلميذ بطريق الكرامة بدون تعليم كلا . بل ارتضعها من اخلاف دروس هذا الجامع الذي لم يزل بحمد الله بنفائس الفنون محلى . وحيث ان هذه المصادر التي مرعاها وخيم . واذا نظرت نظرة في نجوم فلك العلوم بالجامع الاعظم قالت ان نظامها سقيم . محتاج لمثله في المعالجة والترميم . قد احدثت تشويشا في الافكار وفتورا في الهمم وقالا وقيل . وليس القصد الا الايقاع في التضليل والتخذيل . فنطلب على لسان النظارة العلمية من حضرة سيدنا ومولانا الذي بيده مقاليد مملكتي الدين والدنيا . ومن جاء كما شاء التعزز والعليا . صاحب التصنيف الشهير . الذي يسمع لصولة فكره في معامع المشكلات القعقعة والزئير . سيدنا الباشا علي حجز الصحف العربية . عن التكلم في المسائل الدينية . وفي مقدمتها

---

(١) من تفسير الرازي في قوله تعلى « لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين »

(٢) هذا الترديد في مقابلة قصور او تقصير — صاحب الترجمة

مسالة جامع الزيتونة مخيم العلم ومهبط فيض الفتوحات . والمهب الذي يستنشق من روح الله في مواقع الازمات . قدس الله ارضه الزكية وطهرها . وضمخها بخلاخل المسك من انفاس السادة آل البيت ونورها . ونساله تعلى ان يزيد ملكنا بسطة في العافية الضافية وفسحة في الاجل . قرير العين بولي عهده ذلك الشبل البطل . درة تاج الملك وصارم يمينه . ورونق بهجته وغرة جبينه . وبوزيره الذي ما تازرت العلياء بمثاله . ولا نسج الدهر على منواله . اللهم اجعل سفن حياتهم في بحار الطافك الجميلة سابحة . واعمالنا من التجارة الرابحة . بحرمة القرآن العظيم وسر الفاتحة اه وقد قرضتها بقولي

صدعت بما يشنف كل سمع ... فدمت مسددا في كل صنع
وذدت عن العلوم وناشريها ... مقال المدعين بكل قطعي
فاخرس مصقع وحبى اديب ... ثمار بلاغة من روض سجع
ودمت مهنأ في كل عام ... وذكرك ذائع في كل صقع
ودونك سمط تاريخ لختم ... ليزهو بعقد در عام تسع

٨٥ ١٧٦ ٢٠٤ ١١١ ٧٧٠

سنة ١٣١٩

ومن شعر صاحب الترجمة وقد زار شيخنا العلامة ابا النخبة مصطفى رضوان بمحله بالمرسى فقدم له بعد العوم بسيسة وهي السويق فقال في ذلك

اذا رمت عوم البحر في ساحل المرسى ... فيمم به بيتا له العزة القعسا
مؤسسه رضوان يدعى بمصطفى ... تجلى منار العلم من صدره شمسا
يعاطيك اثر العوم صفو بسيسة ... فآونة دنا وآونة كأسا
عناصرها من فستق ثم بندق ... وتالله لا ادري افيها التي تحسى
صنيع عجيب اثمرته قريحة ... بمينائها فلك المعارف قد ارسى

وشطرها شيخ الشيوخ ابو النجاة سالم بوحاجب بقوله

(اذا شئت عوم البحر في ساحل المرسى) ... تجد بحمى الجراح فلك الشفا ارسى
وان شئت للبحرين جمعا منعما ... (فيمم به بيتا له العزة القعسا)

(مؤسسه رضوان يدعى بمصطفى) فلله بيت بالرضا دعم الاسا
يعم هداه الخافقين لانه (تجلى منار العلم من صدره شمسا)
(يعاطيك اثر العوم صفو بسيسة) تبس جبال الحر من بردها بسا
ينوط بقدر القابلية قدرها (فئاونة دنا وءاونة كاسا)
(عناصرها من فستق ثم بندق) وختمهما (١) يومي لتخويلك المنسا
وخفة روح هي مغزاي ان اقل (وتالله لا ادري افيها التى تحسى)
(صنيع عجيب اثمرته قريحة) بها صنع بقراط واضرابه ينسى
واجمال قولي ان ساحة مصطفى (بمينائها فلك المعارف قد ارسى)

ومن شعر صاحب الترجمة في الامير مصطفى باي

يا ابن الجحاجحة الشم العرانين ومفخر السادة الغر الاساطين
ونخبة لملوك طار صيتهم على البسيطة من غرب الى الصين
ابوك سيدنا الباشا الذي ملأت نفائس صاغها صدر الدواوين
تلوح افكاره في كل مسالة زواهرا في سماء الملك والدين
يايها المصطفى السامي الى رتب علياء من تحتها رأس السماكين
جمعت بين خلال المجد اجمعها مرأى سناها كمرأى الشمس في العين
ما زلت تسبق للعلياء منفردا حتى عرفت بسباق الميادين
اثقلت كاهل هذا الدهر من منن جلت مزاياها عن حصر وتعيين
ملكت منا قلوبا اذ شمائلكم فاقت برياها نفحا من رياحين
لك الهناء بهذا القصر قد سعدت منه العواقب في عز وتمكين
قد كان انشاؤه في ظل دولتكم وعاد احياؤه منكم بتحسين
لم لا وقد اسس المولى العلي به من بره مسجدا يسمو بتأذين
بقيت فينا مفدى لا الى اجل ولا جرى قدر ضدا لهذين
ودمت فوق الذي ترجوه مارفعت كف الدعاء واصوات بتأمين

---

(١) لعل مراده ان القافين كثرة عددهما كالفال في انساء اجله — مصححه

تم بحمد الله في ٢٤ ذي الحجة الحرام من عام ١٣٥١

استـــدراك

صحيفة	سطر	خطـا	صـواب
٢	٨	لاكثرها	لاكثرهم
٨	٢٤	(١) ١٠٦٥	(١) اسم سيبويه
٨	٢٤	(٢) اسم سيبويه	(٢) ١٠٦٥
٩	٤	فبث	لبث
١٠	١١	افضلا	افضالا
١١	١٧	الرضى	الرضا
١٢	٢٥	شذى	شذا
١٥	٢٠	بافهاهم	بافهامهم
١٦	٦	لقاب	نقاب
١٧	٦	شذى	شذا
٢٢	١٦	عاصت	عاصيت
٢٥	١١	ربى	ربـا
١٧	١٢	العموم	الغموم
٢٩	٣	بلـع	بلـغ
٣٤	١٨	العال	الفعال
٣٦	١٩	اداول	احاول
٣٦	٢٠	ظللت	ضللت
٣٩	٢٢	(١) طائر	(١) اسم رجل
٤٠	٤	الرضى	الرضا
٤١	١	المذججي	المذحجي
٤١	١٣	اعدل	ما اعدل
٤٣	١٨	بعقد	فعقد
٥١	٩	برائه	برأيه
٥٤	١٢	بشرا	بشرى
٥٥	١١	ضمئتم	ظمئتم
٥٧	٥	الضبا	الظبا
٥٩	٥	التعزيز	التعزير
٦٤	٢٣	مستعجل	مستعجلا

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٦٥	٨	ولده	لولده
٧١	١٥	خُبره	خَبره
٧٨	٧	انخزام	انخرام
٧٨	١١	اتسام	تسام
٨٠	٢٢	الرضى	الرضا
٨١	١٠	العفو	العفر
٨٢	١٢	الرضى	الرضا
٨٨	١١	نحى	نحا
٩٠	١٢	الذي	الذين
٩٣	٩	يخشى	يخش
٩٣	١٦	عذاب	عذابا
٩٤	٢١	ينبغي البعاد فلس	يبغي البعاد فليس
٩٥	١٧	قـل	فقـل
٩٥	٢٥	يكون	يكن
٩٩	٨	الاعظمى	الاعظما
١٠٦	١٢	ثـم	تـم
١٠٦	١٥	تناغيك	تناغيها
١٠٦	٢١	غواني	غوالي
١٠٩	١٧	حيز	حيز
١٠٩	١٨	السعد	السعدي
١٢٩	١٦	تركن	تركت
١٣٣	٧	للتحقيق في الدين	في التحقق للدين
١٣٤	٨	ولقُوه	ولقَّوه
١٤٤	١٦	من نبغ	من نبت
١٤٨	١٤	تجزي	تزجي
١٤٩	٢	المرءات	المرءاة
١٦٠	٣	ويصعد	وسيصعد
١٧١	٢٤	منـه	منـك
١٧٥	١٥	شانه	شاته

فهرست الكتاب

صحيفة	
٢	ابن ابي دينار
٤	الشيخ فتاته
٦	الشيخ قويسم
٩	الشيخ زيتونة
١١	الشيخ الخضراوي
١٤	الشيخ احمد الشريف
١٥	الشيخ سعاده
١٨	الشيخ الشرفي ابن المؤدب
١٩	الشيخ الريكلتي
٢٠	الشيخ عبد الله السوسي
٢١	العياضي
٢٣	الشيخ مسعود الباجي
٢٤	الامير محمد الرشيد باي
٢٧	الشيخ الشافعي
٣٠	الرئيس احمد الاصرم
٣٢	الغراب
٣٦	الورغي
٣٩	ذويب
٤١	الطوير
٤٤	الشيخ ابن سعيد
٤٨	الكاتب محمد بو عتور
٥٠	الشيخ العصفوري

صحيفة	
٥٢	سميه
٥٣	ابن غانم
٥٤	ابن قاسم الخراط
٥٥	المشرّق
٥٨	الوزير ابن عبد العزيز
٦٢	الشيخ الدرناوي
٦٤	الشيخ صالح الكواش
٦٧	الشيخ عمر المحجوب
٦٩	الشيخ محمد الكواش
٧١	الشيخ ماضور
٧٢	الشيخ حسن الشريف
٧٦	الحكيم سياله
٧٨	الشيخ بيرم الثاني
٨٣	احمد زروق
٨٥	ابراهيم ابن احمد الخراط
٨٧	الشيخ بيرم الثالث
٩٠	سيدي ابراهيم الرياحي
٩٧	الشيخ الطيب الرياحي
١٠١	الشيخ ابن سلامه
١٠٤	الشيخ الخضار

صحيفة	
١٠٧	الشيخ علي الرياحي
١٠٨	الشيخ محمد النيفر الاكبر
١١٤	الشيخ محمد الاصرم باش كاتب
١١٧	الشيخ بيرم الرابع
١٢١	الشيخ احمد بيرم
١٢٢	الشيخ الطاهر ابن عاشور
١٢٧	الشيخ قابادو
١٣٠	الشيخ ابن ابي الضياف
١٣٤	الشيخ الباجي المسعودي
١٣٧	الشيخ احمد ابن الخوجه
١٤١	الشيخ كريم
١٤٥	الشيخ محمد السنوسي
١٥٣	الشيخ طريفه
١٦٧	الشيخ رضوان
١٧٦	الشيخ محمد ابن الخوجه
١٧٨	الوزير الاكبر الشيخ العزيز بو عتور
١٨٧	الشيخ محمود ابن الخوجه

893.782
N234

FEB 15 1965

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59020431
893.782 N234 Unwan al-arib amma n